

مجلـة فكريـة عربيـة مغربيـة

- التطورات السياسية للطبقة العاملـة المغربيـة
- مسألة الفلاحـة المغربيـة
- الثـورة الفلسطينية في جريدة فلسطيـن
- خلاصات من تجربة الشعـب الفيتنامـي
- التخلـف والعالـم الثالـث
- نحـو حـل ديموقراطـي للمسألـة الفلسطينيـة

العدد الاول
ماي 1971
1,50 در

انفـــــاس

مـجلـة فكـريـة عـربيـة مغربيـة (تصـدر شهريـا)

العنوان : ٤ شارع باستور ٠ الرباط ٠ المغرب
ح ٠ ب ٧٩ ٩٨٩ الهاتف ٩٢_٢٣٥
المسؤول : عبد اللطيف اللعبي

فهرس

السنة الثانية العدد الاول مايو ١٩٧١

مطبعـة التومـي : الربـاط

تقديم

فــي هــذ العـــدد

يصادف العدد الاول من مجلة انفاس بالعربية ، احدى الاعياد التقليدية للطبقة العاملة تخليدا لامجادها النضالية في فاتح ماي · وتمر هذه المناسبة بعد اشهر قليلة من الذكرى المئوية لكمونة «باريس» التي سجل فيها التاريخ بأحرف لن تمحى من ذاكرة البروليتارية أول سلطة للطبقة العاملة ··

فما هي الخلاصة التي تقدمها « انفاس » للطبقة العاملة في هذه المرحلة الدقيقة والحرجة من نضالها ؟

ان موضوع « التطورات السياسية للطبقة العاملة » يجيب على هذا السؤال ، من خلال عرض تاريخي لاهم التطورات السياسية التي واكبت نضال الطبقة العاملة ، بأن الشعار اليومي للقوى الرجعية طيلة الخمس عشر سنة ظل هو تقسيم الطبقة العاملة واضعاف وحدتها ·· وأن الجواب المضاد المطلوب من القوى التقدمية يجب أن يكون في هذا الظرف التاريخي هو النضال من أجل تقوية وحدة الطبقة العاملة في اطار منظمتها العتيدة الاتحاد المغربي للشغل ·· الا أن شعار الوحدة يبقى مجرد شعار شكلي خالي من أي مضمون نضالي ، ان لم يصاحبه في نفس الوقت نضال مزدوج :

فمن جهة ، تعميق الديمقراطية في المنظمة العمالية وتصفية كل أشكال التكون البيروقراطي التي تكبل قدرتها النضالية · ومن جهة أخرى ، تعزيز النضال النقابي والسياسي في اطار استراتيجية نضالية تتجاوز بالملموس المنطلقات الاصلاحية التي تحاول القوى المحافظة أن تبقى فيها الطبقة العاملة ·

الا ان الطبقة العاملة المغربية ، رغم الضرورة التاريخية لفرض استقلالها الايديولوجي والسياسي ، لا يمكن لها أن تؤدي دورها كاملا ، بل يستحيل عليها القيام بمهامها التاريخية ، ان هي لم تع ضرورة التحالف مع القاعدة الواسعة مد جماهيرنا الكادحة وفي مقدمتهم « الفلاحين » ·· وفي هذا الاطار يقدم موضوع « المسالة الزراعية » أهم التطورات التي طرات على البادية المغربية ، موضحا بالاساس التركيز الشديد للملكية العقارية الكبرى والعصرية ، وتخلف علاقات الانتاج الاقطاعية السائدة في الماضي أمام التقدم المتزايد للعلاقات الرأسمالية في البادية ·

ان هذا التحول يجري لمصلحة فئة قليلة من الملاكين العصريين الكبار والفئات الكمبرادورية ، ويخلق في نفس الوقت فائضا متزايدا من جيش الفلاحين العاطلين والمطرودين من الارض بشتى الوسائل والحيل · هذا الجيش الذي لا يجد أمامه في النظام الاقتصادي الحالي المعتمد على الامبريالية منفذا صناعيا متطورا يستوعب ولو جزءا من هذا

الفائض السكاني ٠٠ والنتيجة الحتمية لهذا الواقع تازيم التناقضات الطبقية في البادية ، التي لن تجد حلا صحيحا لها الا في اطار التغيير الشامل للبنية السياسية والاقتصادية والاجتماعية ٠

ويصدر العدد الاول من مجلة انفاس بالعربية بعد أشهر من أكبر محنة اجتازتها المقاومة الفلسطينية في مذبحة سبتمبر التي دبرها النظام الاردني العميل في محاولة يائسة لتصفية المقاومة تمهيدا لفرض الحلول الاستسلامية واعدام القضية الفلسطينية لمصلحة البقاء الصهيوني والامبريالي في المنطقة ٠

وعلى ضوء هذه التجربة المريرة التي مرت منها المقاومة ،وبعد انتهاء أعمال المجلس الوطني الفلسطيني الثامن ، يركز موضوع « الثورة الفلسطينية في جريدة فلسطين » على مواقف الفكر التقدمي المغربي النظرية والسياسية اتجاه الثورة الفلسطينية ٠ ومن خلال رؤية نقدية لهذه المواقف التي عبرت عنها جريدة فلسطين أحسن تعبير ، ينتهي الموضوع بخلاصات أساسية تؤكد في جانبها المغربي على فشل مفهوم « الجبهة المساندة » الجامدة التي حصرت كل نضالية الشعب المغربي لدعم الثورة الفلسطينية في الجانب المادي والتأييد العاطفي ٠ وتؤكد الخلاصة على أن ولوج الجماهير المغربية معترك النضال السياسي ضد كل المواقف الرجعية والمتخاذلة للانظمة العربية ،وضد الوجود الامبريالي والصهيوني في المغرب لحماية الثورة الفلسطينية ونصرتها هو الدعم الحقيقي المطلوب من الشعب المغربي لحماية الثورة الفلسطينية ٠

وأمام التجربة الخلاقة لشعوب الهند الصينية في نضالهم المستميت لطرد الغزاة الامبرياليين الامريكيين ، والتي لا تستحق منا التقدير والاعجاب فقط ، بل التمعن في هذه التجربة النضالية العظيمة لاستخلاص أسباب نجاحاتها الباهرة وصمودها العنيد أمام مختلف أنواع التدخلات الاستعمارية وعلى رأسها الدركي العالمي الامبريالية اليانكية ،من أجل هذا الهدف يقف موضوع « دروس التجربة الفيتنامية » وقفة قصيرة أمام هذه التجربة النضالية التي تشد أبصار كل الشعوب المضطهدة ، ومنها الشعب العربي الذي يخوض اليوم كفاح التحرير ضد نفس الغزاة وحليفتهم اسرائيل ٠٠ ومن خلال عرض لبطولة هذا الشعب المناضل تبرز المقالة للمتشرقين بالايديولوجية الثورية خطأهم الشنيع في مفهومهم للجبهة الوطنية في مرحلة التدخل الامبريالي (المباشر او الغير مباشر) ٠ اذ أن الفيتنام لم تعتمد على جبهة وطنية وحسب ، بل دعمت هذه الجبهة بقيادة الحزب الثورى وسيادة النظرية العلمية والخط السياسي السديد ٠٠٠ بهذه الشروط كفلت الجبهة الوطنية انتصاراتها في كفاحات التحرير٠

هذه بعض الخلاصات الهامة لمحتويات العدد ، وهي لا تغني بالطبع عن دراسة كل المقالات الواردة لما تحتوي عليه من مواد خام لمناقشات مفيدة ٠ ونؤكد ان المجلة لن تحقق الغرض من وجودها الا بمشاركة أوسع قاعدة من المثقفين المغاربة في هذا الحوار ٠ ان الطابع الاساسي الذي نريده للمجلة هو الحوار ٠ والحوار الدائم ، من أجل تعميق قضايانا التحررية ٠

ونحن لسنا بحاجة لتوضيح أن المجلة غير ملزمة بكل محتويات تفاصيل المواضيع التي تنشرها فللكاتب مطلق الحرية في التعبير عن آرائه شريطة أن يتفق والمبادىء التقدمية العامة لاختيارات المجلة ٠

وننبه القارىء أيضا ، أننا راعينا ـ وسنراعي دائما ـ الاختصار في عدد صفحات المقالة : والبساطة في الاسلوب بغية الانسجام مع مستوى أوسع قاعدة من الجماهير المتعلمة ٠

أنفاس

قضايا وطنية

التطورات السياسية للطبقة العاملة المغربية

حمادى حميد

لقد اثبتت تجربة الشعوب العالمية ، وتجربة حركة التحرر الوطنى بصورة خاصة الضرورة الحاسمة امسالة قيادة الطبقة العاملة . هذه القيادة القادرة وحدها على ضمان استمرار وتطوير الثورة الديمقراطية الوطنية ، وعقد التحالفات الطبقية مع القوى الوطنية وعلى رأسها الفلاحين وجرها للنضال

ان هذا الدور الطليعى لا يمكن ان تلعبه الطبقة العاملة الا اذا امتلكت استقلالا كاملا في وعيها الطبقي وفي ممارستها السياسية ، وفي تخلصها من التأثيرات الايديولوجية للطبقات الاخرى .

وان هاته الشروط التي كما قلنا الكفيلة وحدهالجعل الطبقة العاملة طبقة طليعية تلعب دورها الطليعي بحق هى التى وعتها الطبقات المضادة للثورة الوطنية فاستماتت من أجل طمسها بغرض استمرار التقسيم لوحدة الطبقة العاملة ومنع وجود الاداة الطليعيةالوعية

ومع ميلاد الطبقة العاملة بالمغرب فى ظروف الوجود الاستعمارى وفى ظروف الحركة الوطنية بقيادة البورجوازية ، تعرضت لسلسلة منالتاثيرات فقد حاول العدو الاستعماري ، والقيادة البورجوازية الوطنية شل دورها الطليعي بالعمل على تكريس سيادة المفاهيم والممارسات الاستعمارية او البورجوازية الوطنية

فلقد حاول المستعمر حرمان الطبقة العاملة من حق تنظيم نقابى وطنى ،ينسجم وضرورة النضال من اجل التحرر الوطنى ، مكرسا بذلك وجود النقابة الفرنسية C. G. T. هذا الولاء للتنظيمات الاجنبية الذي كان الغرض منه واضحا ، وهو محاولة ابعاد الطبقة العاملة عن واقعها الوطنى بالهائها بنضالات ثانوية من اجل تحسين شروط العمل لكن تحت الايمان بأهمية وفائدة النظام الاستعمارى الرأسمالى .

الا ان الطبقة العاملة رفضت ومع ارتفاع وعيها هذا الواقع ، وناضلت باستمرار من أجل حقها فى تنظيم نقابى وطنى ، وحققت ذلك عبر تأسيس منظمتها «الاتحاد المغربي للشغل» . هذا التأسيس ، ومع أهميته التاريخية والحاسمة فى الحركة الوطنية ، ارسى من جديد ولاء جديدا للبورجوازية الوطنية المتمثلة فى حزب الاستقلال بكل وعيها وسياساتها الفعلية

ان هذه الحقيقة لا يلغيها كون تأسيس الاتحاد المغربي للشغل كمنظمة نقابية مستقلة للعمال يجسد البدايات الاولى لوعى طبقي مستقل ولا يلغيها كذلك

كون الخط الجدرى فى الكفاح الوطنى والمتمثل اولا فى حركة المقاومة ومن بعد فى جبش التحرير كانت وجمهوره الاساسى الطبقة العاملة وخاصة بالدار البيضاء

وان استمرار هذا الولاء للبورجوازية الوطنية كان بالنظر لغياب اى تنظيم سياسى مستقل للطبقة العاملة (والذي عجز الحزب الشيوعي المغربي سابقا أن يلعبه)· شيئا معقولا وفي ظروف الاستقلال ،وخاصة في سنوات ٥٦ ـ ٥٩ ومع تحالف الاقطاع والبورجوازية وفي ظل الصراع بينهما لاقتسام السلطة ، حاول الحكم وبجميع الوسائل مدسيادته على الطبقة العاملة مانحا اياها عددا من التسهيلات (البنايات ، المداومين ـ المنح ـ حل بعض المشاكل الجزئية ـ المساواة بين العامل المغربي والفرنسي) فاستطاع بذلك أن يربط وجود الجهاز النقابي ماديا بالنظام وان يركز مركز الاطار النقابي المعتمد لا على نضال الطبقة العاملة ولكن على تسهيلات الادارة ·

مما جعل النضالات العمالية تهدف الى الضغط على المستغلين المباشرين للحصول على بعض المطالب الجزئية ، وعمق هذا الفهم لدى الطبقة العاملة أن قيادتها التي قيدت بعشرات المصالح كانت تنصب من الجهاز الحاكم حكما بين الطبقة العاملة وبين المستغلين المباشرين لا جزءا رئيسيا وحاميا لكل المصالح الامبريالية والرأسمال « المستغل » ، مضفية عليه هالة من القداسة الابوية ··

رغم البرامج اللفظية والشعارات الديماغوجية التي كانت ترفعها في مؤتمراتها ومجالسها الوطنية ، والتي كان على رأسها الاصلاح الزراعي وتأميم المصالح الكبرى ·

وابتداء من ٥٩ ومع امتداد الصراع الطبقي وقع الانفصال التاريخي بين جناحي حزب الاستقلال الذي كان رغم كل الكواليس الذي صاحبته ومهدت له بالاساس بدافع من الاختلاف الواضح والمتعارض بين مصالح جماهير الشعب وعلى رأسها الطبقة العاملة وبين أجزاء من الطبقات الرأسمالية والاقطاعية المستغلة في حزب الاستقلال ·· ان هذه القفزة التاريخية كان ينتظر منها الشيء الكثير لو أنها كانت بقيادة الطبقة العاملة ولو أنها لم ترتم في أحضان النظام ، وتقع في نفس الاخطاء التي وقعت فيها هي وحلفاء الامس بعد الاستقلال ··

ان الدخول الى السلطة مع بقاء الاجهزة الاساسية في يد الجناح الرجعي من التحالف لم يحقق الا بعض الاصلاحات التقنية والشكلية ، ولم يعط في النهاية الا التثبيت لركائز سلطة الاقطاع (بالقضاء على جيش التحرير ـ وتقوية مصالح بيرو قراطية الاتحاد المغربي للشغل ـ وضرب الاجنحة اليسارية في الاتحاد الوطني ـ وقمع لسانهم «التحرير»)

بعد هذه السنوات ،وبعد أن أرسى الحكم قواعده بشكل كبير وبعد أن صفى أخطر قواعد الحركة الوطنية الحقيقية (جيش التحرير ـ الاجنحة اليسارية)·

لقد حقق ذلك كله تحت غطاء التحالف المزيف مع القوى اليسارية على مستوى السلطة (حكومة عبد الله ابراهيم)·

بعد تحقيق هذه الشروط لم تبق للحكم اية مصلحة في استمرار هذا التحالف وشكلت سنة ١٩٦١ ومع اقالة حكومة عبد الله ابراهيم بداية الصراع المكشوف

والعلني بين تحالف الطبقة الحاكمة وبورجوازية حزب الاستقلال وبين مجموع الجماهير الشعبين تحت القيادة السياسية للاتحاد الوطني للقوات الشعبية ·

والاتحاد المغربي للشغل كامتداد للاتحاد الوطني وجد نفسه وجها لوجه أمام اختيارين واضحين ·

– أما مع الجماهير الشعبية والطبقة العاملة يقود نضالها ويحدد أهدافها

– واما مع الحكم شل بجهازه من نضال الجماهير ويطرح الشعارات التي تزيف الطريق على الجماهير

ولان الاختيار يكون دائما ابنا للمصلحة التي يعبر عنها ، فان جهاز الاتحاد المغربي للشغل البيروقراطي بعقليته وتكوينه ، كان من الضروري والحتمي أن يختار ما يتلاءم ومصالحه المتناقضة وشروط النضال ضد نتائج الحكم (سياسة الخبز)·

وكان من الطبيعي أن تفشل سياسة الخبز لاعلى المستوى السياسي فحسب بل على الصعيد النقابي أيضا ·

واذا كانت سياسة الخبز تمثل في الواقع تغطية وهمية لاختيارات سياسية ونقابية رجعية ، فرضها واقع التكون البيروقراطي دي المصالح المرتبطة بالدولة ، واذا كانت هذه السياسة تريد أن تستمد قوتها من الوعي البدائي للطبقة العاملة وتخلفها السياسي ، وترتكز بالتالي على تشديد وتقوية هذا الواقع ، فانها لا تملك القدرة على الاستمرار في هذا الاتجاه النقابي الضيق ، ما دام واقع الطبقة العاملة فيبلاد التبعية للامبريالية لا يزيد الا فيالانحدار والتدهور والاستغلال المتفاحش ان هذا الميل الانحداري هو الذي يشكل خطرا ملموسا على مثل هذه الاتجاهات ولهذا أصبح حتى شعار الخبز يشكل هوالآخر تهديدا على المصالح البروقراطية ويفضح عجزها المميت ·وكان لابد اذن من أن يموت هذا الشعار وتستبدل اللعبة (وحدة ١٩٦٧)

ان أهم درس أعطته التجربة النقابية في بلدنا هو استحالة الفصل ما بين المعركة النقابية والمعركة السياسية ، فليس في بنية أنظمة التبعية ما يبرر موضوعيا الاتجاهات النقابية الضيقة· لان معركةالطبقة العاملة الاقتصادية ومعركتها السياسية جدلية واحدةفي ميدان واحد هو التحرر من السيطرة الاستعمارية السياسية والاقتصادية ·

الا أن النظام لم يكن ليكفيه ذلك الاختيار ، لكي يطمئن بما فيه الكفاية – خاصة وأن بجانبه في السلطة جزءا من قيادة حزب الاستقلال المنحرفة – فشرع الخطة لتصفية نضالية الطبقة العاملة في تطبيق سياسة تقسيم وحدة العمال وذلك بأن أسس وبمساعدة الاستقلاليين ما يسمى بالاتحاد العام للشغالين سنة ١٩٦٢ ·

من هذا الوقت بالذات ، اتضح الصراع جليا داخل حزب الاتحاد الوطني بين القوى اليسارية واليمين الذي مثلته باستمرار قيادة الاتحاد المغربي للشغل وذلك على التوالي في المواقف داخل المؤتمر الثاني للاتحاد الذي انعقد سنة ١٩٦٢ او في الموقف من الدستور واعتقالات الوطنيين في ٦٣ التي كانت نقطة الطلاق الحقيقية والنهائية بين الجناحين ، اذ فيها وقف الاتحاد المغربي للشغل بتوجيه من قيادته موقف المتفرج على المؤامرة التي كانت تدبر ضد رفاقه·

وان الجماهير التي ضربت في ابنائها في ٦٣و ٦٥ رغم كل الوصاية المضروبة عليها من طرف دعاة الانهزام والانتظار ـ قد اجابت على تلك الضربات باسلوبها النضالي الوحيد الذي كان خارج توجيه وارادة الجهاز النقابي للاتحاد المغربي للشغل ..

ان هذه الحركة الجماهيرية لتدل من جديد على قوة وحيوية وفعالية نضالية الطبقة العاملة كما تدل على جذرية الطرح الجماهيري لقضاياها وعلى تجاوزها الفعلي للنقابية الضيقة التي كانت أجهزة الاتحاد المغربي للشغل تسجن فيها طموحات الجماهير ..

بعد ١٩٦٥ وبعد العفو على المعتقلين السياسيين وفي اطار خطة الهدنة مع الحكم التي نهجتها قيادة الاتحاد الوطني والتي كانت المفاوضات المشهورة بداية لها في هذا الوضع قرر يسار الحزب النضال ضد بيروقراطية الاتحاد المغربي للشغل تحت شعار « الديمقراطية » داخل ا م ش. الذي تحول الى مجرد سبة ، وتنافس علني على مقاعد القيادة لعدم طرحه صحبة برنامج نضال سياسي ، يعبيء الجماهير العمالية فعلا في نضال ضد سياسة الحكم ، وضد سياسة الانتظار التي تمثلها بيروقراطية الجهاز ، والتي سقطت فيها أيضا قيادة الحزب (المشاورات...)

هذا الصراع الذى حسمته الجماعات اليمينية في الحزب بتحقيق وحدة غشت ١٩٦٧ بين جناحي **الاتحاد النقابي والسياسي والذي كان نقطة البداية في** طريق التحالفات اللامبدئية والتي كان تتويجا لها **قيام الكتلة بين الاتحاد الوطني وحزب الاستقلال !!**

ان من مبدئيات اي تحالف وطني ، انه يهدف الى تجنيد كافة القوى الوطنية ضد قمع داخلي أو خارجي في اطار برنامج أدنى .

وذلك كله بشرط توحيد الحركات الجماهيرية وتدعيمها والحفاظ على استقلالها ومبادراتها الخلاقة في اطار نضالي ..

وان اي تحالف يتجاهل هذا الشرط الاخير « صيانة وحدة المنظمات الجماهيرية » لهو في نهاية التحليل مجرد تحالف انتهازي يرمي الى اعادة أسطورة الكواليس والمفاوضات الصالونية قصد الحصول على بعض المقاعد الحكومية وقصد اقتسام ذيلي للسلطة مع الطبقة الحاكمة ..

ان بقاء الاتحاد العام للشغالين وبقاء الاتحاد العام للطلبة وصمت الطرف الاتحادي في الكتلة عن هذا الواقع لهو تجسيد حي لهذه الممارسات اللامبدئية وان استمرار تجاهل هذه الحقيقة في الظرف الذي يقوم فيه الحكم بتدشين سياسة أكثر شعرا من السابق في ضرب الحركة الجماهيرية وخاصة الطبقة العاملة وذلك بتأسيس ما يسمى بالاتحاد المغربي للشغل المستقل . لن يكون فقط استمرارا لسلسلة الممارسات اللامبدئية بل خيانة لكل طموحات الجماهير والطبقة العاملة لن تنساها ذاكرة التاريخ ..

وانه في هذا اليوم بالذات يوم الطبقة العاملة العالمي الذي تتجسم فيه الاممية بأجل صورها وتبرز فيه وحدة الطبقة العاملة كقيادة لكل التحالفات الثورية وكطبقة رائدة تسعى لاسمى هدف انساني ألا وهو ازالة الاستغلال من التاريخ . يقف عمالنا لا ليصطفوا في صف طويل وعريض ولا ليحملوا لافتات حمر أو بيض،

بل ليراجعوا تجربة مضت وليفتحوا آفاقا جديدة للنضال ..

خصوصا وأنه من خلال تتبع السياسة التي مارسها الحكم ضد الطبقة العاملة والجماهير يتضح أن التقسيم لهاته الطبقات الثورية كان شعاره اليومي عبر ١٥ عاما كما كان شعار الاستعمار قبل الاستقلال. ان هذا الشعار « التقسيم » المعادي والمضاد لمطامح الجماهير لارادتها في الوحدة ليفرض شعارات وبرامج موحدة ومضادة تتكاثف حولها كل الجهود المخلصة وتعبيء حولها كل الطبقات والفئات الوطنية ..

وان نضال الطبقة العاملة اليومي والمستمر من أجل تحقيق وحدتها في اطار منظمتها الوحيدة الاتحاد المغربي للشغل ومحاربة كافة أشكال التقسيم سواء الصادرة عن الحكم أو التي كرستها أوضاع سابقة ، هذه الوحدة التي هي الاداة الرئيسية لاستمرار وتطوير النضال الجماهيري ، وبنضالها ضد الاتجاهات البيروقراطية العميلة داخل الحركة .. العمالية بمحاربة ممارستها المعتمدة على المهادنة ومفاوضات الادارة وتجميد نضالية الطبقة العاملة ، وضد التيارات الاصلاحية التي تهدف الى تحويل نضالات العمال الى مجرد ورقة ضاغطة ضد الحكم من أجل مساومات تهدف في النهاية الى الحصول على بعض المراكز الحكومية ، هذا النضال سيمكن الطبقة العاملة من القيام بدورها وانجاز مهامها التاريخية .



قضايا وطنية

مسألة الفلاحة المغربية

علي الحمراوي

في ما يسمى بالبلدان «الفلاحية» أي البلدان التي تمثل فيها الفلاحة الميدان الرئيسي للانتاج وبالتالي لتراكم الرأسمال ، وتشكل فيها البادية القسم الاكبر من السوق الداخلية ، نجد الدوائر المالية والتجارية والسياسية تركز اهتمامها ونشاطها على « تنمية الفلاحة » بشكل كثيف ٠

وقد شهدت البادية المغربية منذ الهجوم الاستعماري تحولات عميقة ادت بدورها وتؤدي الى تحوير مجموع التركيب الاقتصادي وتناقضاته ٠

ان التغاضي عن الميزات الاساسية لتطور الاوضاع الفلاحية يؤدي بالمرء توا الى باب مسدود فيما يتعلق بتحليل مجموع الوضع الاقتصادي تحليلا علميا فالمنظرون الرجعيون عندما يعللون « تخلفنا » بالنمو الديمغرافي (المفزع!) *. « او « بتخلف العقليات » او باحوال الطقس يتعامون عن ارتفاع المباني الفاخرة وتراكم الثروات الخيالية وانتشار العادات الغربية رغم تقلبات الطقس وتزايد السكان «وتختلف العقليات» ذلك انهم يتعامون في الواقع عن علاقات الانتاج وعلاقات المبادلة التي تجعل الثروات تتراكم في قطب من المجتمع وتجعل الفقر والبطالة يتفاقمان في القطب الآخر ٠

فكيف نفسر جمود الصناعة بدون الرجوع الى طبيعة التراكم الرأسمالي في الفلاحة ؟ وكيف نحلل « ازدهار » التجارة الداخلية وبذات الوقت مشاكلها بدون الرجوع الى طبيعة نظام المبادلة في البادية ؟ وكيف نحلل الهجرة الى المدن وتكاثر المراكز «الحضرية» (على أسس واهية) رغم جمود الصناعة وتدهور الصناعة التقليدية بدون الرجوع الى الضغوط التي تجعل البادية تلفظ بجموع المهاجرين وتفرز اصحاب الدكاكين وغيرهم ؟

ودون ادعاء الاحاطة بميزات تطور الاوضاع الفلاحية بالعمق المطلوب في مقال كهذا ، نعتقد ان القانون العام الذي يتحكم فيها هو تمركز الملكية العقارية الكبرى وتفاقم بؤس الملاكين الصغار مع تزايد حجم البرلتاريا والشبه برلتاريا الفلاحية باستمرار ، ولعل المنهج الآتي سيسمح لنا بتصوير بعض ملامح ذلك القانون العام :

١/ نمو الملكية الفردية وبدايات تمركز الملكية الكبرى
٢/ السوق الزراعية واستنزاف الفلاحين
٣/ المضمون الفعلي للتجديد التقني
٤/ لمحة عن اوجه الاستغلال وأوضاع الطبقات٠

نمو الملكية الفردية وبدايات تمركز الملكية الكبرى

منذ الهجوم الاستعماري ، توسع الشكل الفردي للملكية بحيث صار يشمل سنة ١٩٥٦ مجموع الاراضي المزروعة (حوالي ٨ ملايين هكتار) ، ولم يبق شكل الملكية الجماعية للقبائل جاريا على غير المراعي (حوالي ٧ ملايين هكتار)٠

« ففي السهول والمرتفعات الاطلنتيكية ، باستثناء عبدة ودكالة ٠٠٠، كانت الملكية الجماعية للارض سائدة » من قبل (١) ، ثم ان العادة جرت في المناطق التي كانت تسودها الملكية الفردية ذاتها بالاحتفاظ بمواريث عائلات واسعة دون توزيعها الى قطع فردية٠ (٢)

وقد عمل الاستعمار والنظام الاقتصادي الذي فرضه على تلاشي الملكية الجماعية وبذات الوقت على تركيز الملكية العقارية الكبيرة على النحو الآتي :

١ ضيعات المعمرين

استولى الاستعمار على حوالي مليون وعشرين الف هكتار من أخصب الاراضي المغربية وطرد منها الفلاحين المغاربة بالكيد والاغراء والقهر واعتمادا على الخونة المغاربة من قياد وشيوخ « ومحميين » (٣) استعملهم كوسطاء ٠ وقد لجأ المغاربة المضطهدون الى المدن ، بحثا عن العمل ، وبقي جزء منهم كأجراء في المزارع الاستعمارية ٠

وقد تزعمت عملية التعمير الخصوصي مجموعة من الشركات العقارية الاجنبية والابناك وفي مقدمتها بنك باريس ، حيث استولت على ٧٢٨ الف هكتار (٤) اعادت بيعها لمزارعين رأسماليين فرنسيين ٠

وقامت ادارة الحماية الاستعمارية من جهتها بعملية التعمير الرسمي الذي شمل ٢٩٠ الف هكتار (٥) واعادت الادارة بيعها لمزارعين راسماليين مع كل التسهيلات الممكنة ٠

وقد عرفت هذه الضيعات نمط انتاج رأسمالي حديث واتجهت منتوجاتها لسد حاجيات الجالية الفرنسية والسوق الداخلية الفرنسية ذاتها (حوامض ، خمور ٠٠٠)٠

وحل محل الفرنسيين في جزء غير ضئيل من هذه الاراضي مغاربة اثرياء تمكنوا من الحصول على رخص الشراء بفضل نفوذهم داخل جهاز الادارة والدولة٠(٦) كما احتفظت الدولة باراضي الاستعمار الرسمي التي استرجعتها ووضعتها في يد التسيير البيرقراطي بدل ارجاعها للفلاحين المفتقرين الى الارض ، بل ان الدولة تنازلت عن بعض تلك الاراضي لصالح ملاكين كبار عصريين ٠

وقد كان الصراع بين الفلاحين من جهة وكبار الاثرياء المغاربة من جهة أخرى حول الحصول على ضيعة احد المعمرين سببا في اندلاع فاجعة « اولاد خليفة » الدامية ٠

وخلاصة القول ان اراضي المعمرين لا زالت تلعب الدور الذي اقيمت من أجله كقاعدة اعتماد

اساسية للملكية العقارية العصرية الكبرى ، وكميدان لجميع الثروات ، وتزويد السوق الاوروبية بالمنتوجات التي تحتاجها ، مرورا باغناء كبار التجار والشركات المشرفين على التجارة الخارجية ·

٢/ التدخل المباشر لسلب الملكية الجماعية

ادرك الاستعمار مسألتين اساسيتين :

الاولى : ان توسيع السوق الداخلية في وجه منتجاته يتطلب ضرب أسس الاقتصاد الجماعي المغلق الذي يكتفي بذاته وتبعا لذلك القضاء ما امكن على الملكية الجماعية للارض حيثما بقيت قائمة ،

الثانية : ان بسط سلطته على البلاد واخضاع القبائل المنسجمة اقتصاديا ومعنويا يتطلب زرع بذور « الانانية البرجوازية» وبالتالي ايقاد تسابق نحو الامتلاك الخصوصي للارض ·

على هذا الاساس اصدر ظهيرا سنة ١٩١٩ يشجع فيه (بلهجة الترخيص) اقتسام الاراضي القبلية أراضي الجيش خاصة) ، كلما اتفقت القبيلة على ذلك ·وساند الاستعمار الشيوخ والقياد الذين تسابقوا الى التحدث باسم القبائل جزفا ، والقيام بتوزيع الاراضي على الافراد مع الاحتفاظ بالنصيب الاكبر لانفسهم ·

كما احدث ظهير ١٩ ابريل ١٩١٩ مجلسا للاشراف على تسيير الاراضي الجماعية وضعه في يد اعوان السلطة واعطاه صلاحية كراء تلك الاراضي لافراد (بما فيهم الاجانب) بل وصلاحية البيع النهائي لصالح المكترين ·

واخيرا فان ظهير ١٩١٣ ثم ظهير ١٩١٥ المتعلقان بتحديد وترقيم ومحافظة الاملاك العقارية قد كانت فاتحة سباق للامتلاك الفردي للاراضي ، كما مكنت الطرق الادارية الملتوية والتكاليف الباهضة التي اعتمدها مسطرة لذلك ، من دوس حقوق الكثير من الفلاحين والجماعات على يد ذوي المال والنفود ·

٣/ اعتماد الاستعمار على الاقطاعية وتمركز الملكية

بالاضافة الى ما ذكرنا ، قام الاستعمار بمساعدة الاقطاعيين العملاء على تنظيم الاستغلال المباشر ضد جماهير الفلاحين وعمل على اضعاف هذه الجماهير ما امكن · هكذا احدث نظام الضرائب (الترتيب) الساحق لتمويل القمع الدائم ، واحدث نظام «التويزة» او الخدمات المجانية والاجبارية بالنسبة للسكان رجالا ونساء لصالح الاقطاعيين من قياد وخلفاء ، وفرض نظام « الفردية » او الهدايا الاجبارية التي يدفعها السكان في المناسبات الرسمية · وضمن لسياسة الاعتماد على اكثر العناصر شراسة واطماعا ساعد الاستعمار على تمركز ملكية الاراضي الفلاحية في يد مجموعة من الاقطاعيين كانوا له خير دعامة (مثال القياد الكبار فيالجنوب والاطلس المتوسط···)·

وعلى العكس من ذلك ساعد الاستغلال الاستعماري ـ الاقطاعي على تفقير الملاكين الصغار · وقد زاد من حدة افلاسهم اجبارهم على دفع غلاتهم باثمان بخسه من سنة ١٩٤٢ الى سنة ١٩٥٠ بدعوى الحرب العالمية·

ثم ان اتساع نظام المبادلات وانتشار النقد (العملة) ، ودخول حاجيات جديدة دائرة الاستهلاك القروي (كالسكر ، والالبسة ، والمنتوجات الصناعية) كلها عوامل لتصعيد الاستغلال التجاري للفلاحين ·

هكذا احدثت ظروف السيطرة الاستعمارية تناقضا اساسيا بين تمركز الملكية العقارية الكبرى من جهة ، وتحول نسبة ضخمة من الفلاحين الى شبه ابرلتاريا فلاحية أو فلاحين فقراء أو عمال من جهة

ثانية ، مع تكون برجوازية تجارية وزراعية نمتها ظروف المبادلات المتوسعة ٠ ويكفي ان نذكر ان مليون قروي غادروا البادية الى المدينة بحثا عن العمل بين سنة ١٩٢٦ وسنة ١٩٥٦ (٧) ، وذلك رغم تعلق الفلاحين المشهور بارضهم ٠

ان هذا التناقض الاساسي لم يتعرض لاي مساس عميق حتى الآن ، بل ان تعميقه يجري باشكال تزيد شمولية وقوة كما سنحاول توضيح ذلك عندما نتطرق « للتجديد القروي » ٠

ذلك ان عاملا اساسيا لتفقير الفلاحين واضعاف صمودهم الاقتصادي مع تمكين مجموعات من المثريين من الاغتناء عسفا وبدون الاضطلاع بأي دور في الانتاج ، يكمن في أزمة السوق الزراعية ٠

٢ ازمة السوق الزراعية ، استنزاف الفلاحين

سواء سقط المطر ام لم يسقط ، ومهما يكن امر النمو الديمغرافي ، نجد كبار الملاكين يغتنون بانتظام ، ونجد السماسرة ينجزون الصفقات ، والفلاحين الصغار يفلسون ٠ فما هو دور مكاتب الدولة وما هو دور « التعاونيات » ، وما هي وضعية الفلاحين الفقراء والمتوسطين ؟

١ مجهود الدولة

انشيء في عهد الاستعمار مكتب للحبوب (٨) لا يزال نشيطا ٠ ومهمته مساعدة « المنتجين » على تسويق الحبوب في الخارج والداخل ، وتكديس المنتوجات في حالة حسن الغلة لاعادة بيعها في حالة انخفاضها ، الخ ٠٠٠ اي الحفاظ على استقرار اثمان الحبوب وبالتالي رعاية الفلاح من التماوجات الخطيرة ٠

وقد فضل هذا المكتب تركيز جهوده على كبار الملاكين بصفة قطعية اذ لا يهتم جديا الا بالحبوب التي تهمهم كالقمح الطري مثلا ٠

فللحفاظ على ثمن مستقر للخبز تؤدي الدولة على كل قنطار قمح طري يتمتحويله الىدقيق ٨ر٦دراهم يستفيدمنها كبار التجار واصحاب المطاحن ٠ يضاف الى ذلك ان الدولة تدفع ٥ر٥ دراهم على كل قنطار من منتوج القمح الطري تشجيعا منها على مضاعفة مجهود منتجيه ، اي كبار الملاكين أيضا ٠

ويؤدي مكتب الحبوب على حساب الدولة لاصحاب مخازن الحبوب الكبرى في المدن ٣ر١ درهم على كل قنطار شعير يكدسونه في انتظار التسويق زد على ذلك ١٣ درهما لكل قنطار مساعدة من الدولة لمصدري الشعير على البيع بأثمان « مقبولة » في السوق العالمية ، الى غير ذلك من المساعدات ٠ (٩)

ووراء « الخزانين » وكبار التجار نجد في الواقع الابناك التي تتعامل معهم وكذا الشركات العالمية الكبرى ، مثال ذلك ان شركة التخزين والتجارة « فورافريك » هي فرع من الشركة العالمية الكبيرة : اندري دولوزان (١٠)

وتلك اذن مساعدات مالية تستفيد منها جيوب امبريالية وعميلة لتنهب خيرات البلاد لصالح الابناك والاسواق الامبريالية ، كما يستفيد منها كبار الملاكين للتوسع ٠

٢/ التعاونيات والسمسرة ٠

يقوم مكتب الحبوب بتوزيع مناطق النفوذ على تجار نصف الجملة الذين يجوبون البلاد ويبعثون

باعوانهم الى الاسواق لجمع الغلات · ويتحكم في العلاقات التجارية هذه سلطة الاعوان والتجار من جهة وضعف الفلاحين واحتياجهم الى النقود في الحال من جهة ثانية ·

وما كانت « التعاونيات » الحالية التي احدثها الاستعمار اصلا لتخفف من وطأة السماسرة على الفلاحين في شيء · فسواء تعلق الامر « بالشركات التعاونية الزراعية المغربية» (SCAM')، او بالتعاونيات المغربية الزراعية،نجدها تحت قبضة أعضاءفرادي شديدي النفوذ يديرونها حسب مصالحهم· وتعوق قوانين هذه التعاونيات (بالاضافة الى طبيعتها الطبقية) التفات الفلاحين المحرومين والمتوسطين اليها · فهي تفرض عسفا مقاييس لتقييم المنتوجات هي فوق طاقة ذوي الفدادين الصغيرة ووسائل الانتاج الهزيلة · ثم ان التعاونيات لا تؤدي ثمن الانتاج الذي تأخذه من الفلاحين الا بعدما تتوصل بدورها الى بيعه ، بينما لا تسمح الضغوط والحاجيات العاجلة للفلاح بالانتظار ·

ومكتب التسويق والتصدير بدوره يعمل على تنسيق وتسهيل تصدير المنتوجات خاصة منها الفاكهة والخضر « القابلة للتصدير » اي القادمة من الاستغلاليات العصرية الكبرى ، بينما كانت العادة جارية بأخذ المنتوجات دون أداء ثمنها قبل بيعها في الخارج ، وفي حالة عودتها يطلب من الفلاح تعويض تكاليف سفر البضائع ! هذه الطبيعة الطبقية للمكتب تبقى أيضا على سطوة الوسطاء والسماسرة على الفلاحين المحرومين والمتوسطين ، بل وتكرسها ·

٣/ وضعية المنتجين الصغار والمتوسطين

هكذا تبقى المنتوجات الزراعية خاضعة « للسوق الحرة » او للاستهلاك الذاتي بنسبة ٩٠ ٪ من منتوج الشعير و ٨٠ ٪ من محصول القمح الصلب و ٩٨ ٪ من محصول الذرة(١١) اي مجموع ما ينتجه « القطاع التقليدي » والمنتجين الصغار خاصة · وفي اعتقادكا ان اتساع نظام المبادلات وانتشار العملة يجعل الاستهلاك الذاتي ينقلص لصالح اتساع « السوق الحرة » فعلا · والفلاحون المحرومون ،والغير المنظمين انفسهم اذن معرضين للنهب في جميع الاحوال على يد الوسطاء والسماسرة · ففي حالة الجفاف تنعدم غلتهم او تكاد يضطرون لشراء المنتوجات الزراعية ذاتها في السوق بأثمان شديدة الغلاء ، وفي حالة « الصابة » تسقط الاثمان بصورة مفجعة فلا يستفيدون منها على الاطلاق ، بينما يلجأ كبار الملاكين الى تعاونياتهم الطبقية ، ويطالب المكدسون والمصدرون بمزيد من مساعدات الدولة ، وينتظر السماسرة فرصة القحط لاعادة بيع المنتوجات باضعاف ثمنها الاصلي ·

ويكفي ذكر مثال سنة ١٩٦٨ التي شهدت غلة استثنائية منحيث وفرتها وبذات الوقت سقوطا مفاجعا للاثمان ، بينما دفعت الدولة حوالي ٥٠ مليون درهم « لدعم الاثمان » استفاد منها كبار الملاكين والسماسرة وأصحاب مخازن الحبوب ·

ويمكن تلخيص خصائص السوق الزراعية في كونها تعكس علاقة الطبقات في البادية وتكرسها ، حيث نجد على رأس الهرم مجموعة من الكمبرادوريين مرتبطين بكبار الملاكين يستفيدون من كل المساعدات ويتحكمون في مجموع الانتاج ، ونجد بعدهم فئة من الوسطاء الطفيليين يمارسون النهب المباشر ضمن « السوق الحرة » ، بينما « الازمات الطقسية والاقتصادية » يتحمل عبئها جمهور الفلاحين الفقراء والمتوسطين ، وهذه الوضعية بدورها تساعد على تفاقم الفقر من جهة وتمركز الملكية والثروة من جهة أخرى ·

٣ المضمون الفعلي « للتجديد القروي »

رغم حجم الضيعات العصرية الشاسعة يبقى الجزء الاكبر من الاراضي المزروعة متسما بالسمات الآتية :

١ ـ هناك جزء كبير من الاراضي بيد اقطاعيين قدامى يستغلون اراضيهم باساليب عتيقة ويهملون جزءا منها ، حيث لا يهتمون بالزراعة الا بقدر ما توفر لهم امكانية سد نفقات المعيشة والبذخ دون الحاجة لبيع الارض ·

٢ ـ هناك جزء هام من الفلاحين الفقراء والمتوسطين يتشبثون بارضهم رغم الافلاس ويعتمدون على اساليب المشاركة المعقدة لاستغلال الارض (كل يساهم بما لديه : ارض ، او ثور ، او محراث ، أو بذور الخ ٠٠٠)

٣ ـ هناك مساحات واسعة من اراضي البور ومن الاراضي المسقية بطرق « عتيقة » لا يمكن «تجديد» اساليب الاستغلال فيها بدون استثمارات اساسية تضمن الري المنتظم ووسائل النقل وغيرها ·

هذه « العراقيل » ان كانت حاجزا واضحا في وجه توسع الملكية العقارية العصرية فانها بذات الوقت تشكل حاجزا في وجه توسع ارباب التجارة الخارجية ونمو حجم صفقاتهم كما ونوعا · وسياسة التجديد القروى هي معالجة تدريجية لهذه العراقيل ·

١ الري

ان اهمية السدود بالنسبة للملاكين العصريين الكبار يمكن مقارنتها باهمية السكك الحديدية بالنسبة للبرجوازية الصناعية الاوروبية في القرن التاسع عشر ·

ان كون مجموع الشعب يمول بناء السدود بتضحية منهكة يجعل من المشروع ان نتساءل : من يستفيد من السدود ؟

تشهد جميع المناطق التي عمتها سياسة السدود تهافتا واضحا على الارض من جانب كبار الملاكين ، وازدهارا كبيرا للمزايدة على ثمن الاراضي بل وتدخلا مباشرا من أجل تجميع الاراضي الموزعة الى ملكيات صغيرة وتسليمها (بالاغراء او الضغط) لكبار الملاكين والبرجوازية الزراعية بدعوى رفع الانتاجية · ونظرة على ظهور الضيعات الشاسعة في منطقة بني ملال ، وآيت عادل ، وقصر السوق وغيرها تكفي للدلالة على ذلك ، ويشمئز المرء اذ يلاحظ كيف تحولت مساحات كانت بيد الفلاحين الى ضيعات تنتج الشمندر ·

وكيف تقوم مصانع تسودها الرساميل الاجنبية بتحويل ذلك الشمندر الى سكر تشتريه الجماهير الشعبية باضعاف الثمن الجاري دوليا ، وكيف يتحول ريع السكر الى سدود ينعم بها كبار الملاكين ويضطر امامها الفلاحون المحرومون الى التسليم في اراضيهم والتشرد، او التحول في أحسن الاحوال واندرها الى برلتاريا زراعية تتعرض للاستغلال الكثيف في أراضي كبار الملاكين ·

ويمكن القول في النهاية ان سياسة السدود تعتبر حاليا رأس رمح توسع كبار الملاكين العقاريين العصريين بشكل يشبه في اساليبه التراكم البدائي القاسي للرأسمال ·

٢/المكننة والتسميد والقرد

بغض النظر عن القطاع «العصري» الذي تسوده الملكية العصرية الكبرى والبرجوازية الزراعية ، والذي يعرف نمط انتاج رأسمالي كثيف ، توجهت الجهود نحو « القطاع التقليدي » من أجل ادخال الاساليب العصرية اليه ·

في سنة ١٩٦٠ كانت « عملية الحرث » (كـراء الجرارات) كمحاولة لفرض التحول « التجـديـدي » بصورة بيرقراطية دون المساس بالتوزيع القائـم للملكية ، فكان ان فشلت بعد حين ، وان علمت بعض البرجوازيين الزراعيين وبعض الاقطاعيين استخـدام الجرارات ٠

وبعدها كانت عملية «التويزة» (تبرع اصحـاب الجرارات باستخدام آلاتهم مجانا في أراضي الفلاحين) وكان ان بقي مفعولها محصورا أيضا في نفس الفئـة ولامد قصير ٠

وقد شمل تعميم الوسائل التقنية العصرية ٣٥٠ ٠٠٠ هكتارا تقريبا من أراضي البور ، ويخصص التصميم الخماسي الحالي « مجهودا جبارا » تقـدر تكاليفه ب ٥٧٢ مليون درهم للتسميد والمكننة وغـير ذلك من العمليات ، وينتظر من هذا ان يضمن امتداد الاساليب العصرية الى حوالي ٥٠٠ ٠٠٠ هـكتـارا في نهاية التصميم ٠

وقد تحدث التصميـم بلهجـة حازمـة عن تلـك الاراضي الواسعة التي يقبل اصحابها علـى استغلالها بصفة عصرية ، واقترح تدابير حازمة لتغيير الوضع ٠ مثل مراجعة قانـون الارث بحيـث يضمن اتقاء توزع الملكية بين الورثة ويسمح للدولـة بالدولة للتدخل لدى الشخص الذي يشتري مجمـوع المساحة الموروثة حتى يلتزم بتبني الاساليب العصرية لكن الحكم تراجع عن هـذا الاتجـاه ، كمـا اراد التصميم ايجاد نموذج لاتفاقيات استغلال الارض بين المالك والمستغل (بكسر الغين) تلزم هذا الاخيـر بالقيام باستثمارات تجديدية ٠

ومعلوم ان السلطات والمكاتب الفلاحية تراقـب مردودية الانتاج الفلاحي (قانـون الاستثمارات) وان اقسى التدابير بما فيها نزع الملكية تنزل على « **المتخلفين** » ٠

وواضح ان التجديد في ظل التوزيع الحالي للملكية يعني مساعدة الاقطاعيين القدامي والبرجوازية الزراعية والتجارية على الرفع من مردود اراضيهـم دون ان ينتج عن ذلك الافلاس والتسليم **فـي الارض** ٠ فهناك مثلا مليون من الهكتارات موزعة الى ٣ ملايين ونصف مليون فدان اي أن معدل مساحة كـل فـدان تقدر ب ٠ر٦٠ ، هكتار ، فاي تجديد يمـكـن تصوره في هذه الحال دون طرد هؤلاء الفلاحين الذين يلجأون لاساليب المشاركة لضمان قـوتهم ، وجعـل ملاكين كبار وعصريين محلهم ؟

٣/ مازق التجديد :

ان التجديد القروى بغض النظر عن علاقاتـه بالامبريالية (في ميدان التـجارة) سيؤدي اذن خـلال عشرين او ثلاثين عاما الى طرد مجـموع الفلاحيـن الفقراء والمتوسطين من البادية المغربية لتحل محلهـم مجموعة من العصريين !!

ويضمن التجديد تفاقم البطالة والهجرة الـى المدن (بسرعة ١٠٠ الف شخص كل سنة حسـب التصميم الخماسي) بجموع ضخمة ومتزايـدة كـل سنة ٠ ذلك انه لا يكفي تزيين بعض الطرقـات لمنـع فلاحين افلسوا من الهجرة ٠

ولا يرى « التجديد » مانعا من تنظيم ترحيـل السكان الى اوروبا ليعملوا في مناجم الفحم ٠ وبغض النظر عن رجعية هذا الاختيار لا نعتقد أن هذا البـاب سيظل مفتوحا لان هناك منافسة من جانب بلدان أخرى، ولان مناجم اوروبا محدودة على كل حال ٠

ويقول التصميم الخماسي « ان الزراعات المعدة للصناعة المحلية والتي لها قيمة كبرى عند تصديرهـا

(ان كانت هناك اسواق ثانية) تسمح بشراء ما هـــو ضروري لتزويدنا بما نكون في حاجة اليه من الحبوب » وهذا يجعل من حقنا ان نتساءل : اسوف لا نـكـــون عرضة للمجاعة ؟ ومع تفاقم العجز العذائي خاصة في ميدان الحبوب وتفاقم الفقر والبطالة نتساءل أيضـــا هل ستوزع الصدقات على الشعب ؟

وأخيرا فان التفقير ونزع الملكية ما من شانهمـا ان يوفرا « الجو الهادىء » طوال المدة الضرورية لانجاز المشروع الطويل المدى الرامي « لرفـــع الانتاجية » ٠

٢ موجزة عن اوجه الاستغلال واوضاع الطبقات

١ اوجه الاستغلال الطبقي في الفلاحـة

تعرض الفلاحون في بلادنا لاول هجوم مباشـر وعنيف على يد الاستعمار عندما سلب منـهم مليـون هكتار ووضعها في يد معمرين أجانب يخدمون مصالحة التجارية والماليه ، وهجم الاستعمار بعد ذلك على « القطاع التقليدي » فخدم نمو الملكية العقاريـــة الفردية وبذات الوقت ساند الاقطاعيين العملاء ونظم استنزافهم لارزاق الفلاحين ٠ ومنذ ان استبدت الطبقة الحاكمة حاليا بالسلطة قامت بمجهودات ضخمة في اطار التصميمات (الثلاثي والخماسي) مـن أجـل توسيع نطاق العلاقات الرأسمالية العصرية في البادية بحيث تضمن توسع الملاكين العقارييـن العصرييـــن وتضمن رفع الانتاج ما يعنيه ذلك من صفقات بالنسبة للجيوب الكمبرادورية المشرفة على العلاقات التجارية مع الامبريالية ٠

واتسع نظام المبادلات من جهته على أسس غير « سليمة » اذ يجعل فلاحين محرومين وغير منظميـــن يقابلون هرما شرسا يسيطر على التجـارة ويـفرض عليهم أقسى شروط التسويق ٠ كما يحمل نظام المبادلة مع الامبريالية عوامل التفقير اذ يجعل بضائع صناعية مستوردة وغالية الثمن تتقابل مع منتوجات زراعيـــة اولية وبخسة الثمن ٠ وقد سمح نفس هذا النظـــام بنمو قطاع اقتصادي طفيلي قوامه السمسرة والوساطة بدون أي دور في الانتاج ، بينما يتعامل مـع كـبـار الكمبرادوريين والابناك في التجارة الخارجية والقرض الـــخ ٠٠٠

تحت هذه الضغوط تكسرت وتتكسر الوحـدات الاجتماعية المنغلقة على نفسها من عـائلات وقبائـــل وتزايد ويتزايد الفقر في البادية الامر الـذي جعـــل صفوف البرلتاريا والشبه ابرلتاريا والفلاحين مـــن المشردين الى المدينة والمراكز « الحضرية الصغيرة » ٠

هكذا توفرت وتتوفر الظروف الضرورية لتطور الملكية الخصوصية وتمركزها من جهة ولوجود اليـد العاملة لاستغلالها ضمن تلك الاراضي من جهة ثانية ٠ ويتخذ هذا الاستغلال أشكال متعددة :

فهو رأسمالي يعتمد العمل المأجور والوسائـل العصرية في القطاع الرأسمالي المتوسع ، بينما يتخذ اشكالا معقدة من « المشاركات » « والكراء » ومقاييس متنوعة لتحديد الريع العقاري وكذا العمل المأجـــور الموسمي في القطاع التقليدي » ٠ ويتســم الاستغـلال الطبقي في الفلاحة وفي كلتا الحالتين بقسوة شديدة ، فالاجور شديدة الانخفاض والضمانات الاجتماعيـــة والعائلية منعدمة ، كما أن العمل غالبا ما يبقى موسميا ويوميا غير تابث ٠ ٠ ثم ان الريع العقاري شديـــد الارتفاع اذ يبلغ ٤ اخماس الغلة في حالة الخماس ، أو ما يعادلها ٠

ـ ان ٥٪ مـن ارباب الاسـر التي تعـيش علـى تعيش تمركزا شديدا للملكية العقارية ولملكية وسائل

الانتاج وفائض الانتاج من جهة وتضاؤل الملكية الصغيرة وتفاقم الفقر والبطالة بالنسبة للاغلبية الساحقة من السكان من جهة ثانية ·

٢/ لمحة عن التركيب الطبقي

● نجد اذن في قمة التركيب الطبقي في البادية كبار الملاكين العقاريين الذين تتجاوز ملكياتهم ٢٠٠ هكتار وتبلغ عدة الآف غالبا · وتجد هذه الطبقة اصولها في قدماء الاقطاعيين الذين حولوا اساليب انتاجهم وفي البرجوازية الزراعية والتجارية التي انقضت على الارض وفي البيرقراطية العليا التي تمكنت من توسيع ملكيتها او الحصول على اراضي المعمرين ·

ولا زال هناك اقطاعيون قدامى متعنتون في اهمال الارض وتحاول الدولة تلقينهم ضرورة التحول الى ملاكين عصريين بل وترغمهم على ذلك احيانا ·

ولاعطاء نظرة على قوة طبقة كبار الملاكين العصريين يكفي ان نذكر ·

– ان ٥٪ من ارباب الاسر التي تعيش على الفلاحة يملكون ٦٠٪ من الاراضي (والجزء الحيوي القوى اقتصاديا من بين هؤلاء هم كبار الملاكين العصريين) ·

– ان هذه الطبقة تسيطر على أخصب الاراضي وتعتمد على الزراعات ذات المردود المرتفع والموجهة للتصدير (حوامض ، عنب) او للصناعات المحلية (كالشمندر) ·

– ان هذه الطبقة تستفيد بصفة تكاد تكون مطلقة من مكاتب الدولة ومشاريعها أي ما يصعب تحديده من الملايرات ·

– ان هذه الطبقة تشرف على مجموع القطاعات الاخرى (مساهمات في الصناعة ، مباني ، سياحة ، تجارة خارجية الخ ···

● تأتي بعد هذه الطبقية : البرجوازية الزراعية (او الفلاحون الاغنياء) وتجد اصولها أيضا في البيرقراطية وأرباب التجارة الداخلية أو فلاحين اغتنوا · ويمكن تحديد ملكية اعضائها بين ٢٠ و٢٠٠ هكتار بالتقريب (١) · وهي تستفيد غالبا من القرض الفلاحي وشتى مساعدات الدولة ، كما تمارس التجارة في أكثر الحالات ، وهي ترشح جزءا من اعضائها للصعود الى ملاكين كبار اعتمادا على سياسة « التجديد » ، وان كانت تلقى بعض الصعوبات في ميدان التسويق ، ولا تجد مجالا لمشاركة كبار الملاكين في تحديد التوجيه الاقتصادي ، فهي مع ذلك وثيقة الارتباط بالاوضاع القائمة في الوقت الحاضر ·

● اما الفلاحون المتوسطون الذين يخدمون اراضيهم ويعيشون عليها دون الحاجة لبيع قوة عملهم فانهم يشكلون من عدة ضغوط :

– ضغوط مباشرة تمارسها سياسة « التجديد » اذ لا تحتمل ملكيتهم تمويل الاستثمارات الضرورية ، وغالبا ما يتدينون ويفلسون ·

– ضغوط مشاكل التسويق التي تحيلهم على الافلاس البطيء ·

– ضغوط التوسع المباشر والعنيف احيانا من جانب كبار الملاكين والبيرقراطية ·

● يبقى أن ثمانين بالمائة من سكان البادية لا يملكون شيئا او يملكون أقل من هكتارين، وينقسمون الى عدة فئات تشكوا جميعا من الحرمان المشترك والاضطهاد ·

ـ الفلاحون الذين لا ارض لهم يمثلون ٥٥٪ من عائلات البادية وينقسمون الى جزء يتزايد حجمه وهم العمال الزراعيون ووضعيتهم شديدة القسوة ، وجزء يتضاءل ويتمثل في الخماسين والرباعين وغيرهم · على حساب هؤلاء بنيت الملكيات الشاسعة وتبنى الثروات على أساس استغلالهم بشكل كثيف مقابل وضعية بئيسة ·

ـ الفلاحون الفقراء يعيشون وضعية لا تقل تعاسة اذ أن « اشبار » الارض التي يعيشون عليها لا تمكنهم من العيش فيضطرون الى بيع قوة عملهم لاحد الملاكين الكبار او البرجوازيين بينما هم مهددون دوما بفقدان حتى تلك الاشبار من الارض ··

٣/ مصير فائض الانتاج

ان تراكم فائض الانتاج في يد كبار الملاكين العقاريين والبرجوازية الزراعية يحول في ظل العلاقات الحالية مع الامبريالية دون تقدم الاقتصاد الوطني على أساس الاستقلال وبالاعتماد على التنظيم العقلاني للطاقات الوطنية وقوى الانتاج في خدمة الاغلبية الساحقة من الشعب · واضطلاع طبقة عقارية وشبه اقطاعية بمهمة « التجديد » يحول دون تقدم التجديد نفسه بصفة موسعة ولصالح اوسع فئات الشعب ولا يعد وفي النهاية ان يعني تعميق الاستغلال الامبريالي للبلاد ، دون ضمان حتى حق الملايين من المواطنين في الطعام ·

وعلى عكس ذلك تتوسع الفنادق والمباني ونفقات المهابة ·· وتكمن احدى الخصائص الاساسية للنظام الاقتصادي القائم في تضخم البطالة والتشرد كاعلى اشكال التفقير وتبدير قوى الانتاج ·

ومن الوجهة الاقتصادية فان التناقض الرئيسي في الزراعة هو التناقض بين :

● نمو قوى الانتاج وفي مقدمتها الطبقات الكادحة من عمال زراعيين فلاحين فقراء ، وتوسع الاراضي المزروعة ووسائل الانتاج من جهة ،

● وسطوة الملكية العقارية الكبيرة على وسائل الانتاج والارض خاصة ، وقيامها بتبدير فائض الانتاج وتشريد القوة الاساسية للانتاج : اليد العاملة·

ويجري الصراع الطبقي في البادية المغربية بصفة اساسية حول الارض ، ويتخذ من جهة كبار الملاكين العصريين شكلا يزداد تنظيما وشمولية وجدة كما يتخذ من جانب الفلاحين الفقراء والمتوسطين شكلا دفاعا عنيفا احيانا ·

واوضح أن الصراع الطبقي الجاري يكتسي ابعادا سياسية تزيد في عمقها تلك التجربة الطويلة والمستمرة في نضال الشعب ·

ملحوظات

(١) البيرعياش ، « المغرب » ، بالفرنسية ،١٩٥٦ (ص٤٢)

(٢) للحصول على بعض التوضيحات في هـذا الباب انظر ص ٢١٤ وما بعدها من نفس المصدر ٠

٣) كانت القنصليات الاستعمارية تمنح الحصانة لمجموعات من السماسرة المغاربة تستعملهم في مختلف الصفقات التجارية وكذلك في دواليب الدولة ٠

٤) للمزيد من التفاصيل حول سياق الاستعمار العقاري واساليبه انظر « المغرب » لالبير عياش ، بالفرنسية (ص، ١٥٤ وما قبلها)٠

٥) في سنة ١٩٦٣ صدر ظهير يقضي بجعل اراضي الاستعمار الرسمي تحت تصرف الاجهزة الاقليمية للدولة ٠ ثم صدر ظهير تجري بمقتضاه مراقبة الصفقات العقارية بين المعمرين الاجانب والمغاربة على يد الدولة وعلى ضوء رأي كل من وزارة الداخلية ، ووزارة المالية ، ووزارة الفلاحة ، اي في التطبيق كل حسب نفوذه ٠

٦) حسب نفس المصدر ، ص ٢٨٤٠

٧) مكتب الحبوب : (O.C.I.C.) office cherifien iri-texprofessionnel des céréale

٨) للمزيد من التفاصيل حول نشاط مكتب الحبوب ، ودوره حتى في توجيه الاحصائيات ، انظر مقال السيد محمد الناصري في مجلة جغرافية المغرب العدد ١٦ ، سنة ١٩٦٩، « الظروف الطقسية » ومواسم الحبوب وحالة البوادي التقليدية المغربية »،بالفرنسية٠

(9) Andrée de Lausanne

١٠ احصائيات مكتب الحبوب لسنة ١٩٦٠ ، انظر ص ٦٥ من مقال مجلة جغرافية المغرب المذكور جهة أخرى ٠

١١) هذه الارقام حول حجم الملكيات شديدة النسبية ، ذلك لاختلاف الاقاليم وتباني خصوبة الارض وتباني درجات الكثافة في الاستغلال الخ ٠٠٠ كما ان الارقام المتعلقة بتوزيع الملكية قديمة وغير دقيقة ٠

قضايا عربية

الثورة الفلسطينية

في « جريدة فلسطين »

ناوري حسن

الاخطار التي تواجه الثورة الفلسطينية ٠

كنا ننتظر من جريدة فلسطين ، بعد حملة التطويق والابادة الاخيرة (سبتمبر) ، أن تقوم الجريدة بوقفة نقدية لكل « المنطلقات الفلسطينية » للفكر المغربي التقدمي ٠٠ ولقد خاب أملنا رغم التعديلات السياسية التي طرأت على مواقف الجريدة مؤخرا ٠٠ وما يجعلنا نعطي هذه الاهمية البالغة لجريدة فلسطين ، كونهـا تعبر بحق عن الوجه الرسمي لآراء قسم هام من التقدميين المغاربة والمثقفين المناضلين ٠ ان كون جريدة فلسطين مبادرة « فردية » لبعض المناضلين لا يلغي تعبيرها عن هذه الحقيقة ٠٠

ان الاخطار التي تواجه الثورة الفلسطينية بعد حملة أيلول (سبتمبر) ، كانت الدافع الاساسي لفتح هذا الحوار الرفاقي مع جريدة فلسطين ،ومع كل المثقفين التقدميين المغاربة ، في محاولة جدية لمراجعة ما يمكن تسميته بـ « النظرية المغربية التقدمية في الثورة الفلسطينية» ٠٠

ان هذه المقالة الصغيرة لا تدعي انـها تناقش جميع معطيات المشكل ، ولكنها على الاقل ، وضعت أقلام هذه المواضيع ، ولو بشكل غير مباشر : ـ
« أهمية النظرية الثورية في العمل الفلسطيني المقاوم ، الموقف من بورجوازية الدولة العربية ، دور الشعب المغربي في دعم الثورة الفلسطينية ٠٠٠ الخ

لقد دأبت جريدة فلسطين منذ أول نشأتها على محاربة كل ترسابت الهزيمة الاستسلامية ، والنظرة التشاؤمية للقضية العربية عامة ، وللمسألة الفلسطينية خاصة ٠٠وناضلت من أجل أن تضع آمال الجماهير المغربية في التحرير على عاتق المقاومة الفلسطينية وكان هذا الاختيار اختيارا تاريخيا صحيحا ،استطاعت الجريدة بواسطته ، وطوال تجربتها ، أن ترسم اطارا عاما يمثل وجهة نظر التقدميين المغاربة في الثورة الفلسطينية ٠ فما هي الاخطار التي تواجه الثورة ، والتي تستدعي منا هذه الوقفة النقدية ؟

لقد أنهت حملة أيلول (سبتمبر) الرجعية « ازدواجية السلطة » بين المقاومة والنظام الاردني ، وانتهت كما هو معلوم لصالح النظام الاردني ٠٠ كما اجتمع المجلس الوطني الفلسطيني الثامن لاستخلاص آفاق العمل المقاوم في المستقبل ٠وكانت نتيجته تكريسا لما هو قائم في أوضاع المقاومة ، ان لم تكن سلبية وتراجعية في آفاقها السياسية ٠٠ والجذير بالملاحظة ، أن جريدة فلسطين لم تقف عند أعمال المجلس الوطني الفلسطيني كما كان مطلوبا منها ، وذلك في اعتقادنا أن الجريدة ستسقط في تناقض سياسي بينها وبين احد الاطراف الرئيسية في المقاومة ، والتي شكلت بالنسبة لجريدة فلسطين النموذج السياسي المثالي في الثورة الفلسطينية ٠٠٠ فالجريدة ان استعملت التحليل للتلاوين السياسية داخل المجلس الوطني ستصطدم مواقفها الجديدة من السياسة المصرية بالمواقف التراجعية التي عبر عنها احد قادة « فتح » في المجلس الوطني «ابراهيم بكر» في تقييمه للعلاقات بين المقاومة والانظمة العربية القابلة بمشروع روجرز ، ملخص هذا الموقف أن المقاومة أخطأت في موقفها « العدائي » من الانظمة العربية القابلة بمشروع روجرز ٠٠ هذا الموقف عبر عنه في المجلس الوطني الفلسطيني الثامن

أي بعد قبول ج٠ع٠م بتمديد وقف اطلاق النار للمرة الثالثة ٠٠ وهذا الموقف يلتقي مع موقف الجريدة سابقا ، لكنه يتناقض معه كما سيتضح في الموقف الاخير للجريدة من السياسة المصرية بعد القبول بامداد وقف اطلاق النار ٠

المهم ، أن جريدة فلسطين لم تحرك ساكنا أمام نتائج المجلس الوطني الاخير ، اللهم ، نشر مواقف بعض أجنحة المقاومة على صفحات الجريدة ٠٠

ان الاخطار التي تواجه الثورة الفلسطينية يمكن حصرها في نقاط الضعف التالية :

١(استطاع النظام الاردني أن يكسب لجانبه جزءا هاما من الشعب الاردني ، الذي انكمش على نفسه (وخاصة في جنوب المنطقة) بعد المجزرة الرجعية ، ولم يعد يرى ضرورة في التمادي بالتضحية بجانب المقاومة ، ما دامت هذه الاخيرة لم تفتح له آفاقا **وطنية ـ ديموقراطية صالحة للنضال تحت رايتها ٠٠** ويمكن أن نقول أن التناقض اليوم أصبح عموديا يقسم بين طرفي الشعبين « الاردني مقابل الفلسطيني » و « الجيش مقابل المقاومة »

٢) ان نزعتين رئيسيتين تهددان اليوم الثورة الفلسطينية : اما نزعة المغامرة تدفع بالمقاومة لصدام جديد مع النظام الاردني المتفوق في الوضعية الراهنة بفضل الظروف الجديدة التي خلقها الشرط السابق وتكون نتيجتها حصاد الهزيمة الاخيرة للمقاومة ٠٠ أو النزعة الهروبية اليمنية نحو الحل الذي تقدمه الرجعية العربية والدوائر الامبريالية وحتى الانظمة التقدمية ، ونقصد به اقامة دولة فلسطين على جزء من التراب الفلسطيني ، بمعنى التنازل النهائي عن مهمة التحرير الكاملة للوطن الفلسطيني ٠٠ ومما يزيد في خطورة هذه النزعة المناخ الجماهيري اليائس والذي يريد الخلاص من مذابح النظام الاردني٠٠ان النزعتين

معا ترفضان الحل الثوري القاضي بالتراجع السياسي والعسكري المنظم ، والذي لا يرمي بالمقاومة الى التصفية النهائية من جهة ، ولا يرمي بها من جهة أخرى الى محو هدف التحرير الشامل والقضاء على الكيان الصهيوني .

٣) ان الخطر الاساسي الحقيقي ، هو استمرار هيمنة الخط اليميني على المقاومة الفلسطينية ، والذي لن يكن في هذه الظروف الا خطا تراجعيا يخدم موضوعيا « مشاريع التصفية » ويجعل المقاومة عاجزة في الظرف المناسب عن الرد لمختلف الاستراتيجيات السياسية التصفوية .. ان هيمنة الخط اليميني في هذه الظروف الجديدة يعني وضع المقاومة تحت رحمة الانظمة العربية ، وتطويعها لقبول الحلول السلمية ، أي في الخلاصة والنتيجة وضع المقاومة على عتبة « حزيران فلسطينية ».

ان الخط السياسي اليميني هو الذي يرفض أخذ الدروس من التجارب الماضية ، ويتهرب بالتالي من تحديد علاقة نضال الشعب الفلسطيني بنضال الشعب الاردني ، ثم تحديد العلاقة بين المقاومة انه يعني استمرار « فلسطنة الثورة الفلسطينية » وربط المقاومة بشتى الخيوط بموازين الانظمة العربية المستسلمة .

هذه في نظرنا الاخطار الرئيسية التي أصبحت تواجه الثورة الفلسطينية ، فما هو وضع الفكر التقدمي المغربي ، قبل وبعد ،هذه التجربة المريرة التي تجتازها المقاومة الفلسطينية ؟

• الخط العام لجريدة فلسطين

لقد أكدنا سابقا ، أن الفكر التقدمي المغربي لم تهزه مجزرة أيلول الاخيرة ، وأنه بالتالي استمر في نفس النهج الذي كان يسير عليه قبل هذه التجربة المريرة . فما هو الخط العام للفكر التقدمي اتجاه الثورة الفلسطينية ، والذي مثلته جريدة فلسطين بوضوح ؟

١) تقديس العفوية النظرية في النضال الفلسطيني المقاوم ،وبالتالي نكران دور النظرية الثورية، ان لم يكن اهمال التناقضات علنية في المجتمع الفلسطيني ..

هذا الموقف ادى على صعيد الممارسة السياسية بتأييد كل المواقف اليمينية في الثورة الفلسطينية . وجحود فضل اليسار وأهميته في المقاومة ، وبالتالي التشبث بـ « فلسطنة الثورة الفلسطينية » وجهل العلاقات الجدلية ـ التي يفرضها واقع الشعب الفلسطيني ـ بينها وبين الثورة العربية ، والدعوة لوحدة وطنية بين فرق المقاومة انطلاقا من مفهوم متخلف ليبرالي وتجريبي يقفز على واقع التناقضات وعلى البرنامج السياسي الثوري لهذه الوحدة ، فلا يهمه من برنامج التوحيد الا التوحيد في حدذاته كنموذج مثالي لحركة التحر الوطني الفلسطينية .

هذا النهج ان كان يدعي أن المهمة الرئيسية هي تأييد المقاومة ووحدتها مبدئيا ، دون الدخول في تناقضاتها التي تهم الفلسطينيين وحدهم ، فانه يستر وراءه في الحقيقة موقفا معاديا لكل الممارسات النظرية والسياسية لليسار الفلسطيني ، ويلتقي بدون جدل مع استراتيجية يمين المقاومة الفلسطينية .. لم يعجز هذا الفكر على فهم تناقضات الواقعالفلسطيني والثورة الفلسطينية وحسب ، بل عجز أيضا وبالضرورة عن تحديد دور الجماهير العربية ، والجماهير المغربية خاصة ، اتجاه الثورة الفلسطينية فعمل على حبس كل الطاقات الجماهيرية الثورية في التأييد « المعنوي والمادي » للثورة الفلسطينية ، بدل الوعي السياسي بخوض نضال ضد المواقف الرجعية للطبقات الحاكمة .

ويمكن ان نستدل على هذا الفهم في جريدة فلسطين بافتتاحيتها حول « بعض المواقف الطبقية المغلوطة » ٠٠ والتي ذهبت فيها جريدة فلسطين الى حد « التنظير » الكامل لمسار حركات التحرر الوطني في عهد الامبريالية ٠٠اما هذا « التنظير » فيمكن تلخيصه بأن حركات التحرر الوطنى فى عهد الامبريالية ستنتهي بالضرورة الى حركات اشتراكية ٠٠ تقول الجريدة بعد ذكر زيارة الوفد الفلسطينى للصين الشعبية : ولهذا السبب فان قادة هذه الحركات (وهي تقصد الصين ـ الفيتنام ـ كوريا الشمالية) يساندون حركات التحرر الوطنى التى تخوض غمار المعركة دون ان يطالبونها فيما اذا كانت تعتنق « ايديولوجية طبقية» او انها تنشد من وراء كفاحها اقامة نظام يعتمد على الاستغلال ٠

وهم لايدخلون هذه المهاترات لان تجربتهم أوضحت لهم ثلاث مسلمات :

١) ان تطور اى كفاح للتحرير يتولد عنه التحول الاجتماعى ولايديولوجى للحركةالتى تقوده٠

٢) ان هذا التحول ، فى الشروط الراهنة لا يمكنه ان يكون الا تحولا اشتراكيا ٠

٣) ان اى قائد يحاول ان يتجنب هذا التحول اى يعوقه سيصفيولا شك من صفوف الثورة ،لان كلمناورة من هذا القبيل تضع صاحبها مكان التعاون مع اعداء التحرر واعداء الاشتراكية وفى صف الامبريالية٠

هكذا ، اعتبرت الجريدة ان اشتراكية حركات التحرر الوطني شيء حتى ميكانيكي لا مفر منه ٠٠

بينما الواقع يظهر لنا ان هذه الحتمية ليست حتمية ميكانيكية ، بل هي صراع طبقي بين مختلف القوى التي في مصلحتها التحرر الوطني ، قد تنتهي فعلا الىانتصار النظرية الاشتراكية والقوى الثورية ، وقد تنتهى بالعكس الى الهزيمة،وذلك على حسب التطورالملموسلقوىالثورة ولكن ما هو ثابت فى التاريخ ان الانتصار على الامبريالية لا يمكن ان يكون محققا ونهائيا الا اذا كانت قوى التحرر تسترشد بالنظرية الثورية وتحت قيادة الطبقات الثورية ٠٠ ومما لا شك فيه ، دونالرجوع الى النقاش التفصيلي ، ان كاتب الافتتاحية قفز على اهم الشروط التى وفرت النصر للتجربة الصينية والفيتنامية والكورية الشمالية الا وهى توفر النظرية الثورة وقيادة الاحزاب الثورية للجبهات الوطنية (راجع مقالة دروس التجربة الفيتنامية فى هذا العدد) لكن الخلاصة التى تريد الجريدة ان توحى بها لقرائها هي « تقديس العفويةفيالعمل الفلسطيني المقاوم كشيء مؤقت وضروري ، ولا داع لمعارضتها باسم ضرورة النظرية مثلما يفعل اليسار المقاوم ما دام الامر سينتهي مع التطور الى انتصار الاشتراكية ٠٠ وبنفس الافتتاحية تتصيد جريدة فلسطينية الفرصة امهاجمة اليسار ومغالطة قرائها حول مواقف اليسار من الحل الديمقراطي للمسألة الفلسطينية ، وذلك بادعائها أن اليسار الفلسطيني يدعو الى تحالف البروليتارية الاسرائيلية ضد مستغليهما من الجانبين ٠٠ هكذا دون ان تكون للجريدة معلومات مدققة وكاملة عن مواقف اليسار الفلسطيني في هذه المسألة بالذات راجع في ركن «وثائق» **موقف الجبهة الشعبية الديمقراطية من الحل الديمقراطى)**

٢ ـ التململ بين اختيارات المقاومة الجذرية واختيارات الانظمة العربية الاستسلامية . فالفكر التقدمي لازال يعتقد ان الانظمة العربية التقدمية وخاصة ج . ع . م . لازال بامكانها ان تستمر فى مهمة اتمام الثورة الديمقراطية الوطنية وصولا الى الاشتراكية ، وكما أن أحداث أيلول لم تحرك مواقع الفكر التقدمي اتجاه المقاومة الفلسطينية فان هزيمة ٥ حزيران (يونيو) لم تزعزع معتقدات الفكر التقدمى المغربى اتجاه الانظمة العربية التقدمية ، ولم تدفع به الى مراجعة نقدية لبحث الاسباب التاريخية للهزيمة وفى اعتقاد الفكر المغربى التقدمى ان هزيمة ٥ جزيران لم تكن الا نتيجة لعدوان بغيض دبرته قوى العدوان الغاشمة (اسرائيل والامبريالية الامريكية) ضد حركات التحرر الوطني ،أما الهزيمة فهي نتيجة مقبولة منوجهة نظر الطابع التكنولوجى للحرب الحديثة ، او فى احسن الاحوال ، نتيجة لتأثير بعض الشرائح اليمينيةالعسكرية المتخادلة .. اما هل كانت الهزيمة نتيجة لواقع طبقى لهذه الانظمة سواء على الصعيد الاقتصادى او السياسى او العسكرى او الايديولوجى ، فان الفكر المغربى التقدمي لم يطرح هذه الاسئلة ولم ير ضرورة طرحها .

وفى غياب هذا الطرح االطبقى التارخى العلمى ظل الفكر التقدمي المغربي يجتهد بلا ملل في متاهات الديبلوماسية المصرية ، ليوفق بينها وبين اختيارات المقاومة الفلسطينية ، كما اعتبرت كل تلاوين وانعرجات السياسية المصرية مجرد مناورة تكتيكية تخدم فـي النهاية الثورة الفلسطينية .. ولم يمنع هذه الوجهة نظر اللاعلمية ان تقوم ببعض الاستثناءات التى تتناقض والخط العام لسياسة الانظمة العربية التقدمية : كرفض مؤتمرات القمة ، والهجوم على الرجعية « اللبنانية والاردنية » في أحداث معينة ، رغم أن هذه الاستثناءات في الموقف من الرجعية العربية تتناقض بالملموس والخط العربي التقدمي (ان هي لم تفهم على أنها أحداث عارضة) الداعي الى وحدة الصف العربي أمام التناقض الرئيسي وهو العدو الاسرائيلي «والامبريالي»

• النية الوطنية للانظمة العربية التقدمية كافية للبرهان على قدرتها وصمودها ازاء الامبريالية واسرائيل .. بينما قدرة النظام الاقتصادية الاستهلاكية وسلطة بورجوازية الدولة ، وانعدام التعبئة الجماهيرية السياسة والمسلحة ، ليست موضوع بحث ولا هي بأدلة كافية على عجز الانظمة العربية التقدمية في التصدي للعدوان الاسرائيلي الامبريالي .

• الخط العربي التقدمي المعتمد على حرب نظامية تقليدية ، والعاجز على حسب هذه الخطة عن هزم العدو المتفوق تكنولوجيا ، لا تتنافى مع خط حرب التحرير الشعبية للمقاومة الفلسطينية ، بل ان حرب الاستنزاف مفصولة عن سياقها السياسي والعسكري تكميلة ضرورية لحرب المقاومة الفلسطينية

• الهدف الاستراتيجي المحدد بازالة آثار العدوان ، ولو بالحلول السلمية ، لا تتناقض مطلقا مع طرح المقاومة لشعار التحرير الكامل وتهديم الكيان الصهيوني ، بل أن الموافقة على الحلول السلمية قرار مجلس الامن ، مشروع روجرز) مجرد مناورة تكتيكية ضرورية لخدمة قضية التحرر الشامل .

هذه هي عناوين الخط السياسي لجريدة فلسطين بكل تناقضها اليومية ، وبدوامتها السياسة ، التي تدخل فيها الجماهير المغربية والعربية عامة .. ولقد

احتاجت جريدة فلسطين الى أربع سنوات كاملة من بعد الهزيمة ، حتى تدرك أن قبول مصر بالحلول السلمية لم يكن مجرد موقف تكتيكي ، بل هو موقف سياسي فعلي وملموس ، يؤدي بلا جدل الى تصفية المقاومة الفلسطينية ٠٠ وهنا نريد أن نعطي القارىء صورة عن تحاليل الجريدة المتناقضة والمتنافرة في هذا الموضوع ٠٠

مشروع روجرز

اذا أردنا أن نعرف مشروع روجرز بدون أي تعقيد سياسي مصطنع ، ودون الغوص في منطق سفطائي ، فاننا نقول أن مشروع روجرز ما هو الا جدول زمني لتطبيق قرار مجلس الامن ، وبالتالي ، فهو الوجه التطبيقي لهذا القرار المشؤوم ٠

لقد حاول منظرو السياسة المصرية أن يغطوا حقيقة استسلام النظام المصري للحلول التصفوية ، بشقشقة كلامية حول « التكتيك » « وعزل اسرائيل دوليا » وفضح نواياها العدوانية أمام الرأي العام» « وشق جبهة العدو داخليا وخارجيا » ٠٠ الخ واتخذ هذا الكلام تارة شكل « عنف سياسي » كتهديد أمريكا لفظيا ، وتارة أخرى ، شكلا مسلحا «كحرب الاستنزاف» بينما كل ما يسعى اليه الخط المصري ـ في الحقيقة ـ هو الحصول على حل سلمي ينقذ شرف الطبقة الحاكمة ويقلل كل ما أمكن من حجم تنازلاتها ـ ان جريدة فلسطين لم تنج هي الاخرى من هذا الفخ ، ومالت بدورها الى نقل منطق « بصراحة لحسنين هيكل » الى المغرب ٠٠ وتقييمها لقبول مصر بمشروع روجرز أحسن مثال على هذا المنطق ٠

وقبل أن نعرض وجهة نظر جريدة فلسطين في **مشروع روجرز ، نريد أن نحدد مقياسنا لكل سياسة تحررية حقيقية وسط هذا الضجيج الديماغوجي ٠٠ ان المقياس الوحيد الذي نقيس به جدية أي نظام في المعركة ضد اسرائيل والامبريالية ، ليس هو الموقف الديبلوماسي وحسب ،بل يتحدد أساسا بمقدار محاربة هذا النظام للمصالح الامبريالية وطنيا وعربيا ٠٠ هذه هي البوصلة الوحيدة التي نقيس بها جديةالسياسة العربية في المعركة ضد العدو الاسرائيلي والامبريالي٠٠**

وما دامت الانظمة العربية التقدمية تهادن الرجعية العربية وبالتالي المصالح الامبريالية في المنطقة ، وتعقد الصفقات الاقتصادية مع الامبريالية الامريكية ، في الوقت الذي تمتنع فيه عن اطلاق مبادرة الجماهير السياسية وتسليحها وفي الوقت الذي تقف فيه حائلا دون تعميق الثورة الديمقراطية الوطنية ـ لمصلحة الملايين من الفلاحين المحرومين من الارض ، ولمصلحة الطبقة العاملة المهضومة سياسيا واقتصاديا فان الحديث عن « التكتيك » يكون مجرد تكتيك على الجماهير قصد منه الهاء الجماهير عن الهدف الحقيقي للنظام القائم ، وتغطية عجزه المطلق عن تحويل بنية النظام لصالح المعركة ٠

تقول الجريدة « لنؤكد مرة أخرى أن مشروع روجرز ما هو سوى مناورة أمبريالية هدفها اقصاء العرب في عزلة ديبلوماسية ، وفتح ثغرة في علاقات التضامن بين ج٠ع٠م٠ والاتحاد السوفياتي ، وتبرير التعزيز القوي غير المشروط لجيش الصهاينة وسلاحهم الجوي ، وهل في استطاعتنا أن ننتظر من الامبريالية الامريكية شيئا آخرا غير هذا ؟

... ان كل ثوري ، وكل مقاتل ، يدرك أن الامر حينما يتعلق بمناورة ، فان قاعدة « الرفض أو القبول لا تنطبق عليها وأن الجواب عليها لا يمكن ان يتخذ شكل « نعم » أو « لا » فالثائر المناضل يعلم أن الموقف الصحيح اتجاه أية مناورة هو العمل على احباطها ويأخذ في التفكير في الوسائل التي تمكنه من الوصول الى هذه الغاية ، باعتبار طبيعة ومقاصد هذه المناورة وباعتبار مجموع معطيات الوضعية »

... وليس من النزاهة في شيء أن يقع تصنيف الوطنيين العرب الى « انصار » وخصوم » مشروع روجرز ، ذلك أن مثل هذا التصنيف ليس ديماغوجيا ولا مخالفا للحقيقة فقط ، ولكنه يلتقي أيضا مع التصنيف الذي وصفته الصحافة الغربية الصهيونية التي تقدم المناورة الامريكية على أنها بمشروع سلم »

ولذلك فان احباط هذه المناورة التكتيكية بالتصريح بالقبول « الغير مشروط للمقترحات الامريكية » هي بالضرورة مناورة تكتيكية مضادة ،، وهذه بديهية لا يختلف عليها اثنان »

ثم تنتهي الافتتاحية بتنبيه حول خطر أن بعض المنظمات الفلسطينية اتخذت موقفها من خلال مواقف بعض الحكومات العربية ، « وان هذا على جانب كبير من الخطورة وهو يحدث في مرحلة أصبح فيها استقلال كامل للثورة الفلسطينية. » وتدعو الافتتاحية الى توحيد مواقف المنظمات الفلسطينية على ان لا تعزل المقاومة نفسها عن حلفائها الطبيعيين (وهي تقصد ج.ع.م. خاصة)

حاولت جريدة فلسطين أن « تفلسف » جهد الامكان مواقف النظام المصرى حتى تقدر على التوافق مع اختيارات المقاومة .. فكان قبول ج.ع.م. في نظر الجريدة مناورة مضادة للمناورة الامريكية ، اذ أن العمل في مثل هذه المناورات لا يتحدد بمثل هذه القاعدة البسيطة « نعم » أو « لا ».(!)

ألا تذكرنا هذه الافتتاحية بمنطق «حسنين هيكل» « ان امريكا ليست بالعدو ، انها في موقع العدو » بل ان منطق الجريدة يلتقي تماما مع منطق حسنين هيكل اذ بعدما قبلت اسرائيل بمشروع روجرز ، فان حسنين هيكل الذي بنى كل حيثيات القبول المصري على أساس فضح وعزل اسرائيل ، وصف موقف اسرائيل بانه « تظاهر بالقبول » (!) بينما جريدة فلسطين اعتبرت موقف الصمت الاسرائيلي في المرحلة الاولى « مناورة مضادة هي الاخرى على موقف القبول المصري » (!) « نفس الافتتاحية »

نكرر مرة أخرى ، أن محك أي سياسة تحررية حقيقية هو موقفها من المصالح الامبريالية وطنيا وعربيا ، وعلى هذا الاساس تتساوى كل الانظمة العربية سواء القابلة بمشروع روجرز أو الرافضة له .

أما في افتتاحية « مهارة الديبلوماسية المصرية » فان الموقف ينقلب رأسا على عقب ،لقد اكتشفت جريدة فلسطين أن القبول المصري وبالتالي وقف اطلاق النار ، لانه شرط من شروط مشروع روجرز هو برنامج سلم لا مناورة :

تقول الجريدة : « وهكذا ، اذا كان هناك انتصار ديبلوماسي فانه انتصار أمريكي وبالتالي صهيوني »

« ... أما المشكل الفلسطيني فان حله يشار اليه كشروط دون تحديد لطبيعة هذا الحل المزعوم »

« ٠٠٠ اننا في هذه المرة أمام برنامج سلم ، وتطبيق برنامج سلم ، وهذه حقيقة ملموسة لا صلة لها « بالتكتيك » وان الاتحاد السوفياتي لا يسمح باستئناف العملية العسكرية مهما كان الثمن »

« ٠٠٠ ان عملية تصفية المقاومة تتقدم علنا ورسميا - والحكومات العربية « العربية التقدمية » تلتزم الصمت من جديد »

فما هو الداعي لتغيير الموقف من السياسة المصرية ، ووضع كلمة « التقدمية » بين قوسين ؟ هل هذه هي أول مرة يصرح فيها بتنازلات مصرية لاسرائيل ، ومن أهمها عشرات التصريحات من المسؤولين المصريين أن مصر مستعدة للاعتراف بالكيان الاسرائيلي وتثبيت السلم في منطقة الشرق الاوسط ولو بقوات دولية على الحدود ٠٠!!؟ »

هل سبق لمصر أن حددت طبيعة حل المشكل الفلسطيني منذ قبولها بقرار مجلس الامن ؟!!

هل حل تغيير في تركيب النظام أدى الى هذا « التغيير » في السياسة المصرية ، حتى لا يفسر الموقف بموت الرئيس جمال عبد الناصر ؟!!

اذا راجعنا جدول « الانتصارات » الذي سجلته جريدة فلسطين في افتتاحيتها الاولى حول قبول مصر بمشروع روجرز ، نجدها نفس النقاط التي وضعتها افتتاحية « المهارة الديبلوماسية المصرية » كتهكم على « انتصارات » الديبلوماسية المصرية : « عزل اسرائيل دوليا - تفجير التناقضات الداخلية - توسيع شقة الخلاف بينها وبين أمريكا ٠ » فهل كل ما اكتسبته الديبلوماسية « الذكية » - سابقا - في القبول الغير مشروط لمشروع روجرز ، أفسدته في لمحة بصر « مهارة الديبلوماسية المصرية » بامداد وقف اطلاق النار !؟

اننا لم نر موقفا جديدا مناقضا ومفاجئا في السياسة المصرية منذ قبولها بقرار مجلس الامن ، بل ان التحليل الطبقي للنظام المصري أعفانا منذ سنوات من الدوران والثلهث وراء السياسة المصرية (ولا يعني هذا عدم تحليل كل مد وجزر في السياسة المصرية) ، لمعرفتنا أن الطبقة الحاكمة أنهت قمة ثورتها ودخلت مرحلة التراجع لتنعم بمكتسباتها ٠٠ وكنا على علم أن القبول بقرار مجلس الامن ووجهه التطبيقي مشروع روجرز ، ومهادنة الامبريالية الامريكية - خاصة - وطنيا وعربيا ، حياد القاهرة في مذبحة أيلول ، وحتى حرب الاستنزاف ٠٠ هذه وغيرها خيط واحد متماسك في السياسة المصرية طرفه النهائي هو الاستسلام للوجود الصهيوني - الامبريالي »

وأن النظام المصري غير قادر على المواجهة ، وحتى ان فرضت عليه فالنتيجة هي هزيمة أخرى يحصدها النظام برمته ،يمثل ما كنا ندرك أيضا أن دعم الاتحاد السوفياتي سياسيا وعسكريا لا يتعدى حدود التوازن الدولي الراهن ٠٠

رغم وعي جَريدة فلسطين مؤخرا باستسلام ج٠ع٠م٠ أمام مشاريع التصفية ، فهي لم تتجاوز بعد الادراك الاولي لهذه الحقيقة ٠٠ أما الوعي الكامل بشروط النظام ، والقاعدة الطبقية الاقتصادية - السياسية - العسكرية - الايديولوجية ، التي يبنى عليها الخط السياسي ، فالجريدة لم تتوصل بعد اليها ٠٠ ولهذا فهي مهددة مع « عواصف » جديدة

لتقلب من جديد مواقفها السياسية رأسا على عقب ·

ان الفكر التقدمي المغربي عجز عن تلمس خطوط التناقضات الجديدة في الواقع العربي بعد الهزيمة ، وعجز بالتالي عن فهم مضمون الثورة العربية وعلاقتها الجدلية بالثورة الفلسطينية ·

فكان وعيه السياسي قاصرا ومشوها لا نحو الانظمة العربية التقدمية وحسب ، بل نحو دور الثورة الفلسطينية وآفاقها في الواقع العربي ··

· **دروس حزيران (يونيو) المقاومة الفلسطينية**

ان المتتبع لكل التطورات السياسية في الاطار الفلسطيني أو في الشرق العربي ، يدرك مدى الخطورة التي تهدد الثورة الفلسطينية اليوم ، ويمكن أن نقول بعد انتهاء أعمال المجلس الوطني الثامن ، وبدون مبالغة ، أن الثورة الفلسطينية ستجمل معها ، ان هي لم تتدارك الوضع ، تنازلات سياسية وعسكرية تنتهي بوضع المقاومة على أبواب حزيران فلسطينية ،وذلك بالقبول بنتائج السياسة العربية ، وهي عاجزة عن الرد عليها في الوقت المناسب ·

ان جريدة فلسطين حينما أدركت الواقع الاستسلامي للسياسة العربية ، فانها لم تخرج بعد عن نطاق تفكيرها السابق ، المكرس ايديولوجيا لتقديس العفوية النظرية في العمل الفلسطيني ، وسياسيا لتأييد كل الخلاصات اليمينية فيالتجربة التحررية للكفاح الفلسطيني ، المقاوم ·

تقول جريدة فلسطين في افتتاحيتها « ٧ مارس — والاختيار الذي فرضه الصهاينة »

« ··· لذلك فان محور مداولات المجلس الوطني الفلسطيني هو تحدديد الموقف الواجب اتخاذه ازاء الحكومات العربية ·· واقتراحاتها الرامية الى السلم، ان هذه النقطة لاتهم الخلافات الايديولوجية بالدرجة الاولى ، بل انها متعلقة بمشكل ملموس ، مشكل حرية العمل الفدائي في حالة اتفاق بين الدول العربية واسرائيل — ان الامر لا يتعلق أساسا بتجربة الماضي بل بقضية حيوية تهم الحاضر والمستقبل »

"علينا ان ننظر اولا الى موقف الجريدة في نفس المشكل قبل أن تعي مؤخرا أبعاد السياسة العربية الاستسلامية — تقول جريدة فلسطين في افتتاحية « على الفلسطينيين ان يحددوا استراتيجتهم » ما يلي :

« ان موقف ج·ع·م· عرض بدقة ووضوح : الهدف استرجاع الاراضي المحتلة سنة ١٩٦٧· أما حقوق الشعب الفلسطيني فلا يذكر الا الامتناع عن التفريط بها ··· وهذا معناه ان استرجاع هذه الحقوق قضية تهم الفلسطينيين لا الحكومات العربية جيوشها وهذا شعار مأخوذ من الفلسطينيين انفسهم كان هذا الموقف — سابقا — مأخوذا من نظرية الطرف الرئيسي في المقاومة « فتح » الداعية الى « فلسطنة الثورة الفلسطينية » « وعدم التدخل في الشؤون الداخلية للانظمة العربية ، الذي انقلب الى عدم التدخل ضد تدخل الانظمة العربية في الشؤون الفلسطينية » وكان ذلك يعني موقفا سياسيا يمس صلب الاستراتيجية · أما اليوم فان المشكلة لا تتعدى مشكلا عمليا بحثا يهم المستقبل لا الماضي · (!)

مرة أخرى ، تحاول الجريدة أن تصغر من حجم القضية الاستراتيجية المطروحة على الثورة الفلسطينية حتى لا تضطر الجريدة أن تقوم بنقد صريح لكل الممارسات اليمينية السابقة والتي كانت مقدمة لما هي

عليه اليوم المقاومة الفلسطينية ٠

فهل حقا ما كان يواجه المجلس الوطني الفلسطيني مجرد مشكل عملي بحث يلتصق بالحاضر والمستقبل ولا شأن له بالماضي ؟

ان الانظمة العربية تجيب بشكل عملي على الوضعية الراهنة « لازمة الشرق الاوسط » فالحل في نظرها يكمن في القبول بقرار مجلس الامن ومشروع روجرز ، ازالة آثار العدوان والتضحية بالقضية الفلسطينية ، الاعتراف باسرائيل وضمان الحدود الآمنة بشكل من الاشكال ٠ وهي في سبيل هذا الهدف تقيم التحالفات العربية (مؤتمرات القمة) ، وتضغط على أمريكا لتساهم باقلال حجم التنازلات ٠٠ مقابل ضمان المصالح الامبريالية في الوطن العربي ٠

وماذا يمكن أن يكون رد فعل المقاومة من أجل افشال هذا المخطط ؟

من البديهي أن الامر لا يتطلب تحديد موقف سياسي من طرف المقاومة في بيان معلن عنه ، بل يتطلب الاقدام على خطوات يمكن لها أن تؤدي فعلا الى افشال مخطط الامبريالية والانظمة العربية ٠٠ ومن أجل أن تملك المقاومة الجواب من موقع قوة عليها أن تحل المشكل الاردني ـ الفلسطيني أولا ، وذلك بفتح ثغرة في الجبهة العربية المعادية ، واقامة سلطة ديمقراطية وطنية ظهر المقاومة الفلسطينية وتعدم امكانية نجاح الحل السلمي ، هذه هي الحلقة الاولى في الرد على مشروع روجرز ٠ اما الحلقة الثانية في الرد الفعلي الملموس على مشروع روجرز فهي التحالف مع القوى الثورية في الوطن العربي ، التخلص من الرقابة الغير مباشرة للانظمة العربية التي فرضها خط المقاومة المهادن مع هذه الانظمة ٠٠

ان النضال من أجل تغيير موازين القوى لصالح حركات التحرر الوطني العربية في المنطقة (نقول حركات التحرر الوطني ولا نقول بورجوازية الدولة العربية) هو الرد الفعلي الملموس على مشروع روجرز٠ من الملاحظ ان جريدة فلسطين لم تكن تملك الجواب الحقيقي المطلوب من المقاومة ان ترد به على خطة الاستسلام للانظمة العربية ٠٠ فاكتفت بطرح المشكل وبشكل مشوه ٠

ومن الواضح أن المقاومة لا زالت لم تصل بعد الى مستوى الرد المطلوب ، وهذا ما يجعل شعار التحرير مهددا بأن يتحول الى مجرد شعار لفظي أمام التحركات الفعلية والملموسة للانظمة العربية نحو الاستسلام للوجود الصهيوني الامبريالي ٠

فهل الخطة السابقة التي عرضناها مجرد نقطة عملية بحتة لا تتعلق بخلافات الماضي ؟ هل تساءلت جريدة فلسطين عن أسباب هزيمة أيلول (سبتمبر)٠ حتى تتعرف على النتائج من المقدمات ؟

لولا ضيق المقام ، لعرضنا على القارىء تجربة الماضي وسلوك يمين المقاومة في هذه المواضيع الخطيرة : جبهة أردنية ـ فلسطينية تناضل من أجل اقامة سلطة ديمقراطية وطنية في الاردن ـ جبهة فلسطينية ـ عربية تناضل من أجل قلب موازين القوى في المنطقة والتي كان صلب السياسة اليمينية اتجاهها أقلمة الثورة الفلسطينية » ، وعزلها عن محيطها العربي الثوري ، وربط المقاومة بشتى الخيوط بالانظمة

العربية ۰۰۰ ويكفي أن نشير الى الرفض العملي للجبهة الاردنية ـ لفلسطينية ، بخلق منظمات فلسطينية نقابية وجماهيرية معزولة عن الشعب الاردني ۰۰ ونشير أيضا ، الى موقف اليمين من مشكل السلطة في الاردن في وقت كانت فيه المقاومة تقف في موقع قوة ، ، بينما تردد اليمين وخطته الدفاعية ومنطقة الاقليمي ، حال دون تحقيق القفزة المطلوبة ، فلم تطرح المقاومة في ظل هذه الممارسة أي برنامج سياسي يلبي مطامح الجماهير الكادحة في الاردن مما أدى الى النتائج المعروفة في هزيمة أيلول ۰۰

ثم نتحدث أخيرا ، عن نتائج ربط المقاومة بالانظمة العربية بواسطة اغراءات مادية ، ومنطلقات سياسية يمينية ، وانعكاس تاثيرات هذا الربط في التركيب العضوي للمقاومة وسلوكها السياسي ۰۰۰ الا أن الامر يتطلب في النهاية أكثر من وقفة قصيرة في هذا الموضوع ۰

حقا ، ان شعار « فلسطنة الثورة الفلسطينية » كان له دور ايجابي في المرحلة الاولى من انطلاقة المقاومة ، الا أنه في المراحل الحالية حيث ازدادت الوضعية تعقدا ، وأصبح بالتالي مطلوب من المقاومة أن تضع الثورة الفلسطينية في سياقها الطبيعي من الثورة العربية ، أخذ الشعار يلعب دورا معرقلا بطمس تناقضات الثورة ۰۰

ان المشكل الذي تواجهه الثورة الفلسطينية ۰ والمجلس الوطني ، هو مشكل أي خط سياسي : تحديد الحلفاء الدائمين للثورة ،والاصدقاء المؤقتين ،والاعداء الدائمين ، ودور كل منهم في تطور الثورة ۰ ثم تحديد وسائل تنفيد الخطة المرسومة ۰۰

ومما لا شك فيه أن هذه المسالة تتجاوز تعبير « حرية العمل الفدائي » التي حاولت جريدة فلسطين أن تحصر في اطاره المشكل ، وهي تتصل بلا جدل بتركيبات المقاومة الايديولوجية ۰۰ ومنطلقاتها السياسية ، وتجربتها الماضية ۰۰ وهذا ما أثبته من جديد تناقضات المجلس الوطني الثامن من خلال تلاوينه السياسية ۰

لقد قلنا سابقا أن جريدة فلسطين لم تخرج عن نطاق تفكيرها في خدمة كل الخلاصات اليمينية في ممارسة المقاومة ۰

وفي افتتاحية « ظروف ملائمة ليتدخل الفلسطينيون ويفرضوا ارادتهم » تقول الجريدة : وستكون جناية ما بعدها جناية أن يقع الانتظار أكثر مما مضى ، وأن يستمر النقاش الى ما لا نهاية له حول « المبادىء » وحول المسطرة وحول قوانين الوحدة دون انجازها ونرى ضرورة كل هذا في هذه المرحلة على الاخص لانها تعد من المراحل القليلة التي تهيء الثورة الفلسطينية للتدخل ولان تتخذ كل المبادرات الملموسة تضع كل ثقلها في الوضعية ۰

ان الصهيونية قد غزت فلسطين تحت شعار « الشعب اليهودي الموحد » وهل ينبغي علينا أن نذكر بعض « الايديولوجيين » بانه وبفضل هذا الشعار لا زالت الصهيونية تتوفر على شبكة عظمى منظمة وتهيء لها كل وسائل المساندة والتمويل عبر العالم »۰ « فالاجهزة تلتحم في الميدان وليست في المسطرة والقوانين التي يمكن أن يحررها أي وطني كيفما كان سواء كان شيوعيا أو رجل دين أو أميرا ما دام الامر يتعلق بقضية التحرر الوطني »

من المعلوم أن المجلس الوطني الثامن قد انقسم الى طرفين متناقضين من خلال معالجته لازمة المقاومة: فريق بزعامة يسار المقاومة يلح على أن المخرج الحقيقي لازمة المقاومة هو الاخذ بدروس التجربة الماضية في اطار خط سياسي يكون قاعدة لاي وحدة وطنية ·

وفريق بزعامة يمين المقاومة وقيادة منظمة التحرير ، يلح من جانبه على أن المخرج الحقيقي هو الوحدة الفورية العاجلة ، وخاصة الوحدة العسكرية، ويتهم اليسار بأنه يعرقل المجهود نحو الوحدة بوضعه سياج الخطة السياسية ، ليس معنى هذا أن اليمين برفضه للخط السياسي ليس له أي خط سياسي فلو تتبعنا مجموع تدخلات اليمين في المجلس الوطني لفهمنا الاغراض السياسة التي تحرك يمين المقاومة في هذه المرحلة الحرجة التي تعيشها الثورة ·· الاشارة مثلا الى خطأ « معاداة » المقاومة للانظمة التي قبلت مشروع روجرز ·· اتهام اليسار بكونه هو السبب في مذبحة أيلول بشعاراته اليسارية التي تفوق قدرة المقاومة مما يعني ان اليمين لم يفهم مطلقا التناقضات بين المقاومة والنظام الاردني التي أدت الى مذبحة أيلول وبالتالي يرفض دروسها جملة وتفصيلا ··· الخ

في هذا الاطار نضع تدخل جريدة فلسطين لنفهم مغزاه الحقيقي ، ولنتعرف على من هم الايديولوجيين اللذين تقصدهم جريدة فلسطين · فالجريدة اذن سواء بوعي أو بغير وعي تخدم المنطلقات اليمينية في حل أزمة المقاومة : الوحدة الفورية مع اهمال الخط السياسي ودروس التجربة ·· أي الجمع العددي لتناقضات المقاومة الذي لا يفيد الثورة في شيء واذا أردنا أن نتعمق أكثر في مدلول هذا الشعار فاننا سنربطه بحركة الجدل الدائرة في صفوف قاعدة المقاومة بعد حملة أيلول ، والتي قد تعطي رد فعل جدى على وضعية المقاومة الراهنة ، ولهذا جاء شعار الوحدة الفورية لاجهاضها وطمسها ··

وسيكون كلامنا من قبيل التكرار اذا قلنا أننا لا نعتبر مرحلة التحرر الوطني ، « تسامحا وأخوة ووحدة صافية » بين مختلف الطبقات التي في مصلحتها التحرر الوطني ، بل هي أيضا صراع بين مختلف الطبقات الوطنية من أجل قيادة الطليعة وبرنامجها السياسي · ولهذا فاننا نعارض « التواضع الوطني » للجريدة في كتابة « المسطرة والقوانين التي يمكن أن يحررها أي وطني سواء كان شيوعيا أو رجل دين أو أميرا ·· » وذلك انطلاقا من تجربتنا المريرة في هذا المضمار ، والذي كتبت فيه البورجوازية « بيان الثورة ضد الاستعمار التقليدي » وكانت النتيجة ما نحن فيه اليوم من اضطهاد المستعمر الجديد وأعوانه الطبقيين·

وسيكون من الانحطاط الايديولوجي والسياسي أن نقارن تجربة الشعب الفلسطيني المناضل بتجربة الصهيونية الاستعمارية لاختلافهما في الغاية والايديولوجية والوسائل والظروف السياسة ··وحتى في ذلك الاطار ، هل ينبغي أن نذكر « ايديولوجي » جريدة فلسطين أن الشعب اليهودي كان ــ ولا زال ــ موزعا هو الآخر بين عدة منظمات مختلفة فيما بينها ·

اننا لا ندافع على التفرقة التي تعيشها حاليا المقاومة الفلسطينية ، ولكننا نريدها وحدة ثورية،

تستطيع ان تتجاوز فعلا معضلات المقاومة الحاليــة ، وتنقل نضال الشعب الفلسطيني الى مستــوى جديـــد من الفعالية والديناميكية الثورية ..

ان الخلاصة السياسة الاساسية لاحداث أيلول هي فشل الاتجاه اليميني السائد بكل افرازاته السياسة:

الفصل ما بين النضالين للشعب الفلسطينـي - والشعب الاردني اللذين يشكلان معا جبـهة واحـــدة تفرض عليهما الضرورة السياسية والاقتصادية وضرورة مواجهة اسرائيل الوحدة في النضال تحت أفق برنامج ديمقراطي - وطني للشعبين في الاردن .

عزل ثورة الشعب الفلسطيني عــن النضــال التحرري للشعوب العربية - نظريا وعمليا - وبالتالي عدم الاعتماد على الذات في بناء قوي الثورة مما أدى الى تشكيل ما يسمى « بالثورة الغنية » بكل ما تحمله من انعكاسات بورجوازية على البناء الذاتي لقوى الثورة . وما حملته أيضا من قيود سياسيــة نتيجــة ارتباطات المقاومة بالانظمة العربية ، وما يجره هــذا الارتباط من نتائج سياسية على المقاومة اتجاه الثورة الفلسطينية والثورة العربية ..

ونضيف من جهتنا كخلاصة لتجربتنا من أحداث ايلول :

أن المهمة التي طرحتها علينا هذه التجربة ، هو مراجعة كل مفاهيمنا الايديولوجية والسياسة فـــي نظرتنا للثورة الفلسطينية والثورة العربية .. والعمل بكل ما يمكن من أجل مساندة الخط الثوري فـــي الممارسة الفلسطينية والنضال مع الجماهير المغربيــة من أجل وضع الثورة الفلسطينية في صلب نضالها السياسي بدل المفهوم استاتيكي السابق في تصورنا لمهامنا ازاء الثورة الفلسطينية ، وذلك بالدعم المحدود المالي والمعنوي .. ان ولوج الجماهير الشعبية معترك النظال السياسي ضد ممارسة كل الانظمة العربية الرجعيـــة والمتخادلة ، وضد الارتباطات الصهيونية - الامبريالية الاقتصادية والسياسية وطنيا ، بافــق ايديولــوجـــي وسياسي ثوريين ، هو الضمانة الحقيقية لدعم الثورة الفلسطينية وحمايتها .. ان هذا يتطلب أولا تكثيـــف الثقافة الثورية بمشاكل الثورة الفلسطينية في أوساط الجماهير الشعبية ، وابتكار أشكال تنظيمية جماهيرية شعبية مناسبة لهذا النشاط السياسي العظيم .

. الواقع الطبقي للفكر التقدمي

ان الفكر التقدمي المغربي ، والذي عبرت عـنه جريدة فلسطين أحسن تعبير ، لا ينفصل مطلقــا عـــن وضعية حركة التحرر الوطني المغربيــة ومشاكلهـــا الطبقية والايديولوجية والسياسية .

فالخط السياسي « الانتظاري » الـــذي يحكـــم ممارسة القوى السياسية التقدمية ، بحكم شروط طبقية واستراتيجية ، جعل منطق حركة التحرر الوطني المغربية منسجمة كل الانسجام ومفهوم الجبهة استانيكية التي لا تكلف نضالا سياسيا وايديولوجيـــا شاقا ضد الطبقات الرجعية الحاكمة . وبهذا المعنـــى استوت « مسألة دعم الثورة الفلسطينية » لتأخذ مكانها وسط الخط السياسي الانتظاري العاجز عــن التعبئة الجماهيرية وقيادتها .. ان المسالة الفلسطينية ترجمة أخرى لعجز حركة التحرر الوطني وانعزالها عن الجماهير الشعبية ، انها صورة أخرى مـــن صـــور افلاسها التاريخي .

ان الواقع الطبقي البورجوازي الصغير لحركة التحرر الوطني المغربية ، جعل من انجرارها وراء الممارسات اليمينية في الساحة الفلسطينية ، وعلى رأسها تقديس العفوية النظرية ، أو النزعة التجريبية . انعكاسا حيا ، وامتدادا مباشرا للموقف الطبقي الايديولوجي في التجربة المغربية ٠ فالتجربة المغربية التقدمية تشكو من جملة ما تشكو منه ، التجريبية التي طبعت الخط الايديولوجي حركات التحرر الوطني المغربية ٠٠ ولا زال هذا الخط يمثل الموقف الايديولوجي للبورجوازية الصغرى في حركة التحرر الوطني ، بكل ما جره وما سيجره على التجربة المغربية من ويلات واجهاضات في الماضي والمستقبل ٠ ان غربة البورجوازية الصغرى عن النضال الوحدوي التحرري وانعدام رصيدها التاريخي في هذا المجال ، وجذورها الاقليمية رغم الشعور القومي العاطفي العام ،ورواسب الثقافة الامبريالية التي تربت في كنفها ، جعلها عاجزة عن استيعاب معطيات الثورة العربية وعلاقتها الجدلية بالثورة الفلسطينية ٠٠ ولهذا كان الوعي المغربي التقدمي قاصرا عن ادراك كل معطيات وأفاق الثورة الفلسطينية ٠٠

فى ٢٦ مارس ١٩٧١



حركة التحرر الوطنى

خلاصات

من نضال الشعب الفيتنامي

عبد اللطيف اللعبي

مر الآن أزيد من قرن والشعب الفيتنامي يخوض معركة متواصلة ضد قوى العدوان الاستعمارية والامبريالية . ولقد استطاع هذا الشعب طوال هذه التجربة أن يصنع الاسلحة السياسية والعسكرية والايديولوجية والثقافية التي مكنته من الحصول على انتصارات متصاعدة ضد الغزاة والمستعمرين والبعثات العسكرية وجيوش المرتزقة والانظمة المزيفة في الماضي والحاضر .

ويشكل هذا الاستمرار أكبر تحد أمام التفوق التقنولوجي للغرب الامبريالي من طرف شعب مستعبد وهكذا فان حجر الزاوية في الاستراتيجية الامبريالية ، الا وهي وسائل تطويع الشعوب باستعراض العضلات ، والمطامع الامبريالية في تقرير مصير العالم حسب أهوائها (مراجعة خريطة العالم والقيام بدور رجال المطافيء في « المناطق الملتهبة » وبدور الشرطي الذي ينظم حركة المرور..) ، قد أصبحت اليوم تنسف من أسسها على مرأى ومسمع من أولئك الذين كانوا يرتعدون بالامس أمام المساومة بالحرب النووية والتهديد بالتدخل .

ان سقوط الامبريالية التدريجي والحتمي في نفس الوقت ، أصبح محسوسا في أيامنا هذه مما يعطي للشعوب المستعبدة وللطبقات الثورية الفرصة الحاسمة للقيام بدورها التاريخي الا وهو توجيه الضربة القاتلة للامبريالية .

لذا أصبح من الضرورى استخلاص الدروس من التجربة النضالية للشعب الفيتنامي وتنقية الفهم الذي يمكن أن يتوفر لدى شبيبتنا ازاء التجربة والمتكون من عدة عناصر مختلطة تروجها الدعاية الرسمية والامبريالية من جهة ، والايديولوجية البورجوازية بل وحتى بعض ثوريي الصالونات وهوات الامسيات التقدمية من جهة أخرى .

ولنبدأ هنا بالتطرق الى الصورة التي تعطيها عن « أحداث الفيتنام » وسائل الاعلام اليومية التي تنقل بالحرف مراسلات بعض المصادر التي لا يمكن أن نتهمها أبدا بالعطف على قضية الشعب الفيتنامي

فلو صدقنا هذه المصادر لكان من السهل علينا تصديق اسطورة تناسخ الارواح حيث أن شعب هذا البلد (الفيتنام) سيكون قدمات عن بكرة أبيه مرتين أو ثلاث مرات . ولنأخذ على سبيل المثال التصريح الذي نقله الصحفي الاسترالي « ولفردبيرشت » عن أحد المقاتلين الفيتناميين والذي يفيد أن الاسلحة التي يتركها مقاتلوا الجبهة الوطنية للتحرير في الميدان حسب التقارير الامريكية ، ما هي الا أسلحة قديمة غنمها الثوار في المعارك السابقة وتخلصوا منها بعدما غنموا أسلحة أكثر حداثة .

وهكذا فالغنائم الامريكية ما هي في الواقع الا سلع كاسدة ، أما التجهيز الحربي الامريكي والعميل فما هو الا سوق حرة ينتقي منها المقاتلون ما يحتاجونه

وهكذا فالهجوم الايديولوجي الامبريالي يجد في بلادنا مروجيه ومنفذيه · فالسماح بعرض شريط معادي لقضية الشعب الفيتنامي « القبعات الخضراء » رغم اجماع القوى التقدمية والوطنية على الاحتجاج ضده يبرهن ، اذا كان من الضروري اعطاء البرهان ، على مدى الترابط بين بعض الدوائر والامبريالية وقيام هذه الدوائر بدور الوسيط للامبريالية ببلدنا ·

لكنه من البديهي أن شعبنا قد تعلم كيف يفسر ويترجم بنفسه وبطريقة صحيحة الاخبار التي ترد عن قضية الفيتنام ·

فالانتصار في معركة « ديان بيان فو » لا يمكن ان ينمحي من ذاكرة شعبنا الذي شعر بهذا الانتصار ، وهو في مرحلة دقيقة من نضاله ضد الحماية ، كضربة حاسمة للقوة الاستعمارية الفرنسية وكبداية لمسلسل التحرر بالنسبة له ·

ان التضامن بين الشعوب المكافحة والتداخل بين كفاحاتها يخضعان لمنطق مستقل بذاته ، يتجاوز كل الحواجز المصطنعة التي تخلفها الامبريالية ·

يبقى علينا ان ننظر الى تقلبات بورجوازيتنا التي كانت بالامس القريب تدين العدوان « الاجنبي » في الفيتنام والتي لم تعد تتردد اليوم في استعمال أكثر المفاهيم تقدما كالامبريالية ، والعدوان الامريكي ··· لقد مرت الايام وتغيرت الاحوال · لكن هذه البورجوازية قد عودتنا بما فيه الكفاية على ففزاتها البهلوانية وحركاتها المثيرة بشكل لا يمكننا معه أن نغمض أعيننا بتأثير من نغمات أمميتها المفاجئة ·

يبقى علينا كذلك أن نمعن النظر في هزليات بعض السياسيين المتخاذلين الذين احتكروا الاممية لانفسهم منذ أن علقوا اللافتة المطلوبة ·هؤلاء الموظفون العاملون في دواليب سياسة معينة لا يتحدثون عن بطولة الشعب الفيتنامي وعن انتصاراته وفعالية تنظيمه واستراتيجية وتكتيك طليعته الا للتأكيد على الطابع الوراثي تقريبا (اذا صدقنا كلامهم) المتمثل في ضعف التنظيم لدى الجماهير العربية وعدم قدرتها على استيعاب الاسرار التي مكنت شعب الفيتنام من الانتصار ·

هكذا يذهبون بكل سهولة الى التأكيد ، مثلا شأنهم في ذلك شان بعض الاختصاصيين الغربيين في شؤون العالم العربي ، الى أن « فلسطين ليست هي الفيتنام » وعلى الصعيد الوطني يذهبون الى تعليل تبعيتهم الذيلية ازاء البورجوازية بالرجوع الى سياسة الجبهة الموسعة المعادية للامبريالية التي تنتهجها الجبهة الوطنية لتحرير جنوب الفيتنام ، ناسين الشيء الاساسي وهو كون هذه الاخيرة لم تستطع أن تضم جميع الفئات الاجتماعية» من طبقات وقوميات ، ومجموعات سياسية ومنظمات وجماعات دينية ووطنيين ، بعض النظر عن انتماءاتهم السياسية الا لانها نجحت في فرض نفسها كقوة وحيدة تستطيع طرد الامبرياليين ، وكقيادة فعلية للكفاح نبعث من بين الجماهير الكادحة ، وكنواة أساسية ومحركة للجبهة الوطنية والشعبية ، كانت تجسم منذ البداية تحالف العمال والفلاحين تحت قيادة البروليتاريا ·

فاذا كان للمناضلين الثوريين الفيتناميين ان يلقنوا دروسا ،فسوف يلقنونها لاولئك الثوريين لفظا الذين يجدون أنفسهم ، أمام خوفهم الجسدي من نضالات الجماهير ومن جهاز القمع ،"مضطرين للسير على وقع خطى البورجوازية مستجدين مكانا تافها بين صفوفها ، أو قل متعلقين بأذيالها ·

ولنتطرق الآن الى الدروس التي ينبغي استخلاصها من كفاح الشعب الفيتنامي · نحن لا ندعي في مقال قصير كهذا القيام بتحليل شامل ومفصل اذ لا يمكننا الا أن نلخص بعض النقط الجوهرية حول بعض المحاور الاساسية للبحث ·

ولنوضح أيضا أرائنا لا يمكن الا أن تكون مدينة بالكثير للمجهود النظري الهائل الذي قام به القادة الفيتناميون ازاء تجربتهم ·

فكل ما يمكن أن نقوله قد عبر عنه ببراعة من طرف مكافحين ومفكرين عباقرة من أمثال هوشي مين وفونكوبين جياب ولي دوان ، وتروونك شين ،الذين لم تصبح مؤلفاتهم بعد ، ومع كامل الاسف ، موضع دراسة وتأمل بالدرجة التي تعرفها مؤلفات المفكرين الثوريين الآخرين . أول خلاصة تفرض نفسها هي تلك التي عبر عنها الجنرال جياب أمام المقاتلين المجتمعين في مؤتمر القوات الجوية والمضادة للطيران في يونيو ١٩٦٩ ، وهي أن حرب الشعب قد انتصرت على حرب الدمار الامبريالية الامريكية .

هكذا يتجلى أن الرد الوحيد على العدوان الامبريالي هو الحرب الشعبية . فالعلم والتقنولوجية والقوة الاقتصادية للامبريالية تواجه بالقوة الخلاقة للشعب . والادمغة الاليكترونية تواجه بعبقرية أدمغة الرجال المكافحين .

فالشعب الفيتنامي يعطي درسا منقطع النظير لكل السياسيين والساسة العرب الذين كانوا يروجون ، محاولين تقنيع مصالحهم الطبقية ، ومنذ مدة (اذ انهم منذ حرب يونيو ١٩٦٧ قد انضموا بشكل علني الى جانب الحلول السياسية والدبلوماسية للقضية الفلسطينية والاراضي المحتلة بعد العدوان) لهؤلاء الساسة الذين كانوا يروجون الافكار القائلة بأن الحرب ضد اسرائيل ليست من اختصاص الشعوب ولكن من اختصاص الجيوش العربية النظامية لهؤلاء الذين يريدون مجابهة طائرات « الميراج » الفرنسية « والفانتوم » الامريكية بطائرات « الميك » السوفياتية ، لهؤلاء الذين يواجهون الاقتصاد الاسرائيلي الممول باقتصاد يعتمد على المساعدات وبصناعة مركزة تصبح هدفا سهلا للحملات الانتقامية ، لهؤلاء الذين لا ينادون الشعب الا الى تشييع جنازة الضحايا أو الاطلاع على الانقلابات السياسية أو العسكرية أو تلقى الطلقات النارية اذا انتبه الى خيانة مسيريه ، الى هؤلاء يلقي الشعب الفيتنامي دروسه .

ان المتبنين لسياسة المجابهة (معتمدين على الدعم الاقتصادي والعسكري السوفياتي) قد اجتازوا هذه المرحلة . فالدكتور يارينغ قد عاد الى مهمته ، ومن أجل اعادة فتح القناة ، هنالك استعداد للاعتراف « بالوجود الشرعي » لكل دول الشرق الاوسط ، بما في ذلك « الحدود الامنة والمعترف بها » . ان حرب الجيوش النظامية لبورجوازيات الدولة قد انتهت الى الاستسلام أمام الحرب الامبريالية . لكن صدى النداء الخالد لغيفارا ، بخلق أكثر من فيتنام واحد ، لا زال صداه يتردد في أذان الشعب الفلسطيني .

ان المقاومة الفلسطينية ، رغم محاولة الابادة ، ورغم مؤامرات الامبريالية وخدامها الاوفياء ، ورغم خذلان السياسيين البورجوازيين ، رغم كل هذا وذاك ، لا زالت تتابع مسيرتها مقتنعة بأن حرب الشعب هي وحدها القادرة على التغلب على حرب الابادة الامبريالية الصهيونية ، وبناء الدولة الفلسطينية الديمقراطية .

والدرس الثاني الذي يفرض نفسه ، والذي يرتبط بسابقه ، هو أن الحل بالنسبة للشعوب المستعبدة والمستغلة لا يكمن في سراب التطور وأوهام الثورات التقنولوجية والعلمية التي تدقها طبول الدعاية الامبريالية ومن ورائها مثقفون البورجوازيون .

ان النجاحات الباهرة للشعب الفيتنامي قد حركت من جديد وبقوة أمال كل الشعوب المضطهدة التي تناهض مختلف أشكال الاستعمار والاستعمار الجديد والامبريالية عبر العالم .

لقد استطاعت هذه النجاحات أن تحطم أكثر الخرافات رسوخا والتي يظن العالم الرأسمالي انه يستطيع بواسطتها أن يخيف الشعوب ويركب لديها عقدا نفسية .

فالتقنية وفي الاستراتيجية العسكرية والادمغة الالكترونية واللعب والاستهلاكية ، والثقافة والتعليم ، وتحرر المرأة ، ومجتمع الاستهلاك الخ ...

كل الميادين التي تتبجح المجتمعات الرأسمالية

بتفوقها فيها قد تقلصت كالقرب المنتفخة بالهواء أمام المثل الرائع والتجارب والمنجزات الشاقة لشعب صغير يعيش في بلد صغير لا تتردد مؤلفات الاقتصاديين البورجوازيين عن تسميته بلدا « متخلفا » أو « في طريق النمو » ٠

باعتبار كل ما سبق ، وفي الاطار المتعدد الاشكال للنضال ضد الامبريالية ، فان الثورة الفيتنامية تلعب دورا أساسيا ، لا لكونها تتحمل على الصعيد العسكري أثقل الاعباء ٠ ولا لكونها أكثر الثورات تقدما فحسب ، بل ولانها كذلك تشكل مثالا ذا قوة لم يسبق لها مثيل ٠

ان هذه الثورة تبين في نهاية التحليل أن القوة الحقيقية هي قوة الشعب حين يتحرر وان الجماهير

والدرس الثالث الذي يمكن استخراجه من كفاح الشعب الفيتنامي ، وذلك منذ مقاومته للاحتلال الفرنسي هو ان الكفاح ضد الاستعمار وضد الامبريالية ، من أجل تحقيق الاهداف الاساسية للتحرر من استغلال الانسان للانسان ، والممارسة الفعلية للسلطة من طرف الجماهير الكادحة لا ينبغي ان يترك زمام المبادرة فيه بين أيدي الكادحة هي التي تخلف كل الخبرات وتصنع التاريخ ٠ انطبقات المحظوظة ، فالحرب ضد الاستعمار ، اذا لم تكن مسيرة من طرف منظمة منبثقة عن تحالف الطبقات المستبعدة سرعان ماتنحرف عن أهدافها العميقة لتنتهى الى هذا الشكل او ذاك من الانظمة السياسية التى عرفتها الدول الحديثة العهد بالاستقلال ، والخاضعة للاستعمار الجديد أو لسيطرة بورجوازيات الدول ٠

لقد رعى الثوريون الفيتناميون هذه الحقيقة فى وقت جد مبكر ، هؤلاء الثوريون الذين لم يفصلوا ابدا مابين الكفاح المسلح وتحرير التراب الوطنى عن وضع اسس السلطة الشعبية ٠ وعلى عكس هذا ، ترى فى كثير من البلدان الحديثة العهد بالاستقلال نتائج الكفاحات المعادية للاستعمار التى لعبت فيها البورجوازية الدور القيادى فأغلب هذه البلدان وقعت فريسة للاستعمار الجديد ٠ وفى افضل الحالات نلمس استمرارا للنضال ضد الامبريالية على الواجهة الاقتصادية فى بعض البلدان ، دون ان يمنع ذلك قمع الشعب من طرف الطبقات الحاكمة ٠

اما فى فيتنام فان الحركة الثورية للتحرر الوطنى على اساس البرنامج البروليتارى قد نمت منذ جذورها وتطورت بموازاة حركة التحرر الوطنى المرتكزة على برنامج بورجوازى ٠

فلو لا وجود خط بروليتاري واضح ، مرتكز على تحالف العمال والفلاحين لما كان للمقاومة ان تنتصر وان تصبح محصنة ضد الهزائم

« ان كل تصور للجبهة الوطنية الموحدة ، لا يعتبر الوعى الطبقى ، ما هو الاتصور مجرد ، وما هو الامغالطة ورد فعل غريزى من اجل المحافظة على مصالح طبقية انانية » يقول لي دوان ٠

ان هذا الشعور ببديهية وضرورة الصراع الطبقى داخل الحركة الوطنية هو الذى مكن الطليعة الثورية الفيتنامية من قطع الطريق على كل محاولة للسيطرة من طرف البورجوازية ٠

ان الوعى الوطنى والوعى الديمقراطى لا يمكن ان يفرغا من محتواهما الطبقى هذا ما طبقه الثوريون الفيتناميون الذين استطاعوا ، وفي الوقت المناسب ان يصوغوا البرنامج الوحيد الذى شكل برنامج الديمقراطية الحقيقية ، امام الديمقراطية الطبقية للبورجوازية المريضة وفئات البورجوازية الصغرى وقد مكن هذا البرنامج من تجنيد الجماهر الواسعة للفلاحين ومن قيادة الشعب الفتنامى الى النصر هناك دروس اخرى ، دروس عديدة يمكن استخلاصها من التجربة التصالية للشعب الفيتنامى وكل هذه الدروس تلتقي على نفس المحور وهو ان ليل الامبريالية يقرب من نهايته ، ويبقى على الشعوب والطبقات الثورية ، لما تدمج فى ممارستها الحية علم وفن تغيير العالم ، الذى يشكل أساس انتصار الشعب الفيتنامي ، ان تعلن عن اشراقه شمس الانسان الجديد ٠

الركـــن الاديولوجـــى

التخلـــف والعالـــم الثالـــث

سليم رضوان

لقد أشاعت نظريات الاقتصاديين الليبراليين مفاهيم مجردة ومغالطة روجت لها الدعاية الامبريالية وتتداولها مختلف المنظمات العالمية ٠ واذا كانت هذه المفاهيم تتستر وراء قناع العلم فانها تحمل في عمقها أفكارا مشبوهة في فترة حاسمة من تاريخ حركة التحرر الوطني وفي وقت تتزايد فيه هزائم الاستعمار والامبريالية وتتوالى انتصارات الشعوب وتحررها من التبعية السياسية والاقتصادية والثقافية ٠

ومفهوم التخلف هو أحد هذه المفاهيم غير العلمية،فهو يعني واقعا نسبيا ونظرة سطحية معتمدة ، اي أن الدول التي تسمى متخلفة هي في مرحلة متخلفة بالنسبة لتلك التي تسمى متقدمة ٠ وهذا غير واقعي ، لان هذه الدول المتخلفة توجد في وضعية تختلف جذريا عن الوضعية التي وجدت فيها الدول « المتقدمة » منذ قرنين او اكثر وبهذه الصياغة تحاول هذه النظريات الاستناد على ملاحظات احصائية حول نظام تطور او انخفاض مستوى المعيشة لتحديد هوية كل دولة بدلا من أن تستند على تفسير واقعى تاريخى علمى ٠ ولهذه الصياغة السطحية خطورتها القصوى اذ هي تجريد غير علمى يخفى العلاقات الاجتماعية الاستغلالية السائدة داخل كل دولة وبين مختلف الدول ـ فالواقع الاقتصادي للدول «المتقدمة» حاليا هو نتيجة لتطور اجتماعي وتاريخي لعبت فيه علاقات الانتاج والعلاقات التجارية على الصعيد العالمى دورا رئيسيا٠ فالثورة الصناعية فى الغرب لم تكن فى الواقع الاضرورة فرضها احتياج البورجوازية الغربية الى طرق أسهل لنهب خيرات البلدان المستعمرة واعطى تكديس المعادن ومختلف المواد فى أوربا تقدما تقنيا سهل تحويل المواد الخام بسرعة الى بضائع تنقل الى الاسواق التى اخذت آنذاك تتمركز في مناطق استراتيجية من الناحية التجارية وطموح البورجوازية الى تضخيم رساميلها اجبرها على خلق مواصلات حديثة تجعل انتاج الارباح تزداد سرعة وديناميكية ٠

لم تبق بنية المجتمع الراسمالى الغربى جامدة بل عرفت تطورات كثيرة اهمها انتقال الراسمالية فى اواخر القرن التاسع عشر الى امبريالية ذلك ما فرضه بالاساس تطور البورجوازية على الصعيد العالمي ٠ فقد اخذت تستثمر رساميلها في بلدان العالم الثالث متجاوزة نهج المنافسة بين الشركات وتشتت الرساميل الى خلق مرتكزات مالية قوية لها نفود عالمي ٠

ونهب خيرات العالم الثالث عن طريق الاحتكارات الامبريالية أدى الى ضرب الارضية الاقتصادية للبورجوازيات الوطنية وبالتالي الى شل كل اقتصاد وطني متين في بلدان هذا العالم الذي يطلق عليه اسم « متخلف » وطبعا فان السيطرة الاقتصادية الامبريالية تختفي وراء ستار العلاقات الودية والمساعدات والبعثات الثقافية ...

واقتصاد الدول الصناعية من جهة أخرى لم يحتو في الماضي على أية خصوصية من الخصوصيات التي تميز دول العالم الثالث .

١ ـ الاقتصاد لم يكن تابعا للسوق الامبريالية ولم يكن هناك رأسمال أجنبي .

٢ ـ تطور هذا الاقتصاد لم يكن خاضعا لتطور هذا المنتوج أو ذاك في السوق على الصعيد العالمي .

٣ ـ لم تكن هذه الدول تتحمل أعباء ومصاريف تفرضها عليها العلاقات الخارجية وضرائب رأس المال الاجنبي .

٤ ـ الاقتصاد لم يكن في نشأته يجابه منافسة اقتصاد صناعي قوي محتكر من طرف الرأسمال .

٥ ـ الاقتصاد لم يكن مضطرا لجلب تجهيزات من الخارج قصد توسيع وزيادة انتاجه .

٦ ـ وأخيرا فان هذا الاقتصاد لم يكن مختلا ومفككا بل بالعكس كان منسجما .

هذه الخصوصيات توضح الى أي حد هو خاطىء مفهوم التخلف ، اذ ان دول العالم الثالث تطورت في نفس الوقت الذي تطورت فيه الدول الصناعية ولكن في اتجاه مخالف ومختلف ، والعامل الاساسي في هذا التطور المخالف والمختلف هو بروز الاستعمار المباشر كقوة هائلة للاستغلال والقهر ، وهذا ما يحاول هذا المفهوم أن يخفيه تحت ستار العلم والروح العلمية ورقصات الارقام الخيالية ، ولا يتورع الليبراليون عن كشف نواياهم الحقيقية في خلاصاتهم المدهشة ب

١ ـ الدول « المتخلفة » لا تستطيع أن تخرج من تخلفها الا بالتوظيفات الاجنبية .

٢ ـ داخل الدول « المتخلفة » يجب تشجيع التوزيع الغير العادل للخيرات ،اذ على المداخيل الفردية والرأسمال الفردي تقوية التوظيفات ورفع مستوى الدخل الوطني الفردي .

٣ ـ بما أن اقتصاد الطبقات التقليدية ضعيف يجب اذن تشجيع ميلاد طبقة رأسمالية في المدن والبادية هذه الطبقة التي ستعجل بالنمو الاقتصادي وخاصة اذا ما نهجت الدولة سياسة التسهيلات والمساعدات في الميدان المالي .

ان هذه الخلاصات هي في الواقع خلاصة واحدة هي أن الدول « المتخلفة » لا يمكن ان تخرج من « تخلفها » الا « بمساعدة » الرأس مال الاجنبي وتبعيتها المطلقة سياسيا واقتصاديا وثقافيا للاستعمار والامبريالية .

ان اي تهاون في نقد هذا المفهوم ودحضه ليدخل متحف التاريخ قد يدفع بنا الى أحضان التوجيه الليبرالي الرأسمالي سواء في التحليلات أو الخلاصات ويوضح التحليل العلمي (لا نقصد العلم المجرد ، بل العلم الذي يهدف أساسا الى تقدم الشعوب لا الى

استغلالها ٠٠ ان العلم الذي تدعى الدول الاستعمارية أنها سخرته لتقدم البشرية هو علم غير محايد ، انه وسيلة من وسائل الاستغلال والقهر٠) واقع الدول « المتخلفة » الملموس بـ

التبعية السياسية : الاستعمار المباشر والاستعمار الجديد ٠

التبعية الاقتصادية وتتضمن التبعية التجارية والمالية والارتباط بالسوق العالمية الامبريالية ٠

التبعية الثقافية :

وان اي محاولة انعتاق مما يسمى بالتخلف لا تدرك هذه الحقائق لن تر النور ابدا اذ ان الخروج من هذا « التخلف » يقتضي التحرر السياسي والاقتصادي والثقافي لدول العالم الثالث ٠ ان الذين ينادون بزيادة الانتاج ويطالبون شعوبا مستغلة بتحقيق برامج اقتصادية يجهلون ان التحرر الاقتصادي هو قبل كل شيء سياسي ٠ وان جهل أو تجاهل هذه الحقيقة يجعل من التقدم عملية ذهنية مبهمة ٠

الزيادة في الانتاج وتوسيعه لا يمكن أن يقودا هذه الدول الى التقدم ما دام التوزيع غير عادل والاستغلال الطبقي والقهر وشل العمل الجماعي بالاحتكارات الفردية والاعتماد على الابناك الدولية الاستعمارية والتبعية السياسية والاقتصادية والثقافية للرأس مال الاجنبي هي الطريق الذي تنهجه هذه الدول ان الفصل بين السياسة والاقتصاد وهذا ما يفعله عادة رجال الاقتصاد الليبراليون هو فصل غير علمي مقصود وموجه من طرف الاحتكارات الاجنبية والطبقات المسيطرة لنهب الشعوب ٠ تطوير الانتاج وتوسيعه يقتضي توزيعا عادلا لوسائل الانتاج (المعامل ، الارض وتجهيزها)

وتحررا سياسيا واقتصاديا وثقافيا



وثائق

في هذا الركن ..

سيكون هذا الركن مفتوحا لعرض بعض الوثائق الهامة الصادرة عن منظمات تقدمية أو احدى حركات التحرر الوطني .

ولاهمية الثورة الفلسطينية وتحريكها لجماهيرنا العربية ، فاننا ننشر أولا : وثيقة من وثائق ج.ش.د. حول « **الحل الديمقراطي للمسألة الفلسطينية** » **والتي** أثارت الكثير من النقاش وسوء الفهم . آملين أن ننشر في الاعداد المقبلة وثائق لمنظمات فلسطينية أخرى .

ولا ننسى أن نوجه نداءنا الى قراء مجلتنا ، بأن يبادروا بمساهمتهم في هذا الركن بكل الوثائق التي يرون ضرورة نشرها لاهميتها ..

نحو حل ديموقراطي للمسألة الفلسطينية

طرحت الجبهة الشعبية الديموقراطية على المجلس الوطني الفلسطيني السادس المنعقد في القاهرة في ايلول ١٩٦٩ مشروعا لحل ديموقراطي للمسألة الفلسطينية ، وقد أثار هذا المشروع ، كما كان متوقعا ردود فعل مختلفة ومتفاوتة ما بين ناقدة ومتحفظة ومؤيدة ، كما واجه حملة من التشويه وسوء الفهم الى حد أصبح معه من الضروري أن توضح الجبهة موقفها من هذه المسألة الهامة وتطرح المقدمات التحليلية التي أدت بها الى رفع هذا الشعار .

التمايز والعلاقة المحددة ما بين الصهيونية والامبريالية

جاءت الصهيونية بصورة رئيسية نتيجة رد فعل من جانب البورجوازية الصغيرة والمتوسطة اليهودية وهي التي تشكل لب اليهودية ، تجاه أمرين هما :

أ ـ تردى أوضاع اليهود في أوربا الشرقية ، ذلك أن اليهود كانوا يمثلون الرأسمالية البدائية (أي التجارية والربوية) ، فكان لابد أن يوجه لهم انهيار الاقتصاد الاقطاعي وأشكال الرأسمالية البدائية ضربة قاصمة ، زادها ضراوة اختلال التوازن ما بين تطور الرأسمالية وانهيار الاقطاعية والرأسمالية البدائية ، بحيث كان من الصعب جدا على اليهود الاندماج ببنية النظام الاقتصادي الجديد ضمن علاقات الانتاج الجديدة التي تتطور ببطء شديد لا يتفق مع سرعة انهيار العلاقات القديمة .

ب ـ تعاظم موجة العداء للسامية في أوربا الغربية ، اذ أن التمركز الرأسمالي ، أي ظهور رأس المال الاحتكاري ، حطم الطبقات الوسطى فارتدت هذه ضد العناصر اليهودية في هذه الطبقات على أنها تنافسها على موارد رزقها وتزيد أوضاعها ترديا .

غير أن الصهيونية كايديولوجية ليست الا انعكاسا مشوها للواقع وتنظيرا مموها لحاجة مادية ٠ والصهيونية من حيث هي انعكاس مشوه للواقع تغني نفسها عن عناء البحث عن الدوافع والاسباب الكامنة وراء العداء للسامية ، وعن الاشكال المتنوعة لهذا العداء والوظيفة الاجتماعية التي كان يؤديها وعن طبيعة النظام الاقتصادي – الاجتماعي الذي أوجدها٠ وتذهب الى أن « الطبيعة البشرية » لا تتغير وأن نزعة البشرية ذاتها ، وهما بالتالي خالدان لا يمكن الوقوف في وجههما ولا القضاء عليهما٠وتنتقل الصهيونيةبعد افتراض خلود العداء للسامية لتحل المشكلة بالقفز من فوقها ، أي بالقول ان الخلاص هو في قبول اللاسامية واضطهاد الاقليات أمران من صلب الطبيعة اللاسامية كأمر واقعي طبيعي وعادي ، والهجرة الى فلسطين لتتحول الاقلية فيها الى أكثرية تحكم نفسها بنفسها فى دولة قومية ٠ كذالك فأن الصهيونية من حيث هى تنظير مموه لحاجة موضوعية مادية ليست الا تعبيرا عن رد فعل الشعب الطبقة تجاه الضغوط الاقتصادية اساسا ، تلك الضغوط التى تهدد باحداث تمايز داخلى ، أى تحويله الى طبقات وبالتالى انهاء دوره الاجيماعى كطبقة موحدة ومن ثم كشعب دو خصائص ناجمة بالتحديد عن هذا الدور الاجتماعي ، اى أن الصهيونية انعكاس لرفض البورجوازية الصغيرة والمتوسطة السقوط الى مصاف البروليتارية ، وحاجتها الى سوق قومية مشتقلة فى دولة قومية يهودية ٠)١(والصهيونية ككل ايديولوجية قومية تحاول أن تطمس معالم نشوئها الحديث نسبيا بأن تخلق لنفسها أصلا أسطوريا يعود الى الماضي السحيق (أسطورة تعلق اليهود عبر التاريخ بارضهم الام – فلسطين) عرض مطالبها ومطامحها القومية على انها تجديد لملكية قديمة (الحق التاريخى لليهود فى فلسطين) ٠

ومن الطبيعى ان يكون الحل الذى تقدمه الصهيونية للمسالة اليهودية – اقامة دولة يهودية فى فلسطين – «وهما طوباويا بورجوازيا صغيرا» ٠

فالمسألة اليهودية التى تتخذ شكل مسألة عالمية لوجود اليهود فى مختلف الاقطار لا يكون حلها على هذا المستوى ضمن النطاق الرأسمالي ، فالقضاء على اللاسامية لن يتم الا بالقضاء على مسبباتها ، أى بالقضاء على النظام الاقتصادي الذي أوجدها ٠ وبالفعل فان اقامة اسرائيل لم يحل المسألة اليهودية ، حيث أن اللاسامية لم تنته ، وان كانت قد دفعت الى الخلف بفضل ظهور أشكال أخرى من الاضطهاد العرقى والعنصرى فى الغرب (العنصرية تجاه السود ، العنصرية تجاه العمل الاجانب وخاصة من المغرب ، اضطهاد الضجر٠ واللاسامية أساسا لا علاقة لها بوجود أو عدم وجود دولة يهودية ، كما أن وجود دولة الصين الكبرى لا يحمى الصينيين فى البلدان الاخرى من الاضطهاد العنصرى بل ان ادعاء الصهيونية تمثل يهود العالم اجمع ، ونشرها شعار التضامن غير المشروط ليهود العالم مع اسرائيل يشجع فى الواقع العداء للسامية وفى النهاية فان وضع اليهود رهن بالوضع الاقتصادى ولاجتماعى والسياسى العام فى العالم ولو فرضنا جدلا ان اسرائيل تستطيع استعاب كل المهاجرين من المغرب اذا ما تضخمت موجة العداء للسامية فيه ، فان هؤلاء سيجدون أمامهم العداء العربى ٠

لكن الحل الوهمى الدى تقدمه الصهيونية للمسالة اليهودية هو الذى يحدد الطبيعة الخاصة للاستعمار الصهيونى لفلسطين (٢) وهو الذى يجعل هذا الاستعمار مختلفا عن الاستعمار النموذجي المعتاد ، فالاستعمار النموذجى يلجأ عن تعمد الى تحطيم الاقتصاد البدائى

للبلاد المستعمرة (بفتح الميم) ليمكن من استغلال السكان الاصليين فى التعدين والصناعة والزراعة الرأسمالية أما الاستعمار الصهيونى فهو من طبيعة خاصة فرضها هدفه المحدد (قامة دولة يهودية) الذى جعلـه يعمد الى استمـلاك واغتصـاب الارض واحتـلال هذه الارض وافراغها من سكانها الاصليين أو فى أحسن الاحـوال الى أقلية فى دولـة أحادية «العنصر» ٠ والاستعمـار الصهيونى يختلف حتى عـن أقرب أشكال الاستعمـار اليه ، وهو الاستعمار الابيض فى جنوب افريقيا ، فهذا الاخير يقوم على اقامة مجتمع مغلق للبيض منعزل عن مجتمع السود (فصل مناطق السكن والمدارس ووسائط النقل وكافة مرافق الحياة الخاصة بالبيض عن تلـك الخاصة بالسود) ولكن ذلك لا يحول دون استغـلال البيض للسكان الاصليين ودمجهم بعلاقات الانتاج طبعا كطبقة مستغلة مضطهدة ، أما الاستعمار الصهيونـي فيقيم مجتمعا يهوديا مغلقا ولكنه لا يستغل السكـان الاصليين بل يطردهم كلية (٣) ٠ من هنا كـان لابـد للاستعمار الصهيوني ، حتى قبل انشاء اسرائيل . من أن يستعدي الشعب الفلسطيني كله لانـه يشكـل نقضا مباشرا لوجوده الوطني وتعديا صارخا علـى حقوقه الوطنية وانكارا لها ٠ ومن جهة أخرى قامـت الاستراتيجية الاسرائيلية منذ البداية على فرض الامر الواقع ، فمن انشاء المستوطنات الزراعية المحصنـة التي تمثل أمرا واقعا عسكريا ـ اقتصاديا وبناء وفرض مجتمع يهودي معزول في فلسطين منذ بداية الاستيطان الى الاستقلال بهذا المجتمع بعد طرد السكان عام ١٩٤٨ الى فرض الاحتلال على مثلث النقب الجنوبي اثنـاء محادثات الهدنة عام ١٩٤٨ الى فرض الاحتلال علـى بئر قطار في مثلث العوجا عام ١٩٥٠ الى احتـلال المنطقة المجردة الوسطى على الحدود السورية عـام ١٩٥١ الى انتزاع حقوق الملاحة في خليج العقبة فـي أعقاب عام ١٩٥٦ الى احتلال الاراضي العربية عـام ١٩٦٧ ٠ وسياسة فرض الامر الواقع هذه ذات طبيعة توسعية واضحة ليس مردها فحسب محاولـة حـل مسألة الامن الاسرائيلي عن طريق التوسع العسكـري باحتلال أراض جديدة لحماية أراض قديمة ، بل هـي تعود أساسا الى القاعدة التي نشأ عليهـا المجتمـع الاسرائيلي من حيث كون غايته لم شتات الجاليـات اليهودية الموزعة في أنحاء العالم وبالتالي لابد مـن التوسيع لاجتذاب وتوطين اليهود الشتات وهذا التوسع لا يعني فقط توسيع الارض بل تامين حمايتها ممـا يدفع الى مزيد من التوسع وهكذا ٠ هذه الطبيعة التوسعية لاسرائيل أدت الى تناقض حاد ما بينها وبين الشعوب العربية ككل التي ترفض مجتمعا غريبا عنها انزرع على أرضها ليصبح تهديدا ماثلا لها أبدا وقوة تقف في وجه آمالها في التحرر الوطني والـوحـدة والتقدم الاجتماعي ٠

كذلك فرض الحل الذي وضعتـه الصهيونيـة للمسألة اليهودية العلاقة المحددة ما بين الصهيونيـة والامبريالية ٠ ففي الوقت الذي بدأت فيه قوى الانتاج تضيق بالحدود القومية عمدت الصهيونية الى خلـق دولة قومية مصطنعة ومعزولة ، فكان لابد للصهيونية في سبيل ذلك من أن تتحالف مع الامبريالية فالدولـة القومية المصطنعة لا يمكن أن تقوم الا كوجوداستعماري مرتبط بالامبريالية التي تسيطر على المنطقة ٠ ومـا تاريخ الصهيونية في أحد جوانبه الا تاريخ التحالـف

مع هذا الطرف الامبريالي أو ذاك (الاتصال بقيصر ألمانيا والسلطان العثماني في بداية الحركة ، التحالف مع بريطانيا بعد عام ١٩١٧ ومع الولايات المتحدة بعد عام ١٩٤٥). وليس هذا التحالف مع الامبريالية أمرا فرضيه العداء العربي كما يحاول بعض الصهيونيين « اليساريين » أن تقول ، بل هو اختيار فرضته طبيعة الهدف الذي وضعته الصهيونية نصب عينيها . ويبدو ذلك واضحا من خلال مراجعة سريعة لليوميات الاولى لثيودور هرتزل مؤسس الصهيونية السياسية .

واليوم ترتبط اسرائيل بالامبريالية ، وعلى الاخص بالطرف المهيمن داخل المعسكر الامبريالي أي الولايات المتحدة ، بأكثر من رابط . فاسرائيل بمجرد وجودها وتشكيلها نقيضا عدائيا للشعوب العربية ككل تقدم خدمة جلي للامبريالية ، اذ تفرض على الشعوب العربية خوض معركة ذات طابع قومي صارخ مما يساهم في ابقاء المصالح الامبريالية في الظل بعيدة عن متناول النضال العربي المشغول بالمعركة القومية ، كما أن ذلك يتيح للانظمة الرجعية حليفة الامبريالية أن تعزز وجودها وتستمر في البقاء مدة ما كانت لتستطيعها ، وذلك بأن تتظاهر هذه الانظمة بالمساهمة في المعركة القومية . واسرائيل من ناحية أخرى تلعب دور الدركي المحافظ مباشرة على المصالح الامبريالية في المنطقة والواقف على أهبة الاستعداد للانقضاض على حركة التحرر العربي الوطنية عندما تقترب هذه الحركة من التهديد الجدي للمصالح الامبريالية ، وهي في ذلك تذهب الى حد الانقضاض على أنظمة بورجوازية الدولة ، كالنظام الناصري ، تلك الانظمة المعادية للامبريالية والتي لا تستطيع بسبب من طبيعتها الطبقية ممارسة دور فعال ضدها . كما تلعب اسرائيل دور الحماية المباشرة لبعض الانظمة الرجعية العربية كالنظام الاردني والنظام اللبناني اللذين أعلنت اسرائيل أكثر من مرة عن استعدادها للتحرك العسكري اذا ما قلب أي منهما . ولا يقتصر الدور الاسرائيلي في خدمة الامبريالية على المنطقة العربية بل هو يتعداها الى افريقيا حيث تمتد شبكة البعثات الفنية الاسرائيلية لتغطي ثمانين بلدا مشكلة منفذا جيدا لتغلغل رأس المال الامبريالي الى تلك البلاد (٣) . بالمقابل فان الامبريالية تضمن بقاء اسرائيل عن طريق حقنها باستمرار بالمساعدات المالية والعسكرية من جهة ، ومن جهة أخرى بالمحافظة على البنى التقليدية المتخلفة والضعيفة في المنطقة العربية والتحالف معها .

ان هذه العلاقة المحددة ما بين اسرائيل والامبريالية تجعل المسألة الفلسطينية مسألة تدخل في صلب النضال المعادى للامبريالية في المنطقة ، ويجعل اسرائيل أشد تناقضا مع القوى الطبقية التي تخوض هذا النضال .

من ذلك كله نستنتج أن اسرائيل بحد ذاتها قوة استعمارية من طبيعة خاصة ولكنها في الوقت ذاته جزء من المعسكر الامبريالي يرتبط في الوقت الراهن مع الولايات المتحدة الامريكية وهي القوة التي تسيطر على المعسكر الامبريالي . غير أن الطبيعة الخاصة للاستعمار الاسرائلي تعطي اسرائيل استقلالا نسبيا يتمثل في سياسات خاصة تمليها المصلحة الخاصة لاسرائيل والتي أحيانا لا تكون متطابقة مع المصلحة العامة للمعسكر الامبريالي ولكن هذا الاستقلال نسبي، لان تميز اسرائيل لا يخرق وحدة المعسكر الامبريالي

وفي الوقت ذاته لا تغطي الوحدة على هذا التمييز ٠

الارتباط العضوي ما بين النضال الفلسطيني والثورة العربية

اذا كانت الاستراتيجية ، كما هي بالفعل أولويات وتحديد أدوار وتحديد العلاقات المتبادلة ما بين الادوار فان نظرة الفكر القومي البورجوازي الصغير الى مسألة علاقة النضال الفلسطيني بالثورة العربية وكذلك نظرة الفكر الفلسطيني البورجوازي الصغير الى المسألة ذاتها تؤديا لتهافتها النظرى الى غياب الاستراتيجية الواضحة ٠

يعمد الفكر القومي البورجوازي الصغير الى معارضة أي محاولة لتحديد دور النضال الفلسطيني ضمن الثورة العربية بكلام عام وغامض وغائم من « الشمولية القومية » للثورة العربية ٠ وليست هذه المعارضة سوى محاولة للهروب من التحديد الذي سيكشف لا محاولة عجز البرنامج القومي البورجوازي الصغير ، ذلك البرنامج الذي « أجل » النضال المعادى للصهيونية طويلا « حتى تتحرر الامة العربية من الاستعمار » متغافلا عن الدور النشيط الذي تلعبه اسرائيل في دعم الوجود الامبريالي في المنطقة العربية فكانت النتيجة أن وصلت حركة التحرر العربي المعادية للامبريالية بقيادة البورجوازية الصغيرة حدودا لم تستطع ـ لطبيعتها الطبقية ـ أن تتخطاها تاركة الخطر الصهيوني يستشري ويتكرس ٠ كذلك تخفي هذه المعارضة في طياتها محاولة لاخضاع النضال الفلسطيني للبرنامج الراهن للقومية البورجوازية الصغيرة المتمثل بحصر الخطر الاسرائيلي لا ازالته ، من ناحية ، وكبح جماح التحول الثوري الذي تشهده المنطقة والذي يهدد مواقع البورجوازية الصغيرة من ناحية أخرى ٠ وبالاضافة الى ذلك تحاول هذه المعارضة باسم «الشمولية القومية» أن تتستر على عجز الحركة القومية البورجوازية عن الخروج على قوانين لعبة العلاقات العربية كما تفرضها الانظمة الرجعية ، واضطرار هذه الحركة نتيجة لهذا العجز الى التزام موقف الصمت اتجاه محاولات الانظمة الرجعية تطويق المقاومة الفلسطينية واجهاضها أو التزام موقف الوسيط ما بين الانظمة الرجعية والمقاومة ٠

أما الفكر الفلسطيني البورجوازي الصغير فيذهب في رده الى عجز البرنامج السومي البورجوازي الصغير الى حد الفصل التعسفي ما بين النضال الفلسطيني والثورة العربية مصورا النضال ضد الصهيونية على أنه من اختصاص «الثورة الفلسطينية» وان مهمة الجماهير العربية العريضة تقتصر على دعم واسناد « الثورة الفلسطينية » وتشكيل ما يسمى « الجبهة العربية المساندة » ان ذلك يتغاضى عن أن الفلسطينيين في التحليل الاخير غير قادرين بمفردهم على تحطيم الكيان الصهيوني اذا ما اقتصرت الجماهير العربية على الدعم الاستاتيكي الجامد ، كما أنه يتغاضى عن أن النضال ضد الصهيونية أصبح مهمة مطروحة على جدول أعمال حركة التحرر الوطني العربية ككل بعد حرب حزيران ١٩٦٧ وانجرار المنطقة كلها الى الصراع ٠ وهو في النهاية يتغاضى عن الوشائج العضوية التي تربط الصهيونية بالامبريالية وذلك كله يؤدي الى غياب المنظور الاستراتيجي الواضح والى سياسة انتهازية تتعامل مع الرجعية العربية

الحليفة للامبريالية على حساب النضال المعادي للامبريالية وبالتالي على حساب النضال ضد الصهيونية ذاته ·

ان الثورة العربية تركيب لنضالين مترابطين ومتزامنين هما ، النضال ضد الصهيونية والنضال ضد الامبريالية · والنضالان مترابطان لترابط الصهيونية والامبريالية · وهما لابد أن يكونا متزامنين ومتداخلين لان النصر النهائي على الصهيونية رهن بنشوء أنظمة عربية ثورية قادرة على تعبئة الطاقات والموارد العربية في حرب تحرير شعبية تواجه تفوق العدو الصهيوني حضاريا وتكنولوجيا ، وهذا يعني أن النصر النهائي على الصهيونية رهن بنزع السيطرة الامبريالية عن المنطقة العربية أو عن معظمها على الاقل · ومن جهة أخرى ما دامت اسرائيل تلعب دور دركي للامبريالية فلابد اذن من تصعيد النضال ضد الصهيونية لمنع اسرائيل من الانقضاض على حركة التحرر الوطني العربية عندما تقترب هذه الحركة من التهديد الجدي للمصالح الامبريالية ·

ولكن النضال ضد الامبريالية هو أساسا نضال طبقي ، فالامبريالية تحكم سيطرتها وهيمنتها على المنطقة العربية من خلال تحالفها مع الاقليات العربية الحاكمة في الانظمة الرجعية ، ومن خلال عجز أنظمة بورجوازية الدولة عن شن نضال حازم ومنهجي ومتماسك ضد الامبريالية ، ومن هنا لابد للنضال ضد الامبريالية من أن يضع الطبقات التي من مصلحتها هذا النضال مقابل الطبقات التي من مصلحتها التحالف مع الامبريالية ، ومن أن يصبح نضالا لتحطيم الانظمة المتحالفة مع الاستعمار واقامة أنظمة ديموقراطية شعبية تستطيع الطبقات الكادحة بها أن تحقق التحرر الكامل والتقدم الاجتماعي ·

ولا يمكن تأجيل أي من النضالين لحساب الآخر فتأجيل النضال المعادي للامبريالية واعتماد سياسة التحالف الطبقي لن يؤدى في أحسن الاحوال الى نشوء أنظمة عاجزة كالنظام الناصري ، وهو الى ذلك يؤدى الى مجابهة الصهيونية ضمن شروط في صالحها هي شروط الضعف العربي في ظل أنظمة رجعية أو أنظمة بورجوازية دولة ، وبالمقابل فان تأجيل النضال المعادي للصهيونية حتى تتوفر شروط القوى في أنظمة ثورية يعني أولا تعريض حركة التحرر الوطني العربية بخطر الانقضاض الاسرائيلي باستمرار ويؤدي ثانيا الى حرمان النضال الطبقي المعادي للامبريالية من عامل التفجير الذي يتولى تحريك التناقضات الاجتماعية في المنطقة (النضال ضد الصهيونية) ، وما دام الامر كذلك فلا يجوز تأجيل أي من النضالين ، بل يجب أن يشن النضال ضد الصهيونية بحيث يشعل ويعضد النضال المعادي للامبريالية ، أن يشن النضال الطبقي المعادي للامبريالية بحيث يعضد النضال ضد الصهيونية ويحمي ظهره ·

ان الشروط الموضوعية لتلاحم النضالين متوفرة، فردود فعل اسرائيل تجاه المقاومة الفلسطينية تتوجه ، ولا يمكن لها الا أن تتوجه ، ولا يمكن لها الا أن تتوجه ضد الدول العربية ، مما يفضح عجز الانظمة أمام أوسع الجماهير العربية ويدفع بقطاعات تزداد اتساعا من هذه الجماهير الى ساحة النضال الثوري ، وذلك يتيح بالضرورة تصعيد النضال المعادي للامبريالية ومن جهة أخرى فان الاصطدامات المتلاحقة بين

هذا النظام العربي أو ذاك والمقاومة الفلسطينية يبرهن للمقاومة ذاتها أنها لا تستطيع الا أن تتحالف مع القوى العربية الثورية المعادية للامبريالية · ولكن توفر الشروط الموضوعية لا يعني أن النضالين سيتلاحمان تلقاصيا فذلك رهن بتوفر الشرط الذاتي ، جبهة ثورية عربية تضم قوى النضال المعادي للصهيونية وقوى النضال المعادي للامبريالية ، وستكون المهمة الاساسية لهذه الجبهة رسم استراتيجية ثورية عربية شاملة تأخذ بعين الاعتبار ترابط النضالين ، وفي الوقت ذاته تمايزها الناجم عن كون النضال المعادي للصهيونية نضالا قوميا وطنيا وكون النضال المعادي للامبريالية نضلالا طبقيا ، مما يفرض على الاول منطقا خاصا هو منطق التحالف الوطني ويفرض على الثاني منطقا مختلفا هو منطق الصراع الطبقي ، وأيضا تأخذ بعين الاعتبار تداخل النضالين بحيث تحقق أقصى قدر من الفعالية والكفاءة ·

من ذلك كله نستنتج أن انتصار القضية الفلسطينية يعتمد على خلق أداة ثورية عربية موحدة ذات استراتيجية متناسقة موحدة تخوض نضالا متكاملا على صعيد المنطقة كلها · ولكن خلق هذه الاداة يفترض مسبقا وجود القوى الطبقية القادرة على خوض النضال الطبقي المعادي للامبريالية ولكن معضلة الثورة العربية ككل وبضمنها المقاومة الفلسطينية تكمن في أن هذه القوى بالكاد موجودة · ذلك أن السقوط التاريخي للقومية البورجوازية الصغيرة بمعنى عجزها عن القيام بالمهام التاريخية في هذه المرحلة (الثورة الوطنية الديموقراطية) لم يترافق مع بروز طبقة جديدة على المسرح السياسي العربي · ومن هنا فان المهمة المركزية للثوريين الجدد هي بناء القوى الشعبية من العمال والفلاحين والشرائح الدنيا من البورجوازية الصغيرة وخوض النضال بقيادة ايديولوجية الطبقة العاملة وبرامجها وشعاراتها · عندئذ ستتعزز أواصر التحالف العظيم وسيمكن بناء الاداة الثورية العربية الواحدة · وكما أن انتصار القضية الفلسطينية رهن بخلق الاداة الثورية العربية الموحدة فان أي حل ثوري للمسألة الفلسطينية لا يمكن تصوره الا في نطاق الثورة العربية الشاملة وعلى صعيد المنطقة كلها · وأي حل يقدم في النطاق الفلسطيني البحث لابد وأن يكون حلا اصلاحيا جزئيا يقوم على الرغبة في ايجاد حل للمسألة دون التغيير الجذري الثوري للمنطقة كلها · وعلى العكس من ذلك فان تقديم حل على صعيد المنطقة كلها يأخذ بعين الاعتبار أن شروط انتصار القضية الفلسطينية هي ذاتها شروط انهاء حالة التجزئة المصطنعة التي تعاني منها المنطقة وهي في كلا الحالتين ارتفاع القوى الشعبية بقيادة الطبقة العاملة وبرامجها الى سدة القيادة · فانتهاء التجربة رهن بهيمنة طبقة موحدة داخليا هي الطبقة العاملة ، اما البورجوازية الصغيرة فهي لا تستطيع ذلك ، اذ انها طبقة مفتتة وغير موحدة كما أن أطرافها في الحكم تعجز عن التوحيد نظرا لغيرتها الشديدة على الامتيازات التي يؤمنها لها وجودها في الحكم وتنافسيها الشديد فيما بينها على التمتع بهذه الامتيازات وان هي استطاعت تحقيق وحدة ، فانها تحقق وحدة شكلية مهلهلة لعجزها عن تامين قاعدة اقتصادية مشتركة لهذه الوحدة ·

الحلول العقيمة

في مواجهة مسألة صعبة ومعقدة كالمسألة الفلسطينية تطرح حلول عدة كل منها في التحليل الاخير تعبير عن الموقف الطبقي · فالرجعية العربية قدمت حلا لفظيا شوفنيا يقوم على « ذبح اليهود أو رميهم في البحر » أو في أحسن الاحوال تهجرهم جميعا وترمي الرجعية بطرحها اللفظي لهذا الحل الى تربية الجماهير العربية تربية شوفنية متعصبة هادفة من ورائه الى طمس تناقضها مع هذه الجماهير وبالتالي طمس الصراع الطبقي · ولطالما مارست الرجعية ابتزازا تهديديا تجاه القوى الثورية العربية متهمة اياها بأنها تفتت الوحدة الوطنية والقومية وبالتالي تخدم العدو الصهيوني · في الوقت الذي تشكل فيه الرجعية فضل ضمان للوجود الاسرائيلي لانها حليفة الامبريالية ولانها تحافظ على البنى التقليدية المتخلفة للمجتمع العربي في مواجهة التطور التكنولوجي والحضاري الاسرائيلي · وهذا التحالف الموضوعي مع الصهيونية هو ما تريد الرجعية أن تخفيه وراء أطنان الكلام الشوفيني المهووس · ومن ناحية أخرى

يتضمن هذا الحل اعتبار كل يهودي صهيونيا ، وهذا بالضبط ما سعت الصهيونية ولا تزال تسعى لاثباته ، وبذلك تكون الرجعية قد وثقت عرى تحالفها الموضوعي مع الصهيونية · الا أن هذا الحل يتضمن بالضرورة استهانة بقوى العدو الصهيوني ، ولذا لم يكن بامكان الرجعية أن تستمر في طرحه بعد هزيمة حزيران ١٩٦٧ ·فكان أن قفزت الرجعية بمنطق شوفيني مرة أخرى ، مبالغة الى أبعد الحدود بقوة العدو مصورة الوضع على النحو التالي : هنالك مؤامرة صهيونية يهودية عالمية للسيطرة على مقدرات العالم وما قيام اسرائيل وتوسيعها الا الحلقة الاولى من هذه المؤامرة التي ذهبت ضحيتها الرأسمالية الغربية في تأييدها لقيام اسرائيل ودعمها لها · والرجعية بهذا المنطق تزيد أولا أن تلقي عن نفسها تبعات الهزيمة اذا كان العدو بهذه القوة بحيث يستطيع تدبير مؤامرة عالمية تذهب الرأسمالية الغربية بقوتها وجبروتها ضحية لها ، فان هزيمة تصبح أمرا مفهوما ومبررا تماما أمام عدو كهذا ، وهي تريد ثانيا أن تبرىء الامبريالية من « جريمة » دعم اسرائيل ومساندتها وان تبرر بقاء تحالفها معها ، فالغرب ضحية المؤامرة الصهيونية العالمية · انه برىء ، ولكنه مخدوع ، ولكن ما هو الحل الذي ينتهي اليه هذا المنطق ؟·· وانه حل وديع كالحمامة ··«النضال ضد الامبريالية والصهيونية ليس هو الحل ، بل الحل في تعزيز التحالف العربي مع الغرب ، وافهام الغرب واقناعه انه ضحية المؤامرة فيتوقف عن دعم اسرائيل » ·

اما انظمة بورجوازية الدولة فتقدم حلا عن أزمتها التاريخية · فهي تنظر الى هزيمة عسكرية محضة لا سبيل للخلاص من « آثارها » الا بنصر عسكري تحرزه القوات النظامية ، وهي أيضا لا تستطيع خوض نضال منهجي متماسك ضد الامبريالية لان ذلك يعني التضحية بالامتيازات الحديثة العهد التي احرزتها القلة المتبرجزة المتربعة على رأس هذه الانظمة ، ولا تستطيع التحالف مع الامبريالية لان لهذه الاخيرة حلفاء أخلص وأوفى فهم بالتحديد الانظمة الرجعية ، وهي ثالثا ـ لا تستطيع الخروج على قواعد اللعبة السياسية كما تفرضها الانظمة الرجعية ـ وهي رابعا ـ لتناقضها مع الجماهير الشعبية ـ تلغي دور هذه الجماهير سواء في التصدي للمسالة الفلسطينية أو في التصدي لمشكلة التخلف ،

وما دام احراز النصر على العدو الصهيوني يتطلب النضال الحازم ضد الامبريالية ونسف الهيمنة الرجعية على المسرح السياسي العربي واستنهاض الجماهير الشعبية واعطائها دورها كاملا فان هذه الانظمة لا تجد حلا أمامها سوى اللجوء الى قرار مجلس الامن كما تقرره هي ، أي عودة الاوضاع الى ما كانت عليه قبل حرب حزيران · ولكن هذا « الحل » ليس في الواقع حلا ، فاسرائيل سواء في حدود أضيق أو أوسع وحتى لو عاد اللاجئون ستظل تشكل خرقا لحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره وستظل مخفرا أماميا للامبريالية وخطرا على حركة التحرر الوطني العربية ·

وهنالك كذلك الحل الذي يتبناه اليسار الصهيوني والرجعية الفلسطينية في الضفة الغربية ويقوم على انشاء « دولة » فلسطينية في جزء من فلسطين تتعايش مع اسرائيل وتعترف بها · وهذا الحل يهدف الى تبييع القضية الفلسطينية والنضال الفلسطيني من ناحية ، ويهدف من ناحية أخرى الى خلق دولة دمية في يد اسرائيل تشكل منفذا اقتصاديا تستطيع اسرائيل من خلاله أن تخضع العالم العربي لسيطرتها الاقتصادية

وأيضا هنالك الحل الذي يقوم على انشاء دولة ثنائية القومية في كل فلسطين (كانت منظمة ماتزبن تنادي بهذا الحل ثم تخلت عنه فيما بعد)· وهذا الحل خاطيء لانه من ناحية يقيم حاجزا تعسفيا ما بين فلسطين والمنطقة العربية ، أي أنه يهدف الى « حل » المسألة ضمن حدود التجزئة الراهنة وضمن حدود الواقع القائم أي بتسوية مع الصهيونية ، ثم ان الدولة الثنائية لا تعطي ضمانا لعدم اضطهاد أي من الطرفين للطرف الآخر ، وما دام « الحل » سيقوم ضمن حدود الواقع القائم فان الطرف الاسرائيلي هو الطرف الذي سيمارس الاضطهاد ·

كذلك هنالك الحل الذي يدعو له يوري أفنيري والقائم على اتحاد فيديرالي بين اسرائيل ودولة فلسطينية · وهذا « الحل » من طبيعة اصلاحية بورجوازية صغيرة فهو لا يذهب الى القضاء على الصهيونية واسرائيل بل يريد فقط أن ينزع منهما بعض « مساوئهما » وهو الى ذلك يغفل جوهر القضية وهو ان اسرائيل كدولة وبأي شكل من الاشكال يشكل نقضا لحق شعب فلسطين في تقرير مصيره ·

الحل الديموقراطي

في مواجهة هذه الحلول العقيمة جميعا يقف الحل الديموقراطي للمسألة الفلسطينية ، وليس هذا الحل وليد رغبة ذاتية أو شطط فكري ، بل هو وليد دراسة وتحليل للوضع الموضوعي وللقوانين التي تحكم امكانيات تطور هذا الوضع ، واتجاهات هذه الامكانيات وهو أيضا وليد تصور استراتيجي مبني على هذه الدراسة والتحليل ·

يقوم هذا الحل على التمييز بين اليهود والصهيونية ويعتبر كما في الواقع أن التناقض ليس بين اليهود والعرب ، بل بين الصهيونية من جهة والامة العربية ويضمنها الشعب الفلسطيني من جهة اخرى · ولذا فان القضاء على الصهيونية لا القضاء على اليهود هو شرط هذا الحل ، ولكن ما دامت الصهيونية هي الاسمنت الذي يشد لحماية المجتمع الاسرائيلي فان الجالية الاسرائيلية تبقى جالية مضطهدة (بكسر الهاء) ولذا فلابد من تحطيم الصهيونية وتحطيم

الاستعمار الصهيوني في فلسطين · لكن هذا الاستعمار من طبيعة خاصة كما شرحنا سابقا فهو يتمثل في السيطرة اليهودية على فلسطين في دولة أحادية « الجنس » وعلى اعتبار فلسطين أرضا ليهود العالم بالغاء « قانون العودة » الذي يعتبر أي يهودي في العالم ذي حق أصيل في استيطان فلسطين · وفقط بعد القضاء على الكيان الصهيوني وخصائصه البنيوية يمكن للعرب واليهود أن يعيشوا في فلسطين في ظل مساواة تامة بعيدا عن أي ظل من ظلال القهر القومي أو الديني ·

ولا يكفي القضاء على الكيان الصهيوني بل يجب أيضا وضع الاسس الكفيلة بعدم انبعاث الصهيونية وهذا ما لا يتم الا اذا كانت فلسطين المستقبل ضمن دولة اشتراكية موحدة تنتظم المنطقة كلها · فلو افترضنا أن فلسطين ستشكل بعد القضاء على الصهيونية دولة مستقلة فستكون هذه الدولة ذات أغلبية يهودية ولا شيء يمنع حينئذ من أن تتحول هذه الدولة الى « اسرائيل جديدة » ذات حدود أكبر وأقلية عربية أكبر وتمارس اضطهاد الاقلية العربية وتبعث من جديد كل الخصائص البنيوية لاسرائيل الحالية · وعلى كل حال ما دام القضاء على الصهيونية رهن بنجاح الثورة العربية في القضاء على السيطرة الامبريالية وبالتالى القضاء على التجزئة المصطنعة فمن السخف تصور فلسطين مستقبلا مستقلا عن المنطقة ومعزولا عن العملية الثورية فيها · وبالاضافة الى ذلك فان كون الدولة الموحدة دولة اشتراكية كفيل بوضع الاسس الموضوعية لجعل فلسطين المستقبل ديموقراطية حقا خلوا من أي أثر من آثار الاضطهاد القومي ، فالاشتراكية وحدها القادرة على حل مسائل الاضطهاد القومي لانها تلغي الاساس المادي لكل اضطهاد ·

أما القول بديموقراطية علمانية فيعود أساسا الى اعتبار التناقض بين العرب واسرائيل تناقضا دينيا وهو بهذا سقوط في مهاوي الايديولوجية الرجعية السائدة وقبول لاحدى افتراضاتها الاساسية الخاطئة ، وهو الى ذلك لا يحل المشكلة فالديموقراطية الليبرالية لا تشكل بحد ذاتها ضمانا لحل مسألة الاضطهاد القومي ، وهي في أحسن الاحوال قد تبدل اضطهادا باضطهاد ، أي تبدل اضطهاد الاسرائيليين للعرب باضطهاد العرب للاسرائيليين · ان الحل الديموقراطي لن يتحقق الا عبر النضال الثوري ، بالقضاء على الكيان الصهيوني الذي لن يتحقق تلقائيا ، بل هو رهن بعملية ثورية تحدث انقلابا في ميزان القوى لصالح انهاء التفوق الاسرائيلي ، وهذا أمر لن يتحقق الا بحرب شعبية طويلة الامد يقترن فيها النضال ضد الصهيونية بالنضال ضد الامبريالية · وهنا تبدو لنا سخف الاعتراضات الرجعية على الحل الديموقراطي ، فالرجعية تملا الدنيا صراخا قائلة ان الحل الديموقراطي يؤدي الى التسوية ، مصورة الوضع بطريقة تبعث على السخرية بالقول « ماذا لو وافقت اسرائيل على الحل الديموقراطي ؟ » ولكن الرجعية تبني موقفها على افتراض مستحيل فكيف يمكن لاسرائيل أن توافق على الحل الديموقراطي وهو يعني زوالها والقضاء عليها ، وما من نظام في التاريخ يتخلى عن وجوده ويختار الاندثار بملء ارادته ·

التحالف الفوق قومي ومسألة حق تقرير المصير

تكون المجتمع الاسرائيلي من خلال عملية استيطان استعماري في ظل الايديولوجية الصهيونية الرجعية الشوفينية ، وتلعب طبقات هذا المجتمع المختلفة في علاقاتها بعملية الاستيطان أدوارا مكملة لبعضها البعض ومن هنا نشأ تناقض عدائي ما بين الجالية الاسرائيلية ككل وما بين الشعب الفلسطيني كشعب ، ومن هنا أيضا سخف وجهة النظر «الماركسية المسطحة» الشكلية التي تقول بكل بساطة بضرورة تحالف البروليتاريا العربية مع البروليتاريا الاسرائيلية ، فهذه النظرة تغفل أن حركة التحرر الوطني العربية لا تواجه ، لمرحلة قادمة على الاقل ، الطبقة الاسرائيلية الحاكمة فحسب ، بل تواجه المجتمع الصهيوني برمته . وهي تغفل أيضا أن العمال الاسرائيليين والمستوطنين الزراعيين قد شكلوا تاريخيا العمود الفقري للاستيطان الصهيوني ، مما حدد دورهم بالعلاقة مع السكان العرب كنقيض عدائي لهم · فهل يعني هذا استحالة التحالف الفوق قومي على المدى البعيد ؟ للاجابة على هذا السؤال لابد من القاء نظرة على المجتمع الاسرائيلي ·

يعرف المجتمع الاسرائيلي تناقضات عميقة هي تناقضات المجتمع الرأسمالي · لقد نمت وسائل الانتاج الصهيوني في معظمها قبل عام ١٩٤٨ تحت شعار الملكية الجماعية · وكان هذا أمرا طبيعيا لان عملية الاستيطان الصهيوني كانت تنفذها وكالات صهيونية عامة كالوكالة اليهودية والصندوق القومي اليهودي والهستدروت ، ثم ان روح « الزيادة » الصهيونية أخذت في البداية طابعا اشتراكيا طوباويا ردا على البؤس اليهودي من جهة وردا على التهم اللاسامية بأن اليهود بطبعهم غير منتجين · ولكن على الرغم من هذه النشأة الجماعية لوسائل الانتاج الا أن رؤوس الاموال التي تدفقت بعد انشاء الدولة ما لبثت أن نخرت القطاعين الجماعي الذي أنشيء قبل عام ١٩٤٨ والقطاع العام الذي أنشيء بعد عام ٤٨ ، واليوم يسيطر القطاع الخاص على ٩٣٪ من مؤسسات الصناعة يعمل فيها ٧٦٪ من الايدى العاملة · ولا يعدو دور القطاع العام والقطاع الجماعي مساعدة القطاع الخاص في الحفاظ على توازنه وازدهاره · أما الككيبوتزات فلم يعد يقطن فيها اليوم الا ٣ر٣ ٪ من السكان وهي تقدم ٥ر٣ ٪ من الانتاج الصناعي وقرابة ثلث الانتاج الزراعي ، وقد بدأت هذه الكيبوتزات منذ أمد تستخدم العمل المأجور وتتصرف تجاهه كرأسمال نموذجي · وفي هذا المجتمع تشكل الطبقة العاملة ٢٠ ٪ من السكان ويشكل الفلاحون ٢٠ ٪ تقريبا ويملك ١٠ ٪ من السكان نصف الدخل الوطني (عام ١٩٥٦ ، وقد زادت حصتهم زيادة ملحوظة في السنوات التالية) ولا يتبع توزيع الدخل ولا المكانة الاجتماعية معيار الانتماء الطبقي فحسب ، فهذان الامران خاضعان أيضا للاصول القومية للمستوطنين. والتقسيم في النهاية تقسيم طائفي يتجلى في التمييز بين اليهود الغربيين (الاشكنازيم) واليهود الشرقيين (السفارتيم) ففي عام ١٩٦٤ كان متوسط دخل الشرقي لا يتجاوز ٤٩ ٪ من متوسط دخل الغربي وكانت نسبة الشرقيين بين موظفي الدولة تصل الى ١٠ ٪ رغم أن عددهم يفوق ٦٠ ٪ من مجموع السكان ·

في مواجهة ذلك لجأت الصهيونية عن عمد الى طمس التناقضات الطبقية داخل المجتمع الاسرائيلي لتحافظ على تجانسه كمجتمع مستعمر نبكسر (الميم)

فانشأت الهستدروت كنقابة عمالية وموظف ومؤسسة للضمان الاجتماعي في آن واحد ، الكيبوتزات ذات الطابع « الاشتراكي الداخلي » والدور الرأسمالي الخارجي في الوقت ذاته ، وربطت مختلف الاحزاب الاسرائيلية بيمينها ويسارها بالوكالة اليهودية

يضاف الى ذلك كله عامل الخطر العربي ، ولا شك أن الدعاية العربية الشوفينية (قذف اليهود في البحر) قدمت خدمات جلى للصهيونية في مجال تحقيق مستوى الطبقية مرتفع من الوحدة الداخلية وطمس التناقضات الطبقية

ولكن كون المجتمع الاسرائيلي مجتمعا رأسماليا يعني استحالة طمس التناقضات الطبقية الى الابد . فهذه التناقضات موجودة في أساس المجتمع حتى ولو لم تعبر عن نفسها بصراعات واضحة لمدة طويلة ٠

ولكن طبيعة المجتمع الصهيوني تجعل من التخلي عن الصهيونية أمرا لا يمكن أن يتجه له المجتمع الصهيوني بذاته ، بل هو لا يمكن الا أن ينزع انتزاعا من خارج دولة اسرائيل ، وليست هذه حالة فريدة من نوعها في التاريخ ، فماركس نفسه قد أشار الى أمر مشابه بالنسبة لايرلندة فهو يقول « لقد اعتقدت طويلا أن بالامكان ذلك النظام الايرلندي بفضل نهوض الطبقة العاملة الانكليزية وقد دافعت دائما عن هذا الرأي في جريدة « نيويورك تريبيون » ٠ غير أن دراسة المسألة بمزيد من التعمق أقنعتني بالعكس ٠ ان الطبقة العاملة الانكليزية لن تتمكن من القيام بأي شيء ما لم تتخلص من ايرلندة ٠٠٠ ان جذور الرجعية الانكليزية في انكلترا قائمة في استعباد ايرلندة » ٠ وبالمثل فان جذور الشوفينية الصهيونية وتماسك المجتمع الاسرائيلي على أساس هذه الشوفينية قائمة من استعباد الشعب العربي وفي الاستعمار الاستيطاني الصهيوني لفلسطين

ولذا فان امكانية القضاء على الصهيونية لن تتم الا من الخارج ٠ وامكانية بروز التناقضات الطبقية داخل اسرائيل تعتمد على الوصول بالمجتمع الاسراسيلي الى الازمة ، اي أنها تعتمد على تغيير ميزان القوى الراهن لصالح حركة التحرر الوطني الفلسطيني والعربي وعلى النضوج السياسي لهذه الحركة بحيث تستطيع مخاطبة سكان اسرائيل وافهامهم أن الصهيونية لم تحل المسألة اليهودية وأنها تلتقي مع اللاسامية في منتصف الطريق من حيث أن هدف كليهما اخراج اليهود من مختلف الدول وارسالهم لاسرائيل ، وان خلاصهم يكمن في التخلي عن الصهيونية ، وبحيث تستطيع ان تطرح حلا ديموقراطيا للمسألة الفلسطينية يقدم آفاقا ديموقراطية لمصير سكان اسرائيل ، وهنا يلعب الحل الديموقراطي كشعار استراتيجي دوره في العمل على صعيد تفتيت الجبهة الداخلية للعدو ٠

هل يعني هذا كله امكانية تحالف فوق قومي يضم الثوريين العرب والاسرائيليين ؟ ان طبيعة الصهيونية تجعل من المستحيل الجمع بين الولاء للصهيونية والموقف الثوري والموقف الثوري ، ولا يمكن اعتبار الاسرائيلي ثوريا ما لم يكن معاديا للصهيونية بحزم ونشاط ، وهذا يتطلب النضال ضد الكيان الاسرائيلي من داخله والاعتراف بحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره . وذلك وحده الكفيل بوضع الاسس الموضوعية لتحالف موضوعي بين الثوريين العرب والاسرائيليين ٠

تميل بعض الاوساط « اليسارية » الاوربية وخاصة التروتسكية منها الى القول بأن من واجب الثوريين العرب الاعتراف بحق تقرير المصير للشعب الاسرائيلي وتضيف هذه الاوساط أنه ما دام سكان اسرائيل يشكلون شعبا ، فلا مناص للثوريين من الاعتراف بحق

تقرير المصير · وهذا ينم عن عدم فهم للمسألة القومية بشكل عام والمسألة الفلسطينية بشكل خاص ، فهؤلاء يقفون باسم الاممية على بعد متساو من طرفي الصراع القومي ليشجبوا الطرفين ويطالبونهما كل بالاعتراف بـ « حقوق » الآخر ، متصورين أن ذلك يحل المشكلة ، متناسين أن هناك مضطهدين ومضطهدين وان من واجب الثوريين الحقيقيين أن يدعموا المضطهد (بفتح الهاء) ضد المضطهد ·

صحيح أن سكان اسرائيل يشكلون شعبا ، أو هم على الاصح شعب في طريق التكون ، وان يكن تشكلهم قد تم من خلال عملية استعمارية ، فالشعب الامريكي مثلا قد تشكل هو الآخر من خلال عملية استعمارية · ولقد استطاعت الصهيونية بمقدار لا بأس به من النجاح في دمج مجموعات المهاجرين عن طريق برامج الدمج الكثيفة وعن طريق التأطير الصارم للمجتمع ، والعوامل ذاتها التي تساهم في اعطاء المجتمع الاسرائيلي مظاهر التوازن والوحدة هي التي تسمح بامتصاص وانصهار مجموعات المهاجرين ·

ولكن هل يعني هذا ضرورة الاعتراف بحق تقرير المصير للشعب الاسرائيلي ؟ ماركسيا حق تقرير المصير يعني حق الانفصال والماركسية تعترف مبدئيا بحق تقرير المصير ، ولكن بشكل سلبي فقط · فهي لا تجعل من هذا الحق مقدسا طوباويا ، بل تجيب بنعم أو لا لكل مسألة من مسائل الانفصال طبقا لكل حالة على حدة مخضعة المسألة لمصلحة الصراع الطبقي والثورة الاشتراكية العالمية ، هادفة الى تحقيق السلم القومي ليتخلص الصراع الطبقي من القيود التي يفرضها عليه موضوعيا التناحر القومي ، يقول لينين

أن « البروليتاريا » تعترف بالمساواة في الحقوق وتقر لجميع الامم حقا متساويا في انشاء دولة قومية ولكنها تضع مصلحة التحالف بين البروليتاريين في جميع الامم فوق كل اعتبار آخر · وتنظر الى كل مطلب قومي والى كل انفصال قومي على ضوء نضال العمال الطبقي (لنين – مسائل السياسة القومية والاممية البروليتارية ص ٩٠) ويقول أيضا « ولذلك فان البروليتاريا تقتصر على مطلب الاعتراف بحق تقرير المصير بشكن سلبي اذا صح التعبير ، دون أن تضمن شيئا لاية أمة ، ودون أن تقطع على نفسها عهدا بمنح أي شيء على حساب أمة أخرى (ص ٨٩) · والماركسية لذلك ترى أن من واجب ثوريي الامم المضطهدة (كسر الهاء) الاعتراف بحق تقرير المصير للامة المضطهدة (بفتحها) بادراج مطلب الانفصال في برنامجهم اذا رأوا أن ذلك في مصلحة الاشتراكية · يقول لينين « ولم يخطر ببال أحد من الماركسيين الروس أن ينحي باللائمة على على الاشتراكيين الديموقراطيين البولونيين لمعارضتهم في انفصال بولونيا ، ولا يخطيء هؤلاء الاشتراكيون الديموقراطيون الا حين يحاولوا نكران ضرورة اعتراف برنامج الماركسيين في روسيا بحق تقرير المصير (روسيا هي المضطهدة – بكسر الهاء – وبولونيا هي المضطهدة، ص ١٢٠)· كما أن الماركسية ترى بوضوح أن المسائل القومية لا يمكن أن تحل الا على حساب امتيازات المضطهد (بكسر الهاء) · يقول لينين « الاعتراف للجميع بحق الانفصال ، وتقدير كل قضية ملموسة تمت الى الانفصال ، من وجهة نظر تستبعد كل اخلال بالمساواة وكل امتياز وايثار » (ص ٩٢)·

ان اسرائيل مضطهدة بذات المعنى الذي كان لينين يصف به الامة الروسية بانها أمة مضطهدة ·

فوجود اسرائيل كدولة يشكل الحاقا بالمعنى الذي يؤكده لينين ٠ فهو يقول « مفهوم الالحاق يفترض عادة ١) مفهوم العنف (الضم بالعنف) ،مفهوم الاضطهاد القومي الاجنبي (ضم منطقة أجنبية ٠٠ الخ) وأحيانا ٢) مفهوم خرق الوضع الراهن (ثم يؤكد أن الالتحاق كما يفهمه الماركسيون هو « خرق لحق حرية أمة من الامم في تقرير مصيرها ، وتعيين حدود دولة من الدول خلافا لارادة السكان » (ص ٢٠٢ ـ ٣)٠ ـ ومن هنا يصبح من واجب الثوريين الاسرائيليين الاعتراف بحق تقرير المصير للشعب الفلسطيني ، يصبح واجبا عليهم النضال ضد الالتحاق ، فهذا هو السبيل الوحيد لتخطي الطابع القومي للمواجهة العربية ـ الاسرائيلية ٠ يقول لينين « لكي نتمكن من القيام بالثورة الاشتراكية ومن اسقاط البورجوازية ينبغي على العمال أن يتحدوا اتحادا وثيق العرى ، والنضال من أجل حرية تقرير المصير ، أي ضد الالتحاق ، يسير هذا الاتحاد » ٠ أما مطالبة الثوريين العرب بالاعتراف بحق تقرير المصير للشعبالاسرائيلي فذلك فهم معكوس للمسألة ، ذلك اننا اذا نظرنا الى المسألة على ضوء مصلحة الثورة الاشتراكية العالمية ، كما يجب أن نعمل ، فاننا نجد أن هذه المصلحة تقتضي القضاء على الصهيونية ككيان ووجود ، أي كدولة أحادية العنصر في فلسطين ، ولكن هذا لا يكفي بل يجب أيضا أن توضع الاسس الكفيلة بعدم انبعاث الصهيونية بعد القضاء عليها ، وهنا تكمن المشكلة ، فحق الشعب الاسرائيلي في تقرير مصيره يعني تشكيل دولة منفصلة في فلسطين مما يفسح المجال واسعا أمام انبعاث الصهيونية ٠ ثم ما معنى أن تحل المسائل القومية على حساب امتيازات المضطهد (بكسر الهاء) اذا لم يتناول ذلك في الحالة التي نبحث ، الامتيازات الاساسي للصهيونية ،الا وهو تشكيلها لدولة اسرائيلية منفصلة ٠ وليس هذا الموقف تخليا عن المبادىء اللينينية في السياسة القومية كما يحلو للبعض أن يقول ٠ فلينين يقول « ان مختلف المطالب الديموقراطية بما فيها حق الامم في تقرير مصيرها ، ليست شيئا مطلقا ، بل هي جزء من مجموع الحركة الديموقراطية (اليوم ، الحركة الاشتراكية) العالمية ٠ ومن الممكن فى بعض الحالات المعينة الملموسة ، أن يناقض الجزء الكل ، وفي هذه الحال يجب نبذ الجزء٠ ان أي حل للمسألة الفلسطينية يجب أن يضع في الاعتبار أن تشكيل اليهود لدولة مستقلة في فلسطين (حق تقرير المصير يعني حق الانفصال) خرق لحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره ٠

الحل الديموقراطي للمسألة الفلسطينية هو الحل ، وما عداه تكريس للامر الواقع ، وهذا الحل يضع التقدميين الاسرائيليين أمام مسؤوليتهم في دعم النضال الفلسطيني بالنضال ضد اسرائيل من داخلها٠ ومرة أخرى نؤكد أن وضع هذا الحل موضع التنفيذ يتطلب عملية ثورية ، نضالا هو حرب التحرير الشعبية ، بقيادة تحالف عظيم ما بين قوى النضال الفلسطيني الثوري وقوى الثورة العربية ٠

عن نشرة الثوري الصادرة عن ج ش د

● خطوة متواضعة على طريق ، جهود نظري كبير مطروح كمسؤولية ملحة على كل مثقف متشبع بروح تقدمية وثابة نحو ثقافة جديدة .

● خطوة على طريق فك الحصار الثقافي الامبريالي - الرجعي وصد الهجوم الكثيف الذي تمارسه قوى الاستغلال والتضليل بدون هوادة .

● مبادرة تدعو لفتح النقاش الجدي والمجدي بين المثقفين العرب حول القضايا العربية الجسيمة في هذه المرحلة الحاسمة من تاريخ الوطن العربي .

● مجهود مخلص يرمي الى اخصاب الفكر التقدمي المغربي ، وطرح القضايا الاساسية لبلادنا على بساط الدرس والتحليل ، وازاحة هيمنة الفكر البرجوازي على الساحة الوطنية .

ذلك ما تصبو اليه مجلة «انفاس» بطموح كبير وتواضع اكبر .

- فمن أجل دعم الثورة الفلسطينية والتعريف بقضاياها الحيوية بمنظار تقدمي علمي .

- ومن أجل توضيح الرؤية حول قضية تحرير الامة العربية وحول حركة التحرير العالمية عامة بكل مسؤولية وصراحة .

ومن أجل ملء الفراغ الكبير في حقل الثقافة التقدمية ببلادنا .

ومن أجل ثقافة جديدة وفكر ملتزم .

ننادي كل المثقفين الواعين الغيورين لمساندة « انفاس » والمساهمة في مجهودها بابحاثهم وانتقاداتهم .

وننادي كل الشباب الواعي المتطلع لفكر جديد ليتتبع باطراد مجلة « انفاس » ويدعمها بآرائه وانتقاداته .



مجلـة فكريـة عربيـة مغربـية

- مسألة الفلاحة في ناحية الغرب
- حول «ازمة الشرق الاوسط والقضية الفلسطينية»
- ازمة التفكير السلفي (٢)
- الدكتـاتوريـة والديمقراطيـة
- التغلغل الاسرائيلـي فـي افريقيـا

العدد 3 - 4
يوليوز غشت 1971
1,50 درهم



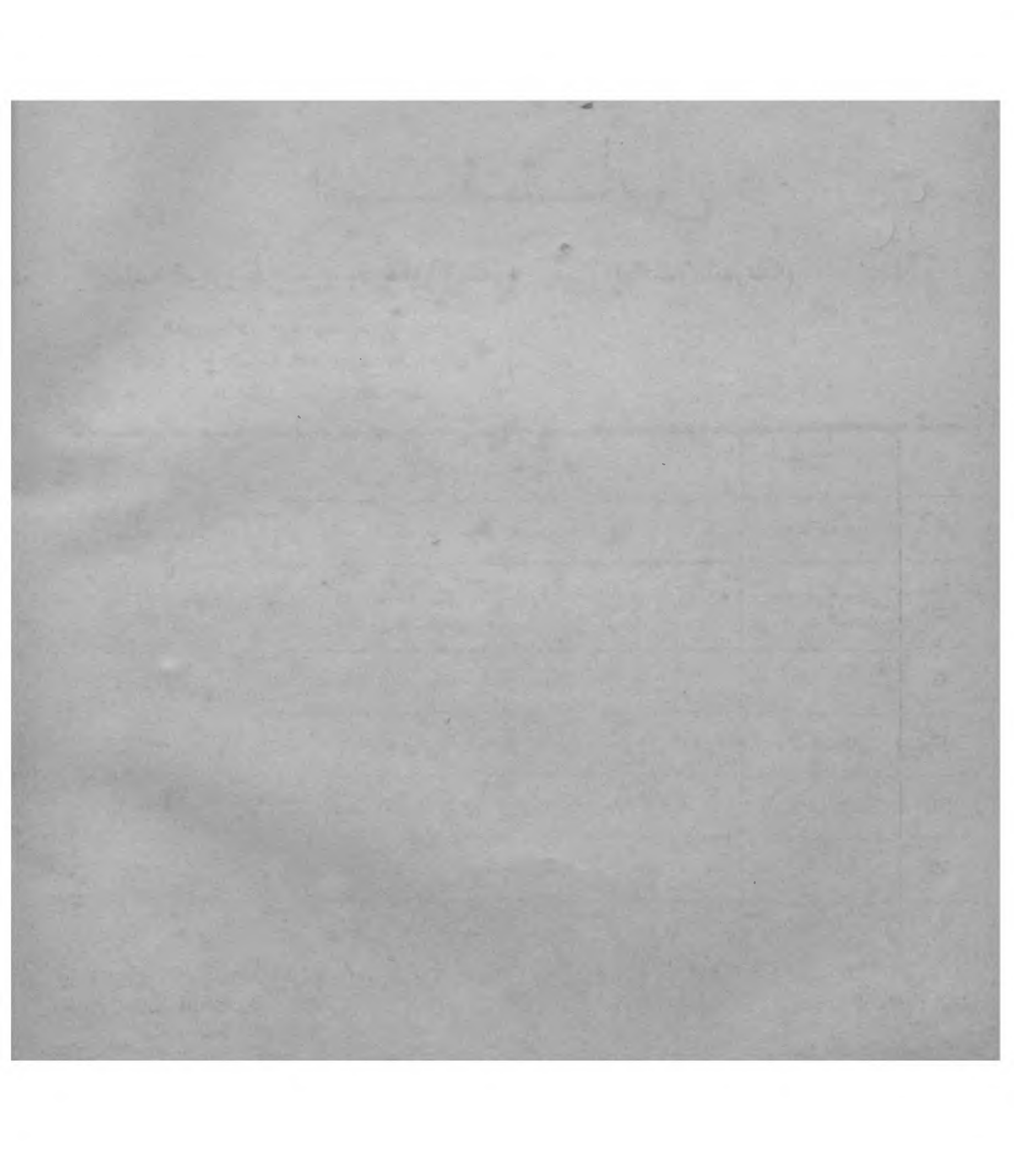
انفـــاس

مجلة فكرية عربية مغربية (تصدر شهريا)

العنوان : ٤ شارع باستور . الرباط . المغرب
ح . ب ٧٩ ٩٨٩ الهاتف ٩٢ـ٢٣٥
المسؤول : عبد اللطيف اللعبي

السنة الثانية ، العدد الثالث والرابع (مزدوج)
يوليوز ـ غشت ١٩٧١

مطبعة التومي : الرباط



الافتتاحيــة

واقـع محــاكمــة مــراكش

يمثل حاليا ، كما هو معـروف ، امام محكمــة مراكش عدد من المتهمين « بالمس بامن الدولة الداخلي» ومن بين هؤلاء المتهمين عمال وفلاحون وطلبة ومثقفون، يعتبر بعضهم من ابرز قادة واعضاء المقاومة المسلحة في عهد الاستعمار (١٩٥٣ ـ ١٩٥٦ ، جيش التحرير) كما كانوا في مقدمة النضال الديمقراطي في عهـد الاستقلال (ضمن الاتحاد الوطنـي للقـوات الشعبيـة ويسار الحركة الديمقراطية)٠

ولقد القي القبض على أغلب المتهمين قبل أزيد من سنة ، وخلال هذه المدة الطويلة ، فقد الاتصال تمامـا بينهم وبين عائلاتهم (١) . ولعل السبب الرئيسي فـي ذلك ، كما تبين من تدخلات المتهمين الذيــن توالو الى حد الآن في قفص الاتهام ٠ انهم كانــوا يتناولون من التعذيب اضرابه الابشع على ايادي جلادي الشرطة ٠

ويجدر التذكير كذلك بان القاء القبض على بعض الماثلين حاليا امام محكمة مـراكش ، قد تم بواسطــة سلطات أجنبيــة ، الا وهي السلطــات الاسبانيــة الاستعمارية ٠

تلك ملاحظات فقط ، ولكنها ـ وبدون مناقشــة التهمة ، لانها تهم أولا المتهمين والمحكمة ـ تكفي لان نستخلص منها ميزات عملية الاعتقالات ـ المحاكمة وهي بكل وضوح :

ـ اولا : انها عملية ان كانت تشمل العشرات من المناضلين المخلصين الذين طالما برهنوا عن صلابتهم ، فانها بذات الوقت عملية تدخل في اطار القمع المسلـط علـى مجموع الجماهيـر الشعبيــة فـي محـاولات يـائسة لاخفـات كل صـوت مناهـض للامبـرياليـة وللاستغلال وللاضطهاد الرجعيين .

ثانيا انها عملية للاستعمار فيها يد ، واذا اقدمـت السلطات الاسبانية على تسليم سعيد بونعيــلات واصحابه للبوليس المغربي رغم انعدام اتفاقية بين البلدين في شان «تسليم المتهمين» فان ما يفســر «خدمة» كهذه هو استعداد السلطات المغربية لتادية خدمات مقابلة لاسبانيا فـي شـان مليليـة وسبتــة والصحراء على الخصوص .

ثالثا : انها عملية لانحتاج لان نتحدث عن مــا اتسمت به من لا انسانية (فالعكس لم يكن ينتظـره احد !) فيكفينا أن نسجل خروج الاساليب المستعملة في مختلف اطوارها عن القانون ، اي القانون الذي وضعه الحكم (أو ورثه على الاصح) : الاختطــاف ، الاعتقال اللاشرعي ، التعذيب .

---

(١) والى درجة أن أحدهم صرح بان عائلته تلقت زيارات عزاء (الفرقاني محمد الحبيب) ٠ جريدة العلم

وان دل خروجه هـذا عن قانونه عـلى شـيء ، فانما يدل على زيف الاوجه الديمقراطية التي حـاول سبغها على نفسه .

وبالفعل ، اذا كان مفيدا استخلاص ميزات عمليـة الاعتقالات ـ المحاكمة ، فما هو الافيد ؟ : ان نحـاول الاحاطة بمعناها السياسي التاريخي ، ان نربط بينها وبين الواقع الطبقي التي هي نتيجة له ، ونقطة انتقال الى مرحلة اعلى منه (بالضرورة) في آن واحد . والمؤكد في هذا المضمار ان عملية الاعتقالات ـ المحاكمـة لا يفهم معناها السياسي التاريخي الا على ضوء ازمـة الطبقة الحاكمـة .

وانها لأزمة شاملة وحادة !

أ ـ)في المجال الاقتصادي ، تتجلى في استمداد التبعية وتفاقم شروطها (مما يؤدي الى عجز عدد مـن القطاعـات ماليـا ، الـى ركود الصناعة ، الى تقلص انتاج بعض المناجم الى عدم استجابة الفلاحة لنفسها (باعتبارهـا الاختيـار الاساسـي للتصميـم الحالـي لاحتياجيات البـلاد ..(وتتجلى (الازمـة الاقتصاديـة) كذلك في عدول الحكومة عمليا عن مشاريـع هـامـة كتوزيع الاراضي المسترجعة على فقراء الفلاحيـن ، أو كتحديث وسائل الانتاج ، مما لايدل فقط على عجـز الدولة عن توفير الشروط المالية التقنية لانجاز هـذه المشاريع ، ولكنه يدل ايضا واكثر على عجزها ـ الشبه مطلق عن تحقيق اية مشاريع طويلة او حتى متوسطة الامد : ويكرس هذا العجز عنصران متحدان جدليا :

ـ فوضوية وشراسة الطبقة الحاكمة وفئتها القائدة الملاكون الكبار العصريون) خصوصاتك الفوضويـة والشراسة في البحث عن الربح السريع وفي تصديـر الرساميل بشتى الطرق .

ـ موقف الحذر الذي يقفه اصحـاب الرساميـل الاجنبية من الاستثمار المنتج في بلادنـا ، والـذي يبرر بعد اطمئنانهم الكامل على وضعية البلاد السياسية

ب ـ) ومن الطبيعي ان تصحب الازمة الاقتصادية (البنيوية) ظواهر متفشية : كالتفقير المطرد للجماهير الكادحة واتساع البطالة بشكل مهول وغلاء المعيشـة وكثرة وثقل الضرائب ... مثل هذه الظواهر اصبحـت لا تحتاج لتبيان ، أما تدمر الشعب بصددها ، فقـد أصبحت المصالح الحكومية ادرى به من أي احد !

ج ـ (وهناك مرادف اخر للازمة الاقتصادية التي تتخبط فيها البلاد الا وهو انحلال جهاز الدولة ذاتـه وان لم يصل بعد اوجه . ويتجلى مثـلا فـي تعاطـي الرشوة وفي التعديلات المتوالية وعموما في افتقـار الدولة (جهاز الطبقة الحاكمة) السياسية مرسومـة الاديولوجية واضحة ثابتة . فكل سياسة وايديولوجية الدولة (ومن ورائها الطبقة الحاكمة) تتلخصان فـي النهب والربح السريـع .

د ـ)واخيرا، فلقد تطورت في الشهور الاخيـرة وما زالت حركة جماهيريـة شملـت جميع الفيئـات الشعبية ... هذه الحركة الجماهيرية لا تتوفر الى حد الان على المقاومات الايديولوجية والسياسية والتنظيمية الكفيلة بجعلها قوة لا تقهر ... ولكنها ، وعلى ضعفهـا الحالي ، بينت ما يلي ، وليس بقليل :

١ رفض الجماهير الشعبية للاستغـلال والقمـع والتضليل وعزمها عن النضال بكل ما اوتيت من طاقات.

٢) ان النظام في موقف دفاعي !! ان النظام استهلك احتياطاته اقتصاديا وسياسيا ، وذلك ما يؤكده مـا

سجلناه سابقا عن تخيله عن مشاريع طويلة الامد نسبيا ، كتوزيع الاراضي ، الخ ... ويؤكده من جهة اخرى احتقاره العملي «لمجلس النواب» .. وان العبرة الجوهرية التي تؤخذ من كون النظام قابل جميع الحركات الجماهيرية في الشهور الاخيرة بالقمع دون غيره - دون الوعود نفسها - هي انه لم يعد قادرا ولا راغبا في اخفاء وجهه الحقيقي .

بقي له ان يدافع عن وجوده بالعنف والارهاب ، مسلما في ان واحد بمصيره المحتوم - فيعبىء جميع جهوده لتكثيف عمليات النهب وللاسراع اكثر في تجميع الارباح ..

(٢) والنظام لا ينكر ذلك . فعدم تكذيبه لما يحكى عن التعذيب في كومساريات وسجون البلاد يدخل في اطار «الارهاب الوقائي» بالضبط ، ويراد منه اقناع الناس سلبيا بالتخلي عن النضال .

وان هذه العقلية الدفاعية الجنونية هي التي نجدها في اصل عملية الاعتقالات - المحاكمة !

ان معنى هذه العملية السياسي - التاريخي ان النظام بواسطتها يهدف الى وقاية وجوده ومستقبله، وهي عملية، بالتالي، ارهابية في جوهرها واساليبها(٢) ولكن ، متى افاد الارهاب الرجعي اصحابه ؟؟

ان المطروح الان على جميع الديمقراطيين الحقيقيين وعلى كافة المخلصين لمصالح الجماهير الشعبية الكادحة ، مرورا من استنكارهم للارهاب الرجعي الذي تشكل محاكمة مراكش فصلا بارزا منه فضح جذوره باصوات عالية ، محاكمة الاوضاع العفنة القائمة - الوحدة اكثر من اي وقت مضى من اجل بناء مغرب جديد ، على انقاض قوى الشر التي ابقته الى اليوم مسرحا للعبث والظلم، وانه لامتحان ينتظر كل من ادعى او يدعي الاخلاص للوطن ! ...

انفاس



قضايــا وطنيــة

مسألة الفلاحــة في ناحية الغــرب

محمد العربي

تطرق العدد الاول من هذه المجلة الى مسالة الفلاحة المغربية على العموم ، ويجدر بنا هنا ان نلقي نظرة عامة على هذا المشكل في احدى المناطق الفلاحية الهامة : ناحية الغرب .

لقد اثارت احداث ٢٨ نوفمبر ١٩٧٠ باولاد خليفة اهتماما خاصا بهذه المنطقة التي تلعب دورا رئيسيا في الاقتصاد الفلاحي لبلادنا سواء من حيث حجم التوظيفات والتجهيزات الهائلة التي خصصت للمنطقة، او التسهيلات التي تعطى في ميادين القرض والتسويق والتي تستفيد منها الملكيات الكبيرة وترسخ وجودها، أو من حيث المشاكل التي تعاني منها الطبقات الدنيا من الفلاحين : من ملاكين صغار أو متوسطين او عمال زراعيين .

ففي منطقة الغرب تتبلور بكل وضوح مختلف السمات العامة والتناقضات التي تطبع الفلاحة والمجتمع القروي بالمغرب .

١) بعض المعطيات العامة :

● تتكون منطقة الغرب من المنطقة السفلى لوادي سبو وروافده ، وتقدر مساحتها بحوالي ٤٥٠٠٠٠ هكتارا منها حوالي ٣٠٠٠٠٠ هكتارا قابلة للزراعة .

● ويقدر عدد السكان القرويين بها بحوالي ٣٦٠٠٠٠ في سنة ١٩٧٢ اي ما يعادل ٦٠٠٠٠ عائلة (١)

وهناك حوالي ٢٥٠٠٠٠ من السكان يعيشون في مدن القنيطرة وسيدي سليمان وسيدي قاسم ومشرع بلقصيري وسوق الاربعاء الغرب ، أي ٤٠ ٪ من مجموع سكان المنطقة .

● نسبة كثافة السكان جد مرتفعة وتقدر بحوالي ١٠٠ في الكلمتر المربع .

● يقدر معدل المساحة الممكن توفيرها بخمس هكتارات لكل عائلة تتكون من ٦ أفراد .

واذا كان هذا المعطى لا يعبر عن أي شيء فانه يدلنا على أن حجم الملكية المتوسطة في الغرب يقدر ب ٥ هكتارات (ما بين ٣ و ٨ هكتارات عموما)

١) عائلة هنا تعبر عن المفهوم القروي لكلمة «خيمة» أو «كانون»

٢ تقسيم الملكية في سنة ١٩٧٠

أ ـ تقسيم الملكية حسب طبيعتها القانونية :

نوع الملكية	مجموع المساحات
أراضي جماعية	١٠٠،٠٠٠ هكتار
ملكية خاصة	١٥٣٠٠٠
المعمرون الاجانب	٢٠٠٠٠ تقريبا
أراضي بيد الدولة	٢٧٠٠٠

● اعتبرت الاراضي الجماعية ، التي كانت تمثل ثلث الاراضي القابلة للزراعة ، بمثابة أراضي غير قابلة للبيع الى سنة ١٩٦٩ ، وقد اعترف بملكيتها ، بعد تحديدها اداريا ، لمجموعات عشائرية معينة ٠ ووضعت هذه الملكيات تحت رعاية وزارة الداخلية . وقد حددت طرق الاستغلال من طرف الجماعات بطريقة عرفية ، حيث تعين الجماعات المستفيدين وعدد المرات التي يعاد فيها توزيع الاراضي

وقد عملت الحماية خلال ما يقرب من نصف قرن على حماية هذه الاراضي الجماعية من المعمرين حيث أحاطتها بحزام وقائي من التدابير القانونية ٠٠٠

وقد اعترف بأن هدف هذه السياسة هو تكوين مناطق تمكن حصر الفلاحين في البادية ومنع الهجرة الفردية الى المدن وتلافي الاضطرابات التي يمكن أن تنجم عن تجريد الفلاحين من ملكيتهم بصفة مباغتة .

وقد نجحت هذه السياسة ، حيث أنه ، بعد عدد من عمليات النهب في بداية الحماية ، بقيت معظم الاراضي الجماعية على حالها ، رغم أن ظروف استغلالها اصبحت لاتحتمل نظرا للانفجار الديمغرافي

لكن، اذا لم يجرؤ المعمرون القدماء على تجريد الجماعات من ملكيتها ، فان المعمرين الجدد ، على العكس ، قد قطعوا خطوات هامة في هذا السبيل بتوفرهم على الوسائل القانونية لذلك : فقد أصبحت التدابير المتخذة من طرف الحماية غير نافذة المفعول منذ صدور قانون الاستثمارات الفلاحية : فالاراضي الجماعية لم تعد أكثر من ملكيات غير مقسمة قابلة للامتلاك من طرف المعمرين الجدد ٠

وتجدر الاشارة الى أن ٨٠ ٪ من الملاكين بناحية **الغرب هم** ملاكون جماعيون ، وأن ٨٧٪ ممن يملكون ما بين ١،٠ و ٣ هكتارات ينتمون لنفس الفئة ٠ ان السواد الاعظم للفلاحين الفقراء يعيش على الاراضي الجماعية٠

● **أراضي الملك** هي الاراضي التي يمتلكها مغاربة والتي تضمن ملكيتها سواء بواسطة عقدة للملكية محررة من طرف العدول أو بواسطة التسجيل في مصلحة المحافظة العقارية ٠ لم تكن هذه الاراضي تمثل اكثر من ١٠٠٠٠٠ هكتار سنة ١٩٦٥ ، وتمثل في يومنا هذا اكثر من ١٥٠٠٠٠ هكتارا نظرا لشراء ٥٠٠٠٠ هكتارا من أراضي المعمرين من طرف المعمرين المحليين ٠

وتستأثر الملكية العقارية الكبيرة بنصيب الاسد من أراضي الملك ، اذ تمثل ٦٠ ٪ من مساحة هذه الاراضي ٠

● كانت **أراضي المعمرين** الى سنة ١٩٦٣ تمثل ثلث المساحات الزراعية بالغرب ، اي ١٠٠٠٠٠ هكتار

وبناء على قانون ١٩٦٣ فقد استرجعت الدولة ٢٧٠٠٠ هكتارا تشكل أراضي «الاستعمار الرسمي» وزعت منها ١٠٠٠٠ هكتار حسب قانون ١٩٦٦ «الاصلاح الزراعي» وبقيت ١٧٠٠٠ هكتار بيد الدولة تسيرها وزارة الداخلية خصوصا .

أما ٧٣٠٠٠ هكتار الباقية ، والتي تشكل ما يسمى أراضي «الاستعمار الخاص» (والتي تحدث العدد الاول من انفاس عن نشأتها) فلا يزال منها ٢٠٠٠٠ بين ايدي المعمرين الاجانب ، أما ٥٣٠٠٠ هكتار فقد انتقلت الى ايدي المعمرين الجدد ٠

● **أراضي الدولة** : تسير الدولة ٢٧٠٠٠ هكتارا من أراضي الغرب منها ١٧٠٠٠ من الاراضي المسترجعة سنة ١٩٦٣ و ١٠٠٠٠ هكتارا من الاراضي العمومية للدولة التي جاءت من أراضي «المرجة» المجففة والتي تشكل رصيدا هاما يستغله المسيطرون على اجهزة الدولة ٠

ب : تقسيم الاراضي حسب طبقات المستغلين

يمكن أن نجمل هذا التقسيم في الجدول التالي :

نوع المستغلين	عدد العائلات	%	المساحة (هكتار)	%
فلاحون بدون أرض منهم (ماجورون مداومون)	٢٠ ٠٠٠ (٨ ٠٠٠)	٣٣ ١٣ر٣		
فلاحون يملكون ما بين ١ ، ٠ و ٣ هكتارات	٢٤ ٠٠٠	٤٠	٣٥ ٠٠٠	١١،٧
فلاحون يملكون مابين ٣ و ٨ هكتارات	١١ ٥٠٠	١٩	٥٠ ٠٠٠	١٦،٧
فلاحون ميسورون من ٨ الى ٢٠ هكتارا	٤ ٥٠٠	٧ر٥	٤٠ ٠٠٠	١٣،٣
فلاحون أغنياء من ٢٠ الى ١٠٠ هكتار	٥٠٠	٥ر٠	٣٨ ٠٠٠	١٢،٧
ملاكون عقاريون كبار أكثر من ١٠٠ هكتار	٢٥٠	٢٥ر٠	٩٠٠٠٠	٣٠
ملاكون أجانب	٦٠		٢٠ ٠٠٠	٦،٧
الدولة: – الاراضي المسترجعة – أراضي المرجة	٢٠٠	٢٥ر٠	١٧ ٠٠٠ ١٠ ٠٠٠	٥،٧ ٣،٣
المجموع	٦٠ ٠٠٠	١٠٠	٣٠٠ ٠٠٠	١٠٠

ملاحظة : ان الارقام التي نوردها هنا يجب أن تؤخذ بكل حذر (فنسبة دقتها ٩٠٪ تقريبا) ، ذلك ان المعطيات التي توردها الدراسات الرسمية تطرح المشكل بطريقة مخالفة تماما للطريقة التي تهدف الى الكشف عن حقيقة توزيع الملكية من خلال الارقام ٠ وذلك لاسباب واضحة

يتبين من خلال هذه الارقام أن تمركز الملكية بين ايدي كمشة قليلة من كبار الملاكين العقاريين والفلاحين الاغنياء قد اكتسى ابعادا لم تعرفها اية منطقة أخرى من المغرب٠

فهنالك ١ ٪ من العائلات بالغرب يستغل بطريقة مباشرة (والملاكون الاجانب من هذه الزمرة) ٥٨٪ من أراضي الغرب ·

وبارتباط مع الملاحظة الاولى ، نجد ٩٢ ٪ من العائلات القروية بالغرب تتكون من فلاحين بدون أرض، أو فلاحين يملكون أقل من ٨ هكتارات ، ويقسم مجموع هؤلاء فيما بينهم ٢٨٪ من الاراضي فقط ·

ولا بد هنا من التطرق الى عامل آخر له أهمية بالنسبة لتحليل طبقات البادية بالغرب : فاذا كان هذا التحليل يرتكز اساسا على توزيع الملكية فلابد من أن ناخذ بعين الاعتبار وسائل الزراعة كذلك ·

هكذا نجد أن ٤٢ ٪ من العائلات لم تكن تتوفر سنة ١٩٦٥ على أية وسيلة للحرث بينما لاتتوفر ٢٩ ٪ من العائلات الا على نصف « زويجة » أو « زويجة » صغيرة في افضل الحالات ·

وبما أن عدد الفلاحين بدون أرض لم يكن يتجاوز اذاك (اي في ١٩٦٥) ١٦٪ فيمكن القول ان ٢٦٪ من الفلاحين الذين يمتلكون قطعة صغيرة من الارض لم تكن لديهم الوسائل لحرثها واضطروا لان يصبحوا عمال بساتين أو عمالا موسميين ، هذا اذا ما نجوا من البطالة ·

٣) الطبقات الاجتماعية بالغرب

أ ـ طبقة الملاكين العقارين الكبار :

« الملاك العقاري الكبير هو الذي يملك الارض ولا يخدمها بنفسه ، أو يقوم بعمل لا يشكل بالنسبة له الا موردا اضافيا للربح ، وبالتالي فهو يعيش على استغلال الفلاحين » ويتراوح حجم الملكية العقارية الكبرى في الغرب مابين المائة هكتار و ٦٠٠٠ هكتار · تشكل هذه الطبقة ٢٥ ، ٠ ٪من السكان القرويين وتمتلك ٣٠ ٪ من الاراضي ·

لن نطيل الحديث في هذه النقطة عن أراضي المعمرين التي تعد جزءا من الملكية العقارية الكبيرة ، لانها أخذت تتضاءل ، فقد تقلصت مساحتها ما بين ١٩٦٣ و ١٩٧١ من ١٠٠٠٠٠ هكتار الى ٢٠٠٠٠ هكتار ·

وطبقة الملاكين العقاريين في الغرب كله تأتي من اصل مزدوج

ـ الاقطاعيون القدماء : الذين كانوا يتشكلون من كبار القواد وكبار الملاكين فيما قبل الاستقلال ، والذين رسخوا نفوذهم ابان الحماية ، حيث كان الاستعمار يرى فيهم دعائم هامة للوقوف في وجه تحركات جماهير الفلاحين الفقراء. ورغم انتكاستها اثناء المعركة من أجل الاستقلال نظرا لخيانتها وتعاملها ،فقد استطاعت ان تعيد تدريجيا نفوذها وسيطرتها على البادية ، ولا زال كثير من مشاهير رجالاتها مسيطرا على مواقع هامة في السلطة ·

وقد لوحظ خلال السنوات الاخيرة أن الاقطاعيين القدماء لم يأخذوا في التوسع على حساب الفلاحين الفقراء والمتوسطين وبواسطة السيطرة على اراضي المعمرين القدماء فحسب بل أخذوا يتطورون ، بتشجيع من الدولة ، ويدخلون تغييرات كيفية على نمط انتاجهم الذي أصبح يتجه الى الفلاحة العصرية المعدة للتسويق والمعتمدة على المضاربات ذات المردود العالي والتي تعتمد على التصدير وعلى تمويل الصناعة الفلاحية المحلية (الحوامض ، الشمندر ، الرز ، القطن) ·

هذه الاقطاعية التي تجددت يمكن أن نسميها اقطاعية جديدة ٠

ـ المعمرون الجدد :

هم أيضا من كبار الملاكين العقاريين ، لكن أصلهم يختلف عن أصل الاقطاعيين الجدد ٠ فهم ياتون غالبا من طبقة الفلاحين الاغنياء الذين توسعوا بشراء أراضي الفلاحين الصغار أو المعمرين القدماء ، او من طبقة التجار الاغنياء الذين افتدوا الاراضي بنفس الطريقة ، أو من كبار الموظفين الذين أفادتهم مراكزهم في جهاز الدولة ليستولوا على أراضي المعمرين الاجانب ٠

وهذه الطبقة (أي طبقة الملاكين الكبار) هي المستفيد الاول من التجهيزات والامكانيات التي توفرها الدولة في الميدان الزراعي ٠ هذه الامكانيات التي يؤدى ثمنها الباهظ من طرف جماهير المواطنين (السكر) أو على حساب الاستقلال الاقتصادي للوطن (الاتفاقية مع السوق الاوروبية المشتركة) ٠

وبالنسبة لمنطقة الغرب على الخصوص فهناك مشروع يتطلب ٥٥٠ مليون درهما من التوظيفات لتجهيز المنطقة ، مدته ٥ سنوات ، وستقترض الدولة ٤٠٪ من هذا القدر من البنك الامبريالي المشهور : البنك الدولي للانشاء والتنمية ٠

وطبقة الملاكين الكبار مضافة الى الاوليغارشية الكومبرادورية والمصالح الامبريالية هي الطبقات السائدة اقتصاديا وسياسيا في بلادنا ٠

ب : الفلاحون الاغنياء ، او البورجوازية المتوسطة القروية

يتراوح حجم ملكية هذه الطبقة كما رأينا ما بين ٢٠ و ١٠٠ هكتار في الغرب ، وتشكل ٥ر٠ بالمائة من الفلاحين وتملك ١٢٪ من الاراضي ٠

ويملك الفلاحون الاغنياء وسائل الانتاج ووسائل التمويل ، كما يساهمون مباشرة في العمل ، الا أن الجزء الاكبر من مداخيلهم ياتي من قوة عمل الاخرين (العمال الزراعيون والخماسون) ٠

وتتمتع هذه الطبقة بنفس التسهيلات وتستفيد من نفس الامكانيات التي توفرها الدولة عمليا للملاكين الكبار ، الا أن نموها يصادف عراقيل ناتجة عن طبقة الملاكين العقاريين الكبار ٠

كما تعتبر هذه الطبقة الحليف الطبيعي لطبقة الملاكين الكبار والاليغارشية الكومبرادورية وان كانت تبتعد عنها أحيانا وخصوصا لما تمسها (أي البورجوازية المتوسطة) بعض الازمات ٠

ج) الفلاحون المتوسطون ، أو البورجوازية الصغرى القروية ـ

تتشكل هذه الطبقة من الفلاحين الذين يملكون ما بين ٢ و ٢٠ هكتار أو يعيشون فقط ، وبصفة أساسية ، من عملهم الشخصي ٠ ويمتلكون أراضيهم ووسائل انتاجهم أو يستاجرونها ٠

تشكل هذه الطبقة ٢٧٪ من فلاحي الناحية وتملك ٣٠٪ من الاراضي ٠ وأفراد هذه الطبقة عموما ، لايستغلون الآخرين ولا يتعرضون للاستغلال مباشرة٠

الا انه من الممكن أن نقسم هذه الطبقة الى فئتين ٠

ـ الفلاحون المتوسطون الاغنياء : الذين يملكون

ما بين ٨ و ٢٠ هكتارا والذين دفعهم استخدام الزراعة العصرية ووسائل الري الى الاعتماد بصفة شبه دائمة على اليد العاملة الخارجة عن نطاق العائلة ٠

ـ الفلاحون المتوسطون المعوزون : الذين يملكون ما بين ٣ و ٨ هكتارات والذين يجدون صعوبة في توفير موارد العيش لمدة السنة والذين يعتمدون فقط على اليد العاملة العائلية ٠ ووضعية هذه الفئة في تردي مستمر نظرا لارتفاع سعر المعيشة والضرائب وقلة وسائل التمويل ٠

وقد توسعت طبقة الفلاحين المتوسطين خلال السنوات الاخيرة على اثر توزيع ما يعادل العشرة آلاف هكتار ٠ هذه السياسة ، المسماة بسياسة الخمس هكتارات ، والتي كانت من وحي البنك العالمي للبناء والتنمية ، كان المراد منها خلق طبقة من الفلاحين المتوسطين تشكل حاجزا وصمام أمن بين الفلاحين الفقراء وطبقة الملاكين الكبار والفلاحين الاغنياء ٠

لكن هذه السياسة وقع التراجع عنها رسميا نظرا لكون هذه الطبقة ، بفعل المشاكل والصعوبات التي تلاقيها ، لاتشكل في الاخير الا تعزيزا للجماهير الساخطة . وبالتالي فقد أدت هذه الوضعية الى ترجيح سياسة الالف هكتار على سياسة الخمس هكتارات ٠

د) الفلاحون الفقراء أو شبه البروليتاريا القروية :

تتكون هذه الطبقة من الفلاحين الذين يملكون ما بين ٠،١٠٠ و ٣ هكتارات ٠

ويتوفر هؤلاء على وسائل للانتاج والتمويل جد ضئيلة ، كما يعتمدون فقط على قوة عملهم ٠

تشكل هذه الطبقة ٤٠٪ من فلاحي الغرب وتملك ١٢٪ من الاراضي ٠

ويمكن أن ندرج في هذه الفئة الاجتماعية الخماسين التي ارتبط وجودها بعلاقات الانتاج من النوع الاقطاعي، والتي هي في طريق الاندثار في ناحية الغرب ٠

هـ ـ العمال الزراعيون أو البروليتاريا القروية :

هذه الطبقة ، شأنها شأن الخماسين ، لاتمتلك الارض ولا التجهيز ٠ ولا الاموال ، وتعيش فقط من قوة عملها ٠

وقد نمت البروليتاريا الزراعية في البادية والى أيامنا هذه في ضيعات المعمرين الاجانب مع نمو الملكية الزراعية من النوع الراسمالي ٠ ولا زالت هذه الطبقة في نمو متزايد يمكن أن نقدره بـ ٥٠٪ منذ ١٩٦٥

ونظرا لتمركزها وطرق عملها وعيشها ، يمكن اعتبار البروليتاريا الزراعية جزءا لايتجزأ من البروليتاريا الصناعية والزراعية ٠

وتشكل البروليتاريا وشبه البروليتاريا الزراعية وحدهما ٧٣٪ من السكان القرويين بناحية الغرب ٠ ويقع بتوسع الملاكين العقاريين الكبار والفلاحين الاغنياء على حسابهما مما يجعلهما في وضعية من السخط الكفاحية توشك في أي وقت على احالة السخط الى صدام مفتوح كما وقع في أولاد خليفة ٠

خلاصة :

يمكن أن نستنتج مما سبق أن الملكية العقارية الكبيرة قد توسعت بشكل ملحوظ ولازالت في طريق التوسع .

فقد اتسعت مجموع الاراضي التي تمتلكها هـذه الطبقة من ٥٠٠٠٠ هكتار سنة ١٩٦٥ الـى ٩٠٠٠٠ هكتار سنة ١٩٧٠ اي بنسبة ٨٠٪ خلال خمس سنوات٠

ولا زال بامكانـها الاستيلاء على كـل الاراضي الموجودة بيد الدولة ، أو على الاقل عـلى الاراضـي المغروسة التي ستباع مقسمة على مساحات مـن ٥٠ هكتار بواسطة قروض ومنح ٠

كما لايزال بامـكانها الاستيلاء عـلى ٢٠٠٠٠ هكتار لازال يمتلكها الاجانب ٠

وبوسعها كذلك الاستيلاء على الاراضي الجماعية التي جردت من مختلف الضمانات القانونية واصبحت مدرجة في عداد الملكيات التي يمكن بيعها واخضاعهـا لكل المعاملات العقارية ، بعدما كان ذلك ممنوعا ٠

وبالمقابل ، فان وضعية الطبقات والفئات الدنيـا من الفلاحين تزداد تفاقما وخطورة ، مما يؤدي الـى احتداد التناقضات ، هذا الاحتداد الذي اتـت أحداث أولاد خليفة لتكشف عنه بكل وضوح ٠

قضايا عربية

حول « ازمة الشرق الاوسط والقضية الفلسطينية »

ناوري حسن

(١) تقديم

مرت ثلاث سنوات عن الوثيقة الاساسية التي اصدرها السيد « علي يعتة » تحت عنوان « ازمة الشرق الاوسط والقضية الفلسطينية » ·· وهذه الوثيقة تحدد الخطوط العريضة لموقف السيد علي يعتة (واتجاهه) من قضايا الثورة الفلسطينية والعربية·

في المقدمة يقول السيد علي يعتة : (نود اليوم ان نتعمق في درس المشاكل ، وفي تحليل بعض جوانبه المرتبطة بالتطورات الاخيرة ، وان ندقق موقفنا حتى يكون واضحا محكما ، وحتى يستجيب لمتطلبات المعارك التي نخوضها ، وحتىيمكننا من القيام بالمامورية الملقاة على عاتقنا ·

ولا حاجة للتذكير باننا سنستضيء في تحليلنا بمباديء الاشتراكية العلمية ··)

هل فعلا تعمق السيد علي يعتة في درس المشكل ، وفي تحليل جوانبه المرتبطة بالتطورات الاخيرة ؟ هل دقق موقفه حتى يكون واضحا ومحكما ، وحتى يستجيب لمتطلبات المعارك؟ هل تقيد في تحليله بمباديء الاشتراكية العلمية ؟

سيلمس معنا القارء من خلال مناقشتنا للوثيقة ، ان السيد على يعتة لم يحقق ايا من الاغراض التي التزم بها في مقدمته · وأن السمة العامة لتحليلاته في كثير من القضايا هي الهروب من التحديد والتدقيق بالذات ، وتغطية عجزه ، اما في التحليل واما لمواقف سياسية لم يجرء على ذكرها ، بعموميات القضية ومباديء عامة لزجه ·· وفي قضايا اساسية لم يتقيد فيها السيد علي يعتة بمباديء الاشتراكية العلمية بل بفكر بورجوازي صغير انتهازي ويميني يملأ الساحة العربية بكاملها ·· هذه النتيجة سنترك القاريء يتوصل اليها بنفسه من خلال متابعته لنقاشنا مع السيد علي يعتة ·

ونشير من جانبنا اننا لن نتطرق الى كل القضايا التي سنطرحها بتحليل واف لجوانبها ، انما همنا تسجيل ملاحظات اولية بالقدر الذي تعطي فيه صورة كافية عن الوثيقة وانتقاداتنا لها ·

نقد المنهج

ما نود الاشارة اليه في هذه الفقرة هو منهجية وهدف اي تحليل يطمح ان يكون علميا ، او يشترط في نفسه مسبقا انه يلتزم بالمنهج الماركسي اللنيني .

بلا جدل، ان معركة ٥ يونيو ادخلت معطيات جديدة على معركتنا القومية ضد الامبريالية واسرائيل .. وفي هذه المرحلة، اصبح مطلوبا من كل القوى الثورية ان تعيد بناء استراتيجيتها وتكتيكها على ضوء هذه المعطيات الجديدة .

وعلى اساس من هذه المنهجية الماركسية اللينينية يتم كل فرز القوى الطبقية بدقة ، وتحديد مصالحها الاقتصادية بوضوح ، وتعيين دورها الملموس في المعركة القومية على اساس من مصالحها الطبقية .. بمثل هذا التحليل يمكن للبروليتاريا أن تحدد برنامجها السياسي وتحالفاتها المؤقتة والبعيدة ، وبعبارة اخرى ان تتزعم النضال القومي والطبقي ، وتاخذ اعباءهما على عاتقها الى نهايتهما الجذرية .

هذا هو المضمون الاساسي لاي تحليل يطمح ان يكون علميا مهما اختلفت الطريقة او الشكل الذي طرح به الموضوع يقول السيد علي يعتة : (اذا كانت القضية الفلسطينية بالنسبة للفلسطينيين قضية حاضر ومستقبل ، وحياة او موت ، فالعرب جميعم ، سواء كانوا في المشرق او المغرب يربطون عن حق مصيرهمبها ويعتبرونها موضوعا مقدسا ، يمس شرفهم وعزتم ٠ ولذا لا يمكن لاية قوة عربية ألا تجعل هذه القضية قضيتها ، وألا تعمل لفوزها ، واذا صنعت غير ذلك ، فستخرج عن حظيرة الشعوب العربية ، وتحكم على نفسها بالاعدام سياسيا ومعنويا ٠٠ »

والحال ، ان الوطن العربى ليس امتدادا جغرافيا يسكنه الملايين من المواطنين العرب ، بل هو ـ أساسا ـ تركيب من الانظمة ذات النمط الاقتصادي والسياسي المتناقض اجتماعيا والمتباين فى درجة التطور ٠٠ وحدة أعلى لتشكيلة من الطبقات ، ووحدة أعلى لصراعها الطبقى ٠٠ فالتشخيص العينى للواقع الطبقى هو السبيل الوحيد لاكتساب المنطق العلمى فى التحليل ، وتحديد برنامج سياسى ثورى ٠ أما منطق (العرب كل العرب ٠٠ ومن خالف منهم ٠٠) فهو نهج عفوى وتجريبى يسوق الى الذيلية السياسية ٠

صحيح ، أن المعركة قومية الطابع ، الا أن الماركسى ـ اللنينى لا تحجب عنه قومية المعركة طبقيتها فى نفس الوقت ٠ ولا يخدع بقومية بورجوازية مفصولة عن الطبقات ٠٠

من الواضح اذا ، أن السيد على يعتة يناقض المنهج العلمى فى الشكل والمضمون ٠٠ واذا تفحصنا الوثيقة من الفها الى يائها ، لن نجد ولو كلمة قصيرة عن دور وموقع كل من الطبقات ، والانظمة العربية فى النضالين ضد الامبريالية واسرائيل ، بل نلمس بلا غموض فى طول وعرض الوثيقة ، فى الروح والمنهج ، ما يخالف الموقف الماركسى ـ اللنينى من النضال القومى ٠

3 ـ الثورة العربية هي المنطلق

يقول السيد على يعتة فى تقديره لخطورة القضية الفلسطينية :

والمشكل الذى نفحصه ، أصبح اليوم الشغل الشاغل للرأى العام فى العالم بأسره ، ويمكن القول بأنه صار يثير هموم ومخاوف كل الشعوب ٠

(٠٠٠) والاصل فى هذا القاق المشروع يعود الى التوتر الشديد الذى يسود أوضاع الشرق الاوسط ، والذى يستفحل سنة بعد سنة ٠ (٠٠٠) والذى يوشك كل يوم أن يتفجر من جديد ، وأن يمطر النار والحديد

على كل المنطقة ،وأن يتحول الى حرب عالمية نووية لا تبقى ولا تلد .

منطلق السيد علي يعثة بصدد قضايا الثورة الفلسطينية والعربية أو ما يسميه « بأزمة الشرق الاوسط ـ وقضية فلسطين » هو «التوتر الدولى» و « قلق الرأى العام » • مصدر اهتمامه وقلقه ، وشغله الشاغل ، احتمال «حرب نووية لاتبقى ولا تذر » منطلق أى عربى ثورى لا يجب أن يكون بالاساس « التوتر الدولى » و «قلق الرأى العام » ، بل عليه أن يجعل من الثورة العربية المنطلق والهدف في آن واحد .

السؤال المطروح على الثوريين العرب هو : كيف تتقدم الجماهير العربية فى نضال تحرير فلسطين ونضال التحرر من الامبريالية ، وكيف تطبع البروليتاريا هذين النضالين بطابعها الثورى الاشتراكى ؟ وبعبارة أخرى ، ما هى شعارات القوى الثورية ، ومناهج عملها وتحالفاتها فى هذه المرحلة ؟

السيد على يعثة يجهل مقولة «.الثورة العربية ، وهمه الوحيد أن يفسر للرأى العام العالمى .. أسباب هذا التوتر الدولى المتصاعد ..ص 3 » أى الاشارة بأصبع الاتهام الى اسرائيل والامبريالية ، ثم كفى الله المومنين شر القتال ..

ولكن ، لماذا قلق الرأى العام ، وقلق السيد على يعثة معه ؟ خطر حرب عالمية نووية لا تبقى ولا تذر ..!

ان الحرب لن تدمر الكيان الصهيونى الذى يهمنا وحسب ، بل العنصر البشرى بأكمله .. وهذا شىء يعز على قلوبنا ..! لكن سرعان ما نتدارك أمر حيرتنا من جديد ونتساءل : لماذا لم تؤد حرب 5 جوان

الى حرب عالمية نووية ؟ لماذا لم يؤد التدخل الامريكى فى الفيتنام والكمبودج و ... الى حرب مدمرة ؟!

اذا ، خطر الحرب أقل احتمال .. لان سياسة الاتحاد السوفياتى ، وهو الطرف الثانى فى معادلة الحرب النووية ، لاترمى فى ابعادها القصوى لهذه المجابهة العالمية • والسبب الملقب بسياسة التعايش السلمى اكثر شهرة من تعريفه ..

الاحتمال الاكثر علمية ، وهو الاحتمال الذى يقلق الثوريين فعلا ، ويعملون جماهيريا من اجل احباطه وافشاله ، هو خطر تصفية القضية الفلسطينية ومعها اجهاض الثورة الفلسطينية والعربية • هذا الاحتمال يعززه أكثر من عامل :

1) ان اسرائيل تريد أن تركع الدول العربية بوجودها المصطنع ، مستفيدة الى الحد الاقصى من انتصارها وتفوقها العسكري المدعم من طرف الامبريالية •

2) عجز الانظمة العربية المتقدمة عن مواجهة أخرى، واعتمادها خطة الاستسلام على قاعدة قرار مجلس الامن

3) قبول الاتحاد السوفياتى بالكيان الصهيونى ، وبالتالى موقفه الرافض للمقاومة الفلسطينية ، وقبوله بالتسوية النهائية لازمة الشرق الاوسط على أساس قرار مجلس الامن •

الساسة البورجوازيون الصغار الدائرون فى فلك سياسة التعايش السلمى ، يلوحون عند كل صدام عنيف مع الاميريالية ، عند كل تفجر ثورى ، جر بعلم اسود مرسوم عليه جمجمة وعظمين ، ينذر بقرب اندلاع حرب نووية اذا لم ..! تغطية فاشلة لسياسة

تراجعية واستسلامية أمام الامبريالية ٠٠

الامبريالية والرجعية العربية

يقول السيد علي يعثة :

٠٠ وتهتم الامبريالية وعلى رأسها الولايات المتحدة بهذه المنطقة الهامة من المعمور لاسباب اساسية ثلاثة :

1) الدفاع عن الامتيازات الاحتكارية البترولية ٠

2) اضعاف الحركة العربية للتحرر الوطني ، التي تتقوى وتتصاعد ، والتي تتجه نحو اهداف تقدمية٠

3) استعمال الموقع الاستراتيجي للشرق الاوسط باعتباره رأس جسر ضد البلدان الاشتراكية في أوربا وآسيا ٠

نتفق بدون تردد مع هذه الاعتبارات اذا ادخلنا في معانيها اعتبارات الاساس فى الاستراتيجية الامبريالية، وهى الحفاظ على الوطن العربى ضمن وضع التبعية والتخلف والتجزأة العربية ٠

وما كان على السيد على يعثة استخلاصه والتدقيق فيه هو الارتباط بين الامبريالية والرجعية العربية ٠ فاذا كان ارتباط اسرائيل بالامبريالية شيئا مسلما به لدى الجميع ، وللاهداف الواضحة ايضا ، الابقاء على وضعية التجزأة والتخلف والتبعية فى الوطن العربى، فان الوجه الآخر والمقابل والذى يتحدد بوعيه مدى القدرة على تجاوز استراتيجية الامبريالية هو الطرف المكمل ؛ ارتباط الرجعية العربية بالامبرالية ٠

فلأن مناطحة اسرائيل تعنى بالضرورة مناطحة ما وراء اسرائيل اى الامبريالية ، ولان الرجعية العربية تدخل ضمن خط الامبريالية للابقاء على التجزئة والتخلف والتبعية ، ولان الصراع مع اسرائيل والامبريالية لا توجد فيه الا طرفان واضحان ٠الاعداء، والاصدقاء ، هذا الصراع الذى يمتد الى ضرب جميع المواقع الاحتكارية للامبريالية فى الوطن العربى ، هذه المواقع التى تعد الرجعية الحارس الامين لها ، فانه بالتالى لا يمكن أن نضع استراتيجية سلمية لا تراعى الرجعية العربية كطرف رئيسى فى صراعنا مع اسرائيل والامبريالية ٠

نستخلص اذن !

1) ان الامبريالية هى الحليف الرئيسى لاسرائيل ٠٠ وأن هذا الحليف الرئيسى له امتداده الطبقى فى الوطن العربى ؛ هو الرجعية العربية ٠

٢) ان اي نضال يهدف الى ضرب اسرائيل والامبريالية فى الوطن العربى ولايضع فى جدول اعماله اجتناب الامتدادات ، لن يستطيع بالتأكيد الظفر فى المعركة مع اسرائيل والامبريالية ٠

وحتى لايبقى فى ذهن السيد على يعثة اى شك فى دور الرجعية العربية ، نطرح امامه ما آلت اليه مواقف الرجعية الاردنية ٠٠ فرغم أن جزءا من اراضى الشعب الاردنى الفلسطينى بيد الصهاينة ، وبالرغم من أن الامبريالية « أولتها ظهرها عسكريا وسياسيا » فانها بقيت وفية لارتباطاتها التاريخية والطبقية ، وفضلت جعل تناقضها مع المقاومة تناقضا رئيسيا بدل أن تتركه ثانويا ، وذلك لتعطى البرهان للامبريالية رغم الواقع الاستعمارى الذى يعيشه الشعب الاردنى الفلسطينى ، على أنها لازالت وفيه لارتباطاتها التاريخية٠

5 ــ بورجوازية الدولة :

بعد هزيمة 5 جوان ، كان السؤال المركزى المطروح على الثورة العربية هو : لماذا الهزيمة ؟ هل هى هزيمة

عسكرية سببها الغدر والمفاجأة ٠٠ أم هى ٠٠؟

كل النشاط الثورى كان يتوقف على نوعية الجواب الذى سيعطى لمضامين الهزيمة ٠٠ اما الاستمرار فى نفس النهج الفكرى والسياسى لما قبل الهزيمة ٠٠ أو اعتماد فكر وخط سياسى جديدين يستوعبان معطيات الهزيمة ٠

٠٠ كانت الخلاصة الاساسية لهزيمة 5 جوان :

ان طبقة البورجوازية الصغرى التى قادت الثورة العربية فيما بعد نكبة 1948 ، والتى قامت على انقاض الاقطاع والبورجوازية العليا فى جملة انقلابات عسكرية بالوطن العربى ٠٠ هذه الطبقة لم يكن فى مقدورها بعد أن تحولت الى شكل جديد من أشكال السيطرة البورجوازية (بورجوازية الدولة) ، أن تستكمل مهمات الثورة الديمقراطية الوطنية بما ينسجم وخطة الحرب الشعبية الطويلة مع اسرائيل ٠

ان البديل التاريخى المرشح لهذه المهمة الثورية ، والقادر على تنظيم الصمود الوطنى ، وتسخير الاقتصاد فى خدمة الحرب الطويلة المدى هو قيادة الطبقة العاملة للتحالف الوطني وفي مقدمته الفلاحون الفقراء .

وحتى تستكمل هذه الخلاصة وضوحها نسجل باقتضاب شديد المنجزات التاريخية للبورجوازية الصغرى وحدودها :

اقتصاديا : - **اممت** كل المصالح الاستعمارية ومصالح البورجوازية العليا (الصناعة - والتجارة - والمالية) ووضعتها تحت **سيطرة بيروقراطية** ، سرعان ما تولدت عنها فئات راسمالية طفيلية ومضاربة على مصالح القطاع العام ٠٠

- حققت **اصلاحا زراعيا** كسر شوكة الاقطاع ، وحافظ على الملكيات المتوسطة الصغيرة ، بينما ظلت أغلبية فلاحية بدون أرض ٠٠ وأدى هذا التحول الى نمو علاقات بورجوازية دعمت قوة الفلاحين الاغنياء سياسيا واقتصاديا ٠

- وجهت الاقتصاد نحو اقامة بعض الصناعات الاستهلاكية التى تلبى حاجتها من مواد اللوكس ، بينما لم تدخل تغييرا جذريا على الهيكل الاقتصادى الذي ظل محافظا على سمة التبعية (غلبة الزراعة ، تبعية تجارية للسوق الامبريالية ، تضخم قطاع الخدمات ، ضآلة التصنيع الثقيل ، ضعف وتيرة النمو٠)

سياسيا : استبدلت السلطة الطبقية القديمة بسلطة البيروقراطية البورجوازية (وهى تشكيلة عسكرية ، ادارية عليا ، تقنوقراطية) تمارس قمعها السياسى والاقتصادى والايديولوجى ضد الجماهير الشعبية ، تحت ضغط هذه المصالح الاقتصادية والسياسية ، كانت بورجوازية الدولة غير قادرة عن اخضاع الاقتصاد لمصالح الحرب الطويلة ٠٠ واذا أضفنا الى هذه العوامل نظرية البورجوازية الصغرى عن الحرب مع اسرائيل ، والتى تعتمد على الحرب الخاطفة أمام التفوق التكنولوجى والعسكرى عند العدو ٠٠ اكتملت لنا الصورة الكاملة عن معطيات هزيمة 5 يونيو ٠٠

ان البورجوازيين الصغار يبررون الهزيمة بالعدوان الغاشم والغادر ، وينسون حقيقة بسيطة وهى أن تهريجهم عن « تحرير فلسطين » و «الاستعداد للحرب» كان منذ الايام الاولى لسلطة البورجوازية الصغرى ٠٠ والحال ، أن طبيعة النظام لا تدل على هذا التجنيد أو هذه التعبئة ، لان العامل الحاسم فى أى حرب طويلة الامد هو تحرير الجماهير الشعبية من أجل التحويل الاقتصادى والسياسى والعسكرى ٠

ان البورجوازية الصغرى حالما تنهى ضربتها

لتحالف الاستعمار والاقطاع والبورجوازية العليا ، حتى تتربى لفئاتها الحاكمة مصالح طبقية جديدة ، تجعل منها مناقضة لاستمرار الثورة الديمقراطية الوطنية ، وتدخل اذ ذاك في عداء طبقي صريح مع مصالح أوسع الجماهير الشعبية ٠ وتضطر فى هذه المرحلة الى التحالف مع الرأسمال الوطنى والاستنجاد بالرأسمال الامبريالى ٠٠ ان ما كان بالامس « مقدمة لبناء الاشتراكية » أو « الاشتراكية بذاتها » فى عرف البورجوازية الصغرى ، يتكشف فى الاخير على أنه مجرد تحول اضطرارى لازمة الرأسمالية فى البلدان «المتخلفة» تحت نمط جديد هو انظمة «رأسمالية الدولة الوطنية» وتحت ديكتاتورية طبقية جديدة هى « ديكتاتورية بورجوازية الدولة» ٠

ان الخلفية النظرية التى تحكم مواقف السيد على يعثة من هذه الانظمة هى المقولة المشهورة بالطريق « اللارأسمالى الى الاشتراكية » ٠٠ وهذه النظرية كما هو معلوم تدعى بامكانية تحول هذه الانظمة أوتوماتيكيا الى النظام الاشتراكى بفعل النمو التدريجى ، أو التوسع المنطرد لنمو علاقات الانتاج « الجماعية » ، وبدون الحاجة الى طفرة سياسية تمسك بواسطتها البروليتاريا بزمام السلطة ٠ (ومن غرائب الامور أن السيد على يعثة يطرح هذه النظرية حتى فى بلد شبه اقطاعى ، شبه مستعمر مثل بلادنا ، حيث لا وجود لقطاع عام ، ولا وجود لاصلاح زراعى بورجوازى ٠٠) واذا كانت التجربة التاريخية تبين بطلان هذا التحول ، بل تؤكد الانقطاع أو الردة الى نظام رأسمالى تقليدى ، فان اساس الخلط النظرى فىمقولة « الطريق الرأسمالى» هو بالذات فى عدم تحديد الطبيعة الطبقية للدولة ، وبالتالى الطبقات المستفيدة من تلك التحولات الديمقراطية الاولية ، التى اعتبرت مدخلا الى الاشتراكية: التأميم ـ التخطيط ، الاصلاح الزراعى البورجوازى) ، وكأن الطبقات المسيطرة على جهاز الدولة ستتنازل بمحض ارادتها للبروليتارية عن مصالحها الاقتصادية والسياسية ٠٠!

ان الذى يحدد دور كل من التأميم أو التخطيط فى الهيكل الاقتصادى هى الطبقة المسيطرة على جهاز الدولة والتى تنمى بهما فى خدمة مصالحها الاقتصادية٠٠ فالعامل الحاسم فى استشفاف قدرة النظام على التحول الى بناء اشتراكى أم لا ، هو بالذات فى من يملك جهاز السلطة : هل البروليتاريا ام البورجوازية ؟

ان النتيجة التى نريد أن نخلص اليها ، هى فشل مقولة « الطريق اللارأسمالي الى الاشتراكية ، في تشخيص طبيعة النظام ، وفي استيعاب خصائصه الطبقية ـ وهى بالضرورة معاكسة لمصالح الطبقة العاملة فى الثورة الاشتراكية ، ولا ترشدها الى الطريق الثورى فى نضالها الطبقى ٠ والمآل الاخير لاصحاب هذه النظرية هو التضحية بالاستقلال الايديولوجى والسياسى للطبقة العاملة والانحلال فى أجهزة النظام أو التشبث باستقلال شكلي مع ذيلية سياسية وايديولوجية للبورجوازية الصغرى ٠٠

6 ـ الحلول السلمية ٠٠ وحرب التحرير الطويلة

يقول السيد على يعثة :

« ٠٠ **فالصهاينة لا يقفون عند حد ٠ فلقد امتنعوا عن الجلاء عن الاراضى التى احتلوها اثر يونيو 1967، وهم يصرحون للملأ بانهم عازمون على ضم القدس ، والاستمرار فى احتلال مرتفعات الجولان ، والضفة الغربية الاردنية ، والسيطرة عليها بصفة تامة ونهائية،**

ودمج غزة اقتصاديا واداريا باسرائيل ، والابقاء على شرم الشيخ وخليج العقبة ، بالاضافة الى الابقاء على وجود عسكرى فى أجزاء من سيناء ، وانشاء مستعمرات اسرائيلية فى كل المناطق المحتلة » .

ثم يضيف أن اسرائيل تهيء لعدوان ثان من أجل استكمال تحقيق الفكرة الصهيونية بانشاء « اسرائيل الكبرى » من الفرات الى النيل .

هذا الكلام صحيح ، لكنه نسبي .. أي أنه لا يتعلق بارادة اسرائيل وحدها ، بل بجملة الشروط السياسية والعسكرية بمنطقة الشرق الاوسط ، وبالموقف الدولى عموما .. والعيب الاساسى فى هذه الفقرة هو تسجيل هذا المخطط الاسرائيلى الذى يخضع لمد وجزر الاحداث بصفة وضعية ونهائية بينما اتجاه الاحداث يحمل الى حد بعيد تغييرا كاملا فى المخطط الاسرائيلى أو على الاقل فى الجزء الاساسى منه ونحن لا نريد الرجوع الى التطورات السياسية الاسرائيلية ذاتها ، ولكن من الواجب الاشارة الى أن اسرائيل من أحد مطامحها الاساسية فى المساومة على الاراضى المحتلة : الاعتراف بوجودها وانهاء حالة الحرب .. وعلى أساس هذا الهدف الاكبر قد تضحى اسرائيل بهدف الاحتلال لاراضى 67 الى هذا الحد او ذاك .. وخاصة أن الاحتلال يسبب لاسرائيل مصاعب اقتصادية وسياسية كوجود كثافة بشرية عربية تتنافى معها طبيعة الاستعمار الاسرائيلى القائم على ضمان الوحدة فى العنصر والايديولوجية الصهيونية . نكران هذا الجانب فى التحليل يعنى جهل كل التطورات السياسية التى عاشتها منطقة الشرق الاوسط منذ الاتفاق على قرار مجلس الامن .

قد يعتقد البعض أن السيد على يعثة لا تهمه المساومات والمناورات السياسية السلمية لانه لا يعتقد فى جدواها ، وان كنا لا نشاطره هذا «التفاؤل» ، فلا يعنى ذلك ، وكما فعل السيد على يعثة ، عدم اتخاذ موقف صريح من الحلول السلمية ، والنضال جماهيريا ضدها ..

يقول السيد على يعثة :

(ان القضية الفلسطينية وقضية الاراضى المحتلة منذ يونيو 1967 قضيتان مرتبطتان ارتباطا وثيقا تؤثر جدليا كل واحدة منهما على الاخرى . فكل عمل من أجل الجلاء ، سياسيا او ديبلوماسيا أو دعائيا كان ، يفيد القضية الفلسطينية ، شريطة أن لا يمس بحقوق الشعب الفلسطينى المقدسة . وكل نضال فى سبيل تحرير فلسطين يضغط على الصهاينة ، ويسهم فى ازالة آثار العدوان .)

باسم « الجدلية » اراد السيد على يعثة أن يهرب بخفة ظريفة من تحديد موقفه الملموس من المشاريع السلمية التي تنطلق من قرار مجلس الامن .وسنضطر من جهتنا الى تفكيك رموز هذه الجدلية ، واكتشاف « وحدة أضدادها » حتى نتفهم منطقها الحى .

المسألة بالذات ليست فى التعارض النظرى المطلق بين الحل السلمى والعسكرى .. بل فى الامكانيات الفعيلة للانظمة العربية لتحقيق النصر فى مهمة التحرير .. لان الطبقة الحاملة للحل السلمى هى ذات الطبقة الحاملة للحل العسكرى ..

معطيات أنظمة بورجوازية الدولة تدفعها لاستجداء حل سلمى استسلامى بسبب :

أ) فصلها الحرب مع اسرائيل عن النضال الجذرى **ضد الامبريالية ٠٠ ولهذا تحاول أن تجر الولايات** المتحدة لتلعب دور الوسيط والضاغط على اسرائيل ، بكل ما تتطلبه هذه اللعبة من تنازلات سياسية واقتصادية للامبريالية الامريكية فى الوطن العربى ٠

ب) مصالح الطبقة الحاكمة فى أن تحافظ على **مكتسباتها في الظل بعيدا عن اخطار الحرب** (لاحظ مثلا ازدياد استهلاك الطبقة الحاكمة فى مصر فيما بعد الهزيمة) ٠ وارادة الحكام فى الخروج من الورطة الوطنية بما يمكن أن يحفظ شرفهم ٠

ج) ارتباطها بالاتحاد السوفياتى ماليا وعسكريا، واضطرارها للبقاء فى نفس الاطار السياسى السلمى الذى يحدده لها الاتحاد السوفياتى ٠

ان كل الحلول السلمية المقدمة واساسها قرار مجلس الامن تستهدف التصفية النهائية للقضية الفلسطينية وتفرض بالضرورة تصفية الثورة الفلسطينية لصالح الاعتراف بالكيان الاسرائيلى وضمان وجوده وبقائه ٠٠ وتؤدى فى نهاية التحليل الى اجهاض حركة الثورة العربية وتثبيت مصالح الامبريالية وقاعدتها الصهيونية ٠

اما اذا فرضت على انظمة بورجوازية الدولة حرب جديدة ، فهى غير قادرة على ضمان الصمود الوطنى وبالاحرى تحقيق النصر النهائى ، لانها :

أ) تعتمد استراتيجية الحرب النظامية الخاطفة ٠٠ وهى استراتيجية فى مصلحة الاقوى عسكريا وتكنولوجيا (اسرائيل المدعومة من طرف الامبريالية)

ب) تمارس قمعا سياسيا واقتصاديا على الجماهير ٠٠ وهى العامل الحاسم فى أية حرب طويلة المدى ٠ ان المناضلين العرب لا يعارضون الحل السلمى وحسب **بل كل برنامج سياسي وعسكري لانظمة بورجوازية** الدولة ٠ وهم اذ يركزون على الحلول السلمية فما ذلك الا لان التطورات ترجح هذا الاحتمال على غيره ٠

أما البديل الثورى فهو اعتماد استراتيجية الحرب الشعبية ـ النظامية الطويلة المدى ٠٠ وهذه تتطلب :

أ) تسليح الجماهير الشعبية في كتائب مليشيا شعبية ، وتحريرها اقتصاديا وسياسيا ٠ وفي مقدمتها الطبقة العاملة والفلاحون الفقراء ٠

ب) تحرير الاقتصاد من النفوذ الامبريالى ، واخضاعه لمتطلبات الحرب الطويلة الامد عملا بمبدأ الاعتماد على الذات ٠٠

ج) تحويل الجيوش النظامية الى جيوش نظامية شعبية عالية الكفاءة السياسية والايديولوجية يحكم سلمها العسكرى علاقات ديمقراطية ٠

د) دعم المقاومة الفلسطينية سياسيا وماليا ، والتنسيق معها عسكريا ٠

أين موقع السيد على يعتة من هذا كله ؟ جدلية كلامية ، وتأييد لفظى للمقاومة مع ممارسة يمينية

٧ ـ الثورة الفلسطينية ـ ثورة تحررية

يقول السيد على يعتة : **(ان القضية ليست قضية الاراضى التى احتلها الصهاينة فى 1967 ٠٠ وليست فقط قضية لاجئين ٠٠ لكن القضية فى أساسها وأصلها قضية سياسية تحريرية)**

نعم ، انها قضية تحررية ٠٠ ولكن من نوع خاص، تمتاز به عن كل القضايا أو الثورات التحررية المعهودة فى عصرنا ٠

فهل توقف السيد على يعثة ، ولو وقفة قصيرة عند هذه الخصوصية ومميزاتها ، ما دام يهدف الى التحديد والتدقيق حتى تكون مواقفه منسجمة ومتطلبات المعـــارك ..!

بلاشك ، أنه يستحيل فهم مجريات الصراع فى الشرق الاوسط ، ومشاكل المقاومة بصفة خاصة ، أو اتجاه الثورة العربية بصفة عامة ، ما لم نتمكن من فهم هذه الخصوصية فى الثورة الفلسطينية . المسألة كلها محصورة في طبيعة الاستعمار الاسرائيلـــي ، التي أشار اليها السيد علي يعثة ، من حيث هو استعمار استيطانى أقيم على أساس طـرد القسم الاكبر مـن السكان ، وأحل محلهم مجتمعا بديلا ، بقاعدته البشرية والعسكرية والثقافية .

هذا الطرد الاستعماري التعسفى أدى الى تشتت قسم كبير من الشعب الفلسطينى وتوزعه بين مختلف البلدان العربية بين عطالة ـ أو ركود ـ انتاجية للقسم الادنى والاكبر منه (اللاجئون) ، والحـاق اقـتصادى بالهياكل الاقتصادية العربية للقسم الآخر .. كان هذا الواقع معناه فقدان العلاقات « المجتمعة » فى الشعـب الفلسطينى ، بين مختلف طبقاته وفئاته الاجتماعيـة (الارض ـ الاقتصاد المشترك) .

هذا الواقع فرض على الثورة الفلسطينية خاصيتين اساسيتين :

اولا : ارتباط الثورة الفلسطينية بالمنظومة العربية، سلبا أو ايجابا ، بمعنى أن لجوء المقاومة المضطر الى الانطلاق من قواعد عربية مجاورة يتوقف على قدرة هذه الانظمة فى استيعاب كل الاحتمالات الثـورية التى يراكمها أو يحدثها الكفاح الفلسطينى المقاوم الاستعداد الدائم لمجابهة اسرائيل .. منـــاخ جماهيرى ثورى

أو بعبارة أخرى ، أن الكفاح الفلسطينى المقاوم يعمق تناقضات هذه الانظمة ، ويساهم فى تنمية الصراع الطبقى ـ الوطنى بداخلها .. ولهذا يكون من الواضح أن المسألة تتجاوز بالنسبة لهذه الانظمة مجرد منفـذ جغرافى تمنحه للمقاومة من أجل كفاحها المسلح ، بل فى امكانية قبولها وتحملها لانعكاساته على توازنـــها الطبقى .

ثانيا : بعد الشطر الاكبر من الشعب الفلسيطنى عن الارض التى يناضل لتحريرها ، أو بالمعنى المقابـل طبيعة الاستعمار الاسكانى لفلسطين المحتلة ، معنـاه الحربى فقدان العامل الحاسم فى استراتيجة حرب التحرير الشعبية وهو التفوق السكاني ، أو الغابـــة البشرية الضرورية لحرب الانصار ثم حرب التحرير .. واذا اضفنا الى هذا العامل أن اسرائيل باستطاعتها أن تتكيف مع المستوى الحالى لعمليات المقاومـة دون أن يحدث لها ذلك ضررا كبيرا فى الجهاز العسكرى وفى تماسك المجتمع الصهيونى ..

نستخلص بعبارة واضحة أن المقاومة الفلسطينية غير قادرة اعتمادا على امكانياتها الذاتية تحرير فلسطين وهزم آلة الدولة الحربية .

العـامـل الحـاسم فـى إستراتيجيـة التحريـر الفلسطينية هو تحقيق تفوق عسكرى عربى على دولة اسرائيل . هذا التفوق لا يمكن أن يكون الا ضمن استراتيجية الحرب الطويلة المدى تعبأ فيها كل امكانيات الامة العربية ضد الامبريالية واسرائيل .

من الواضح ان الميزتين السابقتين تضعان الانظمة

العربية المحتكة بالصراع حلقة وسطى فى استراتيجية الثورة الفلسطينية · فمسألة حرية العمل الفدائى أو تحقيق التفوق العسكرى ضمن حرب طويلة المدى ، ليست بالاختيار العسكرى أو السياسى المفصول عن **الاوضاع الطبقية لهذه الانظمة ·· الشيء الذي يفرض** على الثورة الفلسطينية الاندماج بحركة التحرر الوطنى العربية الثورية القادرة على تحقيق متطلبات الثورة الفلسطينية من جهة ، وتنظيم الصمود الوطنى للبلدان العربية أمام التحدى الاسرائيلى والاستقلال الامبريالى من جبة اخرى · من هذه الزاوية لا مفر للثورة الفلسطينية ، ان هى أرادت أن لا يتحول شعار التحرير الى مجرد لغو لفظى ، أن تناضل جنبا الى جنب مع حركة التحرير الوطنى العربية الثورية فى اطار استراتيجية الثورة العربية ··

8 ـ الوحدة الوطنية

ان فقدان العلاقات « المجتمعية » بين اطراف الشعب الفلسطينى ، طبقات ـ وسكان ، لا يعنى كما يستنتج البعض عدم وجود طبقات فى التركيب الاجتماعى للشعب الفلسطينى ·· نعم ، ان غياب وحدة التشكيلة الاقتصادية ـ الاجتماعية للشعب الفلسطينى ، أو عدم وجود علاقات اقتصادية تحكم سائر الطبقات ، سيترك انعكاساته الواضحة على وحدة المصلحة الطبقية ووضوحها فى معركة التحرير ·· الا أن التكون الطبقى للشعب الفلسطينى واقع ملموس ، سواء كان كشطر ملحق بالهيكل الطبقى لبعض الانظمة العربية ، أو كهرم قائم بداته فى مراكز التجمع الفلسطينى « الضفة الغربية وقطاع غزة » أو فى الاخير ، كبقع موزعة وملتصقة بأسفل السلم الاقتصادى الاسرائيلى ··

·· واذا كان لجميع طبقات الشعب الفلسطينى مصلحة فى التحرير ، فان الطبقات الكادحة (عمال وفلاحون فقراء ، ولاجئون) وحدها ، تحتل الموقع الممتاز فى معركة التحرير ، لانها ودون غيرها لا تشدها أى مصالح اقتصادية الى الوراء فى معركة التحرير الى النهاية ·

من هنا تظهر أهمية الوحدة الوطنية بين كل طبقات الشعب الفلسطينى ، وفى نفس الوقت تتضح الضرورة التاريخية لقيادة الطبقات الكادحة للتحالف الوطنى تحت راية ايديولوجية الطبقة العاملة ·

لماذا ايديولوجية الطبقة العاملة ؟

لانها الايديولوجية الوحيدة القادرة على التقاط مهمات التحرير الوطنى ضمن برنامج جذرى · لانها الايديولوجية الوحيدة التى تتجاوب ومستوى تطور الثورة العربية الاشتراكية التى بدونها يستحيل التحدث عن الانتصار فى نضال التحرير الفلسطينى ·

وليس من الغرابة فى شىء أن يكون السؤال المركزى فى الثورة الفلسطينية ، والذى يثير تناقضات طبقية فى صفوف الثورة الفلسطينية هو الموقف الايديولوجى والسياسى من الثورة العربية ·

يقول السيد على يعثة :

« **ونتمنى من صميم الفؤاد أن تحقق المقاومة الفلسطينية الوحدة الشاملة بين أعضائها مع اختلاف ميولهم ·· وتستبشر خيرا بالاتفاق الذى أبرم مؤخرا بين بعض المنظمات الفدائية ·· وكل أمثلة التاريخ المعاصر تدل على أن توحيد المقاومة أحسن ضمان للفوز** » ·

للسيد على يعثة الحق فى أن يعتبر قضية الوحدة من قضايا الثورة الفلسطينية الداخلية ، ويكتفى بالتمنى

من صميم الفؤاد ·· والاستبشار خيرا ·· ونحن أيضا نتمنى من صميم الفؤاد وحدة المقاومة ، ونستبشر خيرا فى كل خطوة تخطوها المقاومة نحو الوحدة ·· الا اننا لا نقتصر على التمنى بل نتقدم خطوة واحدة فى التحليل من أجل استشفاف اثر الوحدة على الثورة الفلسطينية والعربية ، ومن أجل أن « تكون مواقفنا واضحة حتى تستجيب لمتطلبات المعارك التى نخوضها »·

والحقيقة ، أن موقف السيد على يعثة ينسجم كل الانسجام مع خطه العام ومع مفهومه الحقيقى لقضية الوحدة الوطنية التى تشكل فى مدلوله تجميع القوى بغض النظر عن الايديولوجية والبرنامج السياسى « حتى أن كل أمثلة التاريخ تدل على أن توحيد المقاومة من هذا النوع يؤدى الى الفوز !» · نستطيع من جهتنا أن نجزم أن وحدة وطنية هذا شكلها ومضمونها ، وخاصة في الثورة الفلسطينية ، تحمل معها مخاطر كبرى على الثورة تؤدى بها الى التراجع والنكسة ، وذلك باعتبار متطلبات الثورة الفلسطينية في اطار الثورة العربية ·· ولهذا نؤكد من جهتنا على الوحدة تحت قيادة الطبقات الجذرية وبأفقها الايديولوجى الثورى ·

9 ـ الحل الديمقراطى ··

يقول السيد على يعثة : « **وكم اشقاؤنا الفلسطينيون على صواب لما يقترحون ، مقابل هذا الواقع المر ، دولة ديمقراطية متقدمة ، لا تميز الجنس والدين ، وتضمن حقوقا متساوية للسكان الشرعيين ، من مسلمين ويهود ومسيحيين** » ·

هكذا ، وبكلمة واحدة وعابرة « يمرر » السيد على يعثة موقفه من قضية استراتيجية تهم مستقبل الثورة الفلسطينية والعربية ، وتشغل بال « الرأى العام الدولى » الذى يهتم به السيد على يعثة أكثر من غيره ·

ولان السيد على يعثة كان هدفه فى المقدمة التدقيق والتحديد ، فاننا نذكره أولا ، بأن أشقاءنا الفلسطينيين **ليس لهم مفهوم موحد في هذه المسألة** · كما أن الاختلاف بين فى المضمون النظرى لشعار الحل الديمقراطى بين الاتجاهين على امتداد الوطن العربى ·

ومن واجبنا أن نشهد للسيد على يعثة أنه يتجاوز الاراء التى تدعى أن اسرائيل يمكن لها فى يوم من الايام أن تتحول الى كيان مقبول فى المنطقة ، وذلك بازالة الصبغة الصهيونية عنها ·· ولكن فى أية حدود ؟

ان لشعار الدولة الفلسطينية الديمقراطية مضمونين مختلفين :

ـ المضمون الاول يتمثل بطرح الشعار فى اطار الثورة الاشتراكية العربية ، رابطا الدولة الفلسطينية باتحاد فيديرالى اشتراكى عربى ·

ـ المضمون الثانى يطرح الشعار باطار فلسطينى بحت ·

محمد كشلى ـ الحل الديمقراطى ـ الحرية ·

ولا يمكن فهم منظور كل من الشعارين الا اذا ارجعناهما الى حركة الصراع الواقعية ·· فالشعار الاول ينطلق من تداخل الثورة الفلسطينية بالثورة العربية ، حيث أن المقاومة لا يمكن لها أن تحقق نصر التحرير الا بتحقيق الجماهير الكادحة وفى طليعتهم البروليتاريا انتصارات هائلة على الامبريالية وحلفائها··

والحال ، أن بورجوازية الدولة ، والتى كانت قبل سقوطها التاريخى فى الهزيمة قائدة الثورة العربية ، تقدم يوما بعد يوم دليل عجزها أمام تحديات اسرائيل

والتغلغل الامبريالى ، مما سيدفع بالجماهير العربية الى المزيد من النضال الثورى ويطرح فى جدول الاعمال قيادة البروليتارية للثورة الاشتراكية مرورا بتجذير الثورة الديمقراطية الوطنية ٠٠ ولهذا يطرح على الحركتين الثوريتين الفلسطينية والعربية التحامهما ضمن استراتيجية موحدة ٠٠ ان جدلية هذا الواقع الحى تعنى أن تحرير فلسطين لا يمكن أن يأتى الا فى اطار الثورة العربية وضمن آفاقها الاشتراكية ٠ ولهذا تربط الدولة الفلسطينية باتحاد فيدرالى اشتراكى عربى ٠

أما الشعار الثانى ، فهو يقوم من المنطلق على فصل الثورة الفلسطينية عن مهام تطورات الصراع الطبقى العربى ، رغم شعاراته القومية العمومية ويعتقد أن مهمة التحرير ملقاة بكاملها على عاتقه ، ولا يطالب الجماهير العربية الا بالمساندة المادية والمعنوية ٠ وكان لابد أن يكون تصوره للحل فلسطينيا بحتا ٠ لا ننسى أن نقول ، بأن الشعار الثانى قد يحمل من الديمقراطية المضمون العلمانى وحسب ، بالمعنى المعروف بتعايش الاديان فى دولة لائكية (كما يتبناه حزب الاستقلال مثلا) وهذا الاتجاه وان كان ديمقراطيا فى المظهر الا انه ينطلق من مفهوم رجعى فى العمق ، لانه يساوى بين الصهيونية واليهودية فى كفة واحدة ٠ واذا كان الشعار الديمقراطى الاول هدفه فى الاساس تدمير الكيان الصهيونى بكل مؤسساته وقوانينه (الدولة النقابات ، الاحزاب الصهيونية ـ الهجرة الى فلسطين) فانه يرفض كل ايديولوجية شوفينية سواء فى المنطلق أو فى الحل كالقول بابادة اليهود أو رميهم بالبحر أو العودة الى ديارهم الاصلية ٠

لم نتناول فى هذا الموضوع الا الجانب الذى يهم نقاشنا مع السيد على يعتة ٠٠ وبعد هذا التوضيح نعتبر أن السيد على يعتة يتبنى الحل الثانى الاقليمى ، وهو بدوره كأى بورجوازى صغير رغم عموميته القومية (معركة العرب كل العرب) يمارس فى العمق منهجا اقليميا نظريا وسياسيا ٠ بل اكثر من التبنى الاقليمى، لان السيد على يعتة يضيف اليه « ضمان حقوق متساوية بين السكان الشرعيين » ٠ الا يقول السيد على يعتة مع الفكر القومى الشوفينى بعودة « الغير الشرعيين » وهم الاكثرية الساحقة الى بلادهم والا ٠٠

10 ـ مؤتمرات القمة ـ وتمتين الجبهات الداخلية

ان السيد على يعتة لايعارض مؤتمرات القمة ٠٠ بل يبحث لها عن « مهماز » يتشكل من كل القوى التقدمية والوطنية فى تجمع شعبى ٠٠

موقف السيد على يعتة من مؤتمرات القمة وقضية الجبهات الداخلية ينسجم كل الانسجام مع فهمه لطبيعة المرحلة التى ينصب فيها النضال ضد اسرائيل و « ٠٠ الامبريالية »

ولان السيد على يعتة لا يميز الرجعية العربية كعدو رئيسى ثان وحليف دائم للامبريالية ، بل لانه لايعى بصحو أن النضال ضد اسرائيل هو نضال ملموس ضد الامبريالية وحلفائها ، ولانه لايدرك اتجاه الاستسلام القومى الذى تخطو اليه بسرعة بورجوازية الدولة العربية ٠٠ فانه يشترط من اجل تقدم نضال تحرير فلسطين والتحرر من الامبريالية أن تتمسك القوى التقدمية بمؤتمرات القمة كصيغة لتحالف القوى الطبقية على الصعيد الرسمى مع تعزيز الجبهات الداخلية على الصعيد الشعبى ٠

أولا ، ما هى مؤتمرات القمة ، ولمصلحة من ؟
ثانيا : هل ينبغى تعزيز الجبهات الداخلية ؟

بدون الرجوع الى مؤتمرات القمة فيما قبل الهزيمة ، والتي استفادت الرجعية العربية الحاكمة من جلها . (اتفاقية عدم التدخل في الشؤون الداخلية .. اتفاقية جدة) ، بتجميد الصراع الطبقى على الصعيد القومى ، وقمع حركة التحرر الوطنى العربية فى كل البلدان العربية .. فان مؤتمر الخرطوم الاخير يبرز قيمة مؤتمرات القمة فى ظل الشروط الطبقية للانظمة العربية القائمة .. وبدارج الكلام ، فان مؤتمر الخرطوم لم يكن الا صفقة تجارية ـ سياسية بين بورجوازية الدولة والرجعية العربية على حساب مصلحة النضال القومى والطبقى .

لقد اشترت الرجعية العربية « شرفها الوطنى » وتحويل أنظار الجماهير عن المصالح الامبريالية البترولية ، واطلاق يدها فى منطقة الخليج العربى واليمن الشمالية .. مقابل سد العجز المالى لانظمة بورجوازية الدولة المتضررة من عدوان 67 .

ان أى مؤتمر قمة فى **غياب مد جماهيرى ثورى على الاقل ، لن يكون الا في مصلحة الرجعية العربية** أساسا . ويساعد فى النهاية على تخدير وعى الجماهير وتحريف طريق النضال عن خطه الصحيح .

ثانيا : ان العلاقة فيما بين الطبقات تتحدد ضمن **أي برنامج ثوري بموقف كل منها من اعداء الثورة الرئيسيين (الامبريالية واسرائيل) ، بالدور الذى يمكن أن تأخذه على عاتقها فى هذا النضال القومى . والحال ، أن الرجعية العربية لا يمكن لها أن تجد مقعدا لها فى** هذا التحالف الوطنى ، لان مصالحها ترتبط بالف رابط بالمصالح الامبريالية فى الوطن العربى ، ولانها عدوة لاى تحرك جماهيرى وعدوة حتى لابسط المطالب الديمقراطية .. « ان الرجعية العربية لا تعرف الحلفاء بل تعرف الخدام والعبيد » .

مثال وحيد ومضىء فى الوطن العربى ، يعطى النموذج الثورى فى التمسك بهدفى الثورة العربية فى تحرير فلسطين والتحرر من الامبريالية . هذا المثال تقدمه الجبهة الشعبية لتحرير الخليج العربى (جبهة **ظفار ـ وجبهة عمان)، الجبهة الشعبية لتحرير الجزيرة** العربية .. أكبر جزء من الوطن العربى الذى يعيش تحت حكم الرجعية الاستبدادى وفى ظل انظمتها أنظمة الجهل والتخلف والتبعية ..

من وجهة نظر السيد على يعتة الداعى الى تمتين الجبهات الداخلية بين جميع الطبقات لان المعركة معركة قومية ، تكون هذه التنظيمات الثورية تجهض المعركة القومية لانها تخل بمقياس التحالف الوطنى . وفى نظرنا تشكل النموذج الصحيح لوعى المضمون الطبقى للنضال القومى .

الثوريون ملزمون فى دعايتهم وتحريضهم أن يكشفوا تحالف الرجعية بالامبريالية . وأن يطردوها من صفوف الامة العربية ، يطاردوها كلما شاءت أن تتستر وراء ديماغوجية عربية لفظية باسم « الواجب القومى الذى يحتم تجميع طاقات الامة العربية» .

ربما يعترض علينا السيد علي يعتة ، باننا لم ندخل في حساباتنا بعض الفقرات أو الجمل التي تتحدث فيها عن تعميق نضال الشعوب العربية فى الميدان الاقتصادى والسياسى .. الخ . ونقول هذه لفظية لا قيمة لها ما لم تحدد ضد من ومع من هذا النضال ..

وما هو قوامه ؟ أو يقول ، اننا نهدف من الجبهات الداخلية تنظيم المعونة المالية والدعائية والديبلوماسية للثورة الفلسطينية ٠٠ ونجيب ، يا لهزالة مفهومك عن « وطنية فلسطين التى تهتم بها كاهتمامك بالمؤسسات الديمقراطية ! » ٠

أما فى أنظمة بورجوازية الدولة فلقد ساد تحالف وطنى ، وتحالف طويل ، استطاعت بواسطته الطبقات الحاكمة أن تلجم نضالية الجماهير والطبقة العاملة ٠٠ كان ذلك نتيجة لاسباب موضوعية وذاتية أهمها : الدور **التقدمي الذي اضطلعت به هذه الطبقةفي المراحل الاولى** لتكونها ضد الامبريالية والبورجوازية الكبرى والاقطاع ٠٠ والابتزاز الايديولوجى الذى مارسته باسم الاشتراكية والتقدمية والثورية ٠٠ الخ .. السياسة التحريفية التى مارستها الاحزاب الشيوعية التقليدية **باخطائها القاتله (في مواقفها الاولى من القضية الفلسطينية** والوحدة العربية والاصلاحات الديمقراطية٠٠)

هزيمة 1967 ، وضعت الطبقة الحاكمة فى أزمة خانقة وطنية وطبقية ٠٠ نعتقد بسبب هذه الظروف أن الوقت قد وصل لفك هذا التحالف اللاشرعى والذى نما تحت هيمنة الطبقة الحاكمة ٠ وأن المهمة المركزية هى الاستقلال الايديولوجى والسياسى للطبقة العاملة فى طريق زعامتها للتحرر الوطنى والديمقراطى والاشتراكى ٠٠ على الثوريين أن يكونوا على استعداد لاستيعاب الزحم الجماهيرى الذى قد تدفع به ورطة وأزمة الطبقة الحاكمة ٠٠

II – الاتحاد السوفياتى والثورة الفلسطينية ٠

يقول السيد على يعتة : « **ومن عناصر الثقة بالمستقبل والتفاؤل ، أن صارت هذه القدرة فى تعزيز مؤكد ٠ ذلك أن الاتحاد السوفياتى ومعه دول اشتراكية أخرى ، قام فورا بتعويض الجمهورية العربية المتحدة و ج٠ ع٠ س٠ بجميع ما فقدتاه من أسلحة ومعدات خلال العدوان وهو يواصل مد العرب بجميع احتياجاتهم من الاسلحة الحديثة ، دعما لصمودهم وتقوية لكفاحهم** »

شكرا للاتحاد السوفياتى ٠

مرة أخرى يسجل السيد على يعتة ابتهاجه وامتنانه ٠٠ ويقفز بسرعة فائقة عن موقف الاتحاد السوفياتى من المقاومة الفلسطينية ، وهو الذى يريد التدقيق والتحديد حتى تكون مواقفه فى مستوى المعركة ٠٠٠ !!

علينا أن نذكر السيد علي يعتة وخاصة أشقاءه فى الاتجاه بالجزائر ، بموقف الاممية الشيوعية بقيادة لينين 1922 من الفكرة الصهيونية ٠ تقول الوثيقة التى نشرتها جريدة الحرية :

« ان الفكرة الصهيونية « انشاء دولة يهودية فى فلسطين » التى تستخدم لصرف الجماهير العمالية اليهودية عن الصراع الطبقى ، ما هى الا وهم بورجوازى صغير ومضاد للثورة » ٠

لم يكن يقصد بالوهم البورجوازى الصغير استحالة تحقق الدولة الصهيونية فى فلسطين ، بل أن الصهيونية كايديولوجية تنظير بورجوازى صغير مشوه ومعكوس عن البؤس والاضطهاد الطبقى والعنصرى الذى كانت تعيشه فى أوروبا الطبقات السفلى من اليهود ٠٠ فبدل خوض النضال الطبقى للخلاص من الرأسمالية وهى الجذر الحقيقى لهذا الاضطهاد ، تخلص البورجوازية الصغرى اليهودية بتنظيرها الى الهروب من هذا الواقع وبناء دولة يهودية ٠٠ وبذلك تقدم للرأسمالية خدمة

جليلة بصرفها العمال عن النضال الطبقى .

اذن ، فالخطأ الاول للاتحاد السوفياتى موطن لينين واللينينية هو بالذات فى اعترافه بالكيان الصهيونى الذى لم يعد (وهما بورجوازيا صغيرا) بل قاعدة امبريالية .

قلنا « خطأ » بينما هو فى الواقع سياسة متكاملة تقوم على ضمان مصالح الاتحاد السوفياتى فى المنطقة في اطار تنافسها السلمي مع الامبريالية ،ودون اعتبار مصلحة حركة التحرر الوطنى .

هذه السياسة هى التى توضح بلا غموض سبب تجاوز موطن لينين لموقف اللينينية من الصهيونية ، سبب سحق خلفاء لينين الغير الشرعيين بالاقدام لحقوق الشعب الفلسطيني الشرعية ..

فى البداية كانت الحركة الصهيونية فى عرف الاتحاد السوفياتى حركة تحرر وطنى ثم سرعان ما تطور الموقف السوفياتي وخاصة بعد اكتشافه قدم جديدة فى الانظمة العربية العسكرية الناشئة .. ان اسرائيل منذ هذا التاريخ اصبحت بنظر الاتحاد السوفياتى دمية بيد الامبريالية ، لكن موقف الاعتراف باسرائيل ضل ثابتا وقائما ... وطوال هذه المرحلة وحتى ما بعد الهزيمة بقى موقف الاتحاد السوفياتى من الشعب الفلسطينى فى اطار مفهوم اللاجئين وقرارات الامم المتحدة .

ان السيد على يعتة لا يرى الاجانب الدعم العسكرى للاتحاد السوفياتى .. لكنه لايحاول أن يرى الجانب الثانى والاساسى فى الموضوع ، وهو السياق السياسى والتركيب الطبقى الذى يصب فيه الدعم العسكرى .. ان كل تحركات الاتحاد السوفياتى من بعد الهزيمة هدفها الاساسى اقرار السلم فى المنطقة واعادة التوازن على ما كان عليه قبل سنة 1967 .. وفى سبيل هذا الهدف تأبط قرار مجلس الامن ، ودخل به الى مفاوضات الاربعة الكبار ثم دفع بمصر لقبول مشروع روجرز ، وقدم تنازلات سياسية مع المزيد من الدعم العسكرى كى يحافظ على توازن كفتى الميزان بالقدر المشرف .

ان أنظمة بورجوازية الدولة بتركيبها الطبقى وبرنامجها السياسى والعسكرى ، غير قادرة على الانفلات من دائرة لعبة التوازن الدولى بين الاتحاد السوفياتى والامبريالية الامريكية ، لانها لا تستطيع أن تعتمد على نفسها فى معركة التحرير الى النهاية ، وهى بحاجة كبرى الى مساعدة الاتحاد السوفياتى ودعمه العسكرى وامكانياته الدولية حتى تحفظ توازنها الداخلى وتخرج من ورطتها « الوطنية » بعد الاحتلال الاسرائيلى سليمة الجلد والمصالح .. ومهما كانت التنازلات التى تقدمها الى الامبريالية الامريكية ، فليس بامكانها فى مرحلة تورطها فى أزمة الاحتلال الاسرائيلى أن تتخلى عن حليفها التاريخى الاتحاد السوفياتى .

لقد توصل الاتحاد السوفياتى فى سلم تراجعاته السياسية ، واستنباطاته من مفهوم اللاجئين الى البحث عن ما يخفف ثقل رجوع اللاجئين الى ديارهم الشرعية ، لان هذا الرجوع (وهو حلم فى الواقع) يناقض طبيعة الكيان الصهيونى .. مما اضطر الاتحاد السوفياتى فى بحثه الحثيث عن السلم وارجاع التوازن على ما كان عليه .. الى تلقف الفكرة الصهيونية نفسها القائلة بتكوين دولة فلسطينية على الجوار بالضفة العربية تكون دمية بيد اسرائيل . وتنهج بلا رجعة مشكلها التاريخى الذى ضل حائلا بينها وبين الانظمة العربية فى التعاون

المبنى على السلم والاعتراف بحق الوجود ٠٠ فأين الاتحاد السوفياتى من الثورة الفلسطينية !!

ضمن الخط السوفياتى لابد أن تكون المقاومة الفلسطينية نزعة يسارية متطرفة ومغامرة تعرقل جهود السلام فى المنطقة ٠٠ هذا هو الخط الرسمى الذى عبرت عنه اجهزة الاتحاد السوفياتى مرارا وتكرارا ٠٠ ولم يتغير بالمرة فى الفترة التى احتاج فيها الاتحاد السوفياتى الى التلويح بورقة ضغط المقاومة الفلسطينية، كان ذلك فى وقت زيارة الوفد الفلسطينى الى الاتحاد السوفياتى ٠

لو كتب السيد علي يعثة وثيقته في نفس الفترة لاضاف الى ابتهاجاته « استقبال الاتحاد السوفياتى للوفد الفلسطينى » ، ولعزل الحدث ، كما هى العادة عن سياقه السياسى ٠ وبكلمة جدية ، ما هو اذا موقف السيد على يعثة ؟ اما المناضلون الاشتراكيون فانهم يدينون موقف الاتحاد السوفياتى لا من الثورة الفلسطينية فحسب ، بل السياسة التحريضية بكاملها التى ينهجها الاتحاد السوفياتى ، دون أن ينسوا لحظة واحدة التناقضات القائمة بينه وبين الامبريالية ٠ وهم يناضلون خاصة ، وفى المقام الاول ، ضد اتباع التحريفية فى الوطن العربى لانهم يضرون اشد الضرر بحركة التحرر العربية ٠

12 – فلسطين والمسألة الوطنية ٠

يقول السيد على يعثة : « **وهنا ننطلق من كون القضية الفلسطينية ليست بأجنبية عنا ، ولا بقضية دولية بالنسبة لنا ، بل هى فى اعتبارنا قضية من قضايانا الوطنية الجوهرية ٠ ولذا نعالجها دون انقطاع، وندخلها فى اهتماماتنا واشغالنا اليومية ، ونعتنى بها فى كل حين وكل مكان ، كما نفعل بقضية تكميل وحدة ترابنا (٠٠٠) وتحقيق استقلالنا الاقتصادى والاصلاح الزراعى (٠٠٠) وقضية فوز الديمقراطية ، وفى طليعتها انتخاب المجلس التأسيسى واحترام الحريات الديمقراطية** » ٠

أكثر السيد على يعثة من وصف اعتنائه واهتمامه « فى غمرة حماسته الوطنية الدستورية » بالقضية الفلسطينية ، الى أن أدى به الامر الى معادلتها ومساواتها بالنضال من أجل الديمقراطية وفى طليعتها انتخاب مجلس تأسيسى ٠٠!

(ينسى السيد على يعثة قوله بأن القضية الفلسطينية توشك بأن تؤدى الى حرب عالمية نووية لا تبقى ولا تذر ٠٠ فهل انتخاب مجلس تأسيسى سيؤدى هو الاخر الى هذه الحرب الجهنمية !!)

حقا ، ان الفهم الثورى هو ربط النضال القومى ، وفى جوهره قضية فلسطين ، بالنضال الوطنى التحررى ٠٠ والحقيقة ، ان كلا منا يربطها بطريقته الخاصة ، **لان كل ما ناقشناه في السابق ما هو الا امتدادللموقف الوطني ٠٠ وهذا يدل على أن التناقض يبتدىءمننقطة** الانطلاق من المسألة الوطنية نفسها ٠

وسنبين للسيد على يعثة فى الاخير ، أنه يبقى فى حدود الربط اللفظى ، وأن قوميته العمومية (العرب كل العرب ٠٠ ومن خالف منهم) قومية مغشوشة ، وغطاء لممارسة يمينية وطنية٠ ما هو المطلوب فيالمرحلة الراهنة من أجل دعم الثورة الفلسطينية ؟

فى ظل شروط ميزان القوى الحالى ، لا يمكن أن نطلب من القوى الثورية تحقيق قفزة استراتيجية فى

نضالها الوطنى ٠ ولكن من الضرورى أن نحاكمها على أساس مقدار عطائها السياسى والايديولوجى ٠٠

المطلوب هو فك هذه « الوحدة الوطنية » المزيفة بين الرجعية الحاكمة وجماهير الشعب ، فى قضية تهم مستقبل الثورة العربية ، ولا تتعلق بها الرجعية الا من أجل طمس الصراع الطبقى والحيلولة دون الاندفاع بحركة الجماهير العربية وامتداد الحريق الثــورى الذى أشعلته الثورة الفلسطينية الى بلادنا ٠٠ وطريق المناضليــن الى ذلك هو فتح آفاق النضال السياسى مع الجماهير ضد كل الارتباطات الاقتصادية والسياسيــة للرجعية الحاكمة بالصهيونية والامبريالية ٠ وضرب العزلة القومية التى تضع فيها الرجعية الحاكمة بلادنا بعيدا عن محور الصراع العربى-الصهيونى الامبريالى ٠ هذه المهمة الثورية يتردد فيها السيد على يعتة بين تمتين الجبهات الداخلية (بين كل الطبقات ، الحاكمة والمحكومة الرجعية والتقدمية) وبين بعض المزايــدات الوطنيــة التقدمية اللفظية ٠٠

المطلوب من القوى الثورية تمييز ايديولوجيـــة البروليتياريا فى فهمها لكل قضايا الثورة الفلسطينية والعربية ، عن الخليط الايديولوجى المائع للبورجوازية الصغيرة او الوطنية ٠٠ الدعم المالى الذى تقوم بــه « الجمعية المغربية لمساندة الكفاح الفلسطينى » دعم مهم ومطلوب ، لكنه ليس الاساس بالنسبــة للمناضليــن الاشتراكيين ، ليست الجمعية مركز الثقل فى النضال العربى الفلسطينى كما يعتبرها السيد على يعتــة ، لانها تعطى بجانب الدعم المالى خليطا واسعا من المفاهيم الايديولوجية والسياسية ، ولا تستطيع فى أحســن الاحوال الا تحريك الفئــات المتوسطــة من جماهيــر الشعب فيما تخصصت له واهتمت به دون غيــره : الدعــم المـــالى ٠

لماذا لم يبحث السيد على يعتة الوضع السيــاسى الملموس للقضية الفلسطينية فى اطار الطبقات والقوى السياسية ٠٠ وهو الذى يدعى الاشتراكية العلمية فى البحث ، ويطلب التدقيق والتحديد ؟ فبين الايديولوجية الشوفينية الرجعية التى يدعو لها حزب الاستقلال ، (اعتبار المعركة معركة دينية) والايديولوجية القومية اللفظية التى تدعو لها البورجوازيــة الصغــرى بكــل أجنحتها ، خيط سياسى مشترك هو الانتظارية ٠

والانتظارية هــى الخــط السيــاسى لموقـــف البورجوازية الصغرى والوطنية من مهام النضال فى المرحلة الراهنة ٠٠ الانتظارية تعبير عن ازمة بنيوية للخط الاصلاحى فى المرحلة الحالية من تطور الصراع الطبقى ٠٠ وهى انعكاس لعزلة الاصلاح عن الجماهير الشعبية من جهة ، وتصلب الحكم سياسيا واقتصاديا باتجاه الارتباط مع الامبريالية من جهة اخرى ٠

القوى السياسية التقدمية والوطنية تنتظر اما تحركا جماهيريا عفويا تركبه لتساوم وتناور علـــى أساسه ، مع ممارسة يومية مناقضة تقوم على حبس أى تحرك جماهيرى خوفا من المجابهة المحدودة ، أو هى تنتظر أزمة بجهاز الحكم تضطره لممارسة سياسة متفتحة الى حد ما على الاصلاحية ٠

فى اطار هذا الخط السياسى جاء مفهوم الجبهة المساندة استاتيكيا (الدعم المالي والمعنوي) تحت غطاء قومية عمومية أو شوفينية ليعــزز الخـط السياسى الانتظارى ، لانه لا يحرجه فى نضالات ملموسة ضـــد الحكم ٠ وبهذا المعنى احتلت قضية فلسطين فى الممارسة

وفى المفهوم الايديولوجى مكانتها المرموقة فى الخط السياسى الانتظارى • فأين القضية الفلسطينية اذا ، من الاصلاح الزراعى والاستقلال الاقتصادى • الخ !!

هل هناك من حل ؟ المسألة أعمق من دعم الثورة الفلسطينية •• انها أزمة تاريخية للاصلاحية • ومعالجتها أيضا لن تكون الا معالجة تاريخية ••أرأيت أيها الاستاذ على يعثة كيف نربط القضية الفلسطينية بالمسألة الوطنية ؟ هل اكتشفت سر عقمك القومى والوطنى ؟

13 – الانتهازية اليمينية

– يلتجأ الفكر البورجوازى الصغير ، الذى يمثله السيد على يعثة ، الى التستر وراء قومية لفظية عمومية من نمط « العرب كل العرب •• ومن خالف منهم » حتى يمرر ، وبدون شعور من الجماهير ، كل خلاصته السياسية اليمينية (التحالف على مستوى القمة – وتمتين الجبهات الداخلية) •

وفى خطى هذا النهج ، يصوغ السيد على يعثة افكاره عن النضال القومى – الطبقى ضد اسرائيل والامبريالية بعيدا عن معطيات الصراع الطبقى الوطنى الملموس (الرجعية العربية – بورجوازية الدولة) •

وضمن هذا الفهم ، يتحول النضال ضد الامبريالية الى مجرد عداد لفظى ، لان العلاقة بين الطبقات فى الصراع الوطنى معكوسة ومقلوبة ، لا تسمح فى اطار القوانين والمفاهيم التى يحددها لها الفكر البورجوازى الصغير بنضال ملموس يقدم البروليتاريا الى سدة القيادة •

– مفهوم السيد على يعثة عن الثورة الفلسطينيه معزول عن مجراه التاريخى للثورة العربية •• فهو اقليمى يمينى بحث (خصائص الثورة الفلسطينية ، الوحدة الوطنية ، الحل الديمقراطى)

وأمام هذا الفهم لا يملك السيد على يعثة الا الثرثرة اللفظية حول « وطنية القضية الفلسطينية التى هى كالمؤسسات الديمقراطية» ويتكشف منطقه فى نهاية التحليل ، على أنه اقليمية مجزأة ممارسة سياسية اصلاحية – انتظارية عاجزة عن الادماج الفعلى للنضال الوطنى بالنضال القومى •

– الميزة التى ينفرد بها السيد على يعثة عن رفاقه فى الاتجاه ، هى الهروب والمواربة من التحديد والتدقيق لمواقفه السياسية .. وهذا يقدم خليطا من المواقف (التسوية العادلة لازمة الشرق الاوسط) و (تأييد المقاومة بشكليها المسلح والجماهيرى) و (جدلية ازالة آثار العدوان وتحرير فلسطين •• بكل الوسائل)•• كل هذا الخليط المنفر من أجل أن يتهرب من تحديد موقفه الملموس من الحلول السلمية ••• حتى لا يحكم على نفسه « بالاعدام سياسيا وجماهيريا » أو بالاصح « سوفياتيا » وأخيرا ، الذيلية السياسية للاتحاد السوفياتي ، والاكتفاء امام النقد بتسجيل الابتهاج والامتنان ••

اننا لا نجنى على السيد على يعثة اذا وضعناه فى صفوف الانتهازية اليمينية ، لانه يقف فى الوسط بين اليسار واليمين بعمومياته اللفظية ، ويمارس فى الواقع خطة سياسية يمينية •

الصراع الطبقي في مصر من 1945 الى 1968

حلقة 2

نتشر فيما يلي عرض مجلة «انفاس» بالفرنسية (عدد ماي ١٩٧٠) حول الكتاب الذي أصدره في الموضوع محمود حسين ·

ظهور بورجوازية الدولة

١ ـ التحول الحاسم للنظام

تميزت هذه المرحلة باستراتيجية جديدة نهجها النظام · فسرعان ما أدرك عبد الناصر اهمية التغلغل السوفياتي في المنطقة والفوائد التي يمكن الحصول عليها منه · ذلك أن عروض الاتحاد السوفياتي من شانها أن تخفف من حدة الضغوط الغربية دون أن تفرض في المقابل ادنى تحول ايديولوجي · وقد وجد هذا الاتجاه تزكيته في مساهمة مصر بقسط وافر في مؤتمر باندونغ الذي أكسب النظام الناصري صيتا عظيما ، اذ منذئذ صار بوسعه اعتبار نفسه من أهل سياسة الحياد الايجابي التي كانت توصف آنذاك بانها معادية للامبريالية ·

لكن القرار الذي اتخذه ناصر سنة ١٩٥٦ ، غداة انتخابه رئيسا للجمهورية ، بتاميم قناةالسويس هو الذي جعل فرنسا وابريطانيا تدركان مدى التحدي المصري ؛ ذلك التحدي الذي كان النظام يسعى منه الى اثبات قدرته على مقاومة الدول الغربية الكبرى ·

ثم كان انسحاب البعثات العسكرية الفرنسية والانجليزية تحت ضغط روسيا والولايات المتحدة التي كانت تسعى الى استغلال الظروف على حساب الاطراف المتنازعة ؛ ورغم انهزام الجيش المصري ، تحول هذا الانسحاب الى مصدر مجد لاحدود له لعبد الناصر ·

وفي غمرة هذا الاندفاع أعلن عبد الناصر سياسة «التمصير» وتكليف الدولة بتسيير كبريات الشركات والابناك الفرنسية والانجليزية؛ وفقدت الدول الكبرى القديمة فجأة وسائلها الرئيسية في ممارسة

الضغط الاقتصادي المباشر داخل البلاد ٠

٢ ـ مصر في ساحة السوق الرأسمالية العالمية

لو ظل النظام الناصري معزولا بمفرده لما كـان بمقدوره أن يجتاز هذه الحقبة الحاسمة من تاريخه ٠ ذلك أن السياسة الجديدة للحزب الشيوعي السوفياتي منذ مؤتمره الثاني والعشرين هي التي ساهمت بصفة أساسية في تطوير النظرية المصرية ـ بل ونظرية كـل القادة البرجوازيين للدول المشاركة في مؤتمر باندونغ أيضا ـ ٠ ويلخص محمود حسين تلك السياسة فـي «الامكانية الجديدة الممنوحة لقادة برجوازيين وطنيين أو برجوازيين بيرقـراطيين بالانـعتاق مـن الـسوق الرأسمالية العالمية ومن علاقات التبعـية للامبريالية ، ومن ثم السير في طريق غير رأسمالي مزعوم ، اعتمادا علـى البلـدان المسمـاة بالاشتراكية أكثـر فأكـثر ، واعتمادا علـى النخب الـبرجوازية الصغـيرة فـي الداخـل» ٠

وقد فسر دعاة النظام هذه الحرية النسبية تجاه السوق الرأسمالية العالمية على أنها طـريق التحـرر الوطنيلكن مصر في الواقع ظلت غير قادرة على ضمان استقلالها الوطني الفعلي٠٠٠«وبعبارة اخرىظلتبنيات تبعية مصر عضويا للسوق العالمية بدون مساس كماورثها النظام الجديد عن النظام القديم ٠ صار مركز ثقل هذه التبعية يتحول ، وصار النـمو الـداخلي للرأسماليـة المصرية يستقي من ذلك حيوية مؤقتة ، ولكن وضعية التبعيـة الاساسية ظلت بدون تغـيير» ٠ وهـنا يسهب الكاتب في توضيح الفرق بين ما يسميه «عطلة مؤقتـة وسيطرة مباشرة» من جهة ، وطريق الاستقلال الوطني الفعلي من جهة ثانية ٠

٣ ـ الحكم والجماهير الشعبية

«وقد بـدأ عجـز النظام عن تـوطيد الطاقـات الوطنية الكفيلة بمقاومة الضغوط الامبريالية يتضـح بجلاء في مـوقف الحكم من اسرائيل ، ذلـك الموقـف الاستسلامـي في عـمقه ، والـذي تحـاول الدعايـة تغطيته» ٠

ويبرهن محـمود حسين علـى صحة ما يقـول مشيرا الـى قيام الدولـة بكـبت الاندفـاع الـوطني الفلسطيني في غزة ٠ وقد فعلت ذلك تمشيا مع قبولها بمرابطة القوات الدولية فـي الاراضـي المصريـة المتاخمة للدولة الصهيونية ، قصد حماية الحدود مـن أي تسـرب فلسطينـي وحمايـة مـرور البواخـر الاسرائيلية في مضيق تيران ٠

والواقـع أن سنة ١٩٥٦ ، ان كـانت سنة أكبـر انتصار سياسي للنظام ، فقد تجلى فيها أيضا وبكـل وضوح عجزه الحقيقي عـن مواجهة أعـداء الشعـب المصـري ٠

« في يوم ٢٦ يوليوز ١٩٥٦ ، عشية اعلان عبـد الناصر عن التأميم بالضبط ، تجلت معاداة النظام بصفة اساسية لأية مبادرة شعبية» ... «فالحكم وحـده هـو الذي اتخذ القرار ، وهو وحده الذي اخـتار الهـدف وحدد توقيت الضربة وطريقة اعلانها للشعب المصري ، وكان يرغب في الاحتفاظ بمفرده بكل الفوائد السياسية للعمليـة ٠

ومـع ذلك كانت الجماهير تطالب بالسلاح فـي كـل مكان ، من أجـل مواجهة التفوق التقني للجيوش الامبريالية بالقوة الخلاقة للجماهير المسلحة ٠ لكـن

الجماهير المسلحة هي «نواة حكم الجماهير» ، كما أن فقدان الجيش «احتكار امكانية استعمال العنف» من شانه أن يجعل احتكار زمام المبادرة السياسية ينفلت من يد النظام ، «وفي هذه الحال تتوقف الملحمة الناصرية عند هذا الحد» ، ولذا فضل النظام استقرار الوضع القائم مع اسرائيل ·

٤ ـ تحول ميزان القوى داخل الطبقة الحاكمة

لقد وقع الحكم على عقد ازدياد برجوازية الدولة يوم قرر جعل الابناك والشركات الاجنبية تحت تصرف الدولة سنة ١٩٥٦ . وقد صار كل عمل يقوم به النظام لتنمية القطاع العمومي فرصة تغتنمها برجوازية الدولة لتقوية مركزها . «ومن الوجهة الاقتصادية كان مطلوبا من النخبة البورجوازية الصغيرة العسكرية تزويدالقطاع الاقتصادي التابع للدولة باطاراته الرئيسية ، وفي نفس الوقت تقوية بقية مرافق جهاز الدولة واخضاعها بدقة أكبر لتوجيهات الحكم الناصري» .

ولم تبق عند الكوادراية أوهام فيما يخص الدور العسكري للجيش في المستقبل · «فمنذ العدوان الثلاثي لم تعد تفكر في الدخول في الحرب ، وصارت تعمل على توطيد سلطة الجيش سياسيا واقتصاديا بدعوى تهييء الحرب ، وبذات الوقت تكرس نفوذ برجوازية الدولة التي تمثل جزءا هاما منها · وبمجرد ما صارت برجوازية الدولة في موقع التفوق والسيادة ، تفاحش السباق نحو الاغتناء الشخصي» · «منذئذ لم تبق عند مجموع الاطارات العسكرية اذن أية اهتمامات وطنية ، في الوقت الذي كان مفترضا في الجيش أنه يؤطر المجهود الوطني للبلاد» ·

ونظرا لحداثة صعودها الى وسط جديد ، اقبلت تلك الاطارات على مدرسة البرجوازية التقليدية لتتعلم عنها باجتهاد اسرار دنيا الاعمال، وصارت تنسج شبكة معاملات وتعامل ·

٥ ـ الوحدة العربية

يعتقد محمود حسين ان من الضروري تحديد العلاقات التي ربطها النظام الناصري مع البلدان العربية في هذه المرحلة من حياته · والخط الذي نهجه عبد الناصر في المجال العربي يتخذ واجهة اقتصادية وأخرى سياسية ·

ـ على الصعيد الاقتصادي : «لايمكن بناء صناعة ثقيلة وعصرية تساير المقاييس الانتاجية للرأسمالية العالمية الا على صعيد واسع · وباعتبار تفوقها على مستوى نمو بقية البرجوازيات ، كانت البورجوازية المصرية وحدها قادرة على طرح وانجاز مشروع كهذا، شريطة أن تنشأ روابط اقتصادية متينة وثابتة تفتح لها العالم العربي» · وقد لقيت هذه السياسة صدى حسنا عند جميع النخبات البرجوازية والبرجوازية الصغيرة في البلدان العربية ، اذ كانت ترى فيها أملا في تحقيق مطامحها الرأسمالية ، ونفس هذه الصورة كانت موجودة في اليمن وسوريا · أما في العراق فكانت هناك فئة من البرجوازية الوطنية تتطلع الى السند الناصري ، وفئة أخرى قوية منذ البداية تحارب النفوذ المصري ·

ـ على الصعيد السياسي كانت القيادة الناصرية للحركة الوطنية العربية تمثل بالنسبة للبرجوازية المحلية حصنا ناجعا يحميها من الطبقات المحافظة ومن الحركة الجماهيرية على السواء ·

ولان نظامهم الدفاعي يتنافى وأية مشاركة

جماهيرية ، كانت ضرورة حشد طاقات أوسع من الطاقات المصرية ، أي ضرورة العمل على المستوى العربي ، تسيطر على تفكير القادة المصريين .

لكن نظام رأسمالية الدولة في مصر أظهر عجزه عن مقاومة جبروت الاحتكارات الغربية خارج حدوده رغم مساندة وتشجيع الاتحاد السوفياتي له .

سيطرة بوجوازية الدولة (١٩٥٩ - ١٩٦٣)

في سنة ١٩٥٩ ، استغل النظام الناصري نفوذه السياسي المتراكم فقرر تصفية التيار الشيوعي في العالم العربي نهائيا بهدف توطيد مصالحه واظهار نواياه الطيبة لقوى الامبريالية . هكذا فتحت مقبرة السجون أبوابها في كل من مصر وسوريا ، بينما باءت العملية بالفشل في العراق .

في هذه الظروف كانت سنة ١٩٥٩ سنة جمود في العلاقات مع الشرق ، وعلى العكس سنة توارد العروض والقروض من الغرب . وبفعل هذا التقارب مع الغرب صارت البرجوازية التقليدية أكثر طيشا . وزادت ضغوط الدول الغربية من جهتها حدة في المطالبة بمراجعة الاتفاقيات المبرمة مع الاتحاد السوفياتي والمتعلقة بالقسم الاول من مشروع السد العالي .

وأحس عبد الناصر أنه صار سجين اتجاهه الجديد . وفجأة أوقف دعايته المناهضة للشيوعية ، وأعلن أن الاتفاقية المتعلقة بالجزء الاول من مشروع السد العالي قد أبرمت مع الاتحاد السوفياتي . وبعد أيام قرر تأميم بنك مصر ، موجها بذلك ضربة هائلة للبرجوازية التقليدية وواضعا بيد الدولة عدة مئات من الملايير ، ومحاولا بذلك تركيز السخط الشعبي وتوجيهه ضد البرجوازية التقليدية .

ولم يكن أمام البرجوازية التقليدية الا الاذعان للضربة الجديدة المتمثلة في اجراءات يوليوز ١٩٦١ نظرا لافتقارها الى قيادة طبقية ولعجزها عن الصمود وهكذا صدرت سلسلة مراسيم تجعل تحت المراقبة المطلقة للدولة مجموع المؤسسات المالية والابناك وأغلب الشركات الصناعية والتجارية الهامة أجنبية كانت أم محلية ؛ وصدر كذلك نص تشريعي بصدد تحديد الملكية العقارية .

واذا كانت البرجوازية التقليدية عاجزة عن الصمود في مصر ، فقد اختلف الامر بالنسبة لشقيقتها في سوريا . فبعد أسابيع قلائل من اجراءات يوليوز ، وقع انقلاب عسكري أعلن انسحاب سوريا من الجمهورية العربية المتحدة . وكانت هذه أول هزيمة كبيرة النظام فكان رد فعل الحكم عنيفا تمثل في شن دعاية صاخبة ضد البرجوازية التقليدية ومحاكمة برجوازيين كبار ، وسلب ممتلكات خصوصية الخ ....

وفي غمرة هذا الاندفاع ، استدعى النظام الشعب للتصفيق على «ميثاق العمل القومي» الذي يؤسس بمقتضاه «الاتحاد الاشتراكي العربي» .

وصارت اللهجة السياسية رنانة على مستوى الدعاية الرسمية ، اذ يتعلق الامر الآن بنهج «الاشتراكية» و «بالنضال ضد الامبريالية» و «بالاكتفاء الذاتي والتوزيع العادل للثروات» .

ويستند هذا التضليل الجديد على التباس المفتعل القائم على أن «الملكية الفردية هي الرأسمالية» وأن «ملكية الدولة هي الاشتراكية» وعلى الخلط بين القسمة الاجتماعية للعمل ، والقسمة التقنية للعمل ؛ ذلك اللبس الذي عملت السياسة الجديدة للاتحاد السوفياتي على بثه في اعين الجماهير .

وهنا يطرح المؤلف تحليلا نظريا عميقا لعلاقات الانتاج الراسمالية ليصل في النهاية الى طرح مسالة السلطة السياسية. ولنستمع اليه وهو يشتنطق منظري النظام : «بما أن الجماهير في وسعها انتاج بضائع مادية والتعبير عن بعض الشكاوي والطموحات» فلا مناص من أن تقوم نخبة اجتماعية بمهمة ازاحة «المستغلين الراسماليين» الاجانب والمحليين عن السلطة ، واعادة تنظيم الحياة الاقتصادية باسم الامة وبحيث تضمن توفير الشغل للجماهير (باعتبار أن الشغل هو معنى حريتها الاقتصادية) ، وبعد ذلك فقط يمكن للجماهير أن تفكر في التعبير عن أمانيها السياسية ضمن الاطار التعاوني الذي أعده النظام لهذا الهدف (أي هدف تحقيق «الحرية السياسية» للجماهير) .

وتنقسم شروط نجاعة هذه النظرية الى نوعين : سياسي واقتصادي .

من الناحية الاقتصادية يجب جعل الجماهيرتقبل الجماهير عاجزة عن طرح مسالة السلطة بعدما تكون قد جرمت من كل قوة في مرحلة اولى .

من الناحية الاقتصادية يجب جعل الجماهير تقبل استغلال نظام رأسمالية الدولة لها ـ بمجرد ما تستقر الاوضاع الاقتصادية بفعل توسع مجالات التشغيل وتحسن أسلوب العيش ـ . وذلك ما جعل النظام ينطلق منذ تدابير يوليوز ١٩٦١ في سياسة ديماغوجية على الصعيد الاجتماعي تهدف الى الحصول على مساندة الجماهير لتلك التدابير التي وصفها بانها «معادية للرأسمالية» ، وتهدف الى الحصول من الجماهير على دعم أراده الحكم جامدا وغير نشيط كما عمل بصفة أساسية على دفعها لبذل الجهود الانتاجية الضرورية لتوطيد النظام .

لكن نجاح هذه السياسة التضليلية والرافضة لتجنيد الجماهير كان يتطلب حصولها على مساندة جزء على الاقل من المثقفين .ولهذا السبب لحتل القسم المثقف من البرجوازية الصغيرة مركزا هاما في دواليب النظام بقدر ما قبلت هذه الفئة بترويض النظام لها . وهكذا استطاع النظام تحويل جزء منها الى فئة محترفة و «مختصة في التفكير» تعمل لخدمته .

وبهذا وفر النظام الهدوء الاجتماعي الضروري لتركيز مصالحه .

المطامح الجديدة لبورجوازية الدولة

ان مجموع التحولات التي سبق الحديث عنها لم تتحقق الا لأنها تمثل الشرط الضروري لصعود النخبة البرجوازية الصغيرة التي كانت تعبر منذئذ عن المصالح الطبقية لبرجوازية الدولة المتنامية ؛ ويسجل ذلك محمود حسين بنظر ثاقب في مقدمة هذا الجزء . لكن مصالحها الطبقية شهدت تغيرا عميقا عندما تحقق نفوذها في الحكم اقتصاديا وسياسيا . وحلت المنافسة والتسابق الى الارباح الفردية وغير ذلك محل التضامن العفوي بين العناصر المختلفة في الطبقة والنخبة البرجوازية الصغيرة والسلطة المركزية التنفيذية . واذ تخلصت الآن من ضرورة الخضوع لمتطلبات استراتيجية عامة لمواجهة العناصر المحافظة ، صارت عناصر برجوازية الدولة تطالب باطلاق المبادرة الفردية تدريجيا ، ورفع تدابير المراقبة والتسيير الرسمي ووضع حد للديماغوجية «الشعبية» ، وتوسيع المجالات المفتوحة أمام الاستثمارات الاجنبية .

على الصعيد الاقتصادي ، تعنى مطامح الطبقة الحاكمة اذن وقف سياسة التصنيع ، والتفتح أكثر على

الغرب ، ورفع وصاية جهاز الدولة على مجموع برجوازية الدولة ٠

التناقضات الجديدة بين الحكم وبورجوازية الدولة

في مواجهة المطامح الجديدة لهذه البرجوازية التي صار مستحيلا ترحيلها عن جهاز الدولة الذي لم تعدتكتفي بالنهوض بإشغاله، لجأت الدولة الى أشكال متعددة للصمود والدفاع عن مؤسسات النظام ، وحماية الطريق الرأسمالي والمصالح الاجمالية العامة لبرجوازية الدولة رغم انفها ٠

واعتمدت الدولة أولا على قسم من الكوادر المتوسطة التي تم تكوينها في العقد السابق ، والتي كانت تطمح بدورها الى اعتلاء مناصب قيادية بينما تحكم عليها الاتجاهات المحافظة للطبقة السائدة بالركود ٠

واعتمدت الدولة ثانيا على الضغط السوفياتي الذي صار بمقدوره شل اقتصاد البلاد والاخلال بنظامه بواسطة المطالبة بسد الديون أو سحب التقنيين أو التوقف فجأة عن شراء القطن المصري ، أو غير ذلك ٠

وأخيرا ، ومن الناحية الذاتية هذه المرة ، فان التاثير الشخصي لعبد الناصر على اغلب عناصر هذه الطبقة الجديدة ــ التي تعترف بجميل المجموعة الناصرية وفضلها عليها ــ كون هذه الطبقة لا تتصور حكما آخر لنفسها نظرا لعدم انسجامها السياسي والايديولوجي ، كلها عوامل لعبت دورها لصالح السلطة التنفيذية ٠

ونظرا لعجزها السياسي ، انصرفت الطبقة الجديدة تعبر عن التناقض بين مطامحها وسياسة النظام على الصعيد الاقتصادي ٠

واذ لم تعد تحس بالاطمئنان ، واذ كانت لا تملك وبصفة مضمونة وسائل الانتاج ، واذ لم يبق عندها أدنى اكتراث بالسير العادي للنظام الاقتصادي القائم ، صارت الطبقة الجديدة تتصرف بفوضوية وبدون عقلانية سعيا وراء الامتلاك الفردي لاقصى ما يمكن من ممتلكات الدولة ؛ ومن جديد انتشرت فضائح السوق السوداء ، واختلاس الاموال ، والرشوة ، وانتشرت شبكات التعامل ٠

وقد تأسست أهم هذه «الاقطاعات» الاقتصادية والسياسية بصفة خاصة في وسط الجيش الذي صار له أكبر التاثير على شؤون الدولة ٠

وصارت الصحافة الرسمية تلجأ أكثر فأكثر الى تفسيرات ملفقة تتعلق بعدم الكفاءة التقنية أو سوء الاخلاق الفردية ، وذلك قصد ترك النقاب على العنصر الحقيقي الوحيد في الموضوع ، الا وهو السير العشوائي لنظام رأسمالي لاتملك الطبقة السائدة فيه الوسائل السياسية الكفيلة بضمان امتيازاتها الاقتصادية الفردية ٠

وفي نهاية هذه المرحلة يجد الحكم نفسه اذن في وضعية يتجدد فيها كبت الطريق الرأسمالي بصفة تماثل أساسا وضعية السنوات الاولى ٠ ففشل التصنيع يتضح اكثر فأكثر ، والاستقلال يتحول الى تبعية للاتحاد السوفياتي يتزايد عمقها :

ــ فعلى صعيد الصادرات يمثل الاتحاد السوفياتي الزبون الرئيسي للقطن المصري الذي تم رهن غلات المستقبل منه لعدة سنوات ٠

- وعلى الصعيد التقني ترتبط الصناعة العصرية المصرية كاملة ويرتبط الجيش النظامي كاملا بالعتاد والتقنيين السوفييت ·

وفي هذه الشروط لم يعد بوسع السياسة الناصرية معارضة الاهداف الاساسية للاستراتيجية السوفياتية في المنطقة سنة ٦٥ - ٦٦ ·

وضمن هذا الاطار الجديد الذي أحدثه الاتحاد السوفياتي في تقسيم العالم الى مناطق نفوذ يجب أن تفهم الاستراتيجية الامريكية بوضوح : فالمطلوب توسيع منطقة نفوذ الولايات المتحدة أكثر ما يمكن دون التعرض لمنطقة نفوذ الاتحاد السوفياتي ، والمطلوب على الاخص صيانة المواقع الاستراتيجية التي تحتلها الولايات المتحدة في هذه المنطقة من العالم · والسياسة المصرية قد تهدد هذه المواقع بصفتها المعبر النموذجي عن سياسة المنافسة التي ينهجها القادة السوفياتيون ، وليس لمجرد وجود النظام الناصري - كما يعتقد بعض السذج ، اذ ليست لهذا النظام اية قدرة ذاتية على تحدي الامبريالية الامريكية في ما وراء حدوده ·

وقدط جرى النزاع المباشر من أجل اقتسام النفوذ داخل البلدان العربية بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي من خلال الشجار بين المملكة السعودية والجمهورية العربية المتحدة · وأهم صراع في هذا الباب دار في حرب اليمن حيث تورط النظام الناصري شيئا فشيئا · وقد اختارت اسرائيل هذا الظرف بالذات للقيام بهجوماتها الاولى : مشروع تحويل مياه نهر الاردن ، توغلات القوات الاسرائيلية خارج الحدود الخ ···

التناقضات الجديدة بين الجماهير الشعبية والطبقة الحاكمة

عندما افتقد النظام وسائل اخفاء علاقاته بالطبقة السائدة صارت «شبكة التضليل الديماغوجي» تتفسخ ·

وصارت تنتشر في البداية شعارات «الحلول الصعيد ، وصارت تتشكل مجموعات ، وتنظم اضرابات المحلية» دون انتظار «الحلول من أعلى» ، خصوصا في عن الطعام علنية وعمومية، وتنظم مظاهرات الاحتجاج· وسرعان ما فجر القمع الغضب والنضال ضد القمع · واضطرت السلطات المحلية الى اعلان الاحكام العرفية في ضميات سنة ١٩٦٥ · وفي سنة ١٩٦٦ شهدت قرية كمشيس نضالا نموذجيا قام به الفلاحون الملتفون حول المثقف الثوري صلاح حسين ضد عائلات كبار الملاكين المدعاة الفكري · ولم يفعل اغتيال صلاح حسين الا اذكاء السخط الشعبي دون تشتيت الحركة · واضطر ناصر للذهاب شخصيا الى كمشيس والتعهد بمعاقبة المجرمين · وتأسست لجان مزعومة لتصفية الاقطاعية تحت اشراف المشير عامر ·

وفي نفس الوقت ، اثر اكتشاف مؤامرة ضد قادة البلاد ، شن النظام حملة قمع جديدة ضد الاخوان المسلمين الذين حاولوا التحرك ببطأ في ظروف الحركة الجماهيرية ، بينما أعلن أغلب الشيوعيين المصريين حل منظماتهم ووضع أنفسهم كأفراد تحت تصرف النظام · والواقع أن هؤلاء الشيوعيين لم يبلغوا ابدا مستوى نموذجيات من النضال الجماهيري · وقد حكم عليهم خطهم السياسي طوال هذه المرحلة بالبقاء في موقع ضعف وضغط هزيل على يسار الحركة البرجوازية

الاصلاحية رغم أن الظروف الموضوعية كانت توفر للحركة الشيوعية امكانية تصعيد وتوجيه المطامح الثورية الجماهيرية ·

منذ سنة ١٩٥٥ تاريخ انفتاح النظام على الشرق ، صارت خيانة الحركة الشيوعية مفضوحة ، حيث توقفت فجأة تهجماتها على «النظام الدكتاتوري» بل و «الفاشي» ، واندفعت بكل حماس لمساندة النظام ·

وفكر عبد الناصر في استغلال الكفاءة النظرية والتنظيمية التي يمتاز بها الشيوعيون فعين بعضهم في مختلف مصالح الصحافة الرسمية وفي الاتحاد الاشتراكي العربي ·

هكذا اختفت الحركة الشيوعية المصرية التي ولدت خلال الحرب العالمية الثانية ، اختفت بعد بضعة شهور من المناقشات النظرية المغلوطة · وكما يقول محمود حسين «اعتبر موقف قادة الحزب الشيوعي السوفياتي من النظام الناصري على أنه يغني عن التحليل الملموس للاوضاع المصرية» ·

المد الجديد للحركة الجماهرية الديمقراطية والوطنية

نصل الآن مع محمود حسين الى يونيو ١٩٦٧ والهزيمة العسكرية · ولن نعود الى الاسباب العميقة للهزيمة لان الاجزاء السابقة تلقي الضوء بما فيه الكفاية على الطبيعة الطبقية للجيش وعلى الطبيعة اللاشعبية للنظام · وقد كانت الهزيمة حتمية في ظروف كهذه وأمام عدو يتوفر على التفوق الساحق في السلاح · والشعب المصري بريء من الهزيمة على كل حال ·

لقد زعزعت الهزيمة الاوضاع القائمة في أوساط الشعب ·

في ٨ يونيو ١٩٦٧ ، اثر الاعلان عن قبول الاتحاد السوفياتي ومصر بوقف اطلاق النار ، حطم الشعب شبابيك خمسة عشر عاما من القمع ، واندفع جماهيريا ، تلقائيا ، وبصورة حاسمة يقلب رأسا على عقب معطيات الوضع السياسي المصري والعربي ·

ولنمر بسرعة على رفض الشعب المصري استقالة عبد الناصر عشية ٩ يونيو ١٩٦٧ · فدعاة عبد الناصر ومداحوه يحلو لهم أن يصوروا ذلك الرفض على أنه «مبايعة» ، بينما الواقع أنه اختيار مباشر ووقتي بين اتجاهين لاثالث لهما بين زكريا محي الدين رمز القوى السرية الامبريالية ورمز الاستسلام من جهة وعبد الناصر أهون الشرين من جهة ·

«ان الشكل الملموس والمباشر الوحيد الذي كان في متناول الشعب للتعبير عن رفضه للاستسلام ، يتمثل اذ ذاك في رفض عملية تغيير الزعيم المقترحة من طرف قوى الاستسلام ·

ان شعار ٩ يونيو باستدعاء ناصر للحكم ، كان شعارا ظرفيا وعارضا ·

ورجع عبد الناصر ، عاد كما كان · لكن الشعب المصري لم يبق كما كان · لقد وضع فيه ثقته من ذي قبل ، لكنه بدأ يسحبها ابتداء من فبراير ١٩٦٨ ·

ذلك أن عبد الناصر اتخذ بمجرد اعتلائه قمة الدولة من جديد تدابير تتناقض كلية مع مطامح الشعب المصري وتدخل ضمن نفس الخط السياسي الطبقي

الذي جرى نهجه قبل يونيو ١٩٦٧ ٠

واذا استثنينا بعض الاجراءات الموجهة لتنظيف الدولة ـ تصفيات ومحاكمات ـ والموجهة أيضا لطمانة الشعب ، فان جوهر سياسة عبد الناصر كان يرمي لاعادة تنظيم جهاز الدولة وقطاعات الاقتصاد اعتمادا على المال والنصائح السوفياتية بحيث «يتسنى اعادة ارضاء كل فرع من فروع البرجوازية في القطاع الذي يسود عليه لبقي له احتكار السياسة من جهة ، وينصرف بنفسه الى اعادة تسيير القطاع الاقتصادي والاداري المتعلق به من جهة ثانية» ٠

ورجع هيكل للاتحاد الاشتراكي العربي من جهته بصورة تجعله قادرا على اخماد كل الطاقات الشعبية محليا ، وقادرا على فرض انضباط أكبر على مختلف فروع البرجوازية السائدة ٠

أما المطلب الاساسي الذي عبر عنه الشعب المصري عشية ٩ يونيو ١٩٦٧ ، «لاتفاوض ولا صلح» ، فقد أفرغ من محتواه ، ولم يحتفظ منه الا بالوجه الاكثر شكلية وهو رفض الجلوس على نفس طاولة المفاوضات مع اسرائيل ٠

والواقع ان النظام يهييء بنشاط الاستسلام المسمى «بالحل السلمي» متقنعا بخطب نارية حول الحرب الطويلة ، وحرب الاستنزاف ، وحماية الامة ٠٠٠ وبذات الوقت أبعد الجماهير المصرية عن المجهود الحربي للبلاد ٠

وفي هذه الشروط كان لابد من الاصطدام ٠ وكان ايفجر المباشر للانتفاضة هو التساهل الذي اتسم به الحكم على الضباط المسؤولين مباشرة عن هزيمة الجيش في يونيو ١٩٦٧ ٠

وكان المسرح الرئيسي للانتفاضة هو القاهرة وضواحيها العمالية حلوان وشوبرة ٠ فاستولى العمال على مركز الشرطة في حلوان محطمين الحواجز التي تم بناؤها على عجل ٠ وهوجم مقر جريدة الاهرام الشبه رسمية بدوره وكذا مقر مجلس الامة ٠ واتسعت الحركة:

في الجامعة توالت التجمعات والشعارات : «لاتساهل» ، «الديمقراطية» ، «حل مجلس الامة العاجز» ٠ وقرر الطلبة تنظيم مظاهرة جماهيرية ، وتدفقوا لملاقاة عمال حلوان القادمين بالقطار ، وفي نفس الوقت شن عمال المصانع اضرابات التضامن ٠

واحتل طلبة كلية «البوليتكنيك» مؤسستهم ؛ وفي الغد انضمت الثانويات الى الحركة ، وبدأت المتاريس تقام في الشوارع ٠

وأمام تصاعد الحركة قرر عبد الناصر تدخل الجيش حتى ولو أدى الامر الى تفاقم سخط الشعب عليه٠ وتمكن من السيطرة على الحركة ٠ لكن القمع لم يضع نهاية الحركة الوطنية الديمقراطية عند الجماهير ، بل انه اذا وقفها جعلها تنمو في الاعماق ٠

بعدما تم اخماد الحركة مؤقتا ، وجه عبد الناصر نداء الى الشعب : بيان ثلاثين مارس الذي اقترح ضمنه برنامجا مطروحا للاستفتاء ، يليه انتخاب الهيئات المحلية والمركزية للاتحاد الاشتراكي العربي ٠ وكان هدف الحكم واضحا : تقليص حاجة الشعب للديمقراطية وحصرها في مجرد انتخاب ممسوخ في أهزل أشكاله :

التصويت بلا أو بنعم على سلسلة وعود فارغة من كل مضمون عملـــي ·

وجــاء دور برجوازية الدولــة لترتـاب أيضا : فزعماؤها الاكثر ميلا الى الغرب ، وعلى رأسهم زكريا محي الدين ، صاروا يستقيلون اذ اعتبروا أن التنازلات الديماغوجية لايمكنها الا أن تشجع تجـديد المطامـــح الشعبية · واذ أحست برجوازية الدولة بأنها مهـــددة من جديد انطلقت تـصعد الامــتلاك الفردي لممتلكـــات الدولة ؛ وصارت الرشوة قاعدة سارية ·

وجاء العدوان الاسرائيلي على العتاد الكهربائي في نجا حمادي في جو من الغليان الشعبي · وكان ذلك اشارة لنشوء مد وطني جديد عند الجماهير المصرية ·

وعلى الصعيد العسكري انفضح الموقف الانتظاري للنظـــام ·

وكان المفجر المباشر لانتفاضة المنصورة مدرسيا وجامعيا : (رفض تدابير رسمية جديدة) ، لكن بمجرد ما اندلعت الحركة ، صار الاصطدام مع أجهزة القمـع تعبيرا عن التناقض بين مجموع مطامـح الجماهيـــر والسياسية الحكومية . وتحولت المظاهرة التي تصدت لها قوات الشرطة الى انتفاضة شعبية أحس بالتضامن معها أغلب سكان المدينة وضواحيها من عمال وفلاحين وطلبة وعاطليـــن ·

وتلقت قوات الشرطة الامر باطلاق النار بعد أن تجاوزها الوضع ، فخلفت عدة قتلى · وفي لمح البصر تم احتلال مركز الشرطة وتخريبه ، بينما توجه فريق من المتظاهرين الى مصنع الاسلحة للاستيلاء عليه ·

وفي المساء عندما بلـغت الاخـبار الاسكندريـــة والقاهرة عم الغضب الاوساط الجامعية ، فاستولى طلبة البوليتكنيك على كليتهم وسجنوا بها عامـل المديـنة · وفي الغد علمت المدينة كلها بالتصرف المخجل للعامـل الذي صـار يبكـي ويطلب الشفـقة · وقـــد شعـرت البرجوازية المصرية بنفس الفزع الـذي عاشه عامـــل المدينة. ومنذ عشية السبت وزعت بالفعل آلاف المناشر تدعو الطلبة والتلاميذ وكل سكان المدينة الى الثورة . وقد ربطت هذه المناشير لاول مرة بين القمع الداخلـي والاستسلام للعدو كوجهين من سياسة النظام ·

واذ ظهرت شعارات «الحرية» ، و «ناصر استقل»، أعطـى الامر باطلاق النـار كيفمـا اتفـق · وخـلفت الرشاشات عشرات القتلى في الشوارع كبـذور لسخط مطلق يقاسمه العمال والعاطلون والطلبة والفلاحون ·

ان هذه الوحدة ، وهذه الارادة في التغيير أقوى من أن يكسرها القمع والوحشية · ان انتفاضة الاثنين ٢٥ نوفمبر لم تخمدها الطلقات النارية · لقد خمدت عند مجيء الليل لانه لم تكن هناك أية منظمة ثورية قـادرة على السير بها الى أبعد من ذلك · «لم تكن هناك هزيمة شعبية · كل ما في الامر ان البركان الذي دام ثلاثة أيام استنفد أنفاسه ، فابتلع لهيبه ليتركه يدب في الاعماق باحثا عن زمن ومكان الانفجار من جديد» ·

تلك نبرة أمل وتفاؤل وتأكيد على ضرورة الساعة المطروحة على الجماهير الشعبية ـ ضرورة خلق الاداة الثورية القادرة وحدها على الوصول بنضالات الجماهير الشعبية الى فرض اقامة سلطة الشعب ـ ، وبها ينتهي التحليل الهام الذي وضعه حسين حول صراع الطبقات في مصر من سنة ١٩٤٥ الى سنة ١٩٦٨ .

انتهـــى

النقد الذاتي وازمة التفكير السلفي (تتمة)

عبد القـادر الشاوي

5

في مستهل كتاب النقد الذاتي ، نعثر على قـول طنان يكاد يلخص أبوابه الاربعة • وربـما كان السيـد علال الفاسي ، مجازفـا برايه فيـه ، رغـم قناعتـه الشخصية بتبعات ابتعاث الفكر السفلي ، وانتشالـه من تحجره • ويلاحظ القارىء أن مـؤدي هـذا القول ، جاء هملا في السياق العام ، وربما كان ايضا استمراء مخرورا ، لمسالة فكرية تبدو مهضومة لاول لحظة • فالقول باننا «يجب أن ناخذ أنفسنا عـلى تفكـير غير رجعـي» ص ٩ هو في حد ذاته كما ارى «موديلا» موازيا للقول «قطب حاجبية تـعثر على الحيلة» • والواقـع الملمـوس هو غير هذا ، ولا يمكن ان يتحقق عبر هذا القـــول الهامس • والا كان عنوة مقصودة ، فنحسب أن السيـد علال يتناقض بعد كل سطر في كتابه المذكور ، تناقضا صارخا غير مبرر . وبين التوجه كلية ، طمعا فـــي «تجديد اصولنا مستمدين من تراثنا ، ومن تراث غيرنا. ومن حاضر الامم الراقية وتجاربها ما يكون لنا عصـر انبعاث» ص١١٢، وبين الارتداد الى الوراء ، «الى هدي الاسلام الصحيح (...) والسير نحو المثل الاعـلى» ، يكمن الفارق النوعي الذي عـبرت عنه بالتناقض • وقـد نتغافل عن ذلك ، ما دام الامر ـ كما قلت سابقا ـ مـن أخص لوازم الفكر السلفي .

وعندي ان هذا التاريخ الفكري (وربما كـان الشكل الثامن من أشكال الليبرالية !) ، عملية رخيصة كانت تتضمن عنصرين لموضوع واحد ، أعطت نتائجهـا الملموسة في الواقع الطبقي الملموس والسائد ، وذلك على النحو الذي اوضحته في السابق (١) .

لهذا يجب ان نسلم بديا أن ارتداء مسوح الوعاظ، كما يجد القارىء، في كثرة من فصول الكتاب ، كان من ضمن عملية تكتيكية قصد السيد علال مـن ورائهـا ، اصلاحا دينيا فوقيا ، وتوجيها اخلاقيا . وربـما كـان الفصل ابتداء من ص ٩٥ خير مثال على ذلك .

ولما كان مؤلف كتـاب (النقد الذاتي) صاحـب جولات قديمة في هذا المضمار ، اصبحنا نعثر عـلى المادة الكافية للعملية المذكورة ، موشاة بتوجيـه سياسي خاص ، طمعا في كسب طبقي جديد . ولعـل ذلك يكون من باب الانتقاء او المفاضلة او الترجيح .. كل بالتحديد .

من هذه الزاوية يمكن ان نطل من جديد عـلى السؤال المطروح سابقا (١) وهو: كيف يمكن ان نواجه هذا الضرب من التفكير السلفي-الرجعي، المتفشي بشكل غريب في الوسط المغربي ، بل وفي البلدان المتخلفة

(١) انظر الجزء الاول من الموضوع ..

عموما ؟ . وأعتقد أن في جواب (ياسين الحافظ) دلالات واضحة لعملية الثورة المركبة : ثورة فوقية ، وثورة تحتية ٠ الاولى على الصعيد الفكري ـ الثقافي ، قلبا جذريا له وعليه . والثانية على الصعيد الاقتصادي تغييرا لهياكله ، اقطاعية ام رأسمالية ء وتمكينا لعلاقات انتاج اشتراكية ، ترتكز على اسس مادية .

الا أنه يجب ان نتساءل بدورنا ، الى اي حد يصدق هذا التحديد على كتاب النقد الذاتي ، ككتاب ما زالت اصداء تبشيراته تكتنف بعض الاوساط هنا ؟ وأي المستوى الفكري والسياسي والطبقي الذي ينطلق منه في المعالجة والاداء ؟ .

وقبل ان نجيب على هذا السؤال ، دعنا نحدد بعض الافكار على انها تمثيل بارز لمجمل القضايا التي أتيت على ذكرها .

يقول علال الفاسي :

١ ـ ان المثالية تعنى اعتبار كل شيء في واقعه الاساسي ص ٩٥ .

٢ ـ انه من الخطأ متابعة الذين ينكرون (الاصوليات التي لابد منها كنقطةاولىللتفكير ٠ص٩٦)

٣ ـ ان مجهودات الحياة يجب ان توجه لتحسين حالات الانسان ، ولكن لا ينبغي ان يقتصر على جانب المادة من طبيعته ، بل ينبغي أن يكون العمل أكثر لارضاء حاجته العقلية والروحية ص ٩٨ .

٤ ـ انه المثل الاعلى الذي يجب إن يكون غايتنا في الحياة ، ومنتهى ما نعمل له ، هو ارضاء الذي بيده مصيرنا ، والوصول الى حضيرة القدس في الملكوت الاعلى ! ص ٩٨ .

٥ ـ ان التجرد عن المثالية الصحيحة ـ ويعنى فكرة الوصول الى القدس في الملكوت الاعلى ـ معناه الانحطاط بالانسان والشعوب الى أسفل الدرجات وانه لمن خطأ الرأي أن نعتقد بأن الغرب قد تقدمبسبب **هذا التجرد . فان الذين بذلوا الجهود الجبارة ليقظة اوربا وأمريكا لم يكونوا بعداء عن الله ولا متجردين** عن مثاليته ا ص ٩٩ ٠

6

من خلال هذا الاستقراء الجزئي ، يمكن أن نخرج بنتائج محددة :

(١) ان الثقافة البورجوازية ـ كنتاج طبقي لسيارة التفكير السلفى ـ الذي كان يقود الحركة الوطنية ـ ارتكزت ، وبشكل واضح على مبدأين : الدين والسياسة . ومن ضمن هذا الافق الاستراتيجي ـ الطبقى ، كانت تلقى بنصيبها من التنظير ، علها تفي باولوية التوجيه الفكري على حساب التوجيه السياسي. وكلا العاملين كان يلتقيان في مرتكز واحد ، دقيق وخططه شاملة . الدين يخدم السياسة ، كواجهة دعائية شكلا ومضمونا ، وهو يحقق ذلك تبعا لاسلوب تنويعاته الغيبية٠ والسياسة تخدم الدين ٠ لا انفصال ولاتعارض٠

طبعا ، كانت هناك الجماهير المغربية ، امام مستويات متعددة ومتزاحمة . والقول بالدين كان يعني أساس «الوطنية» ، ومن ثم فان التعدد والمزاحمة ينتفيان لمجرد ان الدين ـ كأفكار توحي بشيء ـ لا يدع مجالا للشدة أو التساؤل ٠ وربما كانت طبيعة المرحلة التاريخية ، معطياتها الاقتصادية والسياسية والفكرية ، متخلفة بعض الشيء . لذا وحدت هذه القيم ـ وفي صيغة يحققها كتاب النقد الذاتي ـ كأداة لسيطرة الطبقة الرجعية .

في هذا المستوى كان الرد الثوري باسلوب العنف الطبقي الثوري مثلا ، غير متحقق . فمع توالد امكنيات البورجواية الصغرى في مطلع سنة ١٩٥٩ ، كانت كل العلامات تشير الى أن الارتباط الذي ساد زمنا طويلا ، لابد ان يترك بعض آثاره ، وان لم يكن في التوجيه المباشر ، ففي العلاقات المتعددة ، والتي يمكن ان تنشأ من مهادنة البورجوازية الصغرى الجديدة ، للحليف الطبقي ، واعني البورجوازية الوطنية · هذا واقع ملموس ، يمكن التفصيل فيه في موضوع اخر ، على أساس نتائجه الفورية المباشرة · ومنها ما يعرف «بالكتلة الوطنية»في المغرب كرد فعل الانفراد «الحكم بالسلطة» وبعض التحولات الطبقية الاخرى ...

وباختصار فان الثقافة البورجوازية كانت تتكيء على الدين ، باعتباره الوجه الحقيقي لخلاص الانسان «من سيطرة المادة » وان السياسة الى ذلك منلوازمه الدعوية واساليبه المباشرة ، أو بالاحرى من عناصره الضرورية .

(٢) انه من المستبعد جدا ، أن يكون كتاب (النقد الذاتي) تاملات خالصة في مجمل القضايا التي كانت مطروحة ، وبشكل فوري في سنة ١٩٥٢ ، وهي الفترة التي ظهر فيها الكتاب ، مكتمل الفصول ، أو قبل هذه الفترة . وابتداء من الفصل الاول يمكن ان يعثر القارىء على المسائل التالية :

(١) الاسلوب الخطابي في المعالجة والاداء .
(٢) التوجيه الطبقي المقصود (صفحات ٣ـ٢٨)
(٣) بعض النصائح مرفوقة بشواهد من الدين .
(٤) المنهاج الوصفي في العرض ..) .

وقد مر بنا ، أن هذه الشكليات العامة ، لم تكن في حد ذاتها مسخرة لغرض ، سوى التوجيه الطبقي وتمرينه · واكيد أن السيد علال يصدر عن رغبته في هذا التوجيه ، آملا في تطويع الصعوبات ، وتدليلها ، لجيل بات تخشى من «مسرى الالحاد ، وعدم الاعتذاد بالدين » أو «انكار الاصوليات» .

وكان التصدي لدراسة مسائل الفكر في الباب الاول ، ردا اعتقاديا راسخا · ينزل الى مستوى التبجح الاداري «بالتغيير» (لسناندري في اي شكل) ، فيسف ، ورغبة أكيدة في رد الكيل لمن يتهمون التفكير السلفي في عقائده الغيبية · وربما كانت هذه المهمة علمية صعبة ، حاول السيد علال ان ينثر خواطر حولها ، بقصد تعليل ظواهرها ، وتفسير معمياتها

وعلى هذا الاساس يمكن اعتبار كتاب النقد الذاتي ـ على مستوى الفكر ـ عبارة عن خواطر مركزة ، تهذيبية · ولم يكن أمام المؤلف من منزلق سوى الاسفاف المحقق ، وفي احيان كثيرة ، نزولا بمستوى التفكير الى مستوى هابط ، مدفوعا بواجب الاقناع كمطلب سياسي ـ ديني ، مستدرجا قراءه الى بيت القصيد ، ولمس عناصر الصورة دفعة واحدة ، وبكيفية محددة من قبل · وكان لزاما على السيد علال ، في هذا المستوى ، أن يطلب من القارىء ، بعد أن يفرغ من قراءة الكتاب القول : عجيب ، ان كتاب النقد الذاتي نبع وهداية ! ·

لنرى ماذا تعني «المثالية» عند السيد علال ، يقول : «ان المثالية تعني اعتبار كل شيء في واقعه الاساسي» ص ٩٥ · بمعنى أن المثالية على مستوى العقيدة أو الفكر ، تنظر الى الوقائع نظرة ايمان أو تسليم بالوجود

او الحدوث · فالصراع مثلا ، القائم بين قوى الثورة ، وقوى الثورة المضادة ، لا وجود له ، او حتى اذا وجد كان نتيجة خلل في تركيب القوى المجتمعية · ونستعيض عنه في حالة «مثالية» السيد علال الفاسي بالعمل اكثر «لارضاء حاجات الانسان العقلية والروحية» ص ٩٨ ، بعد أن كان العمل مقتصرا على الجانب المادي من طبيعته» ، ومن ثم ناتي على مكون الوعي الطبقي ـ الثوري الذي لايفتر على اثارتنا ودفعنا ·

وربما كان التفسير الذي حاولت أن اعززه بظاهرة الصراع الطبقي كظاهرة ملموسة في واقعنا الاقتصادي والاجتماعي ، يجانب الصواب بعض الشيء · **واليقين ، ان النضال بين الجديد والقديم ، لم يعد يسعد مثقفينا البورجوازيين · واذا كنا نكتشف ونبتكر ونبدع ونقدم دائما ، فلأننا نريد أن نتحقق على نقيض من هذه المثالية الموصوفة · كما تحققت هذه الاخيرة عبر الحركة الوطنية بقيادة الاحزاب الرجعية · أصبحنا اذا على طرفي نقيض · يقف بيننا الصراع الطبقي ـ ونحن أكثر وعيا بمهام المرحلة الجديدة · واذا كانت الثقافة البورجوازية ـ الطبقية ـ مازالت دعوة جارفة تخب للوصول طمعا في تثبيث قاعدة مادية، فان ذلك لن يلغي ظاهرة البورجوازية «وتغيير الواقع ومحيطه الثقافي» مصادرة وتغييرا يتطلبان المساهمة «الشخصية في النضال العملي» ·**

لماذا كتاب النقد الذاتي ؟

يبدو أنه أصبح ممكنا ، ربما ، بعد وقت ومعاناة طويلين ، لوفرة الاختيارات السياسية ، بشكل ملحوظ ، أن نقيم الحدود مؤقتا ، على المستوى النظري طبعا ، وأن نصف ونصدر احكاما متطورة ومتجاوزة ، لاباس اذا ، ليس لأن الامر في السابق ـ كما يفهم ـ كان مغامرة خاسرة فحسب ، بل لأن طبيعة المرحلة التاريخية ، الى ذلك ، لم تكن ناضجة ـ موضوعيا ـ لتوجيه أي اعتبار نقدي ، من شأنه أن يبلور هذا الاتجاه ، محدودا بأبعاد هذه المعطيات التقدمية ·

حقيقة ان الوضع الثقافي في المغرب ، ليس بخير · وليس مهما أن نكون كذلك ، مادام التجريب البورجوازي ، يسم كل شيء · الا أننا ما دمنا نروح ـ ـ ما عبرت عنه في السابق ـ بالتحديد والتصنيف التقدميين ، فلن يكون مسوغا اغفال الوضع العام ، أو تنحيته جانبا ، لكي نبدأ في العملية من فوق · **لهذا فان البداية ستكون حتما ، من التقييم الى المجابهة ، الى الرفض الايجابي ، الى الطرح الايجابي أيضا ، لجملة من القضايا ، أرى أنها تشكل «كل» الاهتمام الزائد بهذا الموضوع الحيوي · رفضا ايجابيا ، لانه يستحيل أن نسبح في بركة قذرة ، ولأن البديل الموضوعي ، يبدو في طريق الانجاز الثوري ·**

لست أبغي الدخول الى حمى الضجيج · فقد كان لزاما أن نلخص التجارب باستمرار ، في طريق التطور المستمر ، للخروج من «حيز الضرورة الى حيز الحرية» · وهذه مهمة نضالية نتقاسم تبعاتها جميعا · فكما أن الصراع الطبقي «لن يتوقف في أي مجتمع توجد فيه الطبقات» ، فكذلك النضال بين الصواب والخطأ لن يتوقف أبدا ·

والى وقت قريب ، كان التنفس بواسطة هذه الرئة ، منظورا اليها من هذه الزاوية ، مغامرة صعبة وكان ذلك من دواعي سيطرة الرجعية ، لتحنيط

الفكر التقدمي ، أو قلب مفاهيمه · أقول مغامرة صعبة للتدليل على طبيعة المرحلة - التجربة ، التي كان التقدميون المغاربة ، وسط نكير البورجوازيين ، يعيشونها ، ويريدون ارساء مقومات استمرارها ·

قلت سابقا أنه كان لزاما أن نلخص التجارب باستمرار · والغاية بالتحديد ، ترمي الى اخصاب الفكر التقدمي المغربي ليس الا · واعتبارا لكون كتاب (النقد الذاتي) مسودة لتجربة الحركة الوطنية في اطارها المعاش ، فقد ظهر لي بالدليل الملموس ان طرق التلخيص ، ربما ، توضح بعض معميات هذه المرحلة · ويقينا أن الارستقراطية - البورجوازية كانت تعرف ما للفكر من ايحاء مباشرة على الجماهير وعلى حركة سيرها ، لهذا حاولت ان تقدم العناصر الرئيسية في الثقافة الوطنية ، على أنها عناصر جادة ، تخدم «المواطن الصالح» وتستفيد من التراث» ···

الفكرة في حد ذاتها ، كانت تؤمن مصالح الاستقراطية - البورجوازية في المدى البعيد ، على الاقل في الحفاظ على مركز التوجيه والريادة الوطنية ، وبعض الالقاب الاخرى ·· والقارىء لكتاب النقد الذاتي يعثر على الكثير من هذه التبشيرات متضمنة الخطوط العريضة للعملية المذكورة ·

يمكن الآن تحديد الموقف من كتاب النقد الذاتي وخطر الفكر السلفي على النحو الآتي :

(١) ان الارستقراطية - البورجوازية ، ما زالت تسخر الفكر ، كبضاعة رائجة أو مستهلكة ، لعمليتي التبشير والتنظير · ولهذا كان الفكر محور السيطرة الطبقية في تعيين الهدف · فيما يخص حزب الاستقلال ، في الفترة التي نتعرض لها بالدراسة ، كان الفكر الليبرالي ، هو دعامة الاستمرار في التبشير الوطني ، منظورا الى ذلك من كتاب (النقد الذاتي) ·

(٢) ولأن النقد الذاتي يحمل عناصر الفكر السلفي (الرجوع الى القديم التمسك بالتراث ···) بل يجب أن نقول انه ردة الى التفكير السلفي بكل تدقيق · اقتداء بمحمد عبده وأضرابه · فانه يجب الاقتناع بضرورة توجيه الفكر النقدي التقدمي الملتزم الى «ازاحة هيمنة الفكر البورجوازي على الساحة الوطنية» ·

(٣) ان استواء قاعدة البورجوازية الوطنية في المغرب ، كان نتيجة طبيعية لتمركز الثقافة الرجعية - السلفية ·

(٤) الاحساس بوجوب فك الحصار البورجوازي - الرجعي ، عن الثقافة ، وبوجوب توضيح البديل التقدمي الملتزم ·

خلاصــــة

هناك مبرر واحد للتفصيل في هذا الموضوع على هذا النحو - أجدني موطنا الى الرضى - لتوضيحه ، عملا بأسلوب التحليل الديالكتيكي · وهو أن الثقافة البورجوازية - كنتاج طبقي لمرحلة سيادة الارستقراطية - البورجوازية في المغرب - بدأت تنهار ، - نتيجة حتمية - أمام تنامي الوعي الثوري الجديد · واليقين أن الثقافة البورجوازية في المستوى الذي حاولت أن أوضحه من قبل في كتاب النقد الذاتي ، تحمل بذور فنائها في ذاتها · وقد رأينا أن توفر العاملين الذاتي والموضوعي ، في مرحلة سابقة ، ساهما في تشكيل الصورة العامة للثقافة في بلادنا ، كانت سيطرتها الرجعية نافذة الى حد بعيد · ويبدو أن العمل لمصادرة البورجوازية مهمة مرحلية · وأن فرض الثقافة التقدمية ، ضرورة لاخصاب قوام الفكر التقدمي المغربي ، وباختصار فان فرض الثقافة كحوار مفتوح ، كرؤية ثورية ، كاطار لوضعنا الحضاري والتاريخي والاقتصادي والسياسي والايديولوجي ، ثقافة التغيير وكفى · هي البديل المتطور ، لكل أنواع الترسبات الرجعية ·

انتهى

الركن الاديولوجي

الدكتاتورية والديمقراطية

ابرهام السرفاتي

المفهوم البرجوازي

ان مفهومي الديمقراطية والدكتاتورية لمن استنباط العلم السياسي البرجوازي ، والحال انهما معبابين بكل المضامين التي تساير نمو الراسمالية .

وقد كان نمو الراسمالية يتطلب تحرير الفرد من كابوس وضغوط المجتمع الاقطاعي الاوربي . فالتاجر الطامح في توسيع مجال صفقاته كان بحاجة الى حرية التجارة،والصناعي الناشيء كان عليه ان يستاجراليه اليد العاملة بدون حدود . وان كانت هذه البرجوازية الصاعدة تجهر بشهواتها بوقاحة فقد كانت في الواقع في امس الحاجة الى قوة الشعب لتدمير البنية الاقطاعية . ولذا صارت تدمج حرية التجارة وحرية استغلال العمال الماجورين ضمن مفاهيم اوسع وأكثر انسانية مثل حرية الفرد وتحريم الاستعباد . وانضم فعلا البرجوازيون الصغار ومعهم الحرفيون والفلاحون والعمال الاولون ليناضلوا بحماس في سبيل تلك الاهداف .

هكذا تاسست دولة الديمقراطية البرجوازية . وفي هذه الدولة ، وفي ظل هذا المفهوم ، يكون المواطن وقت قيامه بالتصويت في الانتخابات وهو منفرد مع ضميره ، يكون في هذه اللحظة بالذات في غير وضعه العادي كعامل او فلاح او خادمة او برجوازي .ويبدو الاقتراع العام في هذا الاطار وكانه انتصار على سطوة القوة المالية او القوة وكفى .

لكن هل يسمح حق التصويت بانعتاق العامل من تعسف رب المعمل ؟ وهل يسمح باستغناء الفلاح عن القروض والربا ؟ وهل يحدف عدم المساواة في التعليم البرجوازي ؟

طبعا لا ، وتلكم حقيقة الديمقراطية البرجوازية

ولسنا في حاجة الى تحليل مطول لتاكيد الحقيقة الفعلية التي تعيشها الجماهير وهي **ان اية دولة هي بالضرورة دكتاتورية . ان دولة الديمقراطية البرجوازية هي في الواقع دكتاتورية مجموع الطبقة الرأسمالية ضد** مجموع الشعب ، العمال والفلاحين ، ومن خلال تطور الراسمالية باتجاه تمركز زمام الاقتصاد بيد مجموعة من الشركات الاحتكارية الكبرى ، وضمن مرحلتها الامبريالية المعاصرة ، صارت التناقضات الطبقية تتعمق بين الفئة الاجتماعية المسيطرة على الراسمال

الكبير من جهة ، ومجموع الامة من جهة ثانية . وكم تزيد هذه التناقضات خطورة بالنسبة للرأسمال الكبير عندما تنضوي الطبقة العاملة تحت قيادة حزب حقيقي متجاوزة بذلك ما تتوفر عليه ضمن اطار الديمقراطية البرجوازية من حق في الاجتماع وحق في التنظيم ومن امكانية ولو محدودة لاصدار صحافة مستقلة .

في مثل تلك الشروط وجود (قيادة ثورية)كما كان الامر في سنوات ١٩٢٠ ـ ١٩٣٠ في عدد من بلدان اوربا ، اضطر الرأسمال الكبير الى كشف دكتاتوريته بوضوح متحولا الى الدكتاتورية الفاشية .

ولم تعد هذه الدكتاتورية المكشوفة ضرورية في الوقت الحاضر نظرا لانزلاق الاحزاب الشيوعية في خط اصلاحي في اهم البلدان الرأسمالية . لكن هذا لا يمنع من تطبيق الدكتاتورية فعلا بشكلها المفضوح ضد التنظيمات والتيارات الثورية كما هو الحال في الولايات المتحدة الامريكية ضد الامريكيين السود .

اما في البلدان الخاضعة للاضطهاد الاستعماري الجديد ، فان الفرق بين المظهر الديمقراطي والواقع الدكتاتوري يصبح كاريكاتوريا فالحكومة المصطنعة في جنوب فييتنام ، عميلة الامبريالية الامريكية ، تنظم في هذه المدة حملة انتخابية !

وتزداد الصورة زيفا ، عندما يحدث ان تفسح الديمقراطية البرجوازية المجال لنمو القوى الثورية رغم كل الاحتياطات ، حيث تسرع الامبريالية بالتدخل المباشر او بارساء دكتاتورية عملائها الفاشيين لاعادة ترتيب الامور • هكذا الامر مثلا في اليونان والبرازيل وتركيا واندونيسيا • وهكذا الحال كذلك بالنسبة لكواتمالا وجمهورية الدومنيك حيث تدخلت القوات المسلحة الامريكية بشكل مكشوف •

حقا لم تستطع بعد الامبريالية الامريكية التدخل مباشرة في الشيلي حيث ان حكومة اليسار المنتخبة تمثل تهديدا لمصالحها • لكن الاستفزازات التي تتعرض لها تلك الحكومة تؤكد منذ الآن ان قوى الشعب يستحيل عليها ان توطد انتصاراتها الاولى اذا هي لم تنظم وتوطد دكتاتوريتها الثورية •

٢) المفهوم البرلتاري

يصل بنا هذا الى طرح المفهوم البروليتاري للديمقراطية والدكتاتورية وهو يناقض تماما مفهوم البرجوازية •

فالمفهوم البروليتاري لا يفرق بصفة مصطنعة بين الواقع السياسي والواقع الاقتصادي • كما انه يدين كليا ذلك التمييز اللفظي الذي تختلقه البرجوازية بين الدولة والمجتمع •

ان موقع التمييز الصحيح هو بين الدولة البرجوازية والدولة الاوتوقراطية اي دكتاتورية الاقلية على الاغلبية من جهة والدولة البرلتارية او الدولة الشعبية اي دكتاتورية الاغلبية على الاقلية من جهة ثانية •

لكن لماذا يجب ان تقام دكتاتورية الاغلبية على الاقلية ؟ لان الاقلية التي تمارس عليها الدكتاتورية تتوفر على قوى تتجاوز الاقلية تماما نسبة حجمها ، التي رسخت خلال العهود الطويلة من الاضطهاد •

فهي تلقي الدعم الكامل من الامبريالية العالمية برمتها، وهي تتوفر على القوة المالية وما تسمح به من رشوة وفساد ، وهي تستفيد من قوة تاثير تقاليد الخضوع

وفساد • وهي تستفيد من قوة تاثير تقاليد الخضوع

ولذلك فان جبهة العمال والفلاحين الثورية عليها ان تمارس دكتاتوريتها من اجل اقتلاع السيطرة الامبريالية ومن أجل اقتلاع شوكة عملائها الداخليين، ومن اجل تغيير بنية المجتمع ذاتها وبناء مجتمع جديد .

ان دكتاتورية البرلتارية ستسير باتجاه تلاشي جهاز الدولة ونحو مجتمع تزدهر فيه البشرية وتستطيع تنظيم نشاطاتها الاجتماعية بدون جهاز دولة، بينما تنمحي منه كل اشكال الاستغلال وكل ثقافة استغلالية ويزول فيه كل اضطهاد وكل استيلاب. واذ يتطلب هذا التحول تغيير الانسان ذاته فلابد ان يمتد على مرحلة تاريخية طويلة كما لا يمكنه الرسوخ الفعلي الا بعد تصفية الامبريالية والراسمالية على الصعيد العالمي .

لكن دكتاتورية البرلتاريا تدخل في اطار هذا التحول والا فهي غير ذات معنى . اي السلطة الفعلية يجب ان تكون سلطة العمال والفلاحين المنظمين في لجان ثورية لاسلطة بيرقراطية فالاصلاح الزراعي مثلا يجب ان يجري على يد هذه اللجان الفلاحية الثورية كما وقع في الصين وفي السنوات الاولى للثورة السوفياتية وكذلك الامر بالنسبة للاختيارات الاستراتيجية في التخطيط والتوجيه العام للمجتمع حيث يجب ان تنبع من هذه اللجان العمالية والفلاحية الثورية الملتحمة جدليا بحزب البرلتاريا ومعه .

وقد جاءت الثورة الثقافية الصينية لتظهر للعالم اجمع حقيقة سلطة كهذه .

وجهاز الدولة يتلاشى اذن بهذا المعنى وياللاسف بالنسبة للبيرقراطيين والتقنقراطيين كما سبق لانجلس ان قال بان كمونة باريس خالية من جهاز دولة بالمعنى الكامل للكلمة .

لكن هناك علاقات بين دكتاتورية البرلتاريا وتلاشي جهاز الدولة وهي علاقة جدلية لا عفوية ولا وحيدة الجانب ، فضمانة التقدم نحو تلاشي جهاز الدولة هي تقوية دكتاتورية البرلتاريا ضد من يريدون الرجوع الى الوراء والردة الى الراسمالية ، وضمانة التقدم نحو الاشتراكية هي تشكيل البرلتاريا كطبقة تفرض سيادتها الاديولوجية وقيادة مجموع الشعب .

لذا فان الشعارات البرجوازية الصغرى مثل «المصانع للعمال» لا تعدو ان تزرع الاوهام البرجوازية الصغرى في صفوف الطبقة العاملة مثل وهم «العامل الراسمالي ببضعة اسهم . ويبين انحلال المجتمع اليوغوسلافي اين يؤدي ذلك . ان شعار «المصانع للعمال» يسمح في العمق للبيرقراطيين البرجوازيين الصغار بالاحتفاظ بجهاز الدولة تحت سيطرتهم . وتلك مثلا مطامح عبد الله ابراهيم دون الحديث عن ديماغوجية علال الفاسي .

اذا كان على الفلاحين بما فيهم الفلاحون الفقراء ان يمروا من مرحلة تشكيل انفسهم كطبقة فلاحين يملكون الارض ثم المرور **تحت قيادة البرلتاريا** الى مرحلة الاشتراكية ، فان البرلتاريا من جهتها لا يمكنها ان تنظم نفسها من أجل الثورة ذاتها الا اذا تجاوزت مصالحها الطبقية المباشرة ، و « اذا عجزت البرلتاريا عن تحرير الانسانية جمعاء ، فلن تستطيع التوصل الى تحرير نفسها » (ماو تسي تونغ) .

هذا الذي يجعل طريق الاشتراكية في بلد ذي بنية فلاحية سائدة يمر بالدكتاتورية الديمقراطية للعمال والفلاحين الفقراء وهي صنف من دكتاتورية البرلتاريا

لان الطبقة العاملة تضمن بتنظيمها الطبقي وايديولوجيتها القيادة الاستراتيجية لجبهة العمال والفلاحين الفقراء الثورية ، نواة مجموع القوى الوطنية ـ وقد بين ذلك القيادة الاستراتيجية لجبهة العمال والفلاحين الفقراء جيدا ترونغ تشي الرئيس الحالي لجمهورية فيتنام الديمقراطية .

ويتجلى الطابع الديمقراطي لهذه الدكتاتورية في بقاء البنية الاقتصادية الاجتماعية التي يسودها الطابع البرجوازي ، دون التفريق بين العنصر السياسي والعنصر الاقتصادي .

والطابع الثوري لهذه الدكتاتورية يتجلى في كونها تسعى كما قلنا لطرد العدو الامبريالي وعملائه ، وهي دكتاتورية العمال والفلاحين الفقراء لان هاتين الطبقتين هما وحدهما قادرتان بالتحامهما الطبقي على دحر العدو

اما البرجوازية الوطنية المتوسطة والبرجوازية الصغرى فلا يمكنهما ممارسة تلك الدكتاتورية لانهما اذا بقيتا في القيادة تسعيان على العكس الى بناء الراسمزلية الشيء الذي لا يمكنهما ادراك الحصول على مساندة الامبريالية، والتطور الحالي للجمهورية العربية المتحدة عميق الدلالة في هذا الصدد .



حقــائـــق

التغلغـل الاسـرائيلي فـي افريقيـــا

احمـد ابو المجـد

ان دور قاعدة العدوان واداة التغلغل الامبريـالي الذي تقوم به اسرائيل لا ينحصر في الشرق الاوسـط ، فهناك منطقة استراتيجية اخرى ، لا تقل اهمية عـن الاولى ، اصبحت منذ ما يزيد عـن عشـر سنـوات ، وبطريقة مغايرة ، هدفا للتغلغل الاسرائيلي ، وهـي افريقيا الواقعة جنوب الصحراء .

نقول بطريقة مغايرة ، لانهـا لا تكتسي طابـع العدوان المباشر ولا حتى التغلغل الاقتصادي المكشوف بل تكتفي بتقديم «المساعدات» في بعض الميادين ذات الطابع الحيوي بالنسبة للدول الافريقية وحكوماتهـا المرتبطة بالامبريالية : كتكوين الاطر (القمعية عـلى على الخصوص : الجيش والبوليس و«ارشاد منظمات الشباب . وهكذا فاذا كان حجم هذه المساعدات جـد ضئيل مـن الناحية العدديـة (٠،٠٥٪ مـن مجمـوع المساعـدات الاجنبية للمنطقـة) فان مرافـق هـذه المساعدة جد هامة . لقد استطاعت اسرائيل ان تحصل على وسائـل هامة للتغلغـل الاقتصـادي والسيـاسي بافريقيا وبتكاليف جد رخيصة ، كفيلة بعدم ارهـاق اقتصادها الذي يعتمد على المساعدات التي تقدمهـا لها الدول الامبريالية والشركات والمنظمات الصهيونية.

فما هي اذن الدول التي «تستفيد» من المساعدات وما هي اهداف اسرائيل والدول الامبريالية مـن وراء ذلـك ؟

اذا القينا نظرة على لائحة الدول الافريقية التـي يستهدفها التغلغل الاسرائيلي وجدناها تحتوي عـلى البلدان التي ترزح تحت وطاة اكثر الانظمة ارتبـاطـا بالامبريالية ، واكثرها جشعا في استغلال الجماهيـر الافريقية واكثرها قساوة في قمعها : ايثيوبيا ، جمهورية افريقيا الوسطى ، كينيا ، الكونكو كنشاسا ، السنغال، الطوغو ، اوغندا ، مالي ، نجيريا ، وبعـض الـدول الاخـرى .

اما المرافق التي تتركز فيها هذه المساعـدات فتتكون اساسا من مرافق النشاط العسكري أو الشبـه العسكري ، كتاطير منظمات الشباب . فاسرائيل هـي التي تخصصت في تدريب الفرق الخاصة للقمع فـي افريقيا وخصوصا وحدات المظليين . فهنـاك تـدرب المظليون الكونغوليون ومن بينهم العميل جوزف موبوتو الرئيس الحالي لجمهوريـة الكونغوكنشاسا ، وهنـاك تدرب ضباط الطيران الغاني .

واسرائيل هي التي تدرب الفرق الخاصة لمواجهة حرب العصابات في اثيوبيا والتشاد وتزودها بالخبراء والمرشدين مساهمة بذلك ، وبطريقة مباشرة ، فـي التصدي للمد الثوري بافريقيا ، كما ان اسرائيـل بالاضافة الى هذا، تساهم في تنظيم جمعيات الشبـاب

على النمط الشبه العسكري مساهمة بذلك في الجهود المبذولة لجعل الشباب الافريقي أداة طيعة في يد الانظمة العميلة ، كما تعمل اسرائيل في اطار برنامج المساعدة الفلاحية على تصدير النمط العسكري لتنظيمها الفلاحي كنموذج للتنظيم «الاشتراكي» .

وهكذا يمكن تخليص المحاور الاساسية للمساعدة الاسرائيلية ، رغم اختلاف انواعها ، كما يلي :

● المساعدة العسكرية كوسيلة لدعم الحركة المضادة للثورة بافريقيا ، وخصوصا في المناطق الخطيرة كاريثريا والتشاد ، ومساعدة اجهزة القمع الاخرى كالبوليس واجهزة المخابرات .

● تأطير حركة الشباب واعطاؤها طابعا عسكريا مضادا للثورة . والتسلل الى المنظمات النقابية الافريقية عن «تكوين الاطر» في اسرائيل. وكذلك الشأن بالنسبة للاطر الادارية والتقنية .

● برنامج المساعدة الفلاحية الذي يرمي الى طمس التناقضات الحادة التي يعرفها هذا القطاع الحيوي في اغلب البلدان الافريقية وذلك بتقديم نماذج مشوهة للاصلاح الزراعي .

● تكوين مؤسسات مشتركة ما بين رجال الاعمال او الحكومة الاسرائيلية ، والدول الافريقية او القطاع الخاص .

ولقد اكدت كثير من الحقائق والشواهد على ان برنامج المساعدات الاسرائلي لافريقيا مرتبط بالبرامج الامبريالية ، والامريكية على الخصوص . فهنالك كثير من البرامج الاسرائلية التي تمت بالتعاون مع برنامج المساعدة الامريكية ، وكمثال على ذلك نسوق حالة معهد الدراسات الافروآسيوية بتل ابيب التابع للمنظمة النقابية الصهيونية « الهستدروت » ، هذا المعهد الذي يتخرج منه كل ثلاثة واربعة اشهر ما بين ٢٠،٥٠ افريقيا من القادة المكونين الحاصلين على شهادات .

مدير هذا المعهد، الهو+لاث ، كان اول سفير لاسرائيل بالولايات المتحدة ، وقد تمكن هذا المعهد من الابتداء في نشاطه بفضل مساهمة قدرها ٦٠ ٠٠٠ دولارا من طرف الفيدرالية الامريكية للمؤتمر العالمي للمنظمات الصناعية ، في ١٩٦٠ كما زودته نفس المنظمة بما ينيف عن ٣٠٠٠٠٠ دولارا ما بين ١٩٦٠ و ١٩٦٢ .

وقد اعترف العديد من الصحفيين الامريكيين ان البرامج الدولية لهذه المنظمة تدخل في اطار الاستراتيجية العالمية لوكالة المخابرات المركزية . فالنقابات الافريقية منظمات ذات مستوى سياسي عالي، والتكوين الذي يعطى للاطر النقابية في اسرائيل يرمي الى محو هذا التأسيس وجعل المنظمات الافريقية ذات طابع تعاوني اكثر مما هي منظمات نقابية ذات اتجاه ثوري .

ويمكن ان نعدد الامثلة الى انه يكفينا ان نشير الى ان برنامج المساعدة الاسرائلي رغم قلة تكاليفه يشكل عبئا لا تسطيع اسرائيل وحدها القيام به ، وان كثيرا من الملاحظين يقدرون ان ما يقرب من نصف الاموال اللازمة لتمويل هذه البرامج تاتي ، وبطريقة جد مقنعة ، من مصادر غير اسرائلية ، وأن اسرائيل

غالبا ما تلعب دور الوسيط بين بعض الجهات الامبريالية والحكومات الافريقية ، بالاضافة الى الفوائد المرتفعة التي تجنيها اسرائيل من هذه المساعدات ، فقد صرح مسؤول أمريكي ان اسرائيل تحصل على ضعف الفوائد التي تجنيها امريكا من وراء كل دولار ينفق في المساعدة الخارجية .

هكذا يتبين ان الاهداف السياسية للتغلغل الاسرائلي في افريقيا هي مساندة المحاولات التي تقوم بها الامبريالية العالمية لفرض سيطرتها السياسية والاقتصادية على المنطقة ومواجهة الحركة الثورية وذلك بتعزيز الانظمة العميلة بها .

هذا بالاضافة الى حرص اسرائيل على ضمان التاييد الدبلوماسي الواسع من طرف العديد من الدول الافريقية .

ولاهتمام اسرائيل بافريقيا دوافع اقتصادية ايضا لكونها منبعا للمواد الاولية ملائما من الناحية الجغرافية ، وسوقا للمنتوجات الاسرائلية ، وبذلك تجذب اليها اهتمامات رجال الاعمال الاسرائليين .

والعلاقات التجارية بين اسرائيل والدول الافريقية نشيطة وحجمها في تزايد . فقد بلغت قيمة الصادرات الاسرائلية الى افريقيا ١١٦ مليون دولار سنة ١٩٦٣ و ٢١٥ مليون دولار سنة ١٩٦٥ .

ويصرح «لوفر ان هذا الارتفاع الكبير في الصادرات الى بعض الدول الافريقية (مثل اثيوبيا وغانا وأوغاندا وكينيا ونجيريا) التي لها مع اسرائيل برامج للتعاون التقني كذلك ، يتعدى مجرد المصادفة» .

فباعتبارها منبعا للمواد الاولية تكتسي افريقيا أهمية حيوية . كما أن حجم الصادرات الافريقية الى اسرائيل لا يقل دلالة عن حجم الصادرات الاسرائلية الى افريقيا وهي في ارتفاع متزايد ، فها هو «ساموئيل ديكالور» خبير امريكي يدلي بملاحظة هامة حول طبيعة هذه العلاقات الاقتصادية :

«ان استيراد افريقيا لجملة من المواد الاسرائلية (مثل الاثاث والاسمنت وزيت الصويا المصفى) وان كان ضعيفا اذا اعتبرنا الارقام بصفة مطلقة ، فانه يشكل اكثر من ٥٠٪ لمجموع صادرات اسرائيل من هذه المواد ، كما ان هنالك مواد اخرى (مثل الانابيب المازلة والمواد الصيدلية والزرابي) التي تحصل افريقيا على اكثر من ٢٥٪ لمجموع صادرات اسرائيل منها ، مع شراء مواد اخرى بكميات اقل .

كما ان افريقيا من المزودين الرئيسيين لعدد من المواد التي تنتجها بعض بلدان المناطق الحارة .

ويرى بعض الملاحظين ان اسرائيل تملك فرصة حسنة لتنمية مدى ومفعول علاقاتها الاقتصادية .

فاشكال التوظيفات الاقتصادية الاسرائيلية ترمي بشكل مقصود الى التقليل من شكوك الدول الافريقية . ففي منتصف سنة ١٩٦٣ اسست اثنان واربعون دوائر شركة تعتمد على مشاركة رؤوس اموال اسرائلية ورؤوس اموال عمومية افريقية . وتشرح جريدة الاكونمست ذلك قائلة :

«عوض الالحاح على المطالبة بمراقبة وبتساهلات على فترات طويلة ، فان الاسرائليين يضعون دائما كشرط لمساهمتهم ان تكون توظيفاتهم تشكل الاقلية

كما ان المعاهدات تقتصر على خمس سنوات يمكن للمساهمين المحليين الافارقة بعدها ان يختاروا شراء المساهمات الاسرائلية ... وقد نشطت الشركات المولة بصفة مشتركة من طرف مؤسسات عمومية افريقية واسرائلية في غانا وليبيريا ونيجيريا وسيراليون وساحل العاج والداهومي والنيجير وفولتا العليا والسنغال وطنجانيقا وفي اثنين او ثلاثة من الدول الافريقية الاخرى .»

وترتكز السياسة الاسرائلية في هذا الميدان على تفكير اقتصادي ماكر يشرحه لوفير كما يلي :

«لقد مكنت المؤسسات المزدوجة للشركات الاسرائلية من التغلغل في اسواق جديدة مقابل توظيفات ضعيفة نسبيا وتحت حماية حكومات الدول النامية فباعتبار ان السوق الداخلية في هذه البلدان تخضع لمراقبة ضيقة من طرف مؤسسات اجنبيةاو لمواطنين من هذه البلدان مستقرين بالخارج منذ مدة ، كان من الصعب على الشركات الاسرائيلية ان تفرض وجودها في هذه الاسواق دون مساعدة الشركات المساهمة.»

وترمي انواع المشاريع التي يستخدمها التغلغل الاسرائلي الى مساعدة الحكومات ذات الطابع الاستعماري الجديد بواسطة مشاريع مشكوك في فوائدها ولا نفع منها بالنسبة لشعوب هذه البلدان .

وهكذا ، على سبيل المثل ، نجد ان شركة صوليل بونيح ، الشبه العمومية قد ساهمت بصفتها شريكا في بناء مطار دولي باكرا وفنادق فخمة بنيجريا الشرقية ، وبنايات جامعية و٨٠٠ ميلا من الطرق بنيجيريا الغربية والبنايات الانيقة للبرلمان بسيراليون ونيجيريا الشرقية وتجهيزات عسكرية بساحل العاج .

ان لاسرائيل مصالح اقتصادية بافريقيا على المدى البعيد . فاذا كانت مساهمتها الاقتصادية محدودة ، فذلك راجع ومرتبط بصفة رئيسية بالمراقبة الضيقة التي تفرضها القوى الاستعمارية ، والولايات المتحدة خصوصا التي تحاول احتكار التجارة والاحتفاظ بالامتيازات . الا انه مهما تكن الظروف ، فان الطابع المحافظ ظاهريا قد اعطى لاسرائيل امكانيات واسعة للمناورة السياسية والظهور بمظهر الدولة المستقلة ازاء المصالح الامبريالية .

خلاصة

يتبين من خلال هذا العرض الوجيز عن التغلغل الاسرائيلي أن تحليل الدور الذي تلعبه اسرائيل لايمكن أن ينحصر في أطار المشاكل التي تعرفها منطقة الشرق الاوسط ، وأن هناك عدة عوامل وادلة تشير الى ان اسرائيل تلعب دورا مباشرا في حماية مصالح امبراطورية العالم الحر التي تقودها الولايات المتحدة.

وننشر في ما يلي جدولا لبرنامج المساعدات الافريقية بالنسبة لكل بلد ، نقلا عن مقال لمجموعة الابحاث الافريقية ، التي ارتكز المقال على احد ابحاثها :

البرامج الاسرائيلية للمساعدة العسكرية والشبه العسكرية لافرقيا الواقعة جنوب الصحراء ما بين ١٩٦٠ و ١٩٦٦

البلد	السنة	محتوى البرنامج
الكامرون	١٩٦٦ (يناير)	ضباط من الجيش الاسرائيلي يكونون مجموعات «ناحال» و «كادنا» ·
جمهورية افرقيبيا الوسطى	١٩٦٢	٥٠ منحة فردية ·
	١٩٦٠	١٤ ضابطا من الجيش الاسرائيلي ينظمون الحركة الوطنية للرواد الشباب · الاطر المسيرة مكونة باسرائيل · الضيعة المخصصة للتدريب على أساس عقدة لمدة سنتين ·
التشاد	١٩٦٤	تدريب بعض الطلاب · بعث الاطر لارشاد حركة الشباب ·
	١٩٦٧	مقتل مرشدين اسرائيليين أثناء مساهمتهما في عملية عسكرية للقوات التشادية ضد الانتفاضة المسلحة لجبهة التحرير الوطني بتشاد ·
الكونغو ـ كينشاسا	١٩٦٣	ايفاد ٢٤٣ من المظليين الكونغوليين للتدريب باسرائيل ، من بينهم الجنرال جوزيف موبوتو ، رئيس الجمهورية الحالي ·
	١٩٦٤ (اكتوبر)	١٠٠ حندي كونغولي آخر يتلقون تدريبا للمظليين ايفاد مرشدين اسرائيليين الى الكونغو لتدريب المظليين ·

« « «	١٩٦٨ (مارس)	تدريب كتيبة لمجابهة حرب العصابات ، تعتبر « افضل الوحدات » من طرف الاسرائيليين . تدريب ٣٠ مظليا جديدا .
« « «	١٩٦٨	ايفاد ٣٥ كونغوليا لتلقي تدريب في الادارة العمومية على نموذج «الكادنا» .
الداهومي	١٩٦٢	اسرائيليون يقومون «بارشاد» المجموعة الاولى للرواد بالجيش .
« « «	١٩٦٦	«سبع مرشدين اسرائيليين ينظمون برنامجا للخدمة الوطنية مبني على اساس التجنيد . مرشدان يساعدان حركة الرواد الشباب (بمساندة برنامج المساعدة الامريكية) ، يسيران هذه الحركة .
ايثيوبيا	١٩٦٠ ـ ١٩٦٦	عدد من الاسرائيليين يقودون برنامجا لمكافحة الثورة المسلحة لجبهة تحرير ايريثريا ، وشفيتا بكينيا . اسرائيليون يعوضون القوات الخاصة الامريكية التي «انسحبت» بعد محاولة انقلاب فاشلة ، بعد اعتبار ان الضباط الارتيريين الذين ساهموا في المحاولة واللذين دربوا في الولايات المتحدة لا يمكن ان يشكلوا خطرا على النظام القائم . تعاون هام ما بين اسرائيل وايثيوبيا في ميدان العمليات . تداريب لتكوين وحدات خاصة للتجسس ومحاربة الثورات . تحتفظ اسرائيل ببعثة عسكرية هامة تكون ٥٠٠ رجل في كل ستة أشهر . «كما ساهمت اسرائيل مع عسكريين أمريكيين وايثيوبيين في اقامة قواعد في جبل حميد» .
غانا		اسرائيل تقوم بتكوين وتنظيم القوة الجوية لغانا وكذلك مدرسة الطيران بها (مما أثار الانجليز ، الذين كانوا يريدون الاحتفاظ بالسيطرة الكاملة) .

» » »	» » »	اسرائيل تنسحب نظرا للمصالح الاقتصادية البريطانية · اسرائيل تعطي مساعدات لوحدات الجيش والبحرية ·
ساحل العاج	١٩٦١	اسرائيل تنظم برامج كادانا وناحال بمساندة برنامج المساعدة الامريكي · اعادة تنظيم برنامج الخدمة المدنية ويلعب فيه دورا هاما (مما يثير حنق الفرنسيين) ·
	١٩٦٣	تاسيس مدرسة عسكرية «للنشاط الوطني» · محاولة ساحل العاج الاستفادة من الجيش من أجل «الخدمة الوطنية» بمساعدة اسرائيل · اسرائيل تزود حرس رئيس الجمهورية برشاشات أوزي ٧،٦٦ مم ·
كينيا	١٩٦٣	برنامج ضئيل الاهمية خمسة طلاب ـ ضباط بالقوات الجوية وثلاثون جنديا دربوا «بصفة غير رسمية» الى حدود ١٩٦٣ ·
ملاوي		اسرائيل تدرب أطرا طبية · حركة الرواد الشباب للملاوي · أربع مرشدين اسرائيليين يساهمون في بناء منظمة شبه عسكرية تضم ما بين ٥٠٠ و ٧٠٠ عضوا ·
نيجيريا	١٩٦٧	تدريب الجيش والشرطة · اسرائيل تسلم مدافع الهاون فئة ١١ مم مصنوعة باسرائيل برخصة فنلندية · اسرائيل متهمة بتسليم أسلحة الى بيافرا ، بحجة التشابه بين بيافرا واسرائيل · سفير اسرائيل في نيجيريا ينفي التهمة في يناير ١٩٦٩ ·
سيراليون	١٩٦٦	مساعدة اسرائيل على تاسيس الاكاديمية العسكرية ، كما بقي ٦٥ من ضباطها سنتين اضافيتين بالبلاد ·

طانزانيا	١٩٦٣	٦٠ من التلاميذ الضباط يتلقون تدريبا يدوم ١٩٣ يومـــا · اسرائيل تساعد على تنظيم مجموعات العمل الوطني على النمط الاسرائيلي · البرنامج يتعرض لعدد من الصعوبات بعد مايقع ابعاد ١١٧ متهمين بعدم الاخلاص في مهمتهم · لم يشر الى مساهمة اسرائيلية ·
« « «	١٩٦٤	تدريب ٢٤ رجلا من الوحدة المدفعية البحرية ·
« « «	١٩٦٦	تدريب ١٢٠ بوليسيا على المظلات · دور هذه الوحدة الحفاظ على النظام ومنع سرقة المواشي · بعض «النظريات» تشير الى امكانية استعمالها عند الحاجة ، ضد زانزبار · كما يعتقد أن اسرائيل قد ساهمت في مصالح المخابرات الطانزانية ·
الطوغو	١٩٦١	بداية النشاط · فرقة من ٧ جبال تنظم هيئة الشبيبة الزراعية · حسب نموذج «الكادنا» · تجارب على نماذج «الموشاف» ·
أوغندا	١٩٦٣	١٥ من ضباط الجيش و ٥ ربابنة يتدربون باسرائيل ·
	١٩٦٤	تداريب اضافية وتنظيم القوات الجوية ·
	١٩٦٦	اسرائيل تتكلف كليا بالتداريب العسكرية ، وتزود بالطائرات ، وربما كانت واسطة للمساعدة الفرنسية لأوغندا ·

مراســلات

الانديــة السينمائــة وثقافــة النخبــة

يوجد حاليا ببلدنا ما يقرب من ثلاثين ناديا سينمائيا • وتعرف هذه النوادي مبدئيا كجمعيات مهمتها نشر الثقافة عن طريق الفيلم • فلنحاول التعرف على هذا النشاط بالمغرب ولنتساءل : أي نشر ؟ وأي ثقافة ؟ وأي أفلام ؟

لقد نشأت الاندية السينيمائية بالمغرب في اطار الاحتلال الفرنسي وبالخصوص في اطار التغلغل الفكري الذي يهدف في آن واحد الى خلق انشطة ثقافية مستوردة تلبي حاجيات الجالية الفرنسية ، ولى جلب الاقلية المغربية التي تحظى باستهلاك الثقافة الدخيلة ، وبالتالي كانت آنذاك علاقة عضوية بين تلك الاندية والبعثة الثقافية الفرنسية التي تمثلها مراكز في المدن الرئيسية : الدار البيضاء ، الرباط ، مكناس ، فاس . واذا فقد هذا التدخل طابعه الرسمي ، فان أنشطة وتنظيمات النوادي السينيمائية لازالت تمتاز بطابع نخبوي :

– جل المشاركين من تلاميذ السلك الثاني من الثانوي والاقلية مكونة من مثقفين فرنسيين أو مغاربة متفرنسين •

– تنظم الحصص في احدى القاعات الفخمة وبالطبع تقوم الاندية بحملة دعائية محدودة في بداية السنة قصد بيع اوراق العضوية .

– وكثيرا ما يستأثر الاجانب بالتسيير والتنشيط الفعلي ، تاركين الرئاسة الشرفية لشخصية مغربية مرموقة ، وذلك ليرتدي النادي طابعا وطنيا من الوجهة الادارية •

– اما المناقشات فتقام باللغة الفرنسية • وأول نتيجة لذلك هي أن جل المشاركين لايساهمون بصفة فعالة ، وذلك لعدم تمكنهم من التعبير بعفوية عن آرائهم وارتساماتهم • هذه العوامل تحصر النقاش في حوار صالوني بين عدد ضئيل من المشاركين ، وفي دردشة روتينية تتناول الافلام من زاوية محدودة : يحدد الشريط بالنسبة لانواع الاشرطة ، وتدرس شخصية الابطال ، والمغزى والنواحي «التقنية» في بعض الاحيان ، والكل يناقش على ضوء ما يصدر في المجلات الفرنسية المختصة •

– جل الافلام تنتمي الى الدول الغربية ، وبالطبع تطغى الافلام الفرنسية من الناحية العددية لأن «البعثة الثقافية» لازالت تتبرع باشرطتها •

لكن قد طرأت على هذا النشاط بعض التطورات من الواجب ذكرها ، فقد لوحظت مغربة نسبية لأطر النوادي السينمائية ، أما الفرنسيون فلا زالوا يشاركون في التنشيط ، وكثيرا ما يتخذون مواقف سلبية ازاء

مغربة النوادي ، وعلى سبيل المثال نذكر فضيحة وقعت في نادي «الشاشة» بمكناس في السنة الفارطة • فقد قام أحد أعضاء مكتب النادي المذكور ، وهو مثقف فرنسي بتسجيل سري لمناقشة تلت عرض فيلم «رياح الاوراس » الجزائري وهو موضوع يتناول حرب التحرير الجزائرية . وفوجيء الاعضاء المغاربة بالمكتب باستدعاء من السلطة المحلية ، وتلى الاستدعاء استقبال وتلى الاستقبال تهديد وتحذير واتهام بالشعب .

وقد طرأت أيضا مغربة نسبية لقيادة «الجامعة المغربية للاندية السينمائية» ، التي تضم جل الأندية واخذت تهتم بالتعريف بانتاج العالم الثالث • كما صدرت في بداية السنة الماضية مجلة تدعى «سينما ٣» ، وهي تعنى بأبحاث نظرية ، وبمقالات ودراسات حول السينما في الدول النامية • لكن هذه المجلة لم تعرف الا وجودا محدودا ، اذ لم تتعد اربعة أعداد • وعرفت الجامعة في بداية سنة ١٩٧١ ازمة خانقة بسبب غياب مفاجيء لكاتبها العام ، خصوصا وأن هذا المسؤول اعتاد الاستئثار بتسيير الجامعة ، وظهرت في نفس الحقبة ما يدعى : «الاتحاد المغربي للنوادي السينمائية للشباب» ، وهي منظمة تمثل تدخل وزارة الشبيبة والرياضة قصد السيطرة المادية والمعنوية على هذا القطاع الثقافي ، ولكن هذه المنظمة لم تعط نتائج ملموسة •

ظهر اذن أن التطورات القليلة لم تمس جوهر النوادي السينمائية • ان هذه المؤسسات تمثل في الحقيقة نوعا من أنواع التسرب الثقافي المتستر للايديولوجية الغربية البورجوازية • فمن رأينا أن مهمة النادي السينمائي هي تعرية المضمون الايديولوجي للافلام المعروضة ، كيف ما كان مصدرها وموضوعها • ويتم ذلك قبل كل شيء بوضع كل انتاج سينمائي في ظروفه الاقتصادية والاجتماعية والسياسية • كما يجب توسيع عدد المشاركين واقامة عروض في الاحياء الشعبية واستعمال اللغة الوطنية في المناقشات • وبذلك يمكن لهذه الاندية أن تلعب دورا ايجابيا كوسيلة تثقيفية حقيقية ، شعبية ، وكأداة للنضال ضد الاستعمار الفكري •

ع • ا • س

القنيطرة



بريـــد القـــراء

ان المشاعر التي حملتها رسائل عدد من قراء المجلة في مختلف ارجاء الوطن العربي كانت صدى لصـــوت مناضلين في جبهة من جبهات معركة الشعب العربي ضد هيمنة الثقافة الرجعية والاستعمارية ومن أجل ثقافـــة مبدعة ؟ ثقافة العمال والفلاحين الفقراء والكادحيـــن .

ان المثقفين الثورين في نضالهم المستمر من أجـل فك الحصار الثقافي ـ الرجعي يدركون أن هذا لن يتـم الا بنضال ملموس بجانب الجماهير الكادحة ، وتجاهل هذه الحقيقـــة ـ وهـــذا ما يفعله عـــادة المثقفـــون البورجوازيون الصغار والمتمركسون أصحاب الياقات ـ يجعل من كتاباتهم مجرد هواية .

ركن بريد القراء هو مساهمة القراء في توضيـح الرؤية ، والرأي الحر ، والموقف البناء الصريح فـــي القضايا الوطنية والعربية والتحررية العالمية .

تحيات واعجاب البياتي

من الشاعر المناضل عبد الوهاب البياتي توصلت المجلة برسالتين تحملان مشاعر رقيقة وتحيات وحـــب شاعر كبير . يقول في الرسالة الثانية : «افتتاحية العدد الثاني من «انفاس» كانت رائعـــة وفيهـــا تشخيص حـــي ونابض وصادق للقضية التي تناولتها وكذلك الامـــر بالنسبة لبقية مواد المجلة وأنا اتفق تمّاما مـــع الخـــط الفكرى الذي ساد مواضيع المجلة»وفي طي الرسالتين قصيدة جديدة ، وحديث صحفي مع جريـــدة الانـــوار اللبنانية بعد عودته من مهرجان الربيع الشعـــري في يوغوسلافيا مساهمة منه في مواد المجلة سننشرها فـــي الاعداد القادمة .

تحيات وتقدير كل العامليـــن في المجلـــة للشاعـــر المناضل .

ومن الشاعر الفيتوري

« تحية وتقديرا عميقين لكم ، أيضاللاخوة الاخرين الذين شاطرونكم عذاب الكلمة ، وجهد الابداع مـــن جل الآخرين جميعا » . ساحاول ان اجعل من نفسي عضوا في اسرة « انفاس »

رسالة وعواطف رقيقة من شاعر انسان افريقيـــا محمد الفيتوري ، تحياتنا الصادقة ونتمنى أن تصبـــح المحاولة حقيقية . ان اسرة «انفاس» تضم كل المناضلين والمثقفين الثوريين والتقدميين وكل القراء الاعزاء .

عبد العزيز شرف والبياتي

من السيد عبد العزيز شرف محرر الشؤون الثقافية بجريدة الاهرام ، توصلنا برسالة ومقال : « تحية من اعماق القلب ، يسعدني أن أشارك في تحرير «انفاس» بمقال عن الشاعر المناضل عبد الوهاب البياتي الذي احبه وأقدره ، بعنوان « الشعر سلاح لا مرئي » أرجو أنْ يجوز القبول ونراه في مجلتنا العظيمة منشورا »

سننشر في القريب هذه الدراسة مع خالص تحياتنا وشكرنا العميقين للاخ شرف عبد العزيز .

مشاركة متواضعة ولكن ...

ومن الاخ ابن الشيخ محمد باكادير توصلت المجلة برسالة تحمل مشاعر وتحيات للمجلة مع قصة قصيرة كمشاركة من الاخ في مواد العدد . ان بادرة الاخ جديرة بالشكر ونأسف لعدم نشر القصة لكون المجلة لم تفتح بعد ركنا خاصا بالقصة والشعر .

رسالة ونضال مستمر

« وانها لرسالة تعبر عن انفاس الطبقة الكادحة وكذا الفقيرة ، تلك التي تموء بثقل الفقر المدقع والمرض المفجع والجهل المندلع ، والبطالة والمجاعة ناهيك عن القمع والارهاب الى ما لا نهاية » تلك فقرة من فقرات رسالة رقيقة توصلنا بها من طالب بازرو ، ان المجلة تشكر الاخ العزيز وتعده بمواصلة نضالها ومتابعة السير في الطريق الذي رسمته : طرح القضايا الاساسية لبلادنا والبلاد العربية، دعم الثورة الفلسطينية وحركات التحرير العالمية .

ومن الجزائر ...

من الاخ حود أمينة أحمد بالجزائر توصلت المجلة برسالة تبارك هذه الخطوة المتواضعة، واذا كانت تحمل بين طياتها مشاعر رقيقة فانها تعبر عن وحدة نضال الشعوب العربية ضد الاستعمار والرجعية والامبريالية .

مقـــالات

توصلت المجلة بعدة مقالات مساهمة من القراء في اعداد مواد المجلة من بينها مقال للسيد ابراهيم الخطيب ردا على مقال الاخ الشاوي حول «النقد الذاتي وأزمة التفكير السلفي» لم نتمكن من نشر المقال في هذا العدد لسببين : أولهما أن الاخ الشاوي لم يتم بعد المقال الذي تعرض له السيد الخطيب بالنقد، وثانيهما أن مواد العدد كانت في مرحلة الطبع ، ونخبر الاخ باننا سننشر له المقال في عدد مقبل وبهذه المناسبة تدعو المجلة كل المتقدمين الى المساهمة في النقاش الجاد الذي فتحته المجلة حول الحركة الوطنية من اجل فك الحصار الذي ضربته الرجعية والبرجوازية حول مرحلة رئيسية من مراحل نضال الشعب المغربي .

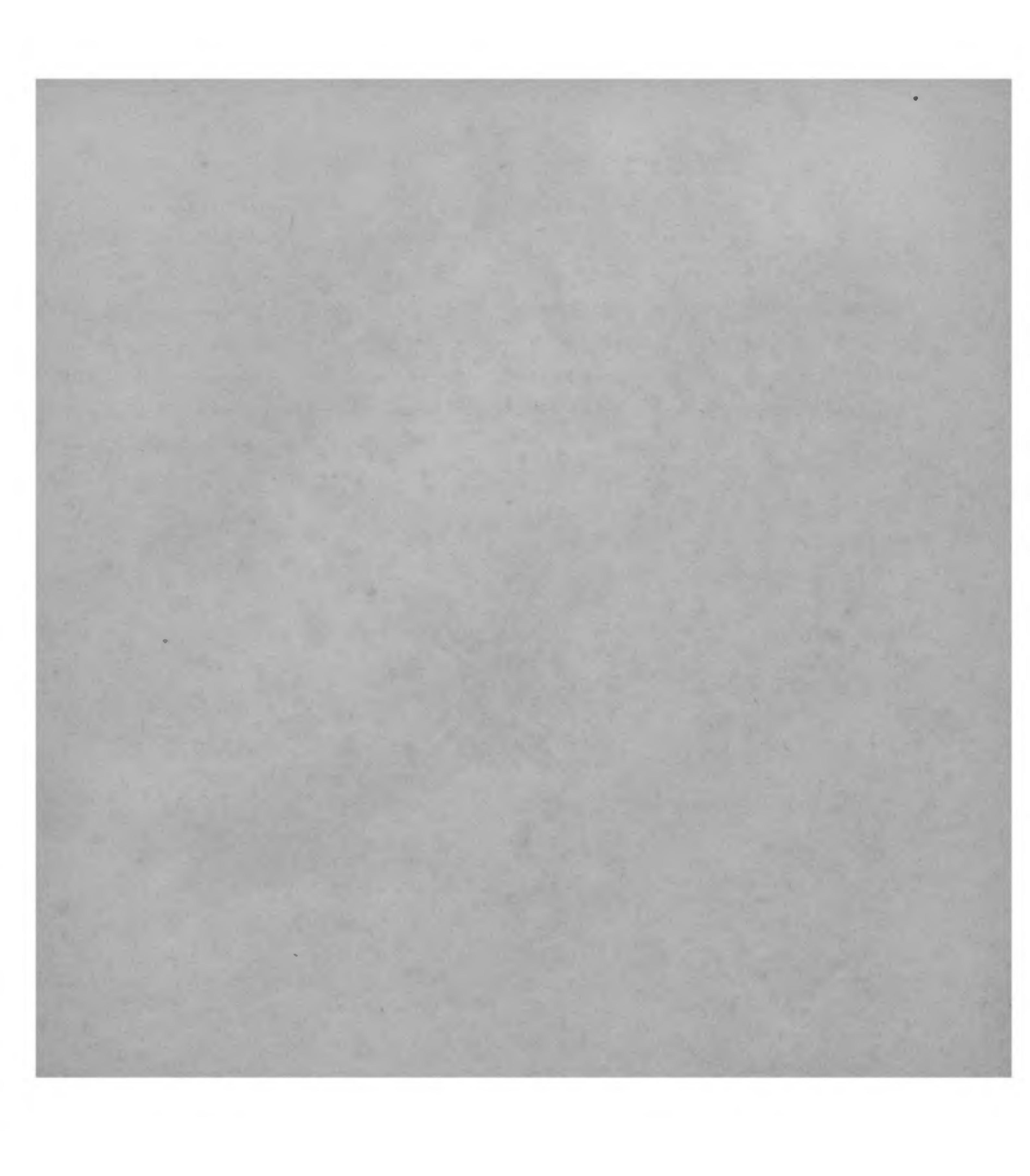
نقد الفكر الغيبي

توصلنا بمقالات اهتمت بنقد الفكر الغيبي ،من بينها مقال للاخ مصطفى النهيري بعنوان « وجهة نظر غير استعمارية في مفهوم الاستعمار الفكري » وآخر للاخ الرويسي محمد بعنوان « الاتجاه الغيبي بين التخدير والشعوذة » ان العاملين بالمجلة يشكرون الاخوان الذين اهتموا باعداد مواد للمجلة الا أنهم يعتبرون أن هذا الموضوع ليس رئيسيا ولا يمس الآن نضالات الجماهير الكادحة ٠

جريدة « فاس » والبهرجة

يقول السيد ع ٠ خ في مقاله : « كنا نأمل من جريدة فاس في عددها الخاص عن السيد علال الفاسي أن نرى الاخطاء التي وقعنا فيها ٠ وكم طال انتظارنا لتسميتها والكشف عنها ٠» هذا المقال النقدي لجريدة فاس يطرح السيد ع ٠ خ ٠ البهرجة التي سقطت فيها الجريدة لذكرى عودة السيد علال الفاسي من الغابون وعدم اهتمامها بالنقد وممارسة النقد الذاتي ٠





● خطوة متواضعة على طريق مجهود نظري كبير مطروح كمسؤولية ملحة على كل مثقف متشبع بروح تقدمية وثابة نحو ثقافة جديدة ·

● خطوة على طريق فك الحصار الثقافي الامبريالي - الرجعي وصد الهجوم الكثيف الذي تمارسه قوى الاستغلال والتضليل بدون هوادة ·

● مبادرة تدعو لفتح النقاش الجدي والمجدي بين المثقفين العرب حول القضايا العربية الجسيمة في هذه المرحلة الحاسمة من تاريخ الوطن العربي ·

● مجهود مخلص يرمي الى اخصاب الفكر التقدمي المغربي ، وطرح القضايا الاساسية لبلادنا على بساط الدرس والتحليل ، وازاحة هيمنة الفكر البرجوازي على الساحة الوطنية ·

ذلك ما تصبو اليه مجلة «انفاس » بطموح كبير وتواضع اكبر ·

- فمن أجل دعم الثورة الفلسطينية والتعريف بقضاياها الحيوية بمنظار تقدمي علمي ،

- ومن أجل توضيح الرؤية حول قضية تحرير الامة العربية وحول حركة التحرير العالمية عامة بكل مسؤولية وصراحة ،

ومن أجل ملء الفراغ الكبير في حقل الثقافة التقدمية ببلادنا ،

ومن أجل ثقافة جديدة وفكر ملتزم ،

ننادي كل المثقفين الواعين الغيورين لمساندة « انفاس »والمساهمة في مجهودها بابحاثهم وانتقاداتهم ،

ونناديكل الشباب الواعي المتطلع لفكر جديد ليتتبع باطراد مجلة « انفاس » ويدعمها بآرائه وانتقاداته ·

Imp. TOUMI -- RABAT



مجلة فكرية عربية مغربية

- الصحافة الوطنية والقضايا العربية
- ملاحظات في « الازمة الاقتصادية »
- ما هو المضمون الحقيقي للاتحاد الثلاثي
- الوضع الطبقي في الجزائر
- حوار حول « الحركة الوطنية »
- الشعر سلاح لامرئي

العدد 5
كتوبر 1971

1,50



انفـــــاس

مجلـة فكريـة عربيـة مغربيـة (تصدر شهريـا)

العنوان : ٤ شارع باستور ـ الرباط ـ المغرب
ح. ب ٧٩ ٩٨٩ الهاتف ٩٢ـ٢٣٥
المسؤول : عبد اللطيف اللعبي

السنة الثانية ، العدد الخامس اكتوبـر ١٩٧١

مطبعة التومي ـ الرباط

الدولة البيروقراطي لفائدة النشاط الحر للبورجوازية .

وسرعان ما تداركت صحافتنا «الوطنية» الموقف بعد اتضاح هذا الاتجاه في انظمة بورجوازية الدولة ، اذ صارت تساند النظام الناصري (بعد بيان ٣٠ مارس ١٩٦٨ الذي يركز على ضرورة «توطيد الجبهة الداخلية» بآفاق بورجوازية واضحة) ، كما سارعت الصحافة الوطنية الى مساندة المقاومة الفلسطينية طبعا ضمن حدود اضعف الايمان (بعض التبرعات) ودون اي خط للنضال الجماهيري الفعلي للمساندة ، بحكم موقفها الانتظاري الهامشي من المسائل الوطنية ذاتها .

ونتضح لفظية المساندة التي تمنحها الصحافة «الوطنية للمقاومة» في مساندتها الحماسية لكل التحولات اليمينية الاساسية التي عرفتها انظمة بورجوازية الدولة والتي يتحدد اتجاهها العام في كونها تكرس سلطة اكثر الفئات الطبقية والسياسية انغماسا في طريق الاستسلام المكشوف وكونها حسمت تناقضات بورجوازية الدولة باتجاه خيانة المقاومة الفلسطينية التي تعرضت للمذابح معزولة ووحيدة في مواجهة طاحون الابادة الهاشمي : انقلاب حافظ الاسد في سوريا ، تصفية الجناح السوفياتي المتغلق وضمن نفس العملية تصفية عدد كبير من الاطارات الوطنية والتقدمية في الجيش والحزب في مصر ، واخيرا مجازر الخرطوم ضد الحزب الشيوعي السوداني .

ومسألة السودان تكتسي اهمية قصوى سواء فيما يخص فضح تناقضات بورجوازية الدولة او فيما يخص فضح معاداتها الوحشية للحركة التقدمية والجماهير العربية المناضلة .

لقد كان بيان الحكم الديمقراطي التقدمي في السودان يرتكز على خمسة بنود اساسية :

١ ـ حل المنظمات السياسية الرجعية والبيروقراطية

٢ ـ اطلاق الحريات النقابية والسياسية والتنظيمية للجماهير الكادحة .

٣ ـ الدعم المطلق المادي والسياسي الفعلي للمقاومة الفلسطينية (باللقاء المطلق مع كل مواقفها السياسية وعلى رأسها رفض الحلول السلمية)

٤ ـ تشكيل جبهة وطنية شعبية وتقدمية كعماد اساسي للسلطة الجديدة .

٥ ـ الاستقلال الذاتي لجنوب السودان ضمن الحفاظ على وحدة الشعب السوداني .

لكن الذي يهم البورجوازية المركنتيلية هي وحدة السوق واكبر وحدة للسوق مهما تطلب ذلك من قمع واضطهاد موجه ضد القوى الحية المناضلة في الوطن العربي ، ضد القوى الصامدة ، والرافضة للاستسلام والنابعة من اعماق الجماهير المضطهدة بدعوى «دعم المجهود الحربي» في ظل استراتيجية تتنافى جوهريا والعمل الوطني من اجل تحقيق النصر والتحرير بقوة السلاح والجماهير .

واذ ساند الحزب الشيوعي السوداني الضباط القائمين بالانقلاب تمشيا مع خطه الوطني التقدمي (دون ان يكون دبره) ، استغل نظام النميري هذه المساندة ليذبح بصورة شاملة آلاف المناضلين الطليعيين ، الاف

العناصر الحية الصلبة التي افرزها الشعب السوداني وطبقاته الكادحة المضطهدة اساسا لتتصدر كفاحه ضد الاستغلال والقمع والاستسلام اللاوطني .

لكن الصحافة الوطنية صمتت عن هذه المجازر الشنيعة رغم ما تكتبه من مقالات في مضمار الحسناء «الحرية» والحق المقدس في الحريات العامة الخ ... وكانها لا ترى في تلك المجازر الا امواتا اعترضوا وحدة شبكة السوق فدمرهم قطار البضائع المستوردة او المبتزة من الشعب، قطار الاتحاد الثلاثي الذي لابد في راي البورجوازية ان يكون رباعيا ،

وفي نفس السياق تساند الصحافة «توطيد» اتحاد الامارات في الخليج العربي الذي يقوم تحت اشراف الرجعية السعودية المعروفة ارتباطاتها الوطيدة بالامبريالية الامريكية خاصة . ولم يأت هذا الاتحاد بايحاء من رغبة مجردة وخالصة في «اتحاد العرب كما تحاول ان توهمنا بذلك الصحافة «الوطنية» وانما بايحاء من رغبة سياسية وطبقية في «قمع العرب» الكادحين والمحرومين». ان اتحاد الامارات يعتبر اولا واخيرا عملية توحيد صفوف وتجميع قوى الرجعية العميلة لمواجهة وتطويق وخنق المد الثوري في ظفار والخليج العربي بقيادة الجبهتين الشعبيتين لتحرير الخليج العربي المحتل (ظفار وعمان).

وسواء تعلق الامر بالاتحاد الثلاثي الذي نشأ على ارضية قوامها قمع الجماهير الشعبية والحركة التقدمية من جهة ، والمضي قدما نحو الاستسلام النهائي والتخلي عن المقاومة الفلسطينية من جهة ثانية ، ام تعلق الامر باتحاد الامارات الرجعية ، فمن الواضح ان من قبيل البلاهة او الديماغوجية مناقشتها من زاوية كونها او عدم كونها «خطوة الى الامام على طريق الوحدة الكبرى»

ذلك انه في ظل المعطيات الطبقية الحالية في الوطن العربي ، وفي ظل المأزق الذي بلغته القيادات الطبقية الرجعية القديمة والرجعية الجديدة فيما يخص التحرير من الصهيونية والامبريالية ، صار واضحا ان تقدم النضالات الجماهيرية والقوى الثورية في الاقطار العربية وفي طليعتها تقدم المقاومة الفلسطينية هي الخطوات الفعلية على طريق الوحدة والتحرر الوطني والطبقي معا ، بقيادة اكثر الطبقات رزوحا تحت وطأة الاستغلال : العمال والفلاحين الفقراء .

لكن هذا الافق الجماهيري الثوري هو الذي تخافه صحافتنا الوطنية بالذات ، اذ من شأنه ان يتجاوز مصالحها الطبقية وينزع منها «تلك القيادة التاريخية» للحركة الوطنية التي تتباهى بتزعمها لها رغم ان المطاف استقر بها نهائيا في مقعد الانتظار على هامش الصراع الطبقي ورغم ما يؤخذ عليها من مساومات ماضية على حساب تضحيات الجماهير الشعبية .

انفاس



ملاحظات في «الازمة الاقتصادية»

علي الحمراوي

اذا كنا بغير حاجة الى التوكيد على أن المفاهيم الاصلاحية السياسية ، ارتكزت على رؤية ايديولوجية في التحليل الاقتصادى ، فاننا بحاجة الى القـول ،أن المقالة التي نقدمها الى القارىء ، رغم قصورها فـــي عرض الواقعة الاقتصادية بترابط شامل مع تطـورات الصراع الطبقي ، ودور الحركة الجماهيرية ، اذ ان هذا **المجهود هـو بالضرورة طويـل النفـس، فـان الشـيء الجوهري الذي حاول الاخ الحمراوي ان يقدمه ، خطوة اولى في طريق هذا المجهود الخلفية الايديولوجية والسياسية التي ينطلق منها في تحديد مفهوم الازمــة الاقتصادية التي يعيشها النظام القائم ، وذلك بربطها ـ اساسا ـ بالواقع الطبقي، وبكفاحية الجماهير كأداة ثورية في تغيير هذا الواقع .**

ان هذه الرؤية التي تنطلق منها المقالة تنـاقض في المنهج وفي النتائج المفاهيم التكنوقراطية التـــي تحتوي كل التحاليل الاقتصادية التي تعج بها السوق الوطنية .

اننا نعتبر هذه الخطوة بداية لنقاش « نرجوا أن يستمر نحو استشفاف كل ملامح الصراع الطبقـي والوطني في بلادنا » على حد تعبير الاخ الحمراوي .

انفـاس

١ ـ بعض المفاهيم الخاطئة

ان مفهوم الازمة الاقتصادية في بلادنا عـبـارة عن ثوب فضفاض ، يستر مجموعة مـــن المغالطـات الايديولوجية لها بالطبع في النهاية تبعات سياسيـة والمغالطة الاساسية تكمن عادة في طمس مسألة الصراع الطبقي ، ودور الحركة الجماهيرية ؛ ومـــن هنا تؤدي مختلف التحاليل المعتادة في الموضوع الـــى اعطاء لائحة من الاصلاحات أو من « البرامج الدنيا » مطلوب انجازها « لانقاذ البلاد من الكــارثـــة » أو « لاقتلاعها من مستنقع التخلف ».

ولابد من التمييز بين مستويين فـــي طـريقـة ومضمون التحليل الاقتصادي «اللاطبقي» أي الـــذي يترك أوضاع الطبقات جانبا ، ليهتم بتحليل « الظواهر العامة ».

● ١ المستوى الاول يتمثل في مختلف المنظورات الامبريالية المستوردة ، والمرتكز الاساسي لهذا التحليل هو ستر الدور التخريبي الذي تلعبه المصالح الامبريالية والاستعمارية في البلاد ، والبحث في نهاية المطاف عن وسائل توسيعها عن طريق الالحاح على الحاجة الماسة الى رؤوس الاموال والى استيراد « وسائل الانتاج » قصد ضمان تناسق في السباق بين « التضخم الديمغرافي » من جهة و«النمو العام للانتاج الاجمالي » من جهة ثانية •وبعيدا عن أي تحليل لعلاقات المبادلة الاستغلالية بين الامبريالية وبلادنا ، أو للاستنزاف المتصاعد لخيراتها ، يركز التحليل الامبريالي في النهاية على ضرورة تخطيط « التنمية » في ظل التبعية له أي ضرورة تنميةمصالحه ومصالح خادميه ، مؤكدا من جهة أخرى على الحاجة الملحة الى «الاطر المكفوءة» التيىناط بها فى الواقع تنظيم اجهزة متنوعة لتصعيد الاستغلال. وعندما يواجه التحليل الامبريالي بأسئلة تتعلق بالتفاقم الملموس لظواهر يعترف بذاته بضرورة محاربتها مثل تضخم البطالة وتفاقم العجز التجاري وكثرة الديون الخ ...

يلجؤ الى تصوير خرافة « الحلقة المفرغة » التي تدور فيها « البلدان المتخلفة » والتي مؤداها أن النمو الديمغرافي يؤدي الى تفاقم الفقر الامر الذي يؤدي الى اضعاف القدرة الشرائية ، وأن ضعف القدرة الشرائية يجعل مستحيلا بناء الصناعة الداخلية في شروط المنافسة الخارجية الخ....

ومن الواضح ان «العلم الاقتصادي الامبريالي تحول الى دعاية سياسية مصلحية هدفها تركيز ما هو قائم من المصالح الاستغلالية بواسطة التضليل •

● ٢ ـ المستوى الثاني يتجلى في التحليل الاصلاحي للوضع الاقتصادي . وهنا يجب تسجيل ملاحظة أساسية وهي أن الاساس الطبقي المتردد في محاربة الامبريالية يجعل منظري البورجوازيةالمتوسطة **والصغرى عاجزين موضوعيا عن القطيعة التامة مع المفاهيم الرأسمالية بل وبعض المفاهيم التي لا تخرج مطلقا عن حلبة الاستغلال الامبريالي رغم استنكارهم له.** ويرجع ذلك الى نقطتين اساسيتين وهما: اولا الطبيعة المركنتلية والحجم المحدود للبورجوازية المتوسطة ، وحتمية تبعية القيادات البورجوازية الصغرى للبورجوازية في غياب العنصر الجماهيري الحاسم من جهة ، وثانيا البعد المحدود لبرامج الطبقتين وعجزهما عن الخروج من سيطرة السوق الرأسمالية العالمية، ومطمحهما في ضمان تفوقهما على الجماهير الكادحة واستغلالهما لها بصفة دائمة (كما تدل على ذلك تجارب الثورات البورجوازية في البلدان العربية ذات انظمة بورجوازية الدولة والمتجهة نحو الليبرالية والمبادرة الفردية .)

وينتج عن هذه الطبيعة الطبقية عداء المنظرين المعنيين للماركسية ـ اللينينية او افراغها من كل محتوى جماهيري ، لانها سلاح خطير من شانه فضح التناقضات داخل صفوف الشعب المستغل (بفتح الغين) والغاء جزء هام من ذلك الدور الحساس المزعوم المنوط « بالاطارات المخلصة » ذات التكوين التقنوقراطي البحث • ذلك أن الماركسية ـ اللنينية ببعد نظرها التاريخي نظرية تعي من المبدأ ضرورة الاستمرار في الصراع الطبقي واطلاق المبادرة المنظمة

للعمال والفلاحين الفقراء حتى يبنوا الاشتراكية الفعلية : اشتراكية من الجماهير واليها ، اشتراكية تلغي كل الامتيازات وأشكال الاستغلال ·

وعند احتقار الجماهير الشعبية ونزع كل دور خلاق وبناء منها تلجؤ النظريات الاصلاحية الى محاولة فرض الوصاية التقنوقراطية عليها ·

والاتجاه التقنوقراطي هذا سائد في الحركة الاصلاحية ويكمن افلاسه الاساسي في بقائه معلقا دون التطور التاريخي للصراع الطبقي ودون الحركة الجماهيرية الى درجة أنهذه الحركة ذاتها تعتبر بالنسبة اليه شبحا مخيفا يحمل الفوضى والتخريب وعدم الاستقرار لا الاساس الموضوعي الوحيد والاساسي لايجاد ظروف التغيير الجذري ·

حقا أن التحاليل التقنوقراطية تطنب في تصوير جمود الانتاج وسوء توزيع الدخل القومي وضعف الاستثمارات وانتشار البطالة الخ ··· وهمها في ذلك طرح لوحات مرموقة عن الازمة الاقتصادية وعن الظواهر الغير السليمة التي تعفن الاوضاع · لكنها في النهاية لا تعدو أن تستنتج خلاصة واهية « لاطبقية» مننوع « أن **البلاد** في طريق التخلف »·

وعلى نقيض هذه الصورة المتعفنة التيبتقنون وصفها الى حدما يتوصل التقنوراطيون الى تحديد أرقام يجب تطبيقها للخروج من التخلف والى تصوير التناسق الامثل للصناعة المنسجمة» الكفيلة وحدها باخراجنا من التخلف » :

ومثال هذه الارقام قولهم بأن من اللازم استثمار ٢٠٪ من الدخل القومي سنويا اذا اردنا أن لا تتفاقم اوضاع التّخلف · وتبقى هذه الخلاصة التقنية بطبيعة الحال غير ذات جدوى ما دامت مطروحة في ظل نفس المفاهيم البيرقراطية ونفس المفهوم عن « الدور الايجابي الذي يمكن أن تلعبه المساعدة التقنية الغربية شريطة ان تراقب» ، ونفس المفهوم عن استيراد وسائل الانتاج الحديثة والاستجابة لشروط المنافسة مع الانتاج الغربي · وهي بذات الوقت خلاصة مثالية تماما لانها توضع خارج الاطار التاريخي لتطور الصراع الجماهيري ، وخارج أي دور حيوي تنظيميا وسياسيا للطبقة العاملة ، وبالتالي خارج موقف الامبريالية من أوضاع كهذه (خاصة حصارها الاقتصادي ضدها)·

ان مفاهيم وخلاصات التنقنوقراطيين في تحاليلهم تجعلهم متوجهين في النهاية بنوع من «الموعظ المسؤول» للاوساط المعينة كي تضع حدا لتأزم الاوضاعوالا فلتستدعيهم ليعطوها أحسن مثال في ادارة شؤون استغلال الجماهير الشعبية وابتزاز فائض القيمة الذي تنتجه ، مع تفادي السلوك الطفيلي للطبقة الحاكمة الذي يعجل بنمو الحركة الجماهيرية·

ومثال « الاصلاح الزراعي » كما يفهمه التقنوقراطيون ساطع في المجال ايضا .

فهو يبقى من حيث مضمونه اصلاحا زراعيا لفائدة البورجوازية المتوسطة باتجاه احتلالها ضيعات المعمرين القدامي والجدد ، مع أنه لا يضمن بتاتا امكانية تغيير الطبيعة المركنتيلية للطبقة وامكانية توجيهها نحو المساهمة في البناء الصناعي السريع والمتناسق كما يصوره التقنوقراطيون ، كما لا يضمن بتاتا اقبالها السريع على تحديث وسائل الانتاج وحل

أزمة العجز الغذائي وضمان الاكتفاء الذاتي الوطني ،

وهو – « الاصلاح الزراعي الاصلاحي » – مطروح في اطار جامد بطريقة توزيع الارض من أعلى ، بعد نجاح اسلوب المطالبة والمفاوضة ولذا فانه ينفي بتاتا ديناميكية الجماهير الفلاحية الفقيرة وقدرتها على المبادرة والابتكار خوفا من امتدادها الى ما لا يرضي البورجوازية من وسائل وأشكال جماعية في استغلال الارض وتنظيم المبادلات التجارية (مرورا بالغاء دور السماسرة والوسطاء)٠

ورغم أن التحريفية حاولت تجاوز المفاهيم التقنوراطية عن طريق صبغ برامج « التحرير » بلهجة « حربية » تضمنت كلمات « الاستراتجية » و« التاكتيك» والتحالفات المؤقتة فانها سقطت بحكم نهجها نفس الخط السياسي الاصلاحي في تبعية جوهرية للتقنوقراطية والتجريبية ، وسقطت الى أكثر من ذلك عندما طرحت مثلا مشروع « برنامج الحد الادنى » سنة ١٩٦٥ ، والذي يمثل تعبيرا عميقا عن واقع اقتصاديتها وطابعها البورجوازي ، ودخولها أيضا في نفس مأزق التحاليل الاصلاحية : بقاؤها دون التطور التاريخي للصراع الطبقي وللحركة الجماهيرية الجذرية ٠

ان هدفنا الاساسي من تسجيل الملاحظات التي تلي ، في موضوع الاقتصاد ، هي ابراز الجوانب الاساسية لطبيعة المصالح الاستعمارية والرجعية والتاكيد على المأزق التاريخي لهذه البنية وحتمية افرازها حركة جماهيرية ديمقراطية ذات بعد اشتراكي ، تمثل عماد البديل الثوري لعلاقات الاستغلال القائمة ٠ ولا ندعي مطلقا الاحاطة بجميع جوانب المسألة في هذا المقام ، رغم وعينا التام بضرورة توفر تحليل طبقي شامل لبلادنا يوضح بالعمق المطلوب تطورات الماضي وافاق المستقبل وكل مضامين الحل الثوري للازمة الدائمة التي تعيشها الهياكل الحالية ٠ ولذا فاننا نعتبر هذه الملاحظات مساهمة بسيطة جدا **نرجو أن تليها مساهمات أخرى دائبة من أجل استشفاف كل ملامح الصراع الطبقي في بلادنا ٠**

٢ – البنية الاستعمارية

من وجهة نظر علاقات الانتاج خلق الاستعمار بجوار المجتمع المغربي « التقليدي » الشبه اقطاعي والقبلي قطاعا متقدما من حيث وسائل الانتاج شمل المعادن والصناعات التحويلية الخفيفة(الغذائيةخاصة) وشمل أخصب الاراضي الفلاحية ٠ وقد اتسم هذا القطاع منذ البداية بتمركز شديد للرساميل بين أيدي الاحتكارات والابناك الامبريالية الكبرى ٠ ونتيجة هذه التبعية ليست فقط اختلاس الخيرات المغربية لسد حاجيات السوق الامبريالية (معادن ، مواد غذائية) أو ابتزاز فائض القيمة وفائض الانتاج الهائل وتطعيم الجيوب الامبريالية به في الخارج وانما أيضا ادخال الاقتصاد الوطني ضمن « التوزيع الامبريالي للتخصصات » أي حرمانه من صناعة وسائل الانتاج وابقاؤه سوقا لاستيرادها بالاضافة الى استيراد بضائع الاستهلاك ذاتها ٠ ومن جهة أخرى اعتمد هذا القطاع منذ البداية على تدخل الدولة لوضع القواعد التحتية والتقنية الضرورية للاستغلال المنهجي (طرق، سكك حديدية ، مصادر الطاقة)٠ وقد مثلت مختلف هذه المنجزات ذاتها مجالا حيويا لنشاط مقاولات البناء والمؤسسات المالية الامبريالية على حساب الجماهير

التي تنظم الدولة ارغامها على تمويلها بالضرائب المختلفة خاصة منها « الغير المباشرة ». ومن مفعول **ديناميكية هذا القطاع تفقير اغلب الشعب المغربي ، والاسراع بتمركز ملكية وساءل الانتاج والارض خاصة وجر مجموعة من المغاربة لممارسة التسلط الاقطاعي او التبرجز تجاريا وزراعيا وعن طريق السمسرة والوساطة .**

ومن وجهة نظر نظام المبادلات تعددت وتركزت الهياكل الاستيرادية وتوسعت شبكة السوق الداخلية وانتشر النظام النقدي تحت اشراف الاحتكارات الامبريالية وبالتعاون مع الكمبرادوريين (الوسطاء). وما لبث الاستعمار ان ضاعف عشرات المرات حجم وعدد المواد المستوردة منه مستعملا في ذلك كل وسائل الدعاية والاغراء . وقد ادت هذه الهجمة الى تفسخ القسمة الاجتماعية للعمل الموجودة من ذي قبل والمتسمة بانغلاقها في حدود محلية وضعف قابليتها للتبادل النقدي .

10

هكذا صاحب عمليات النزع العنيف للملكية و «بلترة» جموع عريضة من الجماهير الفلاحية والحرفية اي تحويلها الى ابرلتاريا او عاطلين توسع السوق الداخلية واحتلال الامبريالية لها . وقد تعامل التراكم البدائي الاستعماري والكمبرادوري للرأسمال والتمركز الاقطاعي لملكية الارض مع توسيع نظام المبادلات والنظام النقدي في عملية جدلية مؤداها تعميق التمايز الطبقي وتصعيد الصراع الطبقي والنضال الوطني بموازاة استنزاف وتشريد الشعب .

وزاد مفعول العملية سرعة تسلط جهاز الدولة الاستعماري ونظام الضرائب ومختلف المتاعب المادية والسياسية النائجة عن قيام الاستعمار بعلف الاقطاعية وتخويلها كل السلط ضد الشعب .

ونفس العملية الجدلية هذه ادت بالنسبة للبورجوازية التجارية الى ضرورة تكيفها مع المبادلات الجديدة فنتج عن ذلك توسعها الكمي من جهة ، ودخول الجناح الاعلى منها رأس هرم الاستيراد والتصدير الى جانب الاحتكارات الاستعماريةمن جهة ثانية بينما قضى على بورجوازية الصناعة التقليدية بالتدهور او الاكتفاء بالمتحف الامر الذي يعتبر طمسا نهائيا لجنين التطور الرأسمالي المستقل لها. (غير ان مشاكل البورجوازية التجارية هذه مع الاحتكارات ، وخاصة تشبثها بوحدة السوق الوطنية على اثر صدور الظهير البربري التقسيمي ما لبث ان جعلها تطمح وتناضل من اجل ازالة السلطات الاجنبية عن البلاد.)

وسرعان ما تعضدت صفوف الطبقات الكادحة (عمال ، بورجوازيون صغار، فلاحون فقراء وبدون ارض عاطلون) وصارت اوضاعها مزرية حقا ، فاندفعت تحارب الاستغلال الاستعماري في مدثوري عاصف .

غير ان عدم اكتمال الوعي الثوري لديها ، والطبيعة الوسطية لقيادة السياسة في المعركة سمحت لتشكيلية رجعية مخلصة للاستعمار ومدينة له

بصعودها، بل وسمحت للاستعمار نفسه، بالقيام بتراجع شكلي لصالح بقاء مصالحه الاساسية . ويمكن الجزم بان التشكيلة الرجعية الجديدة المطروح عليها حماية تلك المصالح احتاجت للمرحلة الممتدة من ١٩٥٦ الى ١٩٦٥ لتقوم بتجميع قواها .

٣ ـ صعود الطبقة السائدة (١٩٥٦ ١٩٦٥

ترعرت ضمن البنية الاستعمارية فئة من المغاربة مرتبطة بها عضويا ومصلحيا ، مثلت بذات الوقت الجنين المادي والسياسي للطبقة السائدة (كان جمهو رالطبقة يمثن بذات الوقت طليعتها السياسية) . ويمكن التمييز داخل تلك الاولغاشيابين :

ـ الارسطقراطية الزراعية التقليدية

ـ المعمرون المغاربة ، ويمتازون بالقلة والديناميكية

ـ البورجوازية الكميرادورية التي سمح لها الاستعمار بالمساهمة في مشاريع تجارية وصناعية .

وغالبا ما نجد هذه الفئات مختلطة عضويا .

وبمجرد ما حملها الاستعمار مسؤلية حماية مصالحه الاساسية تحالفت هذه الاليغارشيا يمينا مع اكثر الاقطاعيين اغراقا في الرجعية وخيانة الوطن ويسارا مع قيادة الحركة الوطنية بما فيها جناحها التقدمي انذاك .

ولكن للحيلولة دون امتداد الحركة الجماهير أو القيادات الاصلاحية الى المس بالمصالح الامبريالية ـ الاقطاعية ـ الكمبرادورية ركزت الاولغارشيا جهدها الرئيسي على بناء اجهزة دكتاتوريتها ، وتحت رعاية الامبريالية .

● وعندما انفردت بالسلطة سنة ١٩٦٠ ، بدأ جهاز الدولة واضح المهام . فبالاضافة الى القمع انيط به:

الاستمرار في بناء القواعد التحتية للاستغلال الامبريالي والطبقي من طرق وطاقة وغيرها .

ـ انجاز عدد من المشاريع التجارية والصناعية واستثمار جزء من الاراضي المسترجعة قصد ملء ثغرات الطبقات الصاعدة والاسراع بتقويتها خاصة في جناحها البيروقراطي البورجوازي .

ـ بناء جهاز اداري ضخم نسبيا يقوم باستيعاب جمهور من الموظفين المغاربة محل الفرنسيين ، ويكون مجالا لجمع الثروات بالنسبة للفئات البيروقراطية عن طريق الاختلاس والرشوة .

● على الصعيد الجماهيري بدأت تنكشف كل الاوهام الاصلاحية بعد ان وضع الاصلاح الزراعي جانبا، وتم عزل البورجوازية الاصلاحية بينما استمرت اوضاع الجماهير الكادحة في التفاقم .

وقد واجهت الطبقة السائدة خنق الجماهير بعدة خطط منها :

ـالتطويق والقمع

ـ تنظيم حملة الدستور ـ البرلمان وجر الاصلاحية ضمنها

ـ القيام بمشاريع واسعة النطاق بهدف تنفيس ازمة البطالة والفقر ، وبهدف توسيع شبكة الطرق

والفنوات ، وان كان طابع توزيع الصدقات يغلب عليها خصوصا وان الحبوب والقروض الامبريالية الامريكية هي التي ضمنت تمويلها . واهم هذه العمليات «الانعاش الوطني » ، بالاضافة الى قرار الغاء ضريبة الترتيب ذات الطابع المجحف .

– تضخيم الادارات وأجهزة الدولة المختلفة ، وتوسيع نشاط المصالح الاجتماعية: التعليم والصحة مثلا بشكل ملموس ومحدود في نفس الوقت بهدف « ذر الغبار في العيون » وتمشيا مع نظرية « النفخ بالاوراق المالية في الاقتصاد »وتوزيع المداخيل ، و «رفع مستوى الاستهلاك » اي في الواقع توسيع قطاع الخدمات بشكل لا يتناسب مع وضعية القطاعات المنتجة (صناعة – فلاحة) ، وتكريس تبعية جهاز الدولة لقروض الامبريالية ، وتصعيد عداء الجهاز للجماهير الشعبية بحكم تعطشه المتزايد للضرائب وحاجته للقمع .

● **على صعيد اختياراتها الاساسية ، بدأت الطبقة الصاعدة ممثلة سياسيا في جهاز الدولة خاصة تتوصل الى تحديد وصوغ خط اقتصادي لا يختلف عن اختيارات المعمرين القادمي وساعدت على وضعه هيئات امبريالية مثل البنك الدولي التابع ماليا (بمقدار وافر) وتوجيهيا للامبريالية الامريكية . ويتمشى هذا الخط تماما مع متطلبات الاستعمار الجديد الذي يتشبث بجميع مواقعه المالية والسياسية القديمة ويقبل فقط بالاعتماد على عناصر محلية لتقوم بنفس دور المعمرين الاجانب .**

ونجد الملامح الاساسية لهذا الخط واضحة في اعداد التصميم الثلاثي :

– تركيز الهجوم على الفلاحة خاصة في الاراضي المسقية والخصبة ضمن خطة تحديث «وسائل الانتاج» التي تتحمل عبئها المالي خزينة الدولة المعتمدة على الديون والضرائب والتي تخول المعمرين المغاربة والبيروقراطية العليا والاقطاعيين «المستعمرين» صلاحية مركزة ملكية الارض ووسائل الانتاج .

– نهج سياسة سياحية تهدف الى انعاش البناء والعقار والربح السهل للكمبرادوريين و «اللمبن – بورجوازية» عامة مع مسايرة مطامح الابناك الامبريالية في توسيع نشاطها

– تكوين الاطر بمعنى اقتناء فئة من الاعوان الطائعين المرشحين لاحتلال مناصب مرموقة ضمن بيروقراطية الدولة .

٤ – استمرار الكفاح الوطني

في خلال تسع سنوات مضت على «الاستقلال ، لم يتحقق للجماهير الشعبية اي من مطامحها في التحرر الوطني الديمقراطي كما اتضح مما سبق .وعلى النقيض تكرس التسلط الاقطاعي ، وازداد المعمرون الجدد شراسة وبلغت الضرائب والعسف البيروقراطي والنهب حدودا قصوى . فالطبقة العاملة لم تحصل من الاوساط الرأسمالية على اي مكاسب وظلت عرضة للطرد الجماعي حسب تماوجات اوضاع الصناعة الجامدة والسوق النقدية المتضخمة ، والبطالة تفاقمت بشكل ضخم

بفعل افلاس الفلاحين وبفعل النمو الديمغرافى الامر الذي جعل المدن تنتفخ بمئات الآلاف من الشباب العاطل ، وفي مقدمته الشباب المتعلم الذي ادت به السياسة الديماغوجية في «تعميم التعليم» الى مازق مثير .

وبذات الوقت كانت من النتائج الاولى لسياسة الطبقة الحاكمة المتسرعة الى اثبات مواقعها في النظام دخول جهاز الدولة في ازمة مالية وعجز خانقين مصحوبين بتدين خطير وارتفاع خيالي للضرائب وثمن العيش .

ورغم تخلف الاصلاحية ادت هذه الاوضاع الى التحام الجماهير الشعبية الحضرية خاصة (عمال شباب عاطلون بورجوازية صغرى) في تحالف ثوري عفوى مثلث انتفاضة مارس تجسيده النضالي الجذري **وقد مثل هذا التحرك الثوري امتدادا للكفاح الوطني كمامثل من الوجهة الاقتصادية ثورة على البنية التبعية القائمة من جانب نقيضها الاساسي وضحيتها: الجماهير الشعبية الكادحة والمحرومة .**

٥ ـ التوسع الشامل للطبقة السائدة (١٩٦٥ ...)

في هذه المرحلة ، حققت الطبقة السائدة تقدما ملموسا في الاغتناء والتوسع نتيجة وضع وتطبيق التصميمين الثلاثي والخماسي .

فعلى صعيد الفلاحة ، القاعدة الاساسية للطبقة، يتوسع المعمرون الجدد محل القدامى اعتمادا على الدعم المادي والتشريعي من جانب الدولة . هكذا تم تخصيص ميزانية ضخمة لبناء الاستثمارات الاساسية الجديدة على حساب الجماهير (السدود والقنوات وغيرها) يهدف بت جذور الطبقة السائدة حيثما كانت ارض خصبة وقابلة للري. كما تم **ترسيم مبدأ نزع الملكية ممن لا يسايرون الاساليب الحديثة(قانون الاستثمارات).**

وقد نهجت الطبقة خط تكثيف الزراعات الموجهة للتصدير وفقا لارتباطاتها مع الامبريالية وسعيا وراء التخفيف من عجز ميزانها التجاري (وذلك امر لم تتوصل اليه) ، واستحدثت حقا زراعات جديدة مثل الشمندر ومصانع السكر لكن بنفس مفهومها الاستغلالي العادي للجماهير .**ويجري العمل منذ التصميم الخماسي على الامتداد الى الاراضي البور لتحديث وسائل الانتاج فيها بنفس المفهوم الرجعي للطبقة السائدة والذي من شأنه ان يؤدي الى «طرد مجموع الفلاحين من البادية لتحل محلهم مجموعة من العصريين** . (انظر المقال حول الفلاحة ، العدد الاول من «انفاس»). لكن اتساع «الموجة **العصرية» هذه ترتطم بواقع احتداد الصراع الطبقي في المناطق العصرية ذاتها كما تدل على ذلك فاجعة اولاد خليفة من جهة وفي المناطق الجبلية والبور ذات اساليب الانتاج المتخلفة ، بحكم افلاس الفلاحين الفقراء تحت وطأة عسف ارباب الارض والطبيعة السمسرية لعلاقات السوق الزراعية .**

وتوجه الطبقة السائدة جزءا من فائض الانتاج الزراعي ومن مرتباتها ومختلساتها الى العقاريات في المدن (بناء ، فنادق) والى ابناك اوربا ، والى مختلف مظاهر البذخ. ونجد قسط البناء والتجارة وبصورة عامة **قسط قطاع الخدمات في الانتاج الاجمالي يتزايد باستمرار بنفس اتجاه تكريس السيطرة الامبريالية واعاقة نمو وسائل الانتاج مع مركزة الثروة في يد الطبقة السائدة ، وتوسيع مجال نشاط الرأسماليين المتجولين ومختلف السماسرة والمضاربين رواد بورصة البيضاء ، وبورصات اوربا ايضا .**

ومن مكتسبات الطبقة كذلك ايجاد تجهيز سياحي فاخر وتمركز بعض الرساميل الصناعية (كالنسيج) في يد احتكاراتها الكمبرادورية على حساب الرأسمال الوطني المتوسط .ويظهر حاليا ان الدولة تبحث لها عن امكانيات ايجاد صناعات خفيفة تقوم بتصبير وتحويل المواد الزراعية قبل تصديرها قصد مسايرة متطلبات السوق الخارجية (الاوربية خاصة) وقصد ايجاد مجال جديد لنشاط بعض فئات الطبقة السائدة .

وعلى صعيد العلاقات مع الخارج قامت الدولة بعده خطوات تشجع تصدير المواد الخام ءالمعدنية خاصة)وتسهل الاستيراد بهدف تنشيط الكمبرادوريين الوسطاء، وتزويد الطبقة السائدة بحاجياتها الاستهلاكية (بما فيها الغذائية) والتجهيزية (في اطار خطة تحديث وسائل الانتاج) ، وفتح باب السوق الوطنية اكثر فاكثر للبضائع المستوردة من الامبريالية ، (مثال ذلك الاتفاقية مع السوق الاوربية المشتركة ، وتحفيض او بالاحرى حدف الضريبة على تصدير المعادن) .

٦ ـ ملامح الازمة الحالية

ان نمو الطبقة السائدة يسير بموازاة مع تعميق تناقضات اساسية مرجعها المأزق التاريخي للنظام . انها ازمة الطبقات العقارية التي تنهج طريقا رأسماليا ممسوخا وتعتمد على المصالح الامبريالية وتحميها . وقد بلغت تناقضات البنية القائمة مستوى ينذر الطبقة بتصاعد الحركة الجماهيرية واتساعها كما يهدد وحدة الطبقة ذاتها بالتفسخ .

فمن الناحية الزراعية يؤدي خط الطبقة الى تفاقم العجز الغذائي بشكل هائل ، بينما تتعرض الجماهير الفلاحية الفقيرةوالمتوسطة للاضطهاد ونزع الملكية وتفاقم ظروفها المعاشية.

وبدأت ترتفع نضاليتها بفعل ازدياد التمايز الطبقي وضوحا (اضطرار اغلب الفلاحين لممارسة عمل مأجور اضافيأو اكتراء الارض ، تدهور العلاقات العشائرية الاستغلالية القديمة) .

وتؤدى هذه الوضعية الى تضخم البطالة بالملايين في البادية وفي المدن ، بينما تعتبر الطبقة السائدة عاجزة عضويا عن التقدم ولو بخطوة واحدة جدية في حل مشكل التشغيل .

ذلك ان الطبقة العاملة ذاتها ، بالاضافة الى تفاقم ظروف الاستغلال الذي تعانيه ، صارت تتعرض للطرد الجماعي بفعل جمود الصناعات وتدهور بعض المعادن، (المصانع الموجودة لا تشتغل في المعدل الا بنسبة ٥٠٪ من طاقاتها ، وبعض المصانع المتقدمة يقع فيهااستبدال العمل اليدوي بالالات العصرية الباهضة الثمن والمستوردة ، ومجموع الصناعات الغذائية وصناعة النسيج مثلا تخضع لعدم استقرار منافذ التسويق) .

وتتحمل مجموع الجماهير الشعبية عبئا غلاء مطرد في المعيشة نتيجة طيش السماسرة والسقوط الفعلي لقيمة العملة (نظرا للتضخم المالي وسياسة صنع الاوراق المالية الفارغة) كما تتحمل ضرائبا فاحشة.

اما ميزانية الدولة فمدينة بتوازنها الظاهري لواقع ضخامة الديون وتفاحشها الى حد انه في غضون بضع سنوات ستصبح كل القروض الجديدة موجهة لتسديد الديون القديمة .

ويناقض هذا التدين والتضخم المالي البدخ والتبدير وتعفن جهاز الدولة بشكل يؤدي اسوء

الخدمات الطبقية السائدة سـواء من حيث تفسـخ وحدتها او من حيث عداء الجماهير لها .

ومجموع هذه الظواهر المتفشية ، ان كانت تعمق ازمة البنية القائمة وتضر بصورة مباشرة بالجماهير الشعبية فهي مع ذلك ظواهر تجد جذورها الحقيقية في البنية الاستعمارية والطبيعة العقارية الطفيلية للطبقة السائدة ، ولا يمكن ايجاد حل لها الا من خلال الحسم التاريخي لازمة تلك البنية بتغييرات جذرية ، وطنية وديمقراطية لمصلحة الجماهير الكادحة والمحرومة

والحركة الجماهيرية التي تفرزها بنية الاستغلال بالذات تهيء اكثر الطبقات وقوعا تحت وطأة الاستغلال (العمال والفلاحون الفقراء) لتجسيد الطليعة النضالية والسياسية تاريخيا لحركة التحرير، على انقاض القيادة الطبقية البورجوازية والبورجوازية الصغرى التي لم تمكنها مفاهيمها وايديلولوجيتها من استيعاب واقع البنية القائمة وآفاق تطورها وبالتالي من تبني خط سديد لقيادة الجماهير الشعبية بما فيها الطبقات الوسطية التي يتجذر موقفها من الاوضاع بحكم التسلط المتصاعد للاحتكارات الامبريالية والكمبرادورية .



قضايـــا عربيـــة

ما هو المضمون الحقيقي للاتحاد الثلاثي؟

لماذا يرتبط هذا الاتحـاد بالتهاون مع الرجعية والتصادم مع القوى التقدمية ؟

كنا نعتزم نشر مقال في موضوع «الوحدة الثلاثية» بين مصر وسوريا وليبيا في اطار التناقضات العربية الحالية التي تولد من بين ما تولد .

تتقدم بورجوازية الدولة في توحيد صفوفها بينما تختلف عن هعم المقاومة الفلسطينية التي تعرضت للذبح الشنيع ، وتوجه «انيابها» ضد الحركات التقدمية

وننشر في هذا المجال مقال مجلة «الهدف» البيروتية ، والذي نعتقده صائبا في معالجة الموضوع.

بعد ظهر الجمعة ٢٠ آب الجاري ، جرى في دمشق من قبل الرؤساء انور السادات وحافظ اسد ومعمر القدافي التوقيع على وثيقة الدستور الاتحادي المقترح لـ «اتحاد الجمهوريات العربية» ، والذي سيعرض على الاستفتاء الشعبي بتاريخ الاول من ايلول القادم في كل من مصر وسوريا وليبيا .. ومن المؤكد ان هذا الاتحاد يعتبر حدثا سياسيا بارزا ضمن الظروف العربية الراهنة الامر الذي يخرج اتخاذ اي موقف منه عن دائرة الانفعالات السطحية السريعة ، ويخضعه للدراسة الموضوعية الجادة من جميع جوانبه ، لاسيما جانبيه الاساسيين النظري والسياسي :

الوحدة العربية ومضمونها الطبقي

لم يكن مصادفة ان يرتبط النضال الشعبي العربي من اجل الوحدة العربية وعلى امتداد تاريخ هذا النضال بالنضال من اجل كنس الوجود الاستعماري بجميع اشكاله ، بل وحتى بالنضال من اجل هدم اشكال الاستغلال « الوطنية » الرجعي الاقطاعي منها والبورجوازي .. فهذا الارتباط بالضبط هو الذي كان يعطي للنضال الوحوي العربي مضمونه التقدمي ويخلصه دائما من جميع مزالق الشوفينية والعنصرية التي علقت اكثر من مرة «بالنضالات» الوحدوية في اوروبا على سبيل المثال .

فلماذا كان يحدث ذلك ياترى ؟ وما هو السبب العلمي لهذا الارتباط ؟

النضال ، اي نضال ، ومن اجل اي هدف ، لابد وان يعبر عن وجود طبقة او طبقات لها مصلحة بذلك الهدف .. وهذا يعطي دائما للهدف المشار اليه المضمون التاريخي لمهمات ومصالح تلك الطبقة .. والوحدة القومية كهدف

ارتبطت تاريخيا بمصالح الطبقة او الطبقات ذات ارصلحة في تحرير المجتمع القومي من الحدود والفواصل والقواقع التي ينسجها المجتمع الاقطاعي .. وفي اوروبا كانت هذه المهمة مرتبطة ارتباطا مباشرا وثيقا بمصالح الطبقة البورجوازية التي كان التصنيع من اولى مهماتها التاريخية ، والتي كانت العلاقات الاقطاعية تعيق نموه : تعيق عملية الحصول على ايدي عاملة حرة ورخيصة وذلك من خلال سيطرة الاقطاع على الفلاحين وعرقلته لانتقالهم الى المدينة . كما تعيق عملية تصريف الانتاج من خلال الفواصل الجمركية التي يقيمها الاقطاعيون حول الاراضي والمناطق الخاضعة لسلطتهم ونفوذهم .. هذا الواقع جعل تحرير البلدان من سلطة الاقطاع الاستبدادية مهمة ضرورية على البورجوازية ان تحققها حتى تتمكن من السير بمصالحها الرأسمالية الى الامام ..

وانطلاقا من هذه الحقيقة كانت القومية في اوروبا مطلبا بورجوازيا بلغ من خلال الوجوه الرجعية لهذه الطبقة ، مبالغ شوفينية ورجعية في كثير من الاحيان اذ تحول فيما بعد الى عائق في وجه وحدة نضال البروليتاريا الاوروبية واستعملته الرأسمالية كسوط قومي ضد ذلك النضال ..

واذا كان هذا ما يتخلص به تاريخ «النضال» القومي في اوروبا ، فان النضال القومي في البلدان المتخلفة ومنها بالطبع البلدان العربية قد جرى بشكل مغاير تماما ولاسباب مادية ملموسة وواضحة ، اعطت ذلك النضال طابعا اكثر تقدمية اذ ربطته بمصالح طبقات اخرى غير البورجوازية ..

فنتيجة لسيطرة الامبريالية على السوق العالمية هيمنته اعلى الاقتصاد في البلدان المستعمرة والتابعة المتخلفة تمكنت من هذه الامبريالية من اخضاع الاقتصاد المحلي في كل من هذه البلدان لمصالحها ، وتمكنت بالتالي من اخضاع البنى البورجوازية الى تراكم لديها بعض من الرأسمال في ظل الادارة الاستعمارية ،لمصالح الامبريالية ودفعتها في اتجاه نمو مختلف اختلافا كبيرا عن الاتجاه الذي نمت فيه البورجوازيات الاوروبية .

لقد تحولت البنى البورجوازية في البلدان المتخلفة الى وكيل سياسي واقتصادي للامبريالية العالمية ، وتخلت عن مهامها التصنيعية المحلية ، اذ صارت موزعا للانتاج الامبريالي العالمي ووسيطا بينه وبين السوق المحلية في عمليتي نهب المواد الاولية على مجموع وفي ظل السيطرة الامبريالية على مجموع الاسواق المحلية لم يعد في توحيد تلك الاسواق مصلحة ملحة للبورجوازيات المحلية ..

ومن هذا الواقع تضاءل التناقض التاريخي بين البورجوازية والاقطاع في البلدان المتخلفة وانحل الى تحالف تهيمن عليه الامبريالية العالمية وتقوده وتحميه .. لان هذا التحالف تحول منذ ولادته الى موقع رجعي معارض لاماني ومصالح ومطالب الطبقات الشعبية الاخرى : البورجوازية الصغيرة والفلاحين والعمال ..

وبالضبط لهذا الاختلاف بين مسار نمو البورجوازية المتخلفة ومسار نمو البورجوازيات الاوروبية ، عجزت الاولى التي تحالفت مع الاقطاع عن اقامة الدولة الديمقراطية البورجوازية عندما تسلمت السلطة بعد الاستقلال السياسي بينما استطاعت الثانية في مرحلة

على الاقل ان تقيم تلك الدولة الديمقراطية البورجوازية .. واذا كانت قد اخضعت العمال لسلطة الرأسمال فانها قبل ذلك ومن اجل ذلك حررتهم كفلاحين من سلطة الاقطاع ..

بهذا العرض السريع للفارق الاساسي بين بين نمو البورجوازية في البلدان المتخلفة ونموها في اوروبا يتوضح لنا كيف تخلت البنى البورجوازية العربية عن مهمتها التاريخية التي كان منها تحقيق وحدة السوق القومية .. وبهذا التخلي انتقلت المهمات الوحدوية في عاتق الطبقة البورجوازية «الوطنية» الى عاتق الطبقات ذات المصلحة في النهوض الاقتصادي والاجتماعي اي في انجاز الثورة الوطنية الديمقراطية .

الوحدة والبورجوازية الصغيرة

ان تخلي البورجوازية العربية عن مهماتها التاريخية نقلها كما اشرنا الى مواقع رجعية قبل قبل ان تكون قد خلصت المجتمع من علاقاته الاقطاعية وخلقت الطبقة العاملة من خلال سيرها في التصنيع الى الامام .. فجاء هذا التحول قبل ان تكون الطبقة العاملة قد تطورت فاتسعت نسبتها العددية في المجتمع وتمركزت واتخذت السمات الاساسية للبروليتاريا .. ومثل هذا الوضع هو الذي ترك حيزا اجتماعيا واسعا للبورجوازية الصغيرة في المدينة والريف وبمختلف مراتبها وشرائحها . هذه الطبقة (البورجوازية الصغيرة هي قطاع اجتماعي متحول ، قلة منه تصعد الى الاعلى بينما تهبط اكثريته الى صفوف الطبقة العاملة ، وهذه العملية مرتبطة ارتباطا وثيقا بتطور التصنيع في المجتمع) .. هذه الطبقة انتقلت اليها مهمات انجاز الثورة الوطنية الديمقراطية بتخلي البورجوازية عن تلك المهمات .. ويلاحظ في هذا السياق تكون الحركات والاحزاب القومية والتقدمية والديمقراطية من هذه الطبقة في الخمسينات ، وقيادتها للنضال الوطني الديمقراطي التقدمي في تلك الفترة ضد التحالف البورجوازي الاقطاعي الازبريالي .

المضمون الطبقي لوحدة ١٩٥٨

في الخمسينيات تميز النضال العربي بثلاث ميزات رئيسية لعبت دورا بارزا في دفعه الى الامام وهذه الميزات هي :

١ – انهيار النظام الاستعماري القديم الذي كان يعتمد عليه التحالف الاقطاعي – البورجوازي المحلي ذلك الوقت .

٢ – استكمال التخلي البورجوازي المحلي عن مهماته التاريخية ، وتحوله الرجعي الفاشي نتيجة اذلك ..

٣ – نهوض البورجوازية الصغيرة الواسعة بمهمات النضال الوطني الديمقراطي التقدمي من خلال قيادتها لنفسها وللعمال والفلاحين ضد التحالف الرجعي الاستعماري المتهاوي ..

ونرى ان المنطقة قد عرفت في تلك الفترة مجموعة تحولات وطنية بارزة نتيجة للوضع الذي لخصناه ومن هذه التحولات اتساع دور القوى الديمقراطية القومية التقدمية في سوريا واطاحتها بدكتاثورية الشيشكلي العسكرية ودفعها الدولة رغم طابعها الرجعي في طريق

التنمية الوطني الديمقراطي واقامة علاقات اقتصادية وساسية وعسكرية مع المعسكر الاشتراكي توجت عام ١٩٥٧ ببروتوكول التعاون الاقتصادي المشهور .

اما في مصر فقد تمكن القطاع العسكري من البورجوازية الصغيرة المصرية ، وفي اعقاب احتدام النضال الشعبي العمالي ـ الطلابي ، من الاطاحة بنظام فاروق الملكي الاقطاعي ومصارعة النفوذ الاستعماري البريطاني وكنسه من مصر ..

هذان النضالان وفي ذروة تصاعدهما اديا الى اللقاء الوحوي عام ١٩٥٨ ذلك اللقاء الذي تميز بانه كان ذروة مد وطني تقدمي جماهيري على امتداد الساحات العربية كلها مما جعل وحدة ١٩٥٨ اول وحدة عربية تقدمية في العصر الحديث .

البورجوازية الصغيرة العسكرية وطبيعة الحكم

البورجوازية الصغيرة نتيجة لموقعها الطبقي لا تملك اساسا ثابتا للحكم لانها ليست احد الطرفين الرئيسيين في علاقات الانتاج الرأسمالية اولا والاشتراكية ثانيا .. فلا هي تملك وسائل الانتاج بشكل مباشر كالبورجوازية الكبيرة ولا هي قوة الانتاج كالطبقة العاملة .. هذا الواقع يفرض عليها كمشاركة في مواقعها الاجتماعية وبالتذبذب في سلوكها وسيطة في عملية الانتاج ان تتسم بالقلق والتخلخل واخلاقيتها وتفكيرها وثقافتها .

واذا كان الجناح العسكري لتلك «الطبقة» هو النجاح الاشد تنظيما وتماسكا وهو النجاح المسلح فها ما جعله الجناح الاقدر في الاطاحة بسلطة التحالف الاقطاعي البورجوازي واقامة سلطة بورجوازية صغيرة التملك المباشر لفضل قيمه العمل من خلال انتزاع عسكرية مكانها .. وجعل الدولة ذاتها مدخلا له الى ملكية وسائل الانتاج الاساسية من ايدي البورجوازية ووضعها في يد الدولة ..

الا ان هذا التنوع من التملك غير المباشر باختلافه عن التملك البورجوازي المباشر المتسم بالفردية ، ولاختلافه عن التملك الاشتراكي المتسم بوجود دولة الطبقة العاملة الاشتراكية ، ، كان مجبرا على توسيع قاعدة التملك المذكورة وبالتالي توسيع جهاز الدولة ليتسع لاوسع قطاع من مراتب البورجوازية الصغيرة المختلفة .

وهذا التوسع في القاعدة الاجتماعية للدولة هو الذي ادى الى نمو اجهزة بيروقراطية ثقيلة اخذت تمتص مدخرات التنمية وتأتي على نتائج الاصلاحات الاقتصادية ..

هذا من جهة في حين ان وصول الجناح العسكري للسلطة قد تم عن طريق المؤسسة العسكرية وليس عن طريق النضال الديمقراطي للجماهير ، وان هذا الوصول قد ترك على حكم ذلك الجناح العسكري الكثير من بصاماته فالقطاع الذي وصل الى التملك غير المباشر لثمرة الانتاج عن طريق وصوله للسلطة لم يعد قادرا ان يحافظ على موقعه هذا ما لم يحافظ على وجوده في التملك غير المباشر لفصل قيمة العمل من خلال انتزاع السلطة من خطرين براهما مباشرين :

- الاول : هو قيام فئة او فئات عسكرية اخرى بانقلاب مشابه ..
- : هو نهوض قوى شعبية تقدمية منظمة تشكل البديل التاريخي عن حكم البورجوازية الصغيرة .

ونراه لهذه الاسباب اولى اهمية كبيرة للتخلص في سحق كل من هذين «الاحتمالين» الامر الذي جعل من هذين الخطيرين ، فاخذ يعتمد على الاجهزة القمعية حكم الجناح العسكري البورجوازي الصغير متميزا بما يلي :

١ ـ الخوف من القوى الشعبية المنظمة (اخر مثال على ذلك تصريحات القدافي عن الحزبية والاحزاب

اعتماد التصفيات العسكرية ضد قوى الجماهير، وضد القوى العسكرية غير الثابتة الولاء (يلاحظ ان مجموع الانظمة العسكرية كانت معرضة دائما للانقلابات وحركات «التصحيح» من تحت ومن فوق)..

وما كادت الخمسينات تنصرم ، حتى كانت هذه (خاصة نظام الوحدة) قد استنفذت طاقاتها على التقدم الى الامام وسط كل هذه المؤثرات ، حتى بلغت ازمتها انها قدمت العداء للجماهير والقوى التقدمية على العداء لليمين الرجعي الداخلي .. الامر الذي اعطى لليمين المذكور مواقع جديدة في السلطة او على مقربة منها ـ لاسيما في الاقليم الشمالي ـ مكنته في عام ١٩٦١ من الاطاحة بحكم الوحدة في ذلك الاقليم. بفصل سوريا عن الجمهورية العربية المتحدة ..

وبهذا تكون البورجوازية الصغيرة ذات الجناح العسكري الحاكم قد تمكنت في الخمسينات ضمن المعطيات الثلاثية التي فكرناها (انهيار الاستعمار القديم عجز التحالف الاقطاعي البورجوازي ، وغياب الطبقة العاملة كدور مستقل ثوري ومتقدم) قد تمكنت من النهوض بالنضال الوطني والقومي التقدمي حتى حققت ضمن واحد من اهداف ذلك النضال عملية وحدة عام ١٩٥٨ الا انها مع دخول الولايات المتحدة باساليب الاستعمار الجديد ، ومع استنفاذ تلك الطبقة لطاقاتها التقدمية وتناقض مصالحها مع حركة الجماهير التقدمية قد عجزت عن اعطاء ما حققته من انجازات ، مضمونا ديمقراطيا شعبيا قادرا على السير بتلك المنجزات الى الامام ، الامر الذي اضعف تلك المنجزات وعرضها للانتكاس ..

وكان ان واجهت حركة التحرر العربي في الستينات ازمة هي في الحقيقة ازمة البورجوازية الصغيرة العربية الحاكمة وغير الحاكمة وان كانت الاولى اكثر مسؤولية .. وصادف بلوغ هذه الازمة حدها الاقصى مع تصاعد الهجمة الامبريالية الجديدة بقيادة الولايات المتحدة ، ذات الذراعين الصهيوني الاسرائيلي من جهة ، والرجعي العربي من جهة ثانية .

وفي هذا الجو كان عدوان حزيران ١٩٦٧ .. الذي كشف ضمن نتائجه المروعة عجز تلك الانظمة العسكرية عن المواجهة مع الامبريالية ما لم تجر تغيرات جذرية في طبيعة تركيبها وفي علاقاتها مع الجماهير والقوى الثورية .. الا ان بعض التغيير الجذري لا يجري تحقيقه بمجرد الارادات الذاتية .. انما يحتاج الى قوى موضوعية قادرة على الحركة والحسم واجراء التغيير، وان الغياب النسبي لهذه القوى قد مكن الانظمة المشار اليها من التحايل على عملية التغيير بما يكفي للحفاظ على وجودها في السلطة مع متابعة السير في طريقها السابق .. واذا كانت المعركة بمضمونها الواسع لم تتوقف فقد كان المسار محكوما بتصاعد ازمة الانظمة مع تصاعد الهجمة الامبريالية وهذا الواقع ادى بعد حزيران مباشرة الى اضطرار هذه الانظمة للتهادن الكامل مع الرجعية العربية ذلك التهادن الذي وصل الى ذروته

في لقاء فيصل ـ السادات في القاهرة .. والى البحث عن الحلول الوسطى مع الامبريالية الامريكية واسرائيل المثل فيما يسمى بالتسوية السلمية لازمة الشرق الاوسط وفق قرار مجلس الامن ومبادرات روجرز وسيسكو .. والسادات وطبيعي ان مثل هذه السياسات لابد لها من الاصطدام العنيف مع القوى التقدمية فكانت مجازر النظام الاردني العميل ضد حركة المقاومة ، تلك المجازر التي اعطيت دائما الغطاء السياسي من الانظمة المذكورة .. كما كانت ضربة السادات لمعارضي هذه السياسة في حكمه ، ثم المجازر الوحشية التي تعرض لها الحزب الشيوعي وغيره من القوى الثورية والديمقراطية في السودان ..

وعليه ، اذا كانت هذه الانظمة قد وصلت الى ذروة ازمتها في حزيران ١٩٦٧ فان مواصلتها للنهج السابق قد دفعها الى التراجع بعد حزيران وفق الخطوط التي يمكن تلخيصها بما يلي :

١ ـ تهادن مع الرجعية العربية على النطاقين المحلي والقومي .

٢ ـ تحايد مع الامبريالية يتجه نحو الخضوع لها ولمخططاتها .

٣ ـ تزايد في الخوف من الجماهير وبالتالي تصاعد في الهجمة التصفوية على قواها المتقدمة .

٤ ـ التراجع البطيء اولا والمتسارع ثانيا عن العلاقات مع المعسكر الاشتراكي .

ان معرفة الانظمة بمدى تصادم هذه السياسات مع المطامح الوطنية والطبقية للجماهير ، جعل هذه الانظمة تسارع الى بذل كل طاقاتها لشل قدرة الجماهير على التعبير عن تلك المعارضة ، والى السير في طريق التحول القمعي بسرعة اكبر ، بل والى التعاون فيما بينها وبين الرجعية داخليا وخارجيا من جهة اخرى للوقوف في طريق التحركات الجماهيرية ..

الاتحاد الثلاثي .. و «النصف» !

في مثل هذه الاجواء تم الاتفاق على اقامة اتحاد ثلاثي مصر وليبيا والسودان ثم انضمت اليه سوريا ثم خرج السودان .. واخيرا ارتكز على انظمة مصر وليبيا وسوريا مع انتظار السودان لاستكمال «الشروط الداخلية» اللازمة له كي يلحق بالانظمة الشقيقة على طريق «وحدتها» ..

واول ما يلاحظ في هذا الاتجاه هو الفارق الكبير بين الجو الذي يحيط به وبين الجو الذي احاط بقيام وحدة عام ١٩٥٨ .. فبينما قامت تلك الوحدة في ظروف تصاعد النضال الوطني التقدمي ومشاركة اوسع قاعدة جماهيرية فيها يتم الاتحاد الثلاثي والنصف في ظروف تراجع كبيرا امام الرجعية والامبريالية واسرائيل وفي ظل عمليات قمع متصاعد للحركة الجماهيرية في الوطن العربي ..

واذا كانت وحدة ١٩٥٨ قد توجت صعود الحركة الوطنية التقدمية الشعبية رغم انها اختفت من خلال البورجوازية الصغيرة الحاكمة ، فان هذا الاتحاد يتوج ازمةتلك البورجوازية الصغيرة ومحاولتها المحمومة لخنق النهوض الجديد والمتقدم لحركة الجماهير ..

واذا كانت وحدة ١٩٥٨ قد جاءت في قمة التصادم الوطني مع الاستعمار والرجعية ، فان هذا الاتحاد يأتي في حضيض الارتماء البورجوازي الصغير الحاكم في

احضان الرجعية العربية والامبريالية العالمية خاصة الاميركية ، وعلى هذا الاساس يكون تعبيرا نموذجيا عن واقع هذا الاتحاد ان يسافر السادات بعد يوم واحد من توقيع وثيقة الدستور الاتحادي في دمشق الى السعودية «لينقل الى الملك فيصل نتائج لقاء «دمشق» ويتوجه في اليوم نفسه الى الخرطوم للاطلاع على الشوط الذي قطعه حكام السودان في تصفية القوى التقدمية .. وذلك كله ضمن عمليات الوساطة مع حسين من جهة والهجوم على الجبهة الشعبية والجبهة الشعبية الديمقراطية في حركة المقاومة من جهة اخرى

واذا كان بالاضافة الى هذا السلوك النموذجي ما يلخص طبيعة هذا الاتحاد فهو احد بنود الدستور الاتحادى ذاته والذي جاء فيه :

«مادة ـ ٦٤ ـ اذا وقعت اضطرابات من الداخل والخراج في احدى الجمهوريات تهدد امنها او تهدد امن الاتحاد ، تخطر حكومة هذه الجمهورية السلطات الاتحادية فورا لكي تقوم الاخيرة باتخاذ الاجراءات الضرورية ضمن صلاحيتها لحفظ الامن والنظام ، وفي حالة ما اذا كانت حكومة احدى الجمهوريات الاعضاء في وضع لا يسمح لها بطلب العون من الاتحاد او اذا كان امن الاتحاد في خطر فللسلطات الاتحادية المختصة ان تتدخل وبدون طلب لحفظ النظام واعادة الامور الى نصابها ..»

بعد مثل هذا التقييم لجوهر وطبيعة هذا الاتحاد يصبح من غير المستغرب اطلاقا ان نرى الجماهير التي كانت دائما ـ وستبقى ـ امينة لشعار الوحدة ، نراها تقابل هذا الاتحاد بسلبية مغرطة وبغير اكتراث .. لان حس الجماهير كان دائما مؤشرا اوليا سليما لاتجاه مصالحها الحقيقية واامانيها .

قضايا عربية

رسالة من باريس حول : الوضع الطبقي في الجزائر

تعددت على الصعيد العربي تجارب وتعاقبت طبقات حملت نفسها لافتة الاشتراكية « العربية » او « العلمية او المطابقة للخصائص الوطنية » . ومجموع هذه الاشتراكيات المزيفة لا تطابق في الواقع غير خصائص بورجوازية الدولة كتشكيلة معادية للجماهير الكادحة ولخط التحرير الوطني الصحيح من الصهيونية والامبريالية . وقد سبق ان نشرنا مقالا في حلقتين حول الصراع الطبقي في مصر . وفي هذا العدد ننشر الجزء الاول من وثيقة توصلنا بها من باريس حول الوضع الطبقي في الجزائر . ولا شك ان هذه الوثيقة ستكشف لنا بعض اسرار التعاطف الاخوي الحالي بين صحافة بورجوازيتنا الوطنية و «الاشتراكية الجزائرية الواقعية»

ان مستقبل المجتمع الجزائري متوقف على القدرات التنظيمية وعلى نضال الطبقة العاملة وامكانياتها في حشد كل الطبقات المستغلة في البلاد من حولها ، اي في الواقع قيادة مجمل الحركة.

فما هي طبقات المجتمع الجزائري في الوقت الراهن ، وما هو المكان الذي تحتله كل واحدة منها في البنية الاقتصادية والاجتماعية ، وما هي العلاقة التي تربطها بالحركة الثورية ؟

تلك هي الاسئلة التي علينا ان نجيب عنها لكي نستطيع تحديد اشكال وحدود العمل البروليتاري في الجزائر .

١ ــ طبقة الملاكين العقاريين شبه الاقطاعيين

ان الملكية العقارية الكبيرة في الجزائر لها تاريخ طويل محتجب وراء العلاقات «البطريركية» والايديولوجية الاخوية مما غذى عددا من الاوهام (روزا لوكسمبورج) ، وفيما يرجع للطابع الجماعي لعلاقات الانتاج في الزراعة الجزائرية قبل الاستعمار فقد تمت المحافظة على الملكية العقاريةالضخمة ، بل لقد جرى تطويرها في بعض المناطق اثناء فترة الاحتلال.

انه يصعب على المرء ان يحدد العدد والقوة الاقتصادية للملاكين العقاريين شبه الاقطاعيين في الجزائر الحالية ، فالاحصائيات الرسمية والشعبية التي هي الايديولوجية السائدة لهذا العهد ، لا يدخران وسعا لاغراق هذه الطبقة بمفهوم «القطاع التقليدي»

وبصفة توضيحية سنبين ان المعطيات الرسمية تجدد خصائص هذه الطبقة على ضوء المساحة المتوفر

عليها ، وغياب عناصرها عن عملية الانتاج (المزارعون بالوكالة) ١٦.٠٠٠ ملاك يشكلون ٣٪ عن المجموع ويملكون ٣٥٪ من المساحة الزراعية الخاصة ، حوالي ١,٥ مليون هكتار .

ويمكننا ان نؤكد منذ الان بان هذه الطبقة هي اكثر الطبقات رجعية في المجتمع الجزائري ، هذه الطبقة التي تستغل العمال الزراعيين وبصورة رئيسية الخماسين و METAYERS استغلالا فظيعا ، وتحت اكثر الاشكال خبثا .

ان الايرادات العقارية التي تصل احيانا الى ١٠/٩ الانتاج والخدمات المختلفة من كل نوع لا تترك للمستأجر الا الحد الادنى الضروري لبقائه على قيد الحياة وغالبا

دون هذا الحد الادنى مادام مجبرا على اللجوء الى سلسلة بكاملها من وسائل العيش بدءا من بيع قوة عمله حسب المصادفات ، وانتهاء بمنفاه (الاغتراب) الموقت او النهائي مرورا بالعمل في البيت .

ان هذه الملكية العقارية لا تسمح بأي استثمار . ان المسأجر لا يستطيع ان يستثمر اي شيء لانه هو نفسه لا يملك شيئا .

ان الملاك العقاري يستهلك لا انتاجيا مجموع المداخيل او يمارس التجارة ليشتري الخراف .. الخ .

الحاق الضرر بالتربة ، والاستغلال اللاأخلاقي للمعال المباشرين والاستهلاك اللامنتج للفائض تلك هي عواقب وجود هذه الطبقة . ان استغلالها مسموح به ، ومبرر ، ومشروع من قبل الايديولوجية الاخوية ، الاكليريكية ويتجند لخدمتها فئة محرضة من المثقفين المدافعين عن مصالحها الايديلوجية في التعليم عن طريق رسائل الاعلام العمومية ووسائل الدعاية كالمساجد والتلفزة والاذاعة والجرائد . ان هذه الايديولوجيات تفسح المجال لنفسها تحت حجة النضال ضد الماركسية .

٢ البورجوازية الوطنية

أ ـ في الزراعة :

تريد الايديولوجية الرسمية بكل ثمن اخفاء وجود العلاقات الرأسمالية للانتاج في الزراعة والتطور ، الذي بات قديما للبورجوازية ، واذا كانت هذه الطبقة قد قلمت اظافرها من طرف المعمرين الفرنسيين فان الاستقلال قد حررها تماما ، وفي اليوم باتت تتخصص في قطاعات معينة كتربية الابقار ومن ثم صناعة الحليب ومشتقاته التي تعود اليها ، وزراعة البقول وما دامت الدولة تساعدها فانها تحسن استغلال هذه القطاعات التقليدية قبل تجارة التمر وانتاج الزيت .

ان الاحصائيات الرسمية للاسباب الآنفة الذكر لا تسمح حاليا بالتفريق بين الاستثمارات ذات النمط الرأسمالي والاستثمارات شبه الاقطاعية .

انها تضع هذين الشكلين من الاستغلال ـ المختلفين تماما ـ تحت نفس العنوان المسمى : «الاستثمار الكبير» . وفي الواقع فان قسما من الاستثمارات الكبيرة هو من النمط شبه اقطاعي والقسم الاخر من النمط الرأسمالي . ويجب ان نضيف لهذين النمطين قسما اخر من الاستثمارات المتوسطة وحتى بعض الاستثمارات «الصغيرة» .

ان ما يميز هذين النمطين ، ومن ثم ما يميز الطبقات التي تشكل دعائمها ، الملاكين العقاريين من البورجوازية ـ انما هو لجوء الثانية الى العمل المأجور واستخدام الالات الميكانيكية كالجرارات والحصادات والعربات الخ ... واخصاب الارض باستعمال الاسمدة ، واخيرا الى توجيه الانتاج نحو هذه المزروعات التجارية والصناعية ، وباختصار الى الاستغلال الرأسمالي لعمل الاخرين . ان هذا التمييز يجب القيام به وسيجنبنا الوقوع في كثير من الاخطاء عند تقييم الصراع الطبقي ، في شكله كما في حدته .

ويجب ان نلاحظ مع ذلك ان هذا التمييز لا يتعلق الا بالطبقات كطبقات لا بالافراد الذين تتركب منهم لانه من المؤكد ان عناصر طبقة الملاكين العقاريين يتحولون تدريجيا الى رأسماليين في حين ان كثيرا من بورجوازيي البادية يستمرون في استخدام الاساليب الاقطاعية للاستغلال بدفع اجور العمال عينا ، ودون الاجرة المشروعة، ويمارسون اشكال التشغيل شبه مولوية التي تسمح لهم بتحويل العمل المأجور «الحر» مبدئيا الى اشغال شاقة حقيقية. ويجدون كذلك في الايديولوجية السائدة ، الاخوية وسيلة اضافية للتخفيض من قيمة عمل العمال .

ولكن في التحليل الاخير، فان هذه المناهج التي تقود الى الاستغلال المضاعف للعمال ـ بالعمل على تشغيلهم اكثر مقابل اجرة اقل تعتمد على وجود جيش عرمرم احتياطي الذي يشكله الفلاحون بلا ارض، والمالكون الصغار المفلسون ، والخماسة جيش له وزن ثقيل جدا على سوق العمل في الزراعة .

ان البورجوازية في البادية (الارقام التي نعطيها ذات ترتيب تصاعدي ويجب الا تستعمل بهذا المعنى) تشغل حوالي ١،٥ هكتار تمثل ستين الف استثمار الشيء الذي يدل على ان ٢٥٪ من المساحة الخصوصية الكلية تتركز بين ايدي ١٠٪ من الملاكين .

ويلاحظ ان التمركز البورجوازي في الارض هو اقل من التمركز شبه الاقطاعي بمعدل النصف ولكن البورجوازية بالمقابل تركز بين يديها نصف التجهيز الزراعي الموجود في الجزائر والذي يكون حوالي ٢٠ الف وحدة (جرارات ذات العجلات وجرارات مزنجرة) الى الاربعين الف الموجودة ، ومجموع تربية البقر ومن ثم تسويق الحليب الذي تختص به ، وقسما كبيرا من تربية الغنم .

وتملك زيادة على ذلك مجموع الماشية (خيول ، بغال، حمير) هذه الحيوانات التي تكتسي اهمية كبرى بالنسبة للملاكين الصغار والمتوسطين الذين لا يستطيعون شراء الادوات الميكانيكية . واخيرا فان هذه الطبقة تشرف بالفعل على مجمل الدورة التجارية للمنتجات الزراعية في الجزائر ، حتى تلك المنتجات التي ليست من قطاعها الخاص ، وبهذه المحافظة على فئة طفيلية وذات نزعة تجارية من كل نوع ، تمتلك مجموع الفائدة التجارية العادية على ظهر المنتجين والفوائد الزائدة (حسب حالة السوق) على ظهر المستهلكين سواء بسواء .

ان البورجوازية الوطنية باعتبار ان كثيرا من المتاجرين من كبار الوكلاء الذين يستمدون قسما كبيرا من ارباحهم من ضعف الملاكين الصغار وعدم تنظيم الدورات التجارية ، فانها رجعية ضد الديمقراطية ،

وقريبة من الامبريالية ، رجعية لانها تشاطر اعمامها وآباءها كبار الملاكين العقاريين الافكار الاكثر رجعية والمتعلقة سواء باساليب العمل (تنظيم المؤسسات، الاستثمار ، التجارة) او بالربح والاجور . ضد الديمقراطية : لانها تعارض اي اصلاح زراعي مهما كان خجولا وحتى لو لم يمس ملكيتها كما هو الشان بالنسبة للاصلاح الزراعي المقترح من طرف النظام القائم .

مع الامبريالية لان مصالحها الراهنة اذا لم تمس من طرف التجارة الامبريالية العالمية للمنتجات الزراعية فهي من الرأسمالية ، ضد الاشتراكية وتقوم بما في وسعها للاسراع بدمج الجزائر في المعسكر الامبريالي .

ولذا فانه لاينتظر اي شيء من هذه الطبقة .

ب ـ الفئة الحضرية من البورجوازية الوطنية :

هذه الفئة هي اكثر نشاطا من الفئة القروية ، وكهذه الاخيرة فان توسعها قد حد منه اثناء الاحتلال ولكن الاستقلال ارخى العنان لتطورها ، وبفضل حماية النظام لها بالمساعدة الهامة من طرف الدولة (على ظهر الشعب) وبفضل نظام ضريبي يحررها من كثير من التكاليف ، وبفضل قوة عمل «رخيصة» لا تستطيع البروليتاريا حتى اعادة النظر فيها بواسطة نشاطها النقابي (كل نشاط مطلبي بقمع بشدة من طرف النظام). فان البورجوازية الوطنية في الطريق لان تصبح ـ ضمن **الحدود التي تسمح لها الامبريالية ـ سيدة قطاعات كثيرة من الاقتصاد . وسنرى فيما بعد ان القطاعات** التي «تتخلى» عنها البوجوازية البيروقراطية لطبقة اخرى لا تشكل اطلاقا منافسة لقطاعاتها ، ولكن على العكس فانها مكملة لها .

هذه بعض الارقام الرسمية: الف مؤسسة «صغيرة» تشغل أكثر من ٧٠٠٠ أجير. وفي الواقع فان هذا الرقم بعيد عن الحقيقة . فعدد من المؤسسات الصغيرة يفلت من التقديرات الادارية لانه يقدم معلومات مزيفة عن عدد العمال المشغلين ـ الذين غالبا ما يكونون اطفالا ونساء وشيوخا ، بأجر منخفض ، بلا تأمينات ولا تعويضات عائلية .

ومن هذه الالف ، نجد ١٩٢ مصنعا للمواد الغذائية يشغل اكثر من ٢٠.٠٠٠ عامل، ويليه «النسيج» وعددها ١٧١ مصنعا يشغل ١٨٠٠ عامل ، وجميعها تحقق رقما ماليا يتعدى ٣٥٠ مليون دينار وينتج قيمة مضافة : حوالي ١٠٠ مليون دينار .

هذه القيمة توزع على : ٢٨ مليون دينار للدولة (ضرائب)

٣٢ « « للاجور

٤٠ « « للارباح

ومرة اخرى ينبغي ان نسجل ان هذه الارقام ذات ترتيب تصاعدي والتحليل الملموس ، ذو النفس الطويل بامكانه ان يعطينا مجموع علاقات الاستغلال التي تحدد درجة نشاط البورجوازية الوطنية.

في المؤسسات الكبيرة : وبالنسبة للاحصائيات الرسمية فان المقصود بها تلك التي تشغل أكثر من ٢٠ اجير . ان ٥٢٠ من الف تتمسك بها البورجوازية يشتغل بها حوالي ٣٢.٠٠٠ اجير من مئة الف . هذه

المؤسسات تحقق رقما ماليا من ١،٧ مليار دينار ، في حين ان العمال ينتجون قيمة من ٧٢٠ مليون دينار توزع كالآتي :

٢١٠ مليون دينار للدولة

٢٥٥ مليون دينار مصاريف الموظفين

٢٢٥ مليون دينار ارباح

ويجب ان نضيف لهذا العدد اكثر من الف مؤسسة «البناء ، والاشغال العمومية» التي تشغل ٦٠٠٠٠ أجير ينتجون قيمة من ٦٠١ مليون دينار . وفيما يتعلق بـ ٥٢٠ مؤسسة السابق ذكرها تنقسم الى فروع بالكيفية التالية ١٣١ تذهب الى النسيج بنسبة ٨٠٪ من الفرع: ١١٦ .

٩٠ تذهب الى المصانع الميكانيكية والكهربائية بنسبة ٦٠٪ من الفرع : ٦٦

٢٩ هي مصانع الجلد تكون ٧٥٪ من الفرع

٦٨ مصانع من الخشب والورق تكون ٥٥٪ من الفرع : ١٢١ .

وسواء بالنسبة للمؤسسات الصغيرة او الكبيرة يلاحظ ان البورجوازية الوطنية تتخصص في : النسيج والصناعات الغذائية ، والصناعات الميكانيكية ، والبناء هذا الواقع يجب ربطه بما سبق قوله عن «القروية» من هذه البورجوازية.

ان الصناعات الغذائية لا تأتي بعد انتاج اللحم، والخضر والفواكه في الزراعة ،

يظهر ان هاتين الفئتين من البورجوازية تعملان الواحدة من اجل الاخرى ، وانه يوجد تقسيم للعمل الاجتماعي يجعل هاتين الطبقتين مكملتين الواحدة للاخرى . وسنرى من جهة اخرى ان تقسيم العمل هذا داخل نفس الطبقة يخفيه تقسيم للعمل اوسع ، بين كثير من الطبقات على صعيد المجتمع كله .

ثم انه غالبا ما توجد نفس العناصر على مستويين الانتاج الزراعي ومستوى التحويل الصناعي ، والفئتان من البورجوازية مرتبطتان ارتباطا وثيقا : اقتصاديا كما بين التحليل السابق ، واجتماعيا لان «الاعمال» تتم عائليا بين «الاعمام» و «الاخوان» وايديولوجيا أخيرا وانه ان كانت الفئة «الحضرية» من البورجوازية اكثر نشاطا من الفئة القروية الا انها تشاطرها نفس الافكار الرجعية، نفس احتقارها للفقراء ، ونفس تعطشها للربح . المصالح الاقتصادية لهذه الطبقة تحملها بعيدا جدا بالنسبة لمصالحها السياسية ولهذا فهي تقبل اي نظام ، سواء أكان استبداديا او فاشيا .، اذ يكفيها ان تستغل عمل الاخرين بكامل الاطمئنان لكي تصبح الحياة بالنسبة لها مقبولة .

ان الحد السياسي الاقصى الذي يمكن انتظاره من هذه الطبقة هوليبريالية مقنعة مصبوغة بصبغة ديمقراطية وموقف سلبي تجاه الاصلاح الزراعي (هذا الذي قدم من طرق النظام الحالي) ، ونوع من القلق ازاء الامبريالية التي تخاف من منافستها .

انه حد اقصى متواضع جدا ولكن يقابله رفض نشيط للاشتراكية وكل ما يمت اليها بصلة . يجب اعتبار هذه الفئة من البورجوازية ومن ثم كل البورجوازية بمثابة عدو يدافع عن مصالحه ، عندما تتعرض هذه

المصالح للخطر ، بضراوة اكثر من ان نعتبرها قوة سلبية يمكن مناورتها بسهولة ، لا ينبغي التهوين من الطابع الرجعي لهذه الطبقة ومقدرتها على النضال ضد البروليتاريا (انها يمكن ان تذهب الى حد قبول مجتمع عسكري ، فاشي ، وهي تعد نفسها في الاتجاه بوضع رجالها اليد على المناصب القيادية في الجيش) .

وان اية مقارنة الى جانب اشياء اخرى ـ لا ينبغي ان تفقد بين دور البورجوازية الوطنية في الجزائر والدور الذي تلعبه بعض البورجوازيات الوطنية في آسيا. في الصين والفييتنام مثلا حيث اندمجت في الجبهة الوطنية ضد الامبريالية بقيادة البروليتاريا .

٣ البورجوازية البيروقراطية

ان وجود رأسمالية بيروقراطية الدولة في الجزائر ، الامر الذي جعل الرأسمالية في هذا البلد تأخذ الشكل السائد لرأسمالية الدولة ينتج من جهة عن الطابع الخصوصي للاستعمار والبنية الاقتصادية وبالتالي البنية الطبقية التي اقامها هذا الاستعمار ، ومن جهة اخرى عن حركة التحرير الوطني والطابع «الشعبي» لهذه الحركة . لقد كان الاستعمار الفرنسي استعمارا استيطانيا . وكان من نتائجه تحويل الجزائر الى اسواق للمواد الاولية والمنتجات الزراعية واليد العاملة الى فرنسا ، ومرتبطة بها كلية فيما يخص حاجياتها الى المواد المصنعة ، بنية هذا الاقتصاد «المحرر من الاستعمار» حالت دون تطور بورجوازية اهلية وحدت من نشاطات هذه الاخيرة في التجارة وفي المضاربة العقارية وفي النقل الخفيف الخ..

وخلال ذلك فان مجموع فائض القيمة تقريبا الذي ينتجه العمال كان يذهب الى فرنسا ، ويسد بذلك الباب امام كل امكانيات للاستثمار وبالتالي الانماء .

وجنبا الى جنب مع حصر البورجوازية ضمن هذه الحدود ، فان البيروليتاريا الجزائرية لم يكن بوسعها ان تتطور الا في الزراعة وفي القطاعات الصناعية التي تتطلب ادنى كفاءة .

ان ضعف البورجوازية المقترن بضعف البروليتاريا الجزائرية ، والطابع الشعبي لحركة التحرير الوطني اعطت هذه الحركة قيادة بورجوازية صغيرة لم يكن بامكانها ان تؤدي لا الى الاشتراكية حيث ضعف البروليتاريا وغيابها من قيادة الحركة الوطنية ، ولا الى الرأسمالية «التقليدية» لنفس الاسباب فيما يخص البورجوازية .

ان تطور الاقتصاد الجزائري في الاطار السائد لرأسمالية بيروقراطية الدولة يبدو ايضا كنتيجة لمشاركة الشعب في حركة التحرير الوطني بقدر ما هو حالة توازن في الصراع الطبقي ، انه تسوية «موضوعية» سيتوقف تاريخها اساسا على الكفاءات الثورية للبروليتاريا .

ان العلاقات الرأسمالية للانتاج في اطار رأسمالية الدولة توجد كذلك على مستوى «التسيير الذاتي» (في الصناعة وفي الزراعة ـ كما في الشركات الوطنية) .

وفي كلتا الحالتين فان الشغالين هم عمال يجب عليهم ان يستثمروا رأسمال ، اي ان ينتجوا فائض قيمة .

وفي استقلال عنهم علاقة رأسمالية للانتاج يدخلون وفي كلتا الحالتين فان العمال يجدون امامهم

فيها ببيع قوة عملهم .

وفي كلتا الحالتين تحدد الارباح، ومداخيل الدولة والاجور لا طبقا للحاجات الاجتماعية للعمال وانما طبقا لقوانين السوق الداخلية والعالمية .

ان هذا هو ما تطلق عليه الايديولوجية الرسمية «مردودية» المؤسسات .

ان ما يميز المؤسسات «المسيرة ذاتيا» عن الشركات الوطنية ليس هو نمط الانتاج ، الذي هو رأسمالي في الحالتين معا ، وانما فقط تقنيات التسيير داخل المؤسسات .

هذه التقنيات هي ظاهريا «اكثر ديمقراطية» في حالة المؤسسات المسيرة ذاتيا ، ولكن هذه الديمقراطية المزعومة داخل المؤسسات ليست الا وهما خادعا يخفي العلاقات الرأسمالية الحقيقية بين مختلف المؤسسات، وبينها وبين المؤسسات المالية ، والقروض التجارية .

ان التسيير الذاتي كنمط اشتراكي للانتاج كان (ويكون دائما) بالنسبة للكثيرين سرابا خداعا استخدمته الانظمة السياسية المتعاقبة للتغرير بالطبقة العاملة وصرفها عن اهدافها النضالية الحقيقية .

ان كثيرا من البورجوازيين الصغار (ولا سيما مثقفي «اليسار») الاشتراكيين على الطريقة اليوغسلافية والفوضويين المحدثين قد امنوا بها وساهموا في ترويجها على نطاق واسع .

تتكون البورجوازية البيروقراطية في الجزائر :

– من مسيري المؤسسات الوطنية : ، والمدير العام والاطر العليا .

– من الموظفين الكبار في الدولة ، وفي جهازه حزب ج ت و ، والوزراء والدواوين الوزارية والموظفين السامين في حزب ج ت و ، والولاة ، وخلفاؤهم .

– من الضباط السامين في الجيش : عقداء ، وقادة (كومندان) ، وقبطانات

وعلى مستويات التقرير المختلفة والمتسلسلة فان هذه الفئات المختلفة من البورجوازية البيروقراطية تتصرف بالطريقة الاشد رأسمالية في قطاعات هامة من اقتصاد البلاد ، واحيانا فان تناقضات يمكن ان تجعلها متعارضة بعضا مع بعض .

وايضا يمكن للتيكنوقراطيين ان يتعارضوا مع «السياسين حول مسائل العطاءات المالية للشركات الوطنية الى الدولة .

والسياسيون بدورهم يمكن ان يتعارضوا مع «العسكريين» حول مسائل التحالفات الدولية ، وكذلك فان «السياسيين» يمكنهم ان يؤنبوا ADMONESTER المدعويين بالممثلين المنتخبين للمجالس الشعبية البلدية

غير ان كل التناقضات يجب ان توضع في مكانها: مكانها الثانوي بجانب التناقض الذي يجعل هذه الطبقة بمجموعها تتعارض مع البروليتاريا . وان الذين يركزون عملهم على هذه التناقضات الثانوية ، هم انتهازيون يمينيون ، لا يمكنهم غير صرف البروليتاريا عن قصدها الاكثر ثورية : قيادة حركة التحرر الاقتصادي .

١ – فى الزراعة : البورجوازية البيروقراطية لها القيادة الفعلية لـ ٢٠٠٠ مؤسسة المسماة «مسيرة ذاتيا» وتشغل أكثر من ٢ مليون هكتار ، وتملك اكثر من نصف رحبة (ARC) العتاد الزراعي الممكنن ، بقدر ما تملكه البورجوازية الوطنية ٢٠.٠٠٠ وحدة) . وتتوفر على عدد كبير من مكاتب تسويق المنتجات الزراعية بقطع النظر عن اي اعتبار آخر ما عدا اعتبار السوق . وان

المؤسسات المالية والقروض المتمركزة حاليا في البنك الوطني الجزائري لها التوجيه الفعلي لعملية سير الانتاج ما دامت هي التي تحدد مقدار القروض ومدة تسديدها ، وهي ايضا التي تحدد تقسيم القيمة المضافة الى الاجور ، وصناديق الاحتياط ، واتاوت الدولة ، وصناديق الاستثمار .

ان مجموع وسائل انتاج هذه المؤسسات يستثمر من قبل ١٤٠.٠٠٠ عامل دائم و ٦٠.٠٠٠ موسمي .

ان حصة هامة من انتاج المؤسسات «المسيرة ذاتيا يتم تصديرها كالخمور ، الخضر ، الفواكه : وان سعر هذه المنتجات مرهون بتقلبات السوق الامبريالية العالمية وبصورة اخص السوق الاوربية . انه شكل من اشكال التبعية لا يجب اهماله وان العمال غالبا ما يدفعون الثمن من قوة عملهم اذ انهم يتهمون (من طرف البورجوازية البيروقراطية) بكونهم مسؤولين عن «العجز» .

كما انه لا ينبغي اهمال «تعاونيات قدماء المجاهدين التي تتيح لهؤلاء العيش دون عمل ، بفضل الدولة ، وعلى ظهرا لعمال الذين يتصرفون على هواهم (اي قدماء المجاهدين) في تشغيلهم وتسريحهم ، ويبتزون منهم قانونيا نصف الاجرة .

ان علاقات اقطاعية عمليا تجمع بين «ارباب العمل» هؤلاء وعمالهم ما دام العجز الدائم لهذه «التعاونيات» الذي يعزى الى السرقات واختلاس الاموال، بلا حساب ولاعقاب من طرف هؤلاء الاشخاص ، يجري تعويضه بواسطة اعانة الدولة . ولا ننسى ان هؤلاء المجاهدين القدماءابستمرارهم قاعدة اعتماد للنظام يشكلون جزءا من ترسانته البشرية للقمع في كل مرة يحتاج اليها .

انه يصعب حساب القيمة المنتجة من طرف عمال التسيير الذاتي ، وفي جميع الاحوال نستطيع القول بان هذه القيمة تتضح من الاجور (الاجر هنا يساوي الحد الادنى الحيوي ، دونه لا يعود بامكان العامل ان ينتج قوة عمله) وتصديقا للسلطات الرسمية بانها تتمثل كلها في هذه الاجور ، زائد الارباح في حالة المؤسسات «المربحة» وفي الواقع فان قسما كبيرا من القيمة يؤول ، بفضل آليات معقدة لتحديد الاسعار ، الى الرأسماليين الذين رأينا انهم يشرفون بالفعل على دواليب التجارة الداخلية ، وقسما اخر يذهب الى هيئات السلف والتمويل، الى الدواوين OFFICES وجميعها تشكل البنية العليا البيروقراطية للمؤسسات المسيرة ذاتيا ، وقسما اخر في الخيام يذهب الى البيروقراطيين المحليين (مسؤولي الحزب) ممثلي المجالس البلدية الشعبية الخ والباقي تمتصه السوق العالمية .

كل هذه الآليات تبين بأن المستقبل الاشتراكي للتسيير الذاتي يقوم على ديكتاتورية البروليتاريا التي هي وحدها تسمح بسيادة العمال لتحطيم قوانين السوق .

يتبع ...

في العدد القادم :

ب البورجوازية البيروقراطية الصناعية
٤ البورجوازية الصغيرة
٥ الجماهير المبلترة
٦ البروليتاريا

من اجل حوار حول الحركة الوطنية

ابراهيم الخطيب

نشرنا في العددين السابقين مقالا في حلقتيــن للاخ عبد القادر الشاوى في موضوع « ازمة الفكــر السلفي» . وبصدده نفتح نقاشا موسعا حول موضـوع الحركة الوطنية بوجه عام . وفي هذا الاطار، ننشر مقالا للاخ ابراهيم الخطيب كرد منه على الشاوي ، ومقالا للاخ سعيد البربوشي ، ونرجو ان يستمر توسيع وتعميق هذا النقاش .

١) ـ لا اريد ان اكون مدافعا عن افكار السيــد علال الفاسي ، فهذا شيء لا يدخل في مشروعي . ولكنني سأحاول ان اوضح مجموعة من المغالطات تقوم علــى « اسس » ماركسية معوجة . وبدءا ، ينبغي ان اؤكد ـ او اعيد ، لا ادري ـ ان الماركسية ليست « اسلوبا » في الكتابة ، ولا معجما للالفاظ والمصطلحات ، ولكنهــا ـ داخل امكانياتها النظرية ـ « طريقة في التفكيــر » . « ان كل الافكار الخاطئة وكل الاعشاب السامة وكــل الشياطين والغيلان يجب ان تعرض للنقد » (ماوتسي تونغ) هذا كلام صحيح ، وهو بقدر ما ينطبق على كتاب « النقد الذاتي » ، فانه ينطبق ايضا على ما كتبــه الاخ عبد القادر الشاوي (انفاس ـ العدد ٢ ـ يوليه ١٩٧١) من كلام يتضمن كثيرا من « الافكار الخاطئة ». انني لا اتهم احدا بالجهل (فهذا ايضا لا يدخل في مشروعي) غير انني استطيع ان اقول ان « البلاغة » الماركسيــة تمكنت من تشويه كثير من الحقائق ، خصوصا لدى من « حسنت نياتهم » . هذا شيء ينبغي ان يكون واضحا : الماركسية ليست تيولوجيا تنطوي على منظومة مــن (الاسرار) لا يفهمها غير الاكادميين، ولكنها مع ذلك ليست « احكاما عامة » يمكن « نقلها » او « سحبها » بسهولة. ان اخطر اعداء الماركسية هــو التعمـيم و ، ايضــا ، « الحرفية ».

٢) لقد شن (لينين) في سنوات ١٦ ـ ١٩١٨ حربا لا هوادة فيها على (فرسان الجملة الثورية) الذين كانوا « مخلصين فعلا » ولكنهم لم يكونوا قادرين على فهــم الماركسية في العصر الاستعماري الامبريالي ، فهمــا جيدا ولهذا ظلت «مفرداتهم» مفرغة من محتواها مادامت لا تعبر عن هذه «الحقائق الجديدة»؛ ان الخطأ الــذي يرتكب الى اليوم هو اعتبار « الحرفية الماركسية »اساسا لتفسير « سياسة » العصر . ان عبد القادر الشاوي يعيد اخطاء (فرسان الجملة الثورية) بعد اكثر من نصف قرن ، عندمــا يأخــذ المقــولات الاولــى للماركسيــة لـ « يستعملها » في نقد (الحركة الوطنية) من خلال (النقد الذاتي) دون مراجعة « شروحها اللينينية » التي وضعتها وضعا صحيحا في اطار عصر التوسع الاستعمــاري الامبريالي ونهضة « الوطنيات ».

٣) بايجاز ، يمكن تجميع الملاحظات التي توصل اليها عبد القادر الشاوي فيما يلي :

أ ـ ان الحركة الوطنية كان ينبغي ان تخضــع لغربلة طبقية .

ب ـ ان الحركــة الوطنيــة كانــت « خــدعــة » بورجوازية .

جـ ـ ان الفكر السلفي هو بطبيعته « فكر ديني رجعي » .

د ـ ان الفكر السلفي كان فكرا نخبويا ، مغلقا ، وغير مفتوح .

هـ ـ ان التحالف الوطني (اقطاعية ـ بورجوازية ـ بورجوازية صغرى) كان في عمقه ارتباطا « مباشرا بالاستعمار او غير مباشر » .

و ـ ان الحركة الوطنية فشلت في « تحديث » (!) حزب يقود الطبقة العاملة والجماهير العريضة من الشعب » .

٤) ـ لن تكون ردودي خارج اطار النظرية الماركسية ـ اللينينية ، ولهذا فانني اضع هذا السؤال : هل قرأ الاخ الشاوي ، عند لينين ، شيئا عن الفوارق ما بين « الثورة الوطنية » و « الثورة الديموقراطية » ؟ لن ادخل في تفاصيل الاختلاف فيما بين الثورتين ، ولكنني اعرف ان لينين كان يرى احدى السمات الهامة للثورة الوطنية هي التحالف الطبقي الموسع (انظر موقف ماركس ـ انجلز من الحرب الالمانية) . ان فهمنا لهذه المسألة لن يكون اكثر وضوحا ما لم نراجع موقف لينين ونضاله ايضا في سبيل «المسألة الوطنية» التي كانت مسألة المسائل قبل وبعد الحرب الامبريالية العالمية الاولى لقد كان لينين يفرق بين (الامم المظلومة و (الامم الظالمة) ويرى ان النضال الوطني (او القومي) هو نضال «تحالفي» ولا يمكن ان يكون «تجزيئيا» او «انفصاليا» الا على حساب النضال ذاته . ولهذا ، فان مقولة (الطبقة) تفقد الحاحها اذ ذاك وتصبح «تناقضا اساسيا ثانيا» . وفيما بعد ، تمكن ستالين من تعديل الصيغة الاطلاقية الكئيبة القائلة : « ان النضال الوطني نضال بين الطبقات البورجوازية »وذهب في سنة ١٩٢٩ فى اتجاه تأكيد العمق التاريخي للامة (الشعب، القومية الخ) . وكان ماوستي تونغ قد وصل الى اطروحته الاساسية القائلة بان التناقض الرئيسي هو التناقض بين الامبريالية والامة الصينية ، والتناقض الرئيسي الثاني هو التناقض بين الشعب والاقطاعية . مثال آخر: ان حرب ملك الافغان ضد الانجليز ، في نظر لينين لم يكن يحدد طابعها اطلاقا وضع الطبقة التي تحكم مجتمع الافغان . ونحن لن نستطيع ان نفهم (الحركة الوطنية) في بلادنا ، ما لمننطلق من هذه المقدمات ، وبالتالي فان (الغربلة الطبقية) التي تفهم من كلام عبد القادر الشاوي تصبح « تسبيقا » للتناقض الرئيسي الثاني على التناقض الرئيسي الاول . بعبارة اوضح : كان ينبغي اذ ذاك تأجيل النضال ضد السيطرة الاستعمارية الفرنسية لحساب «تصفية طبقية» لا يمكن التنبؤ بنتائجها .

٥) لا اشك في ان الاخ عبد القادر الشاوي قد قرأ شيئا عن « الدور التقدمي الذيتلعبه البورجوازية في عصر صعودها المظفر ». ان هذه الحقيقة لا يمكن ان تكون استثناء مقصورا على عدد « معين » من البورجوازيات . فهذا حكم تاريخي عام . ولكنه بالتحديد تاريخي . بمعنى انه ليس حكما مطلقا ، يستمر في الزمان والمكان رغم تغييرهما . لقد كان هذا ماثلا في الثورة الفرنسية (المضادة للاقطاع) كما كان ماثلا في الثورة الروسية رغم تداخلها العظيم) . بالضبط : اريد ان اقول ان البورجوازية الوطنية ، بالنسبة لبلدان العالم الثالث ـ تاريخيا وموضوعيا ـ وفي فترة النضال ضد الاستعمار، هي اقدر الطبقات استيعابا لهذا النضال وتصعيدا له .

اولا ، لانها تتوفر على عنصر الاحتكاك المباشر . اي بدون واسطة (الصدام الحتمي ما بين مصالحها وسوقها ومصالح وسوق المستعمر)وثانيا ، لانها تكون قادرة ، تحت شروط مستواها المعيشي ، على افراز « طليعة من المتنورين » يستطيعون تعميم وعيها بين الطبقات الاخرى « الاقل وعيا »والاكثر تعرضا للاستغلال ، بواقع انها ، كطبقة ، تشكل عنصر «استقطاب ثقافي»؛ هذه الطليعة هي التي تتولى انجاز مهمات (الحركة الوطنية) بـدءا من «التنظير» و «التنظيم» وحتى «القيادة» . اما مسألة ارتباط البورجوازية الوطنية بالاستعمار ، بكيفية مباشرة او غير مباشرة ، فان هذا يحدث ، خلال مرحلة النضال ضد الاستعمار ، على مستوى الافراد (الخيانات) (« الامراض » البورجوازية معروفة) ولكنه يصبح امرا شاملا للاغلبية الساحقة من هذه الطبقة ، فيما بعد ، وليس دائما ، عندما تصبح السوق الوطنية تحت هيمنتها الفعلية ، وتطرح امامها امكانيات التسويق في الخارج . اننا نكون واهمين و «مثاليين» اذا اخذنا مقولة (الطبقة) في بعدها الاحادي، اللامتغير . لقد كان لينين يستهجن بشدة فعل اولئك الذين « يحولون التاريخ الى فيزياء مرفوعة الى مرتبة ميثافيزياء» . بعبارة اخرى : اننا يمكن ان نكون «ماركسيين حقيقيين» ومع ذلك نعترف بان (الحركة الوطنية) المضادة للاستعمار لم تكن «خدعة» بورجوازية ، بل كانت خطوة هامة ومحدودة ، في سبيل تحرر فعلي .

٦) ليس الفكر السلفي ظاهرة معزولة عن الاطار الكلي لحركة المطالبة بالاستقلال . كان ينبغي على عبد القادر الشاوي ان يقول بان السلفية كانت شيئا شبيها بـ «ايديولوجيا» الحركة الوطنية . هذا «الوضع» التاريخي كان ضروريا .ولكن الاكثر ضرورة كان تحديدا أن الفكر السلفي الذي يتحدث عنه هو « فكر » علال الفاسي فقط، وفي مرحلة متأخرة نسبيا في تصاعد الحركة الوطنية (١٩٥٢) . في اعتقادي ، ان السلفية ــ داخل اهدافها ــ كانت شبيهة الى حد ما ، بـ «الحركة الزنجية» (سنغور ــ سيزار ــ داماس ــ بوكمان) كلتاهما كانت «رد فعل ثقافي متعصب» ضد الاستيلاب الاستعماري للانسان المستعمر (بالفتح) ينطوي على موقف « سياسي » وحضاري في آن . يقول دانيال بوكمان : «قبل التحرير الوطني لمعظم البلدان الافريقية كان للزنجية فضل تجميع السود حول قيم كانت محل شك أو سخرية .(...) واذا كان صحيحا ان هذه الدعوة انما استطاعت ان تجمع حولها مثقفين ، فانها شكلت مع ذلك «قوة ضرب ايجابية » غير انه موقف كان يتجه الى العزلة . كانت السلفية تقف على اسس (حقوقية ــ دينية ــ مدنية) وكان سعيها يسير في اتجاه تطويع الفرد ، اخلاقيا ، لمصالح الامة ، وينبغي البحث في اصولها العامة عند (الافغاني) و (محمد عبده) و (رشيد رضا) و (مصالي الحاج) وكل الاسماء التي جسدت في البدايات الاولى للقرن العشرين الاتجاه الليبرالي ــ الديني ، ذي الميولات العلمانية في الثقافة التقليدية ، لقد تنبه (فرانز فانون) الى ردود فعل (الثقافات الوطنية) واعتبرها كمرحلة، «فعلا» مشروعا في وجه الهيمنة الاستعمارية التي لا تقتصر على الاهداف الاقتصادية فحسب . ومن قبله بكثير كان لينين يتحدث عن ثقافة (الامة المضطهدة) و «مضمونها التقدمي» ويرى ان ادب تولستوي (رغم اصلاحيته ونزعيته الدينية) حافظ على «الروح الاصيلة» للامة الروسية (وليس لطبقة دون اخرى).[١٠] ان فهم

السلفية ينبغي ان يكون انطلاقا من «وضعها التاريخي» في اطار حركة التحرر الوطني ، ليس قبلها او بعدها («يمكن ان نقول ان الزنجية استجابت للمرحلة الوطنية في التحرر الافريقي» - بوكمان) وبالتالي فان الحديث عن «رجعية» السلفية انما ينطبق على فترة متأخرة نسبيا ، عندما فقدت دورها «العلماني» واصبحت عنصرا من عناصر ترسيخ «الثقافة» البورجوازية وبناها الفوقية الاضطهادية (تسخير بعض المضامين الدينية للابقاء على الوضع كما هو) . أما ان الفكر السلفي كان فكرا نخبويا فهذا امر لا شك فيه وهو لا يخرج عن طبيعة الحركة الوطنية ككل ، التي كانت ، في الاصل حركة «طليعة برجوازية متنورة» قادرة موضوعيا على انجاز مهمات المرحلة (الى حد ما) وسوف نكون «حالمين اذا تصورنا انه كان بامكان «الطبقة العاملة والجماهير العريضة من الشعب» انجاز ذلك ، كان لينين يقول: قبل الاطاحة بالاستبداد والنير الاجنبي لم يكن ثمة مجال لنمو «نضال البروليتاريا» . ويقول محمد كشلي : «اما طبقة العمال فهي وان كانت هي الطبقة الاكثر تقدما فهي طبقة محدودة العدد ومبعثرة بفعل الظروف الاقتصادية والاجتماعية السائدة وهذا يحد من فعاليتها فى الثورة الوطنية» (واضع خطا تحت الثورة الوطنية). ان لينين نفسه كان ينظر الى الحزب البولشفي باعتباره «طليعة ثورية» (نخبة ومع ذلك فان احدا لا يعتقد ان سكان روسيا كانوا كلهم «شيوعيين شرفاء» اريد ان اقول : ان الحركة الوطنية اذا كانت «حركة نخبة» فان كل الحركات (وطنية او ثورية) انما كانت كذلك . وهذا شيء لا يبدو على تناقض مع السير الطبيعي للتاريخ والاشياء انني اتحدث موضوعيا ، ولا اهتم بتحليل الظاهرة في مجموعها ونتائجها .

٧) كانت السلفية تهدف ، نظريا ، الى «تحرير الفرد» على اسس (عقلية - دينية) وكانت الحركة الوطنية تحالفا طبقيا مقولتها الاساسية «الوطن» (الوطن التاريخي ووطن المستقبل) . هذا التحالف عند عبد القادر الشاوي ، كان يضم : الاقطاعية - البورجوازية البورجوازية الصغرى . مرة اخرى اريد ان اتحدث في موضوع الطبقة والحزب : قبل بلوغ الحركة الوطنية غايتها ، تبلورت في شكل «حزب» يحمل شعار المرحلة كلها (الاستقلال) . في البداية كان الحزب «يحتوي» ، مبدئيا ، كل الطبقات التي وجدت مصلحتها في انجاز الاستقلال الوطني (قبل «الاستقلال» كان هنالك ٨٠٪ من سكان المغرب بدويين ولم يكونوا مسيسين الا بصورة «عفوية») . فيما بعد بدا انه لا «يحتوي» سوى طبقتين : البورجوازية الوطنية ، والبورجوازية الصغيرة . هذه الطبقة الاخيرة لا يمكن اعتبارها - كلها - «بورجوازية» مائة بالمائة ، وكان ماركس يرد اصولها الى طوائف الفلاحين ذات الملكية العقارية المحدودة ، ولم يكن ينفي عنها نزعتها «التقدمية» سواء في اطار الحركة الوطنية او في اطار الحركة الديمقراطية . ولكنه ، ايضا ،لم يكن مستعدا لاخفاء عيوبها الذاتية . حزب الاستقلال اذن لم يكن (حزب - طبقة) وقد اكد ظهور الاتجاه العلماني البورجوازي الصغير بعد انشقاق ١٩٥٩ هذا بوضوح تشكل في (الاتحاد الوطني للقوات الشعبية) (الجناح اليساري للحركة الوطنية) الذي لم يكن ينفرد ، داخل الحركة ذاتها، باي تأييد فعلي نظرا لضعف سنده الطبقي ، في حين كانت البورجوازية الوطنية قد تمكنت من استيعاب «مغانم» الحركة كلها خصوصا بعد نجاحاتها الشكلية المتوالية (المطالبات) . ان فشل الحركة

الوطنية في ايجاد (حزب ثوري.. كاطار تنظيمي مرشد للجماهير وقائد الطبقة العاملة والجماهير العريضة من الشعب) كان ناتجا ، بعد ملاحظة تأثير التكوين الايديولوجي للحركة ، عن «سياسة العزلة» التي فرضتها الادارة الاستعمارية (اداريا وثقافيا) على مجموع البلاد والا فان البوجوازية (بشقيها) كانت مستعدة ، نظريا ، وحتى انجاز مهمات المرحلة ، على استيعاب «سديمي» لكل الطوائف الاخرى (مع تقديم بعض الوعود) : « ان اهتمامنا ينبغي الا يخص طبقة دون اخرى بل يجب ان يعمل على اصلاح شامل وتحسين كامل لحال الطبقات الاجتماعية بأسرها تحقيقا للتقارب بينها » وهذا لا يخرج عن الاطار الايديولوجي العام لكل حركات التحرر في مرحلتها الوطنية بالتحديد . ان الماركسية تعرف مواقف المفكر الهندي (روي) الذي كان يعتقد (دون استيعاب للظروف الموضوعية للنضال الوطني) ان الحركة القومية ليست شعبية والحركة الشعبية ليست قومية وان هناك من جهة الحركة القومية (البورجوازية) ومن جهة ثانية حركة الجماهير » ، « حركة العمال والفلاحين» . لقد وقف لينين بشدةضد هذا التحريف وأكد ، في كثير من المناسبات ، ان المصلحة القومية هي الهدف العام للنضال الوطني . اننا نفهم فهما رديئا الحركة الوطنية في مرحلة التحرر (وأكرر هذا التحديد دائما) ونخلط خلطا رديئا بين المراحل ، عندما نفترض انه كان مطلوبا منها ان تجند «الكادحين» (وكل هذه العموميات) من اجل «تحديث حزب ثوري» (كأنه كان هناك في الماضي مثل هذا الحزب) . اولا ، اين هي هذه «الطبقة العاملة» التي كانت مهيأة ، تنظيما ونظريا ، لخوض النضال الوطني ؟ وثانيا ، هل يعتقد الاخ الشاوي ان من مهمات البورجوازية الوطنية «تحديث» مثل هذا الحزب ؟

انني أسأل ، وانتظر الجواب .

٨) اكرر ، انني لا ادافع عن اراء السيد علال الفاسي ولا عن الحركة الوطنية (ان «حضورها» في التاريخ اصبح امرا واقعا) ولكنني حاولت فقط ان افسر الموضوعات السابقة من وجهة نظر الماركسية ـ اللينينية كما افهمها . وفوق ذلك ، فانني كنت اتمنى دائما ان افتح حوارا ماركسيا حول المسألة الوطنية المغربية ، اذ لاشك ان هذا الحوار اذا ما اتسع ، فانه سوف «يضع» نقاطا جديدة فوق «الحروف المهملة» .

ابراهيم الخطيب

المراجع :

(١) الماركسية والمسألة القومية الياس مرقص) ـ دار الطليعة

(٢) الماركسية والمسألة القومية (جورج طرابشي) ـ دار الآداب .

(٣) فصول من (عفوية النظرية في العمل الفدائي) الياس مرقص ـ دار الحقيقة .

(٤) الزنجية ـ جون افريك (حوار مع دانيال بوكمان اجراه جي هينيبل)

(٥) من اجل ثورة افريقية ـ فرانز فانون (ماسبيرو)

ملاحظات حول مقال الاخ الخطيب

عندما يؤكد الاخ الخطيب على «الدور التقدمي» النسبي للبورجوازية وينفي ضمنيا ضرورة الصـــراع الايديلولجي ضدها ، **وعندما يصرح ان البورجوازية هي «اقدر الطبقات على استيعابوتصعيد النضال ضـــد الاستعمار» متناسيا حتمية وواقع اجهاضها له كما تدل على ذلك عشرات التجارب** ، عندما **يطمس ضرورة قيادة البرولتاريا للتحالف الوطني الواسع في الثـــورة الديمقراطية ـ الوطنية وينفي الضرورة التاريخيـــة للاستقلال الايديولوجي والسياسي للبرولتاريا ضمـــن هذا التحالف ، مع العلم ان هذا التحالف العريض ذاته ليس قانونا مطلقا وضروريا في كل ثورة**)، عندما ينفـي مثل هذه المبدئيات الاساسية في الماركسية ـ اللينينية في زمن الامبريالية فانه لا يعود «يدخل في مشروعه» غير **ترتيـب مفاهيـم خاطئـة .**

المدلول العملي لترتيب الكلمات هذا هو طمـــس الطريق في انتظار قيام البورجوازية بدورها التقدمـي الذي اتضح عجزها عن القيام به وحدها بدون خط ثوري ومدثوري هي اعجز عن افرازهما بحكم واقعها المركنتيلي **المستفيد جزئيا من الاوضاع القائمة ، وبحكم خطهـــا البرلماني وبحكم مثاليتها** التي يحاول عبد القادر الشاوي نقدها بالذات .

ان الاخ الخطيب يستغل مواقف التحالف الواسع التي التزم بها الزعماء الماركسيون ليطمس جدلية هذه المواقف التي كان العنصر الاساسي فيها هـــو شـــن الصراع الايديولوجـي الدائـب ضـد افكـار وخـــط البورجوازية الوسطية وضمان قيادة الحزب الشيوعي الصيني او حزب العمل الفييتنامي للثورة الديمقراطيـة ـ الوطنية . (انظر الديمقراطية الجديدة لماوسي تونغ).

ولنبسط للاخ الخطيب حقيقة اساسية وهـي ان **المهمة التاريخية لماركس ولينين وماوتسي تونغ لم تكن الافراط في الدفاع عن «الدور التقدمي النسبـــي للبورجوازية «بقدر ما كانت اساسا المراجعة النقديـة الصارمة للتراث الوطني البورجوازي ذاته ونقد وفضح** الرأسمالية والامبريالية وبناء أحزاب البرولتـاريـا **وانجاز الثورة ووضع اسس الثقافة الجماهيريـة الثورية على انقاض الغيبية والسلوكية والفردية التي تشكل بعض خصائص الفكر البورجوازي بما فيـــه السلفيـــة .**

وعلى هذا الغرار فان ثلاثين عاما او يزيد مـن احتكار البورجوازية الوسطية لقيادة الحركة الوطنية عندنا نحو المازق او الاجهاض كافية لتجعل من قلب تربتها الايديولوجية بصرامة ومجادلة احتكارها القيادة (الرسمية على الاقل) لحركة الجماهير مهمات السياسة أولية لا يمكن تلبيدها بضباب الدور التقدمي النسبـي للبرجوازية الذي لا ينكره أحد .

حقا أن الجانب التقدمي من ثقافة الامة المضطهدة» أو في هذه الحال تقدمية السلفية في ظـل الاستبداد الاقطاعي والايديولوجية الخرافية والفكر المظلم امر لانزاع فيه . لكن هذا لا ينفى ضرورة ومهمة نقدهـــا كفكر مثالي ـ سلوكي ـ فردي مطروح تجاوزه ضمـن تجاوز القيادة المتذبذبة لحركة الجماهير .

لا شك أن الاخ الشاوي يبالغ في بعض تعابيره وافكاره ولا يعطي الحظ اللازم لمسألة وضع الفكر السلفي في الاطار التاريخي للحركة الوطنية » التي مثل ايديولوجيتها الى حدما • وهذا ما يجعله يستعمل عبارات مفرطة وخاطئة مثل « احزاب رجعية » و « لعبة بورجوازية » لكن الذي يهمه هو نقد الايديولوجية السلفية وخصائصها كفكر ومنهج سياسة معينة وذلك من منظار المادية الجدلية • ورغم أن البورجوازية الغربية وفكرها شديدا العقلانية فان التراث الماركسي حافل بمؤلفات مثل « ضد دوهرينغ » و «الايديولوجية الالمانية»و «الرأسمال» ذاته وكلها تتوجه بالنقد اللاذع للمثالية الغربية • ولا نعتقد أننا في الوطن العربي في غير حاجة الى نقد الفكر البورجوازي الذي يكيل لنا « السلفية » والاشتراكية العربية وغيرهما فضلا عن الفكر الخرافي •

نأخذ على الاخ الخطيب أنه لم يناقش الفكر السلفي كفكر من زاوية الماركسية وقفز الى البحث عن حجج سياسية تتعلق بدور البورجوازية في التحالف الوطني المعادي للامبريالية والرجعية ، وهو أمر أخطأ فيه كثيرا كما أوضحنا بايجاز •

وأخيرا نحيي الاخ الخطيب على هذه المبادرة « من أجل فتح نقاش ماركسي في الحركة الوطنية » ، وهو نقاش حيوي من شأنه أنيوفر مراجعة نقدية لايديولوجية الحركة الوطنية ويبرز بعضا من جوانب النضال البطولي للجماهير الشعبية ، ويوضح معالم طريق التحرر ، ولا شك أن مجلة « أنفاس » ستعمل على توسيع هذا النقاش •

علي الحمراوي

في ذكرى ٢٠ غشت لاندلاع المقاومــة :

تساؤلات وملاحظات بخصوص تاريــخ

النضال التحرري في المغرب

سعيد البربوشي

عندما تحل مناسبة من المناسبات ذات الارتباط بتاريخ الحركة النضالية في المغرب (كاندلاع المقاومة حرب التحرير الخطابية – وثيقة المطالبة بالاستقلال – استشهاد فرحات حشاد – اغتصاب فلسطين – الخ ..) يصبح التساؤل عن مدى قيام الحركة الوطنية بدراسة هذا التاريخ من خلال منظار تقدمي ، اكثر الحاحا .

ضرورة كتابة تاريــخ الحركــة

وغير خاف ان اهمية هذه المسألة : مسألة اعتناء الحركة الوطنية المغربية بتجربتها النضالية هي بالذات انما تنبع من تلك الروابط الصميمة التي تربطهــا بمتطلبات العمل النضالي الجوهري الذي الت على نفسها ان تضطلع به ، وباهداف هذا النضال ومراميه .

ان تاريخ الكفاح الوطني ، هو حصيلة ثمينة للعمل الجماهيري تراكمت عبر سنين طويلة في البذل والعطاء السخيين ، وليس من الجائز بالقطع ترك هذه الحصيلة للضياع ، وهو ايضا عامل لشحد العمل النضالي الجماهيري المتلاحق وتقويته ليحقق اهدافه الجديدة على اكمل صورة ممكنة .

اجل ان من مهام الحركة الوطنية المغربية ان تحرص على اغناء تجربتها النضالية بدون هوادة وان توثق الصلة ما امكن بين كفاح الجماهير في الوقت الراهن وبين كفاحها التاريخي وان تشد الاجيال المغربية الصاعدة شدا ايجابيا محكما الى تراث ابائها واجدادها النضالي .

وانه ليمكن القول بان برنامجا نضاليا تخطه حركة نضالية تحررية ما ، لا يتضمن في جانبها الايديولوجي اهتماما جديا وعلميا بالتاريخ النضالي للشعب الذي تنتمي اليه تلك الحركة ، وبتقاليده وبطولاته الكفاحية وبتضحياته وعطاءاته الوطنية لهو برنامج ناقص يحق الارتكاز عليه في اعتبار الحركة صاحبته حركة تامرة وغير مؤهلة لقيادة النضال الجوهري ما لم تتدارك الخطأ وتقوم بالتصحيح .

واذن فان مكانة التاريخ النضالي لشعب ما داخل برنامج حركة وطنية ، هو في المعايير الاساسية لمعرفة هذه الحركة والحكم عليها .

فهل والحالة هذه قامت الحركة الوطنية المغربية – وبالاصح الحركة الوطنية التقدمية المغربية بدراسة وتقييم ونقد ثرات الكفاح الوطني المغربي على نحو مماثل او مقارب لما نجده عند حركات تقدمية اخرى ؟

هل حرصت الحركة التقدمية المغربية على بقاء بطولات وتضحيات الجماهير عبر ظروف الكفاح حية امام الاجيال التي حالت حادثة السن دون معايشتها لتلك الظروف ؟ وهل عنيت الحركة التقدمية باثراء تجربتها الذاتية عن طريق استخلاص الدروس في التاريخ النضالي لجماهير الشعب ؟ وهل حفلت بشرط من شروط الحفاظ على الكيان الذاتي للشعب الذي تنتمي اليه ؟ وهل سعت الى افادة الحركات المماثلة بخبرتها مدروسة ومستخلصة من جماع تاريخ شعبها النضالي ؟

ضعف الجهود

ان مما يؤسف له ان كان للاسف محل ، ان لا يحظى النضال الجماهيري المغربي قديمه وحديثه «بأي» اعتناء من طرف الحركة التقدمية الوطنية المغربية .

صحيح ان السنوات القلائل الاخيرة قد عرفت بعض الدراسات والمقالات الخاصة بجانب من جوانب الكفاح التحريري في المغرب ولكن ينبغي الا ننسى ان هذه الاعمال لا تخرج عن اطار المحاولات والمبادرات الفردية، تستمد علاوة عن الرؤية الموضوعية ، الحقائق والمعلومات الضرورية ، ثم ان هذه الاعمال لم تمس الا بعض الجوانب من جوانب تاريخ الحركة الوطنية ، ولم يأت صدورها في اطار تصميم شامل يتعلق بدراسة تاريخ الحركة الوطنية ، وبوعي مسبق بالغرض من وراء انجاز هذا التاريخ حقيقة ان هذه الاعمال على قلتها وطابعها الفردي وعفويتها حتى قد ابادت بعض الافادة ، ولكن ليست هي الاعمال المطلوبة بالقطع .

ومن جهة ثانية ان عدم وجود الاعتناء اللازم بتاريخ الحركة الوطنية وتجاربها ، ساعد لا على ان يتعرض هذا التاريخ للنسيان والضياع ، بل وان يعاني من التحريف والتشويه والاختلاق المغرض .

ونتيجة لهذا اخذ «تاريخ نضالي» غريب من صنع «دجالين ومرتزقة يظهر ليحل محل تاريخ حقيقي، تاريخ تظافرت عوامل على ان ينزوي في الظل . وقد جاءت هذه العملية لتفصح عن تفطن خصوم الحركة التقدمية لفعالية ونجاعة الذاكرة النضالية» ، للجماهير وعن تقديرهم لاهمية هذه الذاكرة .

وينبغي ان يذكر هنا ان في الوقت الذي يظل فيه عدم الاهتمام الجدي الطابع المميز للحركة التقدمية في المغرب بخصوص تجربة النضال الشعبي ، تحظى هذه التجربة باهتمام خاص من طرف حركات ثورية بارزة ، «الصين ـ كوبا»

ماذا وراء الاهمال ؟

فهل من تفسير لهذا التصرف ؟ وكيف يفهم ان يبقى تاريخ النضال الجماهيري على هامش برنامج العمل اليومي للحركة التقدمية الوطنية المغربية ؟ ايعني هذا ان هذا التاريخ خلو من العطاء او ان عطاءه الممكن بالنسبة للحركة في المرحلة الحالية قليل ؟ ام يعني

ان الحركة الوطنية تفتقد ادوات وشروط القيام بمهمة الدراسة المطلوبة في هذا المجال؟ ام ان الامر يدل على ان الحركة التقدمية لا تعير كبير اهتمام على الجملة للمسائل المرتبطة بالجانب الايديولوجي ومن بينها تجربة النضال الوطني؟ ام ان تفسير الامر يكمن في تشابك الموضوع وتعقده ووجود ملابسات خاصة تجعل معالجته في الوقت الراهن على النحو المنشود ذات صعوبة خاصة ؟ ام تعليل ذلك راجع الى ان قيادة الحركة لا تتوفر على رؤية تاريخية شاملة ، حتى تنظر من خلالها الى كفاح الشعب التاريخي ؟ او ان برؤيتها نقصا لا ترغب في ان يفتضح ومن هنا تفضل مجانبة الموضوع ؟ في الواقع ان التيار المهيمن والمعبر رسميا عن الحركة التقدمية في المغرب لا يعير كبير اهتمام للنضال الايديولوجي عموما ، ويزداد هذا الاهتمام ضآلة وانكماشا لحد الانعدام كلما تعلق الامر بتاريخ الحركة الوطنية ، وخصوصا بالجزء الذي ساهمت فيه عناصر التيار المذكور وقادته .

ان التيار الرسمي للحركة التقدمية ما فتيء يأخذ في العمل النضالي بمبدأ العفوية ويذر كل نظرية ../.. تمكنه من الرؤية العلمية الشاملة الا النظرية التي تعطيه وتَبرر له اسلوب التجربة والخطأ في العمل ؛

وازاء التجربة النضالية للحركة الوطنية ، يلاحظ ان ذلك التيار يشعر ويتصرف كما لو ان الامر يتعلق بشيء بالغ التقديس وبالغ الحرمة «طوطم» او «تابو» ويجد القادة الرسميون للحركة انفسهم – عن حق – عاجزين عن عزل نظرتهم لكفاح الجماهير التاريخي عن نظرتهم للكفاح المعاصر ، ذلك لان الامر في جوهره يكون تجربة نضالية واحدة وما يدفع او يمنع بالنسبة للقديم ذو ارتباط صميمي بالجديد .

ان نقطة الضعف هذه موعاة في طرف عناصر غير قيادية في الحركة التقدمية المغربية ولطالما ودوا لو تأتي لهم التخلص منها ومجاوزة اثارها ؛ وكان من نتائج هذا نشوب مشاكل هي بدورها جزء مما ينبغي ان يدرس ويقيم .. وتجد تلك النقطة تفسيرها من غير شك في ظروف الحركة الوطنية التاريخية وفي الهوية الطبقية لقيادة هذه الحركة ، وفي الافكار الاديولوجية التي هدت عملها :

مراحل الحركة الوطنية

لقد كان الكفاح المسلح لمنع دخول الاستعمار بقيادة قسم من الاقطاع ، وكان هذا القسم يهتدي ويسترشد بالدين لمواجهة غزو النصارى الدخلاء ، وقد كانت وحدة وطنية نادرة هذه التي جمعت الاقطاع مع باقي القوى الاجتماعية الاخرى على خط نار ضد الاستعمار الذي اغتصب السيادة والارض والخيرات . ولم يستطع الاستعمار اجبار الحركة الوطنية على ان تتخلى عن كفاحها المسلح الا سنة ١٩٣٤. اي بعد مضي قرابة ربع قرن على الوجود الاستعماري . وقد كانت هذه المدة كافية لحدوث تغييرات في البنية الاجتماعية وفي العلاقات الاقتصادية، وهكذا تبلورت «طبقة وسطى» فبادرت بقيادة النضال الوطني انطلاقا من المدن ، وكانت هذه الطبقة تمتلكها المبادىء الدينية والافكار الليبرالية وتحاول ان توفق بينها ، ولان الطبقة العاملة كانت حديثة النشوء بحدوث الصناعة ، ولان الفكر العلمي الذي يعبر اصدق تعبير عن مصالحها ، كان هذه المدة يجتاز فترة حرجة من جراء الجمود لم تتمكن

«الطبقة الصاعدة من لعب دور فعال في هذه الفترة من الكفاح .

وظلت البورجوازية الوطنية تزاول قيادة النضال زهاء عشر سنوات قبل ان يحدث انقسام في صفوفها، انقسام مبعثه الاختلاف حول اسلوب العمل ووسائله . كانت الفئة العليا والوسطى من البورجوازية تلقى في الاسلوب السياسي وفي منابر المنظمات الدولية ، وعقد الندوات الصحفية واصدار البيانات والبلاغات ، وتقديم الوثائق والعرائض ما يكفي لانجاز هدف التحرير . في حين كانت الفئة الدنيا من البورجوازية ترى ان الاستعمار لا يمكن ان يخرج الا عن طريق الكفاح المسلح ولقد كانت سنوات ٤٨ ـ ٥٣ فترة صراع حاد بين الاتجاهيين المتعارضين، ربما كان من المقدر لهذا الصراع ان يدوم مدة طويلة لولا ان جاءت الاحداث لتحله فى صالح الاتجاه الثاني (اعتقال اللجنة التنفيذية لحزب الاستقلال ـ نفي محمد الخامس) وقد اتيح لذلك الصراع ان يستأنف من جديد بعد اعلان الاستقلال السياسي، وذلك لتناقض الموقف من مشاكل بناء الاسقلال وكيفية حلها. وتطور هذا الصراع هو الذي ادى في نهاية المطاف سنة ٥٩ الى ظهور حركة «الاتحاد الوطني للقوات الشعبية» بعد اعلان الانقسام في حزب الاستقلال .

لم يكن في وسع قيادة حركة المقاومة وجيش التحرير المنحدرة من وسط بورجوازي صغير والمحدودة التكوين ، تعي المشكل الاديولوجي ، عندما بدأت تقود الكفاح التحريري . لقد جاءت للعمل ، وكان «الكلام» و «النقاش» هما اول ما ينبغي رفضه . الا ان تطور الاحداث سرعان ما فتح اعين القيادة الشابة على ان ليس كل «الكلام» يجب ان يرفض . لكن اين هم اولئك المؤهلون نظريا وثقافيا لقيادة حركة النضال القائمة آنذاك على الصعيد الفكري والاديولوجي ؟ .

وينبغي ان يذكر هنا «للحقيقة والتاريخ» ان الحركة الوطنية المسلحة حينما شعرت باهمية الجانب الفكري في الكفاح اتصلت باحد العناصر المثقفة ، وهو عنصر قيادي في الحركة التقدمية اليوم، برغبة الالتحاق بصفوفها ليقوم بدور القيادة السياسية الفكرية ، لكن ذلك العضو رفض الاستجابة .

ومن جهة اخرى فقد كان الحزب الشيوعي بظروفه التاريخية ومواقفه الذاتية معزولا عن نضال الجماهير المخاض، وقد بينت الاحداث انه لم يكن التنظيم المؤهل تاريخيا حقيقة لقيادة كفاح الجماهير نحو انجاز اهدفها في التحرير رغم الفراغ الموجود انذاك .

ولم يتح للكفاح الوطني المسلح ان يطول . اذ اعلن عن الاستقلال ، فوجدت الحركة الوطنية نفسها امام مشاكل ومناورات استنفذت جهدها وشعرت قيادة الحركة حقا انها لم تكن مؤهلة لمواجهة هذا النوع من المشاكل والمناورات . وكانت النتيجة انها خسرت كثيرا من مواقعها منذ البداية ثم ما لبثت ان انتقلت الى الخط الثاني لكي تستأنف النضال .

ولم تعد قيادة الحركة الى نفسها والى تجربتها لتقوم بما يجب ان يقام به : الدراسة والتقييم واستخلاص الدروس وتعميمها . وكان منها آية على ان الاخطاء المدمرة لابد ستتوالى .

وقد يصح القول ان وقوع قيادة الحركة الوطنية في خطأ ترك تجربة ٥٥ ـ ٦٠ بلا نقد وتقييم وتمسكها بهذا الخطأ قد ركز اساس تصرف يميني بالغ الخطورة بقيت الحركة التقدمية اسيرة له فيما بعد . وهو مجانبة كل تجربة نضالية داخلية ، وتحاشى ممارسة النقد الذاتي

مهما تبلغ اهمية موجباته . ويكفي مثالا على هذا ان قرار استئناف الوحدة داخل الاتحاد الوطني الذي اعلن عنه في مثاب شهر غشت من سنة ٦٧ ـ لم يصحب باي شرح تقييمي ولم يترك فيه للمناضلين حق القيام بالنقد والنقد الذاتي . مما افقد هذا القرار محتواه الايجابي وابطل بعاليته النضالية في الاخير .

بعد كل هذا يمكن ان نستخلص :

ان بقاء تاريخ الحركة الوطنية في غير دراسة مظهر وعامل ، مظهر من مظاهر ضعف القيادة التي هيمنت على الحركة ، وعامل من عوامل اخطاء الحركة في ذات الوقت . ومبعث هذا الضعف ان القيادة لم تكن في مستوى المهام التاريخية التي فرضتها ظروف كفاح قاس ومعقد . وانها لم تدعم من قبل مثقفين ثوريين يمكنهم ان يضطلعوا في النضال في الواجهة الايديولوجية ويجعلوا من انفسهم معبرين عن نضال الجماهير التاريخي . لكن ينبغي ان يلح كذلك على ان كثيرا مما يقال في هذا الصدد هو كلام ما قبل الدراسة المطلوبة ان الدراسة الموضوعية المستندة الى التخطيط والقائمة على الوثائق هي التي من شأنها ان تبرز اهمية التجربة النضالية المغربية ، عموميتها وخصوصيتها ، وان توضح بما لا يبقى معه مجال للغموض : لماذا لم تعن الحركة الوطنية المغربية بدراسة تاريخ النضال التحريري في المغرب ؟

ادب

الشعـــر ســلاح لامــرئـــي

قراءة جديدة في شعر البيـــاتي

عبد العزيز شــرف ـ القاهرة

رغم ان علماء الاجتماع يقولون بان احتياجات الانسان تنحصر في : الطعام والنمو والمأوى والاشباع الجنسي الا ان الانسان يحتاج دائما الى الرغبة الملحة في تحقيق الذات من خلال الفن وقد تكون الحياة الطبيعية على حد تعبير «هوبز» : «حقيرة حيوانية قصيرة» ولكن الانسان كان يتميز دائما على الحيوان باضطراره الغريزي لان يخلق عملا فنيا جميلا من تجاربه يتمثل فيه ادراكه لاشكال أكثر منه نقاء .

ويحدد العالم النفساني «يونج» نظريته عن الظواهر النفسية بوجود ما اسماه «اللاوعي الجمعي» ويرى انه مستودع تتوارثه الاجيال يشتمل على صور مترابطة وزخارف لطيفة كثيرة تكمن لا شعوريا في نفس كل انسان ، وهو يؤمن بان هذا التراث المتوارث يفسر تردد هذه الصور نفسها مرة بعد مرة في الاحلام والاساطير والفن التخيلي. وترى اليزابيت(١) ان ايجاد برهان على وجود «اللاوعي الجمعي» قد يكون امرا بعيد الاحتمال ، ولكن الشيء المؤكد اننا يمكن ان نسمي الادب بحق : السجل المكتوب للوعي الجمعي الانساني . لقد قال د. هـ. لورنس :الانسان اعظم تقحم في مجال الشعور . ولدينا تراث يرجع تاريخه الى آلاف السنين يصور هذا الشعور النامي المتطور لدورنا على اوراق البردي والجلود مدقوقا خلال الخمسمائة سنة الاخيرة في صورة الكلمات المطبوعة .

وليس ثمة شك في ان تعريفات الشعر التي قدمت على مر العصور منذ كان : «الشعر هو القول الموزون المقفى الذي يدل على معنى (٢)» ، انما تبين مفهــــوم الشعر في كل عصر بل عند كل شاعر من شعراء ذلك العصر آ الا ان الذي لا شك فيه كذلك ان التعريفات التي قدمت للشعر كانت تغفل قيمة عناصر جوهرية بدونها لا يكون الشعر شعرا ، وان كانت تضع ايدينا على فارق اساسي بين الشعر وغيره من فنون القول من ناحية الشكل .

اليزابيت دورا : (الشعر كيف نفهمه ونتذوقه)

(٢) نقد الشعر : ص ٧.٢

وقد حاول شعراء العصر ان يضعوا ايديهم على ذلك «الشيء المفقود» في تعريف الشعر ، فنجد الاستاذ عباس محمود العقاد يقصد ان يحصر الشعر في تعريف محدود على اساس ان من اراد ان يحصر الشعر في تعريف محدود كمن يريد ان يحصر الحياة نفسها في تعريف محدود ، ذلك لان الشاعر ينبغي ان يتقيد بمطلب واحد يطوي فيه جميع المطالب وهو التعبير الجميل عن الشعور الصادق (٣)

ويتأثر الغربيون في تعريف الشعر بتعريف ارسطو للشاعر بانه «الخالق MAKER ذلك ان الكلمات التي يسمى بها الشعر في اللغات الاوربية الحديثة مأخوذة من الكلمات اليونانية القديمة POETICE, وهذه الكلمة الاخيرة بدورها مشتقة من الفعل اليوناني POIEIN ومعناها : يعمل او يصنع او يخلق ، وعلى هذا الاساس يجيء معنى الشعر الاشتقاقي: الخلق او الابداع، ومع ذلك نرى الفيلسوف الاول ارسطو طاليس يرجع الشعر والفنون الاخرى كافة الى ما يسميه بالمحاكاة : « اي محاكاة الطبيعة وواقع الحياة بشتى الوسائل التي تملكها الفنون المختلفة وهي في حالة الشعر الفنون والموسيقى .

ومن المحدثين من يرى ان الشعر : « نقد الحياة » والكشف عن القيم التي يراها الشاعر في هذه الحياة او في جزء منها يهتم به الشاعر . ويصف شيلر الشعر بانه «خير كلمات صنفت في خير نظام» ويذهب اليوت الى ان الشعر هو «الاحساس الذي يتذكره الشاعر في هدوء» : تعريف خاطيء لان الشعر ليس في الاحساس ولا في التذكر ولا في الهدوء .. انه عملية تجميع لخبرات مختلفة على الاطلاق .

من ذلك يتضح ان ثمة ثنائية توجد بالضرورة في اساس الابداع الشعري نفسه وفي اي تحليل يتصدى له . فللشاعر طبيعتان : انسانية وفنية ، والشعر عملية تختلط فيها الحياة باللغة ويتزاوج فيها المعنى والمبنى .

واذا كان الوجوديون قد اكدوا الا قيمة للشكل من حيث هو كشكل ، اذ ان الاسلوب وسيلة لا غاية ، فلا قيمة لجمال ليس له مضمون اجتماعي ملتزم. الا ان سارتر استثنى الشعر من الالتزام كما يستثني فنون النحت والرسم والموسيقى لان صورها الفنية غير صالحة للالتزام في ذاتها (٤) الا ان مايكوفسكي شاعر الثورة الروسية دعا الى اتجاه جديد في الواقعية الاشتراكية في اعقاب الحرب العالمية الاولى يرمي الى التزام الشاعر برسالة اجتماعية، وعنده ان الشاعر الغنائي ذو رسالة اجتماعية واقعية محددة . والشرط الاساسي لانتاج الشاعر هو «ظهور مسألة من مسائل المجتمع لا يتصور حلها الا بمساهمة الشعر . ان ذلك تحديد جديد لنوع التجارب في الشعر الغنائي – حسب قول مايكوفسكي – يجب ان تتجاوب التجارب في الشعر الغنائي مع الوعي الاجتماعي لجمهور الشاعر . وفي هذه التجربة لا يظهر الشاعر ذاتيا محصنا ، بل يكون وعيه مرآة للمجتمع وما يشغله من امور عامة. وقد طبق مايكوفسكي دعوته في الشعر الحر وثار فيه على تقاليد الاوزان القديمة

---

(٣) مقدمة «وحي الاربعين» ص ٦ وما بعدها

(٤) سارتر : ما الادب . الفصل الاول

وحوالي سنة ١٩٣٥ صدر صدى هذه الدعوة في فرنسا بين الشعراء الغنائيين الذين ذاقوا ذرعا بالقطيعة بينهم وبين جمهورهم . وقد ظهر اثر ذلك في الشعر العالمي الحديث في اختيار نوع خاص للتجارب وفي الموضوعية وفي التعبير عن الوجدان الاجتماعي اما عن طريق وصف الموقف وصفا موحيا أو في عنصر قصصي .

وعند عبد الوهاب البياتي نجد ثورته في الشعر العربي لا تجعل منه انعكاسا للواقع بل هو ابداع الواقع. ذلك ان الثورة فن او بالاحرى شعر (٥) » وهو في ذلك يلتقي مع الرسام التشيلي المعروف روبر كومتي في قوله:

«ليس الفن ترفا. انه حاجة. انه امنية ، امنية اللاموجود والوسيلة لتحقيق هذه الامنية . الثورة شعر والانسان الكامل شاعر . واقصد بالشعر المزيد من الواقع ، من النور ، من الشعور ، من الخيال ، خيال الشعب المبدع . الشعر سلاح لامرىء «حرب عصابات» داخلية في النفس على الاعراف والمصالح الذاتية المصطنعة والرياء في النقد الذاتي «حرب على الافكار الاتفاقية المتبذلة .. في سبيل الذكاء المبدع ».

الشعر عند عبد الوهاب البياتي اذن كما قال ذات يوم : نوع من العبادة يحميه من الضياع أو التعرج او السقوط. نوع من الطهارة ودفاع عن النفس ضد الموت العارية بدونه تصبح الحياة لا مبرر لها .

فاذا كانت الثورة هي عبور من خلال الموت ، فالانسان اذن يموت بقدر ما يولد ، ويولد بقدر ما يموت وعملية الابداع الفني ــ التي هي عبور من خلال الموت ــ هي ثورة بحدذاتها ، للاستئثار بالحياة ، وهي مرتبطة بالابداع التاريخي ــ على اننا كما يقول ريجي دوبريه في كتابه «ثورة في الثورة» :

«لايمكن لنا ابدا ان نكون معاصرين مائة بالمائة لزماننا الحاضر ، فالتاريخ يتقدم مقنعا : يدخل الى الفصل الجديد بقناع الفصل السابق ، فلا نعود نتعرف على شيء في المسرحية عند رفع كل ستار ، يجب اعادة ربط الخيوط ، وليس الخطأ في هذا خطأ التاريخ بل خطأ نظرتنا المشحونة بالتذكارات والصور التي التقطتها في الماضي . فنحن نرى الحاضر كطبعة ثانية للماضي حتى ولو كان هذا الحاضر ثورة ».

ذلك ان ــ كما يقول البياتي ــ الثوري والشاعر يخلقان (انسانا وشعر ــ المستقبل) لانهما عندما يبدعان الواقع ويعيدان خلقه لا يبدعانه او يعيدان خلقه ، أو يغيرانه ، لكي يقعا في شركه ، ويصبحا انعكاسا له في صورته الجديدة بل لكي يتخطياه ويتجاوزاه الى المستقبل .

في ديوان «سفر الفقر والثورة» نجد عند البياتي صورة عظيمة لمأساة البطل الملتزم وهي صورة ذات وجهين ، وجهها الاول يتمثل في «عذاب الحلاج» والوجه الاخر في «محنة ابي العلاء» .

في «عذاب الحلاج» يبدأ الجزء الاول من القصيدة «المريد» ليرينا البطل وقد كف عن مسيرته العادية متلهفا الى حياة من نوع اخر لم يتبينه بعد :

---

(٥) البياتي : تجربتي الشعرية ، ص ٥٩

«سقطت في العتمة والفراغ
شربت من آبارهم
تلطخت روحك بالاصباغ
اصابك الدوار
تلوثت يداك بالحبر وبالغبار »

ثم يقول الشاعر لبطله الحزين :

« وها انا اراك عاكفا على رماد هذي النار
صمتك : بيت العنكبوت ، تاجك : الصبار
ياناحرا ناقته للجار
طرقت بابي بعد ان نام المغني
بعد ان تحطم القيثار
من اين لي؟ وانت في الحضرة تستجلي
واين انتهى ؟ وانت في بداية انتهاء ..»

وما تلبث الرؤيا الواقعية ان تمتزج بالوجدان الصوفي في «رحلة حول الكلمات» :

« ما اوحش الليل اذا انطفأ ما المصباح
وأكلت خبز الجياع الكادحيين زمر الذئاب
وصائدو الذئاب
وخربت حديقة الصباح
السحب السوداء والامطار والرياح
اوحش الخريف فوق هذه الهضاب
وهو يدب في عروقي شجر الزقوم ،
في خمائل الضباب
يامسكري بحبه
محيري في قربه
يامغلق الابواب
الفقراء منحوني هذه الاسمال
وهذه الاقوال
فمد لي يدك عبر سنوات الموت والحصار
والصمت والبحث عن الجذور والابار »..

وفي المحاكمة تصبح الثورة شعرا ، ذلك ان الانسان الثوري هنا يقف بتحد وشموخ امام قدره :

«.. بحت بكلمتين للسلطان
قلت له جبان
قلت لكلب الصيد كلمتين
ونمت ليلتين
حلمت فيهما انني لم اعد لفظين
توحدت
تعانقت
وباركت ــ انت انا ..»

وهو يتحدى قدره في المنفى والملكوت ، وهو يعلم انه محكوم عليه بالموت قبل الف عام :

«.. وها انا انام
منتظرا فجر خلاصي ، ساعة الاعدام »

وفي «رماد في الريح» يصور البياتي انتصار الحلاج على قدره عندما يقول :

« عشر ليال وانا اكابد اهوال

وأعتلي صهوة هذا الالم القتال
اوصال جسمي قطعوعهـا
أحـرقـوها
نثروا رمادها في الريح »..

الى ان يقول في الختام :

« أوصال جسمي اصبحت سماد
في غابـة الرمـاد
ستكبـر الغابة ، يامعانقي
وعاشقـي
ستكبر الاشجـار
سنلتقي بعد غد في هيكل الانوار
فالزيت في المصباح لم يجف ، والموعد لن يفوت
والجرح لن يبرأ والبذرة لن تموت ».
ستكبـر الاشجـار

ومن خلال هذه القصيدة يلخص لنا البياتي مفهومه للشعر وكيف ان الثورة « عبور من خلال الموت » فالانسان يموت بقدر ما يولد ويولد بقدر ما يموت ، فعملية الابداع الفني التي هي عبور من خلال الموت «هي ثورة بحد ذاتها للاستئثار بالحياة وهي مرتبطة بالابداع التاريخي» وذلك ايضا ما يؤكده الوجه الثاني من الصورة في محنة «ابي العلاء» يقول البياتي:

«.. لمن تغني هذه الجنادب ؟
لمن تضيء هذه الكواكب ؟
لمن تدق هذه الاجراس ؟
واين يمضي النـاس
هذا بلا امس وهذا غده قيثارة خرساء
داعبها ، فانقطعت اوتارها ولاذ بالصهباء
وذا بلا وجه ، بلا مدينة، وذا بلا قناع
أشعل في الهشيم نارا وانتهى الصراع
وذا بلا شـراع
ابحر حول بيته وعـاد
حياتـه رمـاد ..»

وهكذا يبتعد البياتي بالشعر العربي عند حدود الغنائية والرومانسية ، التي تردى فيها ، كما اكد قدراته التصويرية في «عذاب الحلاج» و «محنة ابي العلاء»وهو الامر الذي يختلف في «موت المتنبي» التي عولجت باسلوب قصصي كما سنرى ، فالحلاج قناع يتحدث من خلاله الشاعر بنفسه ، وهو الصوفي الذي أصبح معلما للفقراء ، وفي هذه العبارة يمكن «مفتاح» القناع الذي اتخذه الشاعر ليعبر عن مأساته هو ليصبح البياتي – الحلاج صلب من الف سنة ، (٦) بعد ان ضرب بالسياط وقطعت يداه ورجلاه وصلب وفصل رأسه ثم احرقت اشلاؤه بالنار والقيت بعد ذلك في مياه دجلة.

واختيار البياتي لابي العلاء ومحنته اختيار شاعر متمرد يتخذ من الكلمة سلاحا لامرئيا في تمرده وثورته ومن هنا يتأكد لدينا ان محنة ابي العلاء كانت قناعا لتصوير محنة الشاعر الثوري . يقول البياتي :

---

(٦) في سنة ٣٠٩ هـ

«.. كأن زمانا داعرا ياسيدي، كان بلا ضفاف
الشعراء غرقوا فيه ، وما كانوا سوى ضراف
وكنت انت بينهم عــراف
وكنت في مأدبــة اللئام
شاهد عصر ساده الظلام

قافية الهمزة كانت بغلة عرجاء
يركبها الامير كل ليلة ليلاء
كل القوافي اصبحت ياسيدتي كالبغلة
العرجـــاء
كان زمانا داعرا ، كان بلا حيــاء »

وبعد ان يبحث عن سحابة خضراء تمسح كآبتــه فتحمله الى برارى وطنه والى حقول السوسن ، وتمنحه فراشة ونجمة يبل بها ظمأه .. يقول:

لم يبق الا الموت في الاطلال والهياكل
لم يبق الا الشعر في ذاكرة الاحقاب
وبعد الف سنة ستنضج الاعناب

وتمــلا الاكــواب
ويبعــث المغــنــي
فآه ثم آه ياصبابتي وحزنــي »

ثم يخاطب الكلمات في «قمر المعــرة» :

« فاستيقظي ياصخرة في الصور، يارمحا
بلاسنان
ياكلمات خضبت بالدم ، ياناراً بلا دخان
ولتسكتي ضفادع السلطان

والجيف الموشومــة
بالناب والجرائد القديمة
ولتضيء البروق ».

وفي ختام القصيدة يقول لنا الشاعر :

«.. اذا اردتــم ، سادتي ، اقــول
ما قاله الشاعر للسلطــان
عبر عصور القهر والهوان
فنحن بركان بلا دخان
وثورة ليس لها اوان
اذا اردتم سادتي ، فلتسكتوا الشاعر

ولتحطموا القيثار ولتوقفوا الانهار
فعصركم مضى الى الابد
ولم تعودوا غير اشباح بلا قبور
والارض ، رغم حقدكم ، تدور
والنور غطى نصفها المهجور »

وقد عبر عن هذه الحقيقة الثائر ارنسطو جيفارا حينما قال (نحن نصنع انسان القرن الواحــد والعشرين) بل انسان كل العصور، كما يقول البياتي . على ان مهمة الشاعر والثوري عند البياتي لا يمكن ان تتحقق بابداع واعادة وخلق الواقع وتغييره من خــلال الحاضر فقط، بل لابد لها ان يمتاط ابار الماضي، ويكشف

كهوفه السحرية التي خيم عليها الصمت ، لاضاءتـــه واكتشاف الدلالات المتجددة فيه ، فمهمتها والحالة هذه هي ليست عودة الى الماضي او كما قال الشاعر ذلك في قصيدة «الى البير كامى» :

«.. النهر للمنبع لا يعـود النهر في غربته يكتسح السدود ».

وقد ادى هذا المفهوم الى ايجاد اسلوب شعري جديد يعتبره البياتي كمحاولة للتوفيق بين ما يمـوت وما لا يموت ، بين المتناهي واللامتناهي ، بين الحاضر وتجاوز الحاضر من خلال معاناة طويلة في البحث عن الاقنعة الفنية (٧) ولقد وجدها في التاريخ والرمـــز والاسطورة ، وكان اختيار بعض شخصيات التاريـخ والاسطورة والموت والانهار وبعض كتب التراث للتعبير من خلال قناع عن المحنة الاجتماعية والكونية مـــن اصعب الامور (٨) .

والقناع هو الاسم الذي يتحدث من خلاله الشاعر نفسه ، متجردا من ذاتيته اي ان الشاعر يعمد الـــى خلق وجود مستقل عن ذاته ، وبذلك يبتعـــد عن حدود الغنائية والرومانسية التي تردى اكثر الشعر العربـي فيها . فالانفعالات الاولى لم تعد شكل القصيـــــدة ومضمونها بل هي الوسيلة الى الخلق الفني المستقل . ان القصيدة في مثل هذه الحالة عالم مستقل عن الشاعر وان كان هو خالقها ـ لا تحمل آثار التشويهـــات والصرخات والامراض النفسية التي يحفل بها الشعر الذاتي الغنائي .

ويوضح البياتي طريقة اختياره فيؤكد على : البحث عن السمات الدالة في الشخصية او الاسطورة ، والربط الموفق بينها وبين ما يريد ان يعبر عنه الشاعر مـــن افكار ، ويراعي في ذلك ايضا «الحداثة» و «السمـــة المتجددة» التي تحملـهـا الشخصـيــة التاريخـيـة والاسطورية، فبعض الشخصيات التاريخية والاسطورية لا تصلح موضوعا معاصرا على الاطلاق ، وذلك لانعدام السمة الدالة فيها ومن هنا تنشأ الصعوبة . لذلك لابد للشاعر من قراءة عميقة للتراث من خلال رؤيا علمـــية فلسفية شاملة . ومن خلال هذه الرؤيا الشاملة يتكون مفهوم الشاعر او المفكر عن «البطل» ، وهذه الرؤيـــا الشاملة تختلف من شاعر لاخر وبين مفكـر وآخـر ، فالبطل عند «كارليل» مثلا كما هو عند «هيجل» (٩) صدى للضرورة، فكارليل يقول :

ان الحكمة ليسـت بان يرضخ الانسان لحكـــم الضرورة ، ذلك ان الضرورة سوف تحمله علـى ذلـك ، ولكن الحكمة هي في ان يدرك الانسان ومن ثم يؤمـن بأن ما تأتي به الضرورة وان كان عابسا ظالما انمـــا هو الافضل والاعمق حكمة ودلالة ، بل هو بالذات مـــا ينبغي ان يرجى ويتاق اليه (١٠)

أما البطل عند ماركس فانه يسير في مسار هيجل، ولكنه يبتعد بالضرورة عن الصورة المثالية الهيجلية ، ويرتبط بمفهوم الصراع الطبقي ، وهو بهذا المعنى من صنع الناس البسطاء وبقدر ما يكون تمثل البطل ووعيه،

(٨) (٧) تجربتي الشعرية . البياتي

9- The Philosophy of History. Hegel
10 Ou heroes - Hero - Waship and

ومتطلبات الضرورة تكون قدرته ، وطاقته في قيادة حركة التطور وتوجيهها بحيث بدونها لا تتم عملية التحول او الثورة ، وعند سارتر وكامي ، تجد ان البطل يصعب عليه القبول بين المعرفة اللامعقولة ، وبين حاجته الى التبري ، ذلك ان البطل يرتد الى العقيدة : الى الماهية الداخلية ، الى قيمة الانظمة القائمة : الى الانساني او الالاهي . مع المعنى بشكل اضافي ، او ان البطل يستطيع ان يتخذ افعاله وحياته للمعرفة الكاملة اللامعقولة ، ويقبل المسؤولية المتصارعة لاعطاء الوجود معنى ما ، ذلك المعنى الذي يأتي من نفسه ، ومن نفسه فقط .

ان ابطال سارتر وكامي يحبون الحياة ، كما انهم لا يملكون أدنى رغبة في الموت على انهم يفضلون الموت على السقوط ، انهم الابطال الذين يسقطون من مكانة عالية سوداء سواء كانوا اباطرة ام طغاة ، انهم يخضعوف او يعذبون عذابا اخلاقيا اوطبيعيا. وان المصيبة دائما مصحوبة بالمعرفة التي تجعلهم متعالين عما يعترضهم هذا التغير اكثر من تميز الانسان على اساس انه قيمة واحدة وقيمة فقط .

وباختصار فان سارتر وكامي قد وضعا ابطالهما في تجربة العدم ووعي الوجود بدون امل وبدون وهم من اجل اعادة تكامل الحياة ، فنحن نجد «شيريا» في «كاليجولا» .. يعيش داخل الحقيقة بدون امل وبدون وهم غير نظام الانسانية المتصل في ذلك العالم الذي تبدو فيه حقائق الطبيعة والبشرية «معاشة وليست مسيطرة» (١١)

ويلاحظ ان كامي يكثر من استخدام كلمة التاريخ، في سياق كتابه الكبير «المتمرد»ولكنه وان كان لا يرفض التاريخ ولا ينكره فهو على الاقل لا يعفيه من الاتهام :فهو عنده حامل الثورة التاريخية التي تنكرت للتمرد الاصيل حادت عن محجته

والبطل النموذجي عند البياتي يتخطى بنقائه وسموه وثوريته ابطال سارتر ومالرو والبير كامي. انه يسقط في الساحة شهيدا كما حدث مجسدا في موت الثائر العظيم جيفارا ، الذي يعتبره البياتي : الرمز والامل الوحيد الباقي لكادحي ومثقفي العالم المظطهدين (١٢). والذي يعتبره اول نموذج في جيلنا تخطى اسوار الحاضر المتعفن واسوار الامبريالية العالمية التي تقودها الولايات المتحدة الامريكية (١٣). والبطل عند البياتي اذن فنان ثوري وهو تجسيد لارادة الكائنات المتناهية المكبوتة المضطهدة وامتداد لها على مدى التاريخ عبر لحظات التجدد :

(١١) « عبد الغفار مكاوي : البير كامي » .
(١٢) (١٣) تجربتي الشعرية . البياتي

« يحوم حول سوره عريان
فاكهة محـرمـة
ومدن بلا ربيع مظلمة
مفتوحـة مستسلمـة
تحيا على الفتـات
مات المغني ، ماتت الغابات
والعندليب مـات »..

ويقف البياتي امام جيفارا البطل الذي تخـطى بنقائه وسموه وثوريته ابطال سارتر ومالرو وكامي ، الذي سقط في الساحة شهيدا :

«.. لا تجري يافرات حتى اكمل النشيد :
كقدر الاغريق
كالموت كالطاعون كالحريق
محتومة تظهر في السماء
علامة الثورة فوق السم والشرور
فهي عبور من خلال المـوت
وصيحة عبر جدار الصوت
خطيئة لابد ان تغفر ، ان تعمد الدماء
مسارهـا المحتـوم
تناطح المجهول والمعلوم
وانكسرت صخرة هذا الجبل المشؤوم
عدالة المسيح في التاريخ لن تقوم
موعدها القيامـة
ايتها العلامة
ياقدر التاريخ والمصير الموجود
الموت في الزمان
فـي داخـل الانسـان
يأتي لبعث الجنة المفقودة
في هذه الحياة ...»

وهنا يصل البياتي الى ان الطبيعة (١٤) بالرغم من تآكلها وميكانيكية قوانينها تتفوق على الكائـن المتناهـي ، وانهـا تستطيـع ان تسحقـه وتعيـده الى صدرها ترابا وعظاما نخرة ، ولكـن الكائـن المتناهي بالرغم من كل هدا ، هو الذي يحول احـلام الفنانين والثوريين والفلاسفة الى عمل وواقع اي الى فعـل ، وفي ذلـك سر عظمته . والبياتي يجسـد لنا هذا المعنى فى «خيط الثورة (١٥)» حيث يجمع بين مصارع الثيران الذي يواجه الموت ضاحكا من اعماقه منتظـرا وحيدا ، وبين الذي يبيع في مطار روما «علب الكبريت، وصحف الصباح ، والانهار» بين الذي يعلم الصغـار في الهند «يعلو وجهه اصفرار» وبين الذي يعدم رميـا بالرصاص «عاريا يولد او يموت» .

---

(١٤) تجربتي الشعرية . ص ٤٢
(١٥) من ديوان «الذي تأتي ولا يأتي»

«.. يزرع في الجليد
بنفسجات حبه الجديد
يزور في اعياده الموتى، يغني الموت في الميلاد
يحمل في ضلوعه بغداد
يمد نحو الوطن البعيد قوس قزح السماء
يجهش في البكاء
يضاجع النساء
يكتب فوق حائط السجن، وفوق جبهة المدينه
اشعاره الحزينه

مناضلا يموت في مدريد
مضرجا بدمه وحيد
تحت قرون الثور أو في ساحة الاعدام
الدم في كل مكان ساخنا يسيل
مرويا هامة هذا الجبل الثقيل
رأيته يمتد من جيل الى جيل كخيط النور
في عالم الفوضى وفي تزاحم الاضداد
والعصور»

ولكن الطبيعة التي تنهي دورة حياة الكائن المتناهي تقف صاغرة منهوكة القوى امام الفنان والثوري ، لما يحملانه من الخصائص المركبة للكائن المتناهي واللامتناهي . فالفن والثورة عند البياتي انتصار على الطبيعة والحياة واستئثار بهما .

وفي الديوان الثاني للبياتي «اباريق مهشمة» نجد صورتين للبطل ، الاولى : صورة الجواب ، الذي لا يرضى بشيء والثانية صورة بروميثيوس الثائر الذي يبكي ثورته وتضحياته ، ويختلط – كما يرى الدكتور احسان عباس – بشخصية «سيزيف» رمز الجهد الانساني الضائع . فثمة ضياع اذن وتطلع وثورة ويأس وامل وشوق وحنين تؤلف عناصر الصورة التي يرسمها الشاعر للمنقذ او البطل الذي يحلم به :

«.. بالامس كان لنا على القدر انتصار
كان انتصار
واليوم نخجل ان يرانا الليل في ظل الجدار
هذي القفار ، بلا قرار
الليل في اودائها الجرداء ، يفترس النهار
نبقى هنا .. باللدمار!
عبثا نحاول – ايها الموتى – الفرار
من مخلب الوحش العنيد
من وحشة المنفى البعيد

الصخرة الصماء، للوادي، يدحرجها العبيد
«سيزيف» يبعث من جديد ،من جديد
في صورة المنفى الرشيد
– ماذا تريد ؟
«الورد لا ينمو مع الدم والحديد»
طلل وبيد
تقضى بقية عمرك المنكود فيها تستعيد
حلما لماض لن يعود ! »

وفي اباريق مهشمة ايضا يتفحص البطل شخصية «الجواب» و «المتمرد» و «الثوري اللامنتمي» ، في قصيدة «مسافر بلا حقائب» نلمح شخصية «الجواب» تعبر عن المحنة الاجتماعية والكونية ، فالجواب ياتي

من لامكان ، لا وجـه ، لا تاريخ له ، من لا مكان» :

« لا وجه ، لا تاريخ .. اسمعها تنادي :
«تعال !»

عبـر التـلال
مستنقع التاريخ يعبره الرجال
عـدد الرمـال
والارض مازالت وما زال الرجال
يلهو بهم عبث الظلال
مستنقع التاريخ والارض الحزينة والرجال
عبـر التـلال ..»

والجواب ، متثائب ، ضجر ، حزين ، تموت النفس في داخله بلا رجاء ، يصدمه الضوء وضوضاء المدينة من بعيـد :

«.. واسير لا اولي على شيء، والاف السنين
لا شيء ينتظر المسافر غير حاضره الحزين
ـ وحـل وطيـن ـ
وعيون آلاف الجنادب ، والسنين
وتلوح اسوار المدينة ، اي نفع ارتجيه ؟
من عالم ما زال والامس الكريـه
يحيا وليس يقـول : «ايـه»

ولكن شخصية «الجواب» في هذا الديوان مـا تلبث ان تصل الى مرحلة التمرد ، فيصبح البطل عنـد البياتي «متمردا» نلمح ذلك في «عشاق في المنفى» :

« ـ وأنا ..
ـ وانت ؟
ـ انا وحيـد !
كقطرة المطر العقيم ، انا وحيد !
ـ .وهؤلاء ؟
ـ مثلي ومثلك يحفرون قبورهم عبر الجدار
مثلي ومثلك مقبلون على انتظار
من لا يعـود
وانا وانت وهؤلاء
كالعنزة الجرباء افردها القطيع..»

وما تلبث شخصية البطل ان تنتقل من شخصيـة «الثوري اللامنتمي» في هذا الديوان الى شخصيـة «الثوري المنتمـي» فـي «المجـد للاطفـال والزيتـون» و «اشعار في المنفى» و «عشرون قصيدة من برليـن» و «كلمات لا تموت ، وفي هذه الدواوين نجد البطل يتجرع العذاب والسجن والموت ، فهو لم يعد ذلك «الجـواب» البائس الذي كان في «ملائكة وشياطيـن» و «اباريـق مهشمة» ولكنه يتحول الى انسان من لحم ودم نعـرف لون عينيه والاسباب التي من اجلها حرم الحياة .. انه مناضل يأبى ان يذعن ويركع وهو يتحدى القدر والاستعمار ويذوق الموت في مقابر الاحياء . في السجون وفـي المعتقلات التي فتحها الحكام الطغاة في البلاد العربية لخنق كل ارادة :

« أنا هنا ، وحدي ، على الصليب
ياكل لحمي ، قاطعوا الطريق والمسوخ، الضباع
ياصانـع اللهيـب
يـاشعـبي الحبيـب
أنا هنا ، وحدى ، على الصليب
يسطو على بستاني الصغار

ويـرجم الكبـار
ظلي الذي يبسط كفيه الى النجوم
ليمسـح الهمـوم
عن وجـهك الحزين
يـاشعبـي السجيـن
يـارافع الجبـين ...»

و «الثوري المنتمي» الذي يتجرع العذاب فـي مسيرة نضاله يتمتع بتفاؤل عظيم يدفع المسيرة الـى تحقيق الثورة ، فهو يقول «لاخـوانه الشعراء» :

« يا اخـواني : الحيـاة
أغنية جميلة ، واجمل الاشياء :
ما هو آت ، ما وراء الليل من ضياء
ومن مسرات ومن هنـاء
واجمـل الغـناء :
ما كان من قلوبكم ، ينبع من اعماق

شعوبنا الراسخة الاعـراق
وارضنا الطيبـة الخضـراء
فلتلعنـوا الظلام
وصانعـي المأساة والآلام ،
ولتمسحـوا الدمـوع
وتوقـدوا الشمـوع ».

و «الثوري المنتمي» يموت «في الظهيـرة» تماما كما حدث مع العربي بن مهيدي الزعيم الوطني الجزائري الذي قتله البرابرة الفرنسيون في زنزانته في السجن :

«.. كان في نافذة السجن مع العصفور يحلم
كان مثلي يتـألم
كان سرا مغلقا لا يتكلـم
كان يعلـم

انه لابد هالك
وستبقى بعده الشمس هنالك
في ليالي بعثها ، شمس الجزائر
تلد الثائر في اعقاب ثائر »

والثوري المنتمي ، لايشعر بالذلة امام جلاديـه ، رغم شتى ضروب التعذيب ، وهو لا يبدو محطما امـام المآسي انه يبدو اقوى من جلاديه :

ذاك الرفيق الاسود العينين سـاهد
نـزعوا اظافره
وظل طوال ليل الليل صامد

ضربوه حتى الموت
لـم ينبـس
وظل طوال ليل الليل صامد »

والثوري المنتمي يقهر الموت لفرط ايمانه بالـحيـاة ، وبعدالة الثورة لاسعاد العاملين :

« جلادك المسكين يضحك في غباء
قالوا له : عـــذبه
حتى تصبغ الارض الدماء
قالوا لــه :.. مـاذا ؟
وفي عينيك عصف الكبرياء
يـاأسود العينيـن
ياحبـي المخـضب بالدماء »

والثوري المنتمي مع ذلك لا يسلم ، ويصر على المـــوت واقفـــا :

«.. لكنك الانســـان ،
والانســـان قاهـر
يـاأسـود العينين
يـاحبـي المغـامر
ستعيش في قلبـي
وفي شعري الى ابد الادهـار
ستعيـش جبارا مغامر »

وفي دواوين «النار والكلمات» و «سفر الفقر والثورة» و «الذي يأتي ولا يأتي» و «الموتفي الحياة» نجد ان البطل عند البياتي قد اصبح يتمثل في شخصية «الثوري في الثورة المستمرة» :

« الموت في الحيـاة
نوم بلا بعث ولا رقـاد
فلتنفخي ايتها الساحرة ، الرماد
لـعــل شـهـرزاد
تمد من ضريحها يدا الى النبى والشاعر في
الميلاد
لعـل نار ارم العمـاد
تلمع في صحراء هذى المدن المطلية الجدران
بالسواد
لعـــل سندبـاد
يشعل في صيحته جزائر الهند وأرخبيـل
بحر الروم
يحمل في مركبه للامم المغلوبة البشاره
وعشبـه وناره
الى الذين دفنوا احياء في المغارة
وقاتلوا مع الملايين التي تئن في اغلالها ،
ووقعوا في الاسر
واعدموا في الفجر
وهم يغنون اغاني النصر »

ان البياتي خلال رحلته الشعرية الطويلة منـــذديوانه الاول حتى ديوانه الاخير كان يبحث عن البطل الاسطوري ـ التاريخي الذي يحول القش والطيـــن المقدس بحركة من يده الى لهب .. الى ثورة .. ، بل انه يحلم وهو يبحث ، ان يتحول «هذا الزحام الهائل نفسه الى هذا البطل الاسطوري التاريخي (١٦ » ، هـــذا

---

(١٦) تجربتي الشعريـة . ص ٤٥

البحث عن البطل الاسطوري هو الذي قاده اذن الى ايجاد الاسلوب الشعري الجديد الذي عبر به للتوفيق بين ما يموت وما لا يموت ـ كما سبقت الاشارة ـ بين المتناهي واللامتناهي ، بين الحاضر وتجاوز الحاضر وهي طريقة الاقنعة الفنية التي وجدها في التاريخ والرمز والاسطورة من خلال رؤيا علمية فلسفية شاملة.

ومن هنا فان اختيار الشاعر لشخصية الحلاج والعربي والخيام وديك الجن وطرفة بن العبد وابي فراس الحمداني والمتنبي والاسكندر المقدوني اوجيفارا وهملت وبيكاسو وهمنجواى ومالك حداد وجوار سليم والبيركامي وناظم حكمت وعبد الله كوران وعائشة وارم ذات العماد ووضاح اليمن ومحي الدين بن عربي وكتاب الف ليلة وليلة وبابل والفرات ودمشق ونيسابور ومدريد وغرناطة وقرطبة وتهامة وغيرها ، كان اختيار هذه الشخصيات من جانب الشاعر لتقديم «البطل النموذجي» في عصرنا هذا وفي كل العصور في (موقفه النهائي وهو يستبطن مشاعر هذه الشخصيات النموذجية في اعمق حالات وجودها ، لعبر عن المحنة الاجتماعية والكونية التي واجهها هؤلاء .

فقد رأينا من قبل كيف كانت شخصية الحلاج عند البياتي الى جانب كونها شخصية المناضل الجريء الذي يصفع وجه السلطان بأفكاره ، وشخصية الانسان الذي يستطيع ان يحل في رواح الجماهير فيحرك فيها كل ما تنطوي عليه من نوازع التمرد والثورة ، والبياتي بذلك يريد ان يذهب الى ان الفنان الثوري هو خالق الثورة وصانعها بينما السياسي المحترف لصها وقاتلها وهو الامر الذي تصوره بوضوح قصيدة «تسع رباعيات» في ديوان «الذي يأتي ولا يأتي» . فهنا نرى بتحديد كيف ان السايسي المحترف هو الوجه الوجه الاخر للثوري المرتد :

« باع المسيح دمه للملك الحمار
وانهزم الثوار
وغرق العالم بالاوحال
وسقطت اقنعة المهرجين في وحول العار

الساسة المحترفون ينجرون خشب الثابوت
وأنت في الغربة لا تحيا ولا تموت
منتظرا محروب
تطمرك الثلوج والنجوم والياقوت »

واختيار البياتي لشخصية الخيام كواحد من الذين دافعوا بنبل عن الحرية في تاريخ البشرية ، يرجع الى ان هذه الشخصية تتميز بخصاءص ثورية معينة، تشترك في معظمها مع شخصية ابي العلاء ومع شخصية الحلاج في الكثير منها كذلك، بجمعهم جميعا انهم عاشوا ابطالا مغتربين في عصرهم وفي صراعهم كذلك مع السلطة الزمنية :

«ولدت في جحيم نيسابرو
قتلت نفسي مرتين ، ضاع مني الخيط
والعصفور
بثمن الخبز، اشتريت زنبقا ،
بثمن الدواء

صنعت تاجا منه للمدينة الفاضلة البعيدة
لامنا الارض التي تولد كل لحظة جديدة
نمت على الارصفة الغبراء
اصطدت الفراشات وقعت في شراك النور
وسحب الخريف والغابات والزهور ».

وما تلبث السلطة الزمنية والساسة المحترفون، لصوص الثورة وقاتلوها ان يجعلوا الثوري يبحث عن شعاع ضوء لانهم جعلوا «الليل في كل مكان» يصـور البياتي ذلك كله من خلال مأساة الخيام :

«.. الليل في كل مكان ، وانا انتظر الاشارة
ـ وددت لو اغرقت هذا المركـب المـلـيء
بالجردان
وهذه المدينة الموسة الشمطاء
لو علق الشاعر هذا الببغاء الاعـــور
السكران
من ذيله ، بالكلمات ، والدمى الصلعاء
ـ الساسة المحترفون ورجال المال والملوك
سادة هذا العالم المنهوك
وانت سيد بلا مملوك
عليك مكتوب ، بان تحوم حول السور
تلتقط الفتات والقشور
تجوب هذا العالم ـ الماخور
منسحقا مقرور..»

اما قصيدة «موت المتنبي» في «النار والكلمات» فهي ـ كما يقول البياتي في تجربته الشعرية ـ قصيدة يغلب عليها الاسلوب القصصي لانه لم يبين فيها قنـاع المتنبي ، ولكنه صور فيها قصة حياته الفاجعة ، بطريقة درامية وتأثرية ، اي انه لم يتبن فيها مواقف المتنبـي كما فعل مع الحلاج والمعري والخيام ، ولم يتكلم من خلال شخصيته كما فعل في الاقنعة الاخـرى .

57

وفكرة هذه القصيدة هي فكرة الصراع الابـدي بين الفنان وما يملكه من طاقات هائلة علـى الخلـق والابداع ، والسلطة الزمنية الغاشمـة ـ وما تملكـه من اساليب البطش والخداع والمكر ، هذا الصراع الذي ينتهي بموت الفنان الفاجع ، ولكن موته ، لا يعني هنا ان دوره قد انتهى على مدى التاريخ ، ولكن الموت يعني الولادة الحقيقية على مدى التاريخ.

يستهل الشاعر قصيدة «موت المتنبي» بتصويـر «اللعنة الاولى« :

« لتحترق نوافذ المدينه
ولتذبل الحروف والاوراد
ولتأكل الضباع هذي الجيف اللعينة
وليحتضر نسرك فوق جبل الرماد
فأنت بحار بلا سفينـة
وانت منفي بلا مدينـة
صليبك الغراب في المقاطع الحزينة
ينعـب
يبني عشـه ،
يموت في طاحونـه
ياصوت جيل مزقت راياته الهزيمه
ياعالما عاث به التجار والساسة ، ياقصائد
الطفولة اليتيمة »

ويجسد الشاعر مأساة المتنبي وعجزه عن تحقيق رغباته وطموحه ومثله العليا من خلال اصوات اربعـة، في «الصوت الاول» يدور الحوار بين العقل الواعـي المفكر وبين الذات الدفينة المختبئة في بواطن النفس :

« سفينة الضباب ياطفولتي ،
تطفو على بحر من الدموع
تشيخ في مرفأها
تجوع
تزني على رصيفهم
تستعطف الخليفة الابلة
تستجدى..»

وفي «الصوت الثاني» نستمع الى شطر الحوار الذي يعيشه المتنبي :

« الرخ مات
بيضة تعفنت في طبق الخليفة
الرخ صار جيفه
في طبق من ذهب - يازبد البحار
وياخيول النار
توثبي واقتحمي الاسوار
ومزقي الشاعر والدينار
ولياكل الخليفة الاوراق والغبار
ولتسلم الاشعار

وما يلبث طرف اخر ان يشترك في الحوار الباطني للشاعر في «الصوت الثالث» وهو في الحقيقة تجسيد لفكرة الصراع الابدي بين الفنان والسلطة الزمنية :

« كافور كان سيد الخليقة
والشمس والحقيقه »

وهنايعود الشاعر الى «الصوت الاول» حيث يجد ذاته الحقيقية من وراء الالام الزمنية، من خلال وضع طاقاته الفنية الهائلة في مواجهة هذه التحديات :

« السيف كان ريشتي
وراية الفجيعه
هممت ان اكسره
هممت ان ابيعه
أرانب هم الملوك ، حجر السقوط ،
رؤيا عصرنا الشنيعه »

وفي «الصوت الرابع» تكشف السلطة الزمنية عن وجهها الكاذب وخداعها وما تملك من اساليب في البطش والمكر :

«انا شججت جبهة الشاعر بالدواه
بصقت في عيونه
سرقت منها النور والحياه
أغمدت في اشعاره سيفي
وافسدت مريديه ، وضللت به الرواه
جعلته سخرية البلاط والفرسان والاشباه»

ويرتفع رويدا رويدا «الصوت الثاني» ليصور الشاعر بين انياب هذه السلطة ، غارقا في احزانه واغلاله ، عائدا من غربته ممزقا جريحا :

«ماذا تقول الريح ؟
لشاعر الشريد
في وطن العبيد
والساسة واللصوص والتجار والانذال
يمرغون القمر الاخضر في الاوحال

ثم ينتهي هذا الصراع بموت الشاعر الفاجع ، ولكن موته لا يعني ان دوره قد انتهى على مدى التاريخ فالموت يعني الولادة الحقيقية على مدى التاريخ ، وهاهو المتنبي «بعد الف سنة» :

«.. عيونه الطينية السوداء
تسبر غور الجرح في السماء
حصانه يصهل في المساء
على تخوم المدن الغبراء
يرود نبع الماء .
حصانه عبر المراعي الخضر والتلال
يوقظ في حافره النجوم والاطفال
يوقظ في ذاكرة السنين
اللهب الاسود والحب الذي يموت في ظل السيوف
عاصفا مدمرا حزين .»

ذلك اذن هو نضال الشاعر من اجل العودة بالشعر الى وظيفته الحقيقية كعنصر ثوري خلاق ، وان هذه الرؤيا الجديدة التي غطت الخارطة البيضاء التي كان يقف عليها الشاعر ، عادت «لتؤكد قيمة الانسان ـ الشاعر خالقا وسيدا لمصيره» . لقد اتحد الرمز الذاتي بالرمز الجماعي ، وبذلك قضى على الثنائية التي كانت كامنة بين شكل القصيدة ومضمونها ف اصبحت القصيدة ـ على حد تعبير البياتي ـ لاول مرة انصهارا داخليا ونزيفا ونسفاحيا .

ومن هنا نجد ان الحديث على الالتزام يبدو ثرثرة ولغوا باطلا عند الحديث عن انصاف الشعراء والاقزام وغير الموهوبين او كما يؤكد البياتي في احاديث ادبية كثيرة ان موضوع الالتزام اصبح موضوعا مملا وشكليا اكثر مما هو جوهري : «فالفنان ملتزم بطبيعته بهذا الشكل او ذلك ، وقد شاع خطأ في اذهان البعض ان الالتزام يعني الالتزام الحزبي او المذهبي بهذا الرأي او ذلك .

ان مفهوم الالتزام عند البياتي يتسع ليشمل جوهر الفلسفات والقيم الانسانية النبيلة والافكار التي تدافع عن الانسان ضد التشويه الخلقي والاجتماعي والسياسي وهو لسان الانسانية المعبر وليس صناجة هذه القبيلة او تلك .

ذلك هو مفهوم الشعر كما حدده ورسم خطوطه وطريقه عبد الوهاب البياتي : الشعر سلاح لامرىء ، والشاعر الثوري يعيش في الابداع التاريخي ، لذلك فهو ضد التجريد والعلوية الصوفية والمثالية المبتذلة :

سأدوس في قدمي
دعاة «الفن (١٧)» والمتحذلقين
وعجائز الشعراء
والمتسولين
واحطم الاشعار فوق رؤوسهم
فدم الحياة
يجري باعراقي
واني لن اخون
قضية الانسان اني لن اخون
فلتذهبي ياربة الشعر الكذوب الى الجحيم

---

(١٧) يقصد دعاة «الفن للفن»

فأنا هنا استلهم الاشعار من حبي العظيم »

وعن «الشعر والثورة» يقول مواصلا حربـــــه ضد العلوية والمثالية المتبذلة والدعوات الكاذبة فـــي الشعـــر :

«الشعر اعذبه الكذوب»
قـــالوا :
وما صـدقـــوا
لانهمو تنابلة وعور
كانوا حذاء للسلاطين الغزاة
بـــلا قلوب

ياشعر حطم هذه الاوثان
واقتحم الخطوب
وتعال نرتاد البحـــار
ونجتلي نجم الشعوب
انا ذاهب كي اقرع الاجراس
كي اطأ اللهيب »

ان الشعر عند البياتي يتمرد على مصطلحـــات التقويم الكاذب ، ويرفض التقسيم المناخي الجغـــرافي لخارطة الانسان الروحية ، كما يرفض تقسيم التاريخ الى متوالية عددية :

شعري جواد جامح، يعدو بفارسه الحزين
نحو الينابيع البعيدة
في الجبـــال
بفارس الامل الحزين
ماذا على الشعراء لو قطعوا يد المتطفلين؟
وأشعلوا نار الحنين

في ليل عالمنا ..
يـــاقلب لا تهـــرم !
فان امامنا حبا عظيـــم
حبي للاطفال ، لشعبـــي
للحروف الخضـــر
لا تهرم ! فان امامنا حبا عظيم .»



مراسلات

حول اضراب عمال ميبلادن

في ١٣ غشت ١٩٧١ شن عمال معادن ميبلادن اضرابا عاما للدفاع عن حقوقهم التي كانت تدوسها بوحشية شركة بناروايا ، هذه الشركة التابعة لبنك باريس ، وبنك هولاندا وبنك روتشيلد .

وغير خاف على أحد الاستغلال الذي تمارسه الابناك الامبريالية في بلادنا . اما بنك روتشلد ، فانها تخدم بالاساس مصالح الصهيونية ، مصالح اشرس اعداء الشعوب العربية . ويقع منجم ميبلادن هذا في ناحية ميدلت بالاطلس المتوسط على بعد ١٠ كلمترات من مناجم احولي ، ويستخرج منه الزنك ومعدن الرصاص .

ولحد الان يتم استغلال المنجمين (احولي وميبلادن) بشكل منظم . فالشركة تستثمر المراكز الرئيسية وتترك مراكز ثانوية ومتشتتة لوكلاء مغاربة.

وعدد العمال الدائمين قليل . ويتمتعون ببعض «الحقوق» بالنسبة لافواج المستأجرين باليوم وحتى بالساعة ، هؤلاء المستأجرين الذين يتجهون كل يوم الى مراكز الشركة بحثا عن ساعة عمل .

اما عمال المراكز الثانوية ، فهم لا يتمتعون بأي حقوق (ضمان اجتماعي الخ) خصوصا وان اغلبية الوكلاء المغاربة اما اقطاعيون محليون ، واما من رجالات السلطة . ويلاحظ من بين المستغلين بعض النقابيين الذين ادت بهم انتهازيتهم الى خيانة الطبقة العاملة .

وتستغل شركة بناروايا بنسبة ١٠٠٪ معادن «بني تادجيت» مستعملة في ذلك عددا من الوكلاء السماسرة.

وقد قررت الشركة في شهر غشت التخلي عن منجم ميبلادن لبعض الوكلاء . وبناء على هذا حاولت ان تنقل العمال من ميبلادن الى احولي غير ان عمال ميبلادن رفضوا ذلك الاجراء وشنوا اضرابهم العام بعد محاولات عديدة لايجاد حل بالتفاوض والحوار «المجدي» مع الادارة .

وقد شن عمال احولي اضرابا دام يومين تضامنا مع اخوانهم بميبلادن .

ونلاحظ باسف شديد ان المسؤولين عن النقابة العمالية الاتحاد المغربي للشغل لم يقوموا باية حملة نقابية لتوطيد الاضراب وانجاحه . ويجب تجاوز هذا العجز لانه يمس بالنقابة الوحيدة الممثلة للطبقة العاملة المغربية ، هذه الطبقة التي خلقت الاتحاد المغربي للشغل وسط النضالات القوية التي خيضت ما قبل الاستقلال لطرد الاستعمار الفرنسي .
وان من واجب كل نقابة تقدمية ان تدعم النضالات التقدمية كنضال عمال ميبلادن .

ا. هـ. الدار البيضاء

بريد القراء

نقــد بنــاء واقتراحــات جــادة

اكتب اليكم لابدي بعض الملاحظات حول «انفاس» هذه الملاحظات وان كانت شكلية ، الا انـها ستدفـع «بانفاس» خطوة الى الامام في طريق تحقيق الهدف الذي انشئت من اجله .

ان ما نريد من انفاس هو ان تعمل على اكثر على خدمة الثقافة الجماهيرية والفكر الثوري التقدمي ، ومحاربة الفكر الامبريالي الرجعي بكل اشكاله والوانه ، هــذا الفكر الذي يجد تربته الخصبة في عدد من المثقفيــن البورجوازيين ، وكذلك اشباه المثقفين الذين يخدمــون بكل قواهم الفكر الامبريالي ، مقابل ما يقدم لهم من امتيازات مادية وأدبيـة كمانريـد منهـا ان تكـون مفتوحة في وجه جميع التقدميين المغاربة الملتزميـن بالفكر العلمي .

ان «انفاس» هذا المشروع الصغير الذي نريده ان يتجاوز مرحلة الطفولة بسرعة ، ولكي يكبر نتمنى ان يستقطب حوله كل المناضلين من اجل خلق ثقافــة جماهيرية ثورية ، كل المناضلين ضد القمـع الثقافـي والسياسي والاجتماعي ،

ان تاريخ بلادنا غني بكثير من المواقف التي يجب اغناؤها والبحث عنها للعناية بها ..

ان «انفاس» يجب ان تعنى بالدراسات التي لها صلة بتاريخ بلادنا ، هذا التاريخ الذي تعرض للتشويه على يد خدام الاقطاع ، والبورجوازيين المرتبطين بالنظام بلكثر من صلة ، ومسؤولية انقاذ تاريخ بلادنا من هذا التشويه تقع على هاتق المثقفين التقدميين وبالخصوص الملتفين حول «انفاس» .

بعض الاقتراحات والمــلاحظات :

اقترح ان تكون للدراسات التي تنشر اكثر مـن صلة بالواقع المغربي ، كما اقترح ان ينشر في ركـن حركات التحرر الوطني ، التجارب الكفاحية لاشقائنا الابطال في جنوب الفييتنام . نشر دراسات ووثائــق لجبهة تحرير جنوب الفييتنام ، وكذلك نشر بعـض اعمال المناضل الراحل هوشي منه . كما يجب العناية بحركات التحرير الافريقية : ارتيريا موزمبق غينيــا بيساو ، والعناية في نفس الوقت بحركات التحرر في جنوب شرق آسيا تايلندة ، اندونيسيا ، الهند ، الخ... وامريكا اللاتينية . نضال توباماروس ، في الاورغواي والارجنتين ، الخ..) وفي الشرق الاوسط نضال الشباب الايراني ، نضال الشباب التركي ضــد الديكتاثورية العسكرية ، وضد القواعد الامريكية .

وفي اوربا العناية بتجارب المناضلين ضد الفاشية الفرنكوية في اسبانيا ونضال الشعب اليوناني ضـد الديكتاثورية العسكرية الخ...

لي ملاحظة على الوثائق التي تنشر : فرغم بساطة هذه الملاحظة ارى ان تلافيها في المستقبل سيكون مهما ومفيدا .

فالوثيقة المنشورة في العدد (٢) والمتعلقة بظفار والتي اصدرتها الجبهة الشعبية لتحرير الخليج العربي

المحتل لم يقدم لها بأي شيء ، كأن جميع القراء بــلا استثناء يعرفون اين تقع ظفار ، ويعرفون ما هي الجبهة الشعبية لتحرير الخليج العربي المحتل ؛ ان مقدمـــة تعريفية للوثائق المنشورة ستكون مفيدة اكثر للقراء .

اما في الركن الايديولوجي ، فأقترح ان تنشـر اعمال كبار الثوريين مثل البيان الشيوعي ـ ما العمل ـ الدولة والثورة ـ لينين تقرير عن حركة الفلاحين فـي خونان ـ الديمقراطية الجديدة ، ماوتسي تونغ ، الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى في الصين الخ ..

وفي ركن المكتبات أرى انه يجب ان تنـقد الكتـب التي لها صلة ببلادنا والتي يصدرها امـا مغاربـة او اجانب ، واقترح ان يبدأ بنقد اعمال عبد الله العروى «الايديولوجية العربية المعاصرة» «تاريـخ المغـــرب العربي» بما للعروى من تأثير في اوساط الطلبة : هذه الملاحظات املاها علي تحمسي لمجلة «انفاس» وثقتي في كل العاملين من اجل ان تتطور مجلتنا اكثـر .

فوزي عبد الحق :الدار البيضاء

رسالة تضـامـن مـن :

الى الاخوة اعضاء مجلة «انفاس»

اعلن لكم تضامني ضد الحجز التعسفي الـــذي تعرضت له مجلة «انفاس» (العدد ٣ـ٤) ، استنكــر الاضطهاد الذي يمارسه الحكم على الرأي والصحافـة التقدمية .

عبد الجبار السحيمي ادريس الخوري ـ الرباط

تحيــة نضـالية :

تحية نضالية وبعد فأكتب اليكم لكي احييكم في المسيرة التي تقطعها الطلائع المغربية الواعية والممثلة في جماعة «انفاس» . ان العالم العربي يحبل في هـذه الايام بمولود جديد ليس كسابقيه وان العاملين بانفاس يعتبرون امتدادا لهذا الخط . اننا معكم

انور المتجي ـ القصر الكبيـر

من البحرين تحية الشاعر المناضل قاسم حـداد

تحية صديقة من الخليـج :

في الواقع هنا ان الشباب استقبلوا «انفـــاس» بحماس وفرح ، لاننا جميعا ننتظر حديثا من القلـــب والعقل من عندكم . وجاءت «انفاس» تحمل لنا ما نريد.

سوف احاول قدر الامكان ان ابعث لكم ما يتوفر من مواد صالحة للنشر .

(خاصة لباب وثـائق) .

حين تختلط انفاس الشرارة التي تحرق السهل هنا **بانفاسكم** ، نشعر بالقوة .. اليس كذلك .

تحياتي وتحيات الاخوة الشباب

قاسم حداد ـ البحـرين



● خطوة متواضعة على طريق مجهود نظري كبير مطروح كمسؤولية ملحة على كل مثقف متشبع بروح تقدمية وثابة نحو ثقافة جديدة ٠

● خطوة على طريق فك الحصار الثقافي الامبريالي ـ الرجعي وصد الهجوم الكثيف الذي تمارسه قوى الاستغلال والتضليل بدون هوادة ٠

● مبادرة تدعو لفتح النقاش الجدي والمجدي بين المثقفين العرب حول القضايا العربية الجسيمة في هذه المرحلة الحاسمة من تاريخ الوطن العربي ٠

● مجهود مخلص يرمي الى اخصاب الفكر التقدمي المغربي ، وطرح القضايا الاساسية لبلادنا على بساط الدرس والتحليل ، وازاحة هيمنة الفكر البرجوازي على الساحة الوطنية ٠

ذلك ما تصبو اليه مجلة «انفاس» بطموح كبير وتواضع اكبر ٠

ـ فمن أجل دعم الثورة الفلسطينية والتعريف بقضاياها الحيوية بمنظار تقدمي علمي ،

ـ ومن أجل توضيح الرؤية حول قضية تحرير الامة العربية وحول حركة التحرير العالمية عامة بكل مسؤولية وصراحة ،

ومن أجل ملء الفراغ الكبير في حقل الثقافة التقدمية ببلادنا ،

ومن أجل ثقافة جديدة وفكر ملتزم ،

ننادي كل المثقفين الواعين الغيورين لمساندة « انفاس » والمساهمة في مجهودها بابحاثهم وانتقاداتهم ،

وننادي كل الشباب الواعي المتطلع لفكر جديد ليتتبع باطراد مجلة « انفاس » ويدعمها بآرائه وانتقاداته ٠

Imp. TOUMI -- RABAT



مجلة فكرية عربية مغربية

- نهوض جديد للطبقة العاملة
- الثورة العربية بين الاهداف الكبيرة والواقع الراهن
- الوضع الطبقي في الجزائر (٢)
- الطبقة العاملة الغربية وشعوب العالم الثالث
- « ازمة نقدية » ام الازمة العامة للرأسمالية
- الوضع الاجتماعي في ناحية الحوز

العدد 6
نوفمبر 1971

1,50



انفـــــاس

مجلـــة فكريـــة عربيـــة مغربيـــة (تصدر شهريا)

العنوان : ٤ شارع باستور ـ الرباط ـ المغرب
ح. ب ٧٩ ٩٨٩ الهاتف ٩٢ـ٢٣٥
المسؤول : عبد اللطيف اللعبي

السنة الثانية، العدد السادس
نوفمبر ١٩٧١

مطبعة التومي ـ الرباط

ان الطبقة العاملة تناضل من اجل الزيادة فى الاجور. وما ذلك الا رد اولي على التدهور. وليت الذين يعارضون هذا المطلب بتصلب يجعلهم يتركون للتدهور اهم خيرات البلاد، اهم مصدر لها في العملة الصعبة (الفوسفاط) ليتهم يخجلون على الاقل من تبرير ذلك «بمقتضيات الصحة الحسنة لاقتصاد البلاد». فهم بانفسهم يمثلون بذور المرض.

ان نضال عمال خريبكة ومستخدمي مكتب التسويق والتصدير وميناء الدار البيضاء وعمال مطاحن الرباط والنسيج في فاس، هذا النضال هو اكثر من التعبير على ارادة الطبقة العاملة في بلادنا في الدفاع على مصالحها ووجودها.

ان ذلك النضال مع نضال بقية الشعب، مع نضال الفلاحين من اجل ارضهم ونضال الشباب من اجل التعليم هو احسن تعبير عن حسن صحة الشعب وحسن صحة الوطن في مواجهة امراض الاستعمار الجديد.

فلنحيي صعود الطبقة العاملة المغربية من جديد لتصدر النضال من التحرير الوطني.

انفاس (١٥ نفمبر ١٩٧١)

تنبيه

طبعت هذه الافتتاحية قبل الاجراءات الاخيرة المتعلقة بالحد الادنى للاجور، ومع اعتقادنا بان تلك الاجراءات لا تمس جوهر النص اعلاه نعد قراءنا باعطاء تحليل اوسع لمسألة الاجور ونضال الطبقة العاملة، (انظر في هذا العدد المقال المنشور في ركن قضايا وطنية).



قضايا وطنية

نهوض جديد للطبقة العاملة

في مواجهة الاستغلال والانحراف

ناوري حسن

تشهد الطبقة العاملة منذ غشت الماضي تقريبا حركة اضرابات واسعة ، لتحسين اوضاعها المادية ، ضد الاستغلال المتزايد للرسمال. كما تشهد في نفس الوقت انعطافا جديدا لم تحدد ابعاده بعد ـ داخل منظمتها النقابية ، في مواجهة حاسمة ضد تيار ، «كفانا من المعارضة » «نريد منظمة عمالية في انسجام تام مع الحكم». في ترابط بين هاتين المواجهتين المتداخلتين يجري الان كثير من التحولات التي تطرح العديد من التساؤلات ، والتي تتطلب المزيد من المراجعة والمزيد من التعمق والمزيد من النضال الفعلي العملي . ـ .

ما هي اسس الحركة النضالية الحالية للطبقة العاملة ؟

وما هي الاسس المادية وحتى التاريخية للتيار الرجعي داخل منظمة العمال ؟

حول هذين السؤالين ينبغي ان يجيب موضوع «الطبقة العاملة في مواجهة الاستغلال والانحراف» في نفس الوقت .

وضعية الشغل في المغرب

هل الطبقة العاملة الشغيلة (١) في تزايد ؟ ام في ركود ؟

ان طرح هذا السؤال يبدو للوهلة الاولى من باب الترف الفكري المثقفي ، لكن الاجابة عليه بنعم ، او لا ، تؤدي الى اختلافات جوهرية في الخطة السياسية والنقابية على حد سواء ، وتكون بالنتيجة ذات اهمية بالغة في تقدير وضع الطبقة العاملة المغربية .

صحيح ان بنية النظام الحالي وسياسته الاقتصادية تؤدي عمليا الى تزايد مطلق للعديد من الايدي الحرة المستعدة لبيع قوة عملها في سوق الشغل، وهو ما يسمى بالتزايد المطلق للطبقة العاملة ، لكن نفس بنية النظام تؤدي عمليا الى استمرار الركود في الايدي الشغيلة فعلا ، والى تقلصها المستمر بالنسبة لتزايد السكان وهو ما يسمى بالركود النسبي للطبقة العاملة .

هوامش

(١) الشغيلة: اي العمال الذين يشتغلون فعلا في عملية الانتاج ، وليس كونه عاملا بمعنى حر ومستعد لبيع قوة العمل ولكنه لا يجد الشغل .

(٢) من دراسة حول الطبقة العاملة بعد اثني عشرة سنة ١٩٥٥ ـ ١٩٦٧ .

(٣) من اجل التعميق فد دراسة هذه المرحلة نحيل القاريء لنفس الدراسة السابقة «الطبقة العاملة بعد اثني عشرة سنة » .

ان عدم تقدير هذا القانون لنمو الطبقة العاملة في انظمة التبعية للامبريالية تؤدي الى الكثير من الضجيج والهذيان حول امكانية التطور البطيء والسلمي للتحول الرأسمالي في المغرب ، وحول النمو المتزايد للعمال ، او بكلمة واحدة امكانية التحول البورجوازي التدريجي الهادئي تحت جناح النظام القائم .

في نفس الوقت الذي علينا ان نشدد ان هذا القانون لا ينقص ولا يلغي من الدور الطليعي السياسي للطبقة العاملة ، بل على العكس يؤكده ويثبته الى ابعد مدي ، والتجربة المغربية والفتنامية مثلا رغم اختلافها تبرهن عن صحة ذلك ، بفشل الاولي وانتصار الثانية.

البطالة كظاهرة اساسية ودائمة ومتفاقمة في مجتمعنا

تشكل البطالة التناقض الرئيسي الذي عجز النظام عن حله وسيبقى عاجزا دائما عن حله لطابع تركيبه الطبقي ، الذي لن يملي عليه الا حلولا تستجيب فقط لمصالحه وحاجياته الملموسة ، كطبقة وجهت اقتصاديات البلاد نحو شروط التبعية للامبريالية وما تمليه هذه التبعية من سياسات معادية لحقوق اوسع الشعب في استثمار خيراته الوطنية .

فمثلا من تحليل سريع لوضعية الشغل بالمغرب سنة ٦٣ يتضح ما يلي :

احصائيات سكان المغرب تقدر بـ ـ ١٣ ـ مليون نسمة.

احصاءيات عدد السكان القادرين على العمل والانتاج ، اي الايدي القادرة والحرة على بيع قوة عملها في سوق الشغل تقدر ب ٤،٥ مليون نسمة (نسبة ٣٥،٥ من مجموع السكان) يوجد منهم في حالة بطالة دائمة ٢،٥ مليون نسمة من السكان القادرين على الشغل والانتاج ، مع الاشارة ان نسبة البطالة اكبر في البادية منها في المدينة ، (٧٨٪ في البادية ـ ٢٢٪ في المدينة).

ان هناك من القراء من سيعترض علينا قائلا، ان هذه الاحصائيات قديمة جدا ، ان فرقا زمنيا يفصل بينها وبين الوضع الحالي في سنة ٧١ ، وخلال هذه الثماني سنوات وقعت تحولات اخرى .

صحيح ـ صحيح جدا ، الثماني سنوات الفارطة اكدت تحولات جديدة لكن في الاتجاه ، وتؤكد هذا الواقع وهو استفحال البطالة كظاهرة دائمة مستمرة :

الجديد في الثماني سنوات انها ادت الى استقرار وضعية الشغل على الاقل بل الى تدهور متزايد في وضعية الطبقة العاملة ، بحكم الطبيعة اللازمة للنظام والتي تحكمه في الواقع ، وهي تناقضات السوق الرأسمالية العالمية، الذي هي تبعي لها بالاساس .

سنسوق هنا برهانين عن ذلك مثالين فقط ، غنيين في حد ذاتهما عن كل تعليق .

الاول : وهي احصائية مستمدة من تقرير وزارة الشغل متعلق بوضعية الشغل بالدار البيضاء عن سنة ١٩٦٩ ، وردت على لسان الكاتب العام للاتحاد المغربي للشغل المحجوب بن الصديق ، في خطابه بمناسبة فاتح ماي ١٩٦٩ ومنشورة بعدد الطليعة الخاص بفاتح ماي ٦٩ جاء فيها ما يلي :

٥٠ مؤسسة اغلقت ابوابها وطردت ٣٦٦٧ عاملا

٦٣ مؤسسة خفضت ساعات العمل مما اصاب ٣٨٥٨ عاملا .

٥١ مؤسسة ضغطت عدد المشتغلين بها فطردت ١٥٩١ عاملا .

الثاني : وهو مستمد من احصائية عن وضعية المناجم بالمغرب ـ ومعلوم ان المناجم اهم قطاع لتمركز

اليد العاملة ـ التي اما بسبب استنفاد احتياطها او بسبب مضاربات اثمان السوق العالمية اضطرت لاغلاق عدد من المناجم او لتخفيض عدد من عمالها ، الشيء الذي نتج عنه طرد مهول لعدد كبير من العمال يقدر ب ٢٠٠٠٠ عامل .

حيث ان عدد العمال في المناجم كان سنة ١٩٥٢ يقدر بحوالي ٥٠٠٠٠ عامل اصبح الان لا يتجاوز من ٣٠٠٠٠ عامل .

شيء اخر يدركه كل متتبع لنضالات الطبقة العاملة وخاصة منذ ١٩٦٩ ، انها تركزت بشكل اساسي حول الدفاع عن حق الشغل اولا ، وضد سياسة الطرد الدائمة ضد الامر الذي سنفصل فيه الحديث في مكان اخر .

من هذه يتضح ان الطبقة العاملة تعيش فعلا ظرف ركود عام ، وليس تزايد او نمو ـ صحيح ان علينا ان لا ننسى ان هناك قطاعات تشهد نموا نسبيا كقطاع البناء او الخدمات نظرا لحاجيات النظام في ذلك ، لكن يتم ذلك جزئيا جدا ويتم على حساب التدهور الدائم في قطاعات اخرى .

ما هي الجذور السياسية والاقتصادية لهذه الوضعية ؟

أ ـ معاداة كل سياسية تحررية للتصنيع ، بحكم طبيعة النظام التبعية وتكوينه الكمبرادوري الشبه اقطاعي الذي جعله مهيأ تماما ليجعل البلاد سوقا للرساميل والبضائع الغربية ومصدرا حيويا من مصادر المواد الاولية والفلاحية البخسة الثمن.

ب ـ الاتجاه نحو التركيز على الفلاحة ، وتطبيق سياسة تعميم السدود ، ليجعل من المغرب مزرعة مربحة لجيوب ومصالح المعمرين الجدد المغاربة وللمصالح الامبريالية .

ج ـ الاعتناء بالسياحة وتوفير احسن الاوطيلات للزوار الاجانب .

اما الشق الثاني من هذه السياسة فيعتمد :

ـ تركيز الارض في يد اقلية من الملاكين والمعمرين الجدد بواسطة شبكة السدود التي بنيت على ظهر الجماهير الكادحة وبواسطة الضرائب العامة المباشرة والغير المباشرة والتي كان من نتائجها حرمان آلاف الفلاحين من اراضيهم وتحولهم الى عاطلين في شكل هجرات متتالية اما للمدن او كعمال في الخارج ، او في شكل عمل مقنع كعمال زراعيين موسميين .

ـ الطرد الجماعي للتلاميذ ، بحكم ان التوجيه الاقتصادي والسياسي السائد والذي لا يخدم مصالح الشعب ، اعطى انعكاساته ايضا في قطاع التعليم ، اصبح التعليم وقفا على المحظوظين ، وتفنينا منهجيا للطرد الجماعي لابناء الشعب ، مما يضخم باستمرار واستفحال جيش العاطلين عن العمل .

ـ هذا بالاضافة الى تدهور بعض فئات من البورجوازية الصغيرة ، كالحرفيين مثلا بفعل تطور حاجيات السوق والمزاحمة الرأسمالية .

كل هذه الاسباب والعوامل جعلت ظاهرة البطالة ازمة خانقة لايجد الوضع الحالي لها حلا ، الا في محاولات يائسة لتعميمها ، اما بخلق بعض الاعمال الوقتية على طريق الانعاش الوطني ، او فتح باب الهجرة الى الخارج امام اعداد هائلة من العاطلين ،

اتجاهان خاطئان حول المسألة

الاتجاه الاول الذي يتحفنا بجملة احصائيات حول التزايد الهائل للعمال الزراعيين ، وعمال المدن ، وحول التزايد للبورجوازية بالمغرب واضمحلال اعداد لا بأس بها من البورجوازيين الصغار . متناسيا ـ اهم شيء

فى بنية النظام القائم ، وهو في الوقت الذي يشرد الملايين من السكان ويضعهم احرار في سوق الشغل (وهذا ما يعتبرونه تزايد العمال) لا يضمن حتى استقرار اشبه مستديم لتشغيل اليد العاملة نفسها بالنسبة نفسها .

ويسقط هذا الاتجاه في اخطاء سياسية يمينية محضة : حول امكانية التجول البطيء الهادىء البورجوازي في المغرب ، ويلتقي عمليا مع الداعين للنموذج الايراني في التطور . وعلى الصعيد التاكتيكي الصرف ، يصرف كل الجهود من اجل دفع هذا التطور الى الامام تحت يافطة «الدعوة لاقرار اتجاه تقدمي - وطني في الوضع الحالي» عبر جبهة وطنية عريضة ، تقيم اسسا لذلك ، متناسيا ان ذلك مستحيل وسيبقى ضمن دوامة العلاقات المتحكمة الرأسمالية مالم يطح نهائيا بمؤسسة التبعية للامبريالية وهذا الامر الجوهري .

الاتجاه الثاني وهو الذي ينطلق من الاقرار بواقع تفاحش البطالة ، ليبرر بها شعارا يمينيا ايضا وهو شعار «سياسة الخبز». لفصل نضال العمال عن النضال السياسي

لزجهم في سياسة بورجوازية تستهدف في الظاهر تحسين اوضاع العمال ، ولكنها في الحقيقة تحولهم الى مستسلمين امام واقع الاستغلال ، لانها بهذا المنطق تعجز حتى عن ابسط النضالات النقابية « الاقتصادية» ضمن افق المزيد من «الخبز»

«ان الجيش الاحتياطي» من العاطلين لا يتغير عندنا بتغيير الظروف الاقتصادية كما هو الشأن في المجتمعات الرأسمالية حتى في مرحلتها المسماة بالمرحلة الليبرالية ، ان هذا «الجيش» من العاطلين لا يعرف حدودا دنيا وحدودا عليا ، بل هو دائم وفي حالة تفاحش مستمر ... فاوضاع سوق التشغيل هي دائما في غير صالح العمال ... وهذا يعني ان قوة المفاوضة لدى لا علاقة بينها وبين وضعية سوق الشغل .

ان هذا الاتجاه يطمس الاختيار الحقيقي الملتزم لدور النقابة في النضال السياسي ، وفي ضرورة تسييس العمل النقابي ، بدعوى تفاحش البطالة ، وبدعوى الانصراف لتحسين الاوضاع المادية للعمال ، ويلزم في الظاهر الحياد ولكنه في الواقع يقف على نفس الموقع الذي يقف عليه العدو الطبقي للعمال .

الاتجاه الثاني هو الاتجاه الاكثر خطورة ، الاتجاه السائد الان ، والذي يهدد بشكل مباشر نضال الطبقة العاملة .

لذا علينا ان نفصل اكثر في الحديث عنه ، وعن جذوره المادية وتطوره التاريخي .

سياسة الخبز ، في اعلى مراحلها

«انعقد يوم الاحد ١٠ اكتوبر ١٩٧١ اجتماع المجلس الوطني للاتحاد المغربي للشغل ... وعند مناقشة المسائل التنظيمية قام المجلس باجراء بعض التعديلات داخل الهيئات الوطنية المسيرة للاتحاد .

وقر المجلس ان ينعقد المؤتمر الوطني الخامس للاتحاد المغربي للشغل خلال شهر مارس من سنة ١٩٧٢ - المكتب الوطني».

هكذا اعلن بلاغ المكتب الوطني ، للرأي العام ولجماهير العمال على الخصوص عن احداث تجري جد هامة ، اختصرها البيان في جملة «اجراء بعض التعديلات داخل الهيئات الوطنية» .

ماذا تعني هذه التعديلات ؟ وضد من موجهة هذه التعديلات ؟

ان الجواب عن هذا الامر يتطلب فحصا سريعا للتطورات التي عاشتها الحركة العمالية من اجل ان نتمكن فعلا من الخروج بوضوح تام حول الاسس المادية لهذه الوضعية .

(١) لقد ادى التطور الاستعماري في المغرب ، الى نشوء طبقة عاملة مغربية في المدن الكبرى ، كما ادت ظروف الاستغلال الاستعماري البشع للعمال المغاربة ، الى نشوء رغبة جامحة في التكتل والاتحاد لدى العمال

لرفع الظلم الاستعماري .

وعلى الرغم من ان النقابات الفرنسية كانت قائمة في بلاد المغرب منذ عام ١٩٣٦ فان العمال المغاربة لم يكن يسمح لهم قانونيا بالانضمام اليها .

لكن بعد الحرب العالمية الثانية ، وفي خلال الفترة القصيرة من الانسجام بين الشيوعيين والاتجاهات الاخرى البورجوازية في فرنسا بدأت المكاتب المغربية للنقابة العامة للشغل C G T الفرنسي الشيوعي في تنظيم المغاربة ، حيث لقي اقبالا كبيرا من العمال المغاربة بعكس النقابات الفرنسية الاخرى .

ونظرا لهذا الاقبال اقيم له فرع في المغرب سنة ١٩٥٠ تحت اشراف الشيوعيين الفرنسيين ولكنه كان يدار من قبل زعماء نقابيين مغاربة .

وبازدياد التوتر بين الشيوعيين والغرب اثناء الحرب الكورية وانقضاء فترة الانسجام وبازدياد تطور الطبقة العاملة المغربية ووضعها مشاكل التحرر الوطني في المقدمة، بدأ الاستعماريون يعدون الخطة لتدمير الحركة العمالية الناشئة ، ووجدوا تبريرا للقيام بعملية قمع واعتقالات شاملة في الاضراب التضامني الذي قام به العمال المغاربة سنة ١٩٥٢ على اثر اغتيال فرحات حشاد الزعيم النقابي التونسي. ومن هذه الحادثة تبلور وعي الطبقة العاملة الوطني، من خلال الكفاح العارم الذي بدأت تخوضه ضد الاستعمار، بالاضافة الى التطور الذي شاهده المغرب انذاك وهو اندلاع حركة المقاومة المسلحة ضد الاستعمار ، وبداية تأسيس جيش التحرير المغربي في سنوات ١٩٥٣ ـ ١٩٥٤ .

من هذه الشروط النضالية الهامة وقع اجماع الاطر النقابية في درب بوشنتوف واعلنوا على اثره بيانهم الهام في ٢٠ مارس ١٩٥٥ ، بتشكيل الاتحاد المغربي للشغل ودعوا العمال الى تنظيم انفسهم

شعورا بضرورة تنظيم ووحدة الطبقة العاملة للدفاع عن مصالحها وضمانا لوضعها واشتراكها اشتراكا فعالا في مسار الكفاح الوطني ضد المستعمر .

(٢) بعد هذه الفترة وبعد اعلان الاستقلال ، ولكي تنصرف القوى المضادة لتصفية العدو المباشر ، المقاومة وجيش التحرير ، عملت هذه القوى على اتخاذ موقف الرعاية والابوية تجاه المنظمة العمالية ، ولما كانت تتمتع به من قوة ومكانة سياسية في الحركة الوطنية، فأمدتها بجميع وسائل العمل على شكل هبات من اجل اطلاق نفوذ الرجعية وسطها ، وضمان تأييدها في غمرة الفرحة بالاستقلال . هذه الهبات التي ستصبح فيما بعد مورد اساسي لعدد من الامتيازات للاطر النقابية ، والتي ستشكل عقلية راسخة في تسيير المنظمة العمالية .

هذه العقلية التيترتكز في حل مشاكل العمال اعتمادا على تسهيلات الادارة وليس على نضال قاعدي شاق للعمال ، وتعتبر ان العمل النقابي والشارة العمالية امتيازا .

في ظل هذه الشروط وفي ظل السرعة التي تطلبها تنظيم اجهزة المنظمةالعمالية ، تشكلت النواة الاولى للانحراف في هرم القيادة النقابية (٣).

(٣) منذ سنة ١٩٦٠ بات واضحا الاتجاه النقابي الضيق او ما يسمى بسياسة الخبز التي يدعو لها الجهاز البيروقراطي في صفوف العمال .

هذه النقابية الضيقة او الاقتصادية ، لا تلغي اي عمل سياسي ، بل كان لهذه الدعوة الخبزية النقابية الضيقة دوما سياستها الخاصة ، ولم تكن في التجربة المغربية الا تغطية لموقف سياسي افصحت عنه الاحداث منذ سنة ١٩٦٠ .

ان الاختيارات السياسية للجهاز البيروقراطي

ظلت مربوطة بوضعيته المادية ونشأته التاريخية . فلقد حافظ الجهاز على توازن غريب طوال الاربع سنوات الاولى من الاستقلال فمن جهة ارتباطه بجهاز الدولة بما يمنحه الحكم من امتيازات مادية جعله غير قادر على خوض اي نضال يحسن من ظروف الطبقة العاملة ، ومن جهة اخرى وفر له وجود التقدميين في جهاز الدولة في ظل توازنات السلطة السياسية انذاك مكاسبا نقابية وحماية سياسية لم يضطر الجهاز النقابي لكسبها بخوض نضال قاعدي ضد جهاز الدولة الذي يضمن مصالح الجهاز البيروقراطي المادية ... هذا التوازن «المغريب» في الاربع سنوات الاولى من الاستقلال سرعان ما انفكت اطرافه بمجرد خروج التقدميين من جهاز السلطة في سنة ١٩٦٠ واستئثار تحالف الطبقات الحاكمة حاليا على كل السلطة .

وفي هذه المرحلة بالذات طرحت على الجهاز النقابي مسألة تحديد اختياراته السياسية من النظام : فاما الاعتماد على الطبقة العاملة والوسيلة في ذلك هي النضال القاعدى وبالتالي حسبان التضحية بكل الامتيازات المادية ، او الحفاظ على هذه المصالح وبالتالي تجنب الصدام السياسي مع السلطة ، ولان الاختيار يكون دائما ابنا للمصلحة الطبقية فان الجهاز النقابي اختار سياسيا ما يلائم مصالحه المادية ، وفضل في اختياره تجنب الصدام السياسي حتى لا يعرض كلية مصالحه للخطر مع الترقب الدائم لاصطياد الفرصة من اجل تكرار ظروف النشأة واعادة التوازن الداخلي للجهاز ، وذلك بمشاركة القوى التقدمية في الحكم من جديد .

(٤) هذه هي استراتجية الجهاز النقابي التي فرضت عليه بعد ذلك ان يدخل في صراع مكشوف وعلني مع حلفائه بالامس التقدميين ، فالنظام لم يعد يسمح بمشاركة القوى التقدمية بهذه السهولة التي تصورها الجهاز النقابي ، بل بنضال سياسي ضار تستطيع فيه القوى التقدمية ان تكسب جماهير الشعب لجانبها .. هذا الاختيار الذي مثله الجناح الراديكالي في القوات الشعبية، والذي ليس بامكان الجهاز النقابي ان يتعايش معه ، ويتحمل نتائجه الخطيرة على وجوده ومصالحه فكان لابد من الصراع المكشوف الذي حكم ممارسة جناحي القوات الشعبية طوال سنوات ٦٥ ـ ١٩٦٧ . احتمى فيها الجهاز بمظلة سياسة «الخبز» عساه ان يجذب لجانبه اكبر قاعدة واسعة من الطبقة العاملة معتمدا في ذلك على وعيها البدائي لمصالحها وتخلف وعيها السياسي .

(٥) هل استطاعت هذه السياسة المدعاة في عرف الجهاز النقابي «بالخبز» ان تحقق الانتصار على الصعيد النقابي نفسه ؟

من المعلوم ان البيروقراطية مانعت بعناد في المعارك النقابية التي تمس فعلا مصالح الامبريالية والدولة. وكانت لا تجد تحت الاضطرار ان تقوم ببعض المناوشات في القطاع الخاص الضعيف ، ومن الواضح ان الاجور الفعلية للطبقة العاملة ظلت جامدة في مكانها منذ عدة سنوات بينما ارتفعت الاسعار وتضاعفت اثمان الموارد الاستهلاكية الاساسية للطبقة العاملة .

فانحطت بالتالي القدرة الشرائية للطبقة العاملة ، وازدادت اوضاعها تدهورا ... هذا عدى المشاكل المزمنة والمختلفة للضمان الاجتماعي والطرد المتزايد للعمال .

من هذه الحقائق التي يعرفها الخاص والعام يتضح بلا جدل عجز النقابة عن التصدي للاستنزاف القوي التي تتعرض له الطبقة العاملة من طرف الرأسمال .. وان دلت هذه الحقيقة على شيء فانما تدل على فشل «الاقتصادية» التي تدعي فيه مرارا انها تريد ان تختص

به دون غيره .

ان الخلاصة الاساسية لهذه التجربة انه في ظروف المغرب تنعدم فعلا الاسس الموضوعية لاي اتجاه نقابي ضيق . فالطبقة العاملة في المغرب ليست في نمو متزايد ولا يزيد دخلها باضطراد لانها لا تستفيد على غرار متيلاثيها في البلدان الرأسمالية الاوربية من ظروف مادية مستقرة ومتنامية ، وفره لها حد ما الاستغلال الامبريالي من طرف البورجوازية الحاكمة للشعوب المستعمرة .

ولهذا لاحظنا السكوت عن «سياسة الخبز» بعد سنة ١٩٦٧ . لانها لم تكن في الواقع، وكما اوضحنا سابقا ، الا تغطية عن خطة سياسية انتظارية في مرحلة الصراع مع القوى الراديكالية التقدمية ... ولان التمادي في هذا الادعاء لا يناسب الواقع الاقتصادي الفعلي المتدهور للطبقة العاملة ، ويمكن تلخيص اسباب هذا التغير بعد وحدة ٦٧ بما يلي :

أ ـ ان الحكم مهما كان الدور الذي يلعبه الجهاز النقابي موضوعيا ويخدمه ، فان تجمع الطبقة العاملة ووحدتها في اطار منظمتها الاتحاد المغربي للشغل يشكل عليه خطرا مباشرا .

ب ـ ان بنية النظام لا تمنح بحكم تكوينه الاقتصادي والطبقي امكانية لتصليح اوضاع الطبقة العاملة ، ولهذا نفقد الدعوة النقابية الضيقة اساسها الاقتصادي الموضوعي .

جـ ـ فشل اليسار في القوات الشعبية في معركته ضد الجهاز ، مما سهل فيما بعد امكانية التحالف مع الاحزاب الاصلاحية دون خشية ان يهدد ذلك توازنها الداخلي .

(٥) اذا كان الامر كذلك فلماذا استطاعت البيروقراطية النقابية ان تهزم القوى السياسية التقدمية وان تصمد رغم التدهور المتزايد في اوضاع الطبقة العاملة ؟

لقد بنى اليسار الاتحادى صلب سياسته بعد سنة ١٩٦٥ على معركته ضد القيادة البيروقراطية للاتحاد المغربي للشغل ، وطرح كشعار اساسي في هذا النضال شعار «الديموقراطية» في مواجهة الجمود البيروقراطي الا ان الذي لم تعيه القوي التقدمية داخل الاتحاد هي انها ارادت ان تحارب «انتظارية الجهاز» وتخوض نضالا حاميا ضد البيروقراطية ، بعيدا عن المعركة الاساسية ضد الحكم وبمعزل عنها .. فلقد جرى الصراع كما هو معلوم في ظرف المهادنة (المشاورات) والترقب الانتظاري المبادرة الديموقراطية التي اعلن عنها في الخطاب الرسمي على اثر انتفاضة الجماهير في مارس ٦٥ .

لقد كان موقف الحكم مناورة سياسية كبرى لكسب الوقت واستجماع النفس ، واسترجاع زمام المبادرة الذي افقدته اياه انتفاضة الجماهير ، وهذا ما اكدته الشهور اللاحقة .

فالخطأ اذا ليس في محاربة بيروقراطية الجهاز النقابي ، وليس في طرح شعار الديمقراطية كشعار مركزي ولكن في عزل هذه المعركة الرئيسية ضد الحكم وفي فصلها عنه بمشاورات هدنة .

كان من الطبيعي بعد هذه الخطة ، ان يفرغ شعار الديمقراطية من اي محتوى سياسي ونقابي نضالي ويتحول الى مجرد صراع ذاتي على قيادة أ.م.ش. ادى بالضرورة الى سياسة تقسيمية غير مبررة باي تحول نوعي ايديولوجي وسياسي ونقابي في طبيعة التجمعات الجديدة التي انشأها الاتحاد الوطني للقوات الطبية : النقابة الوطنية للتعليم نقابة البريد .

اما الحزب الشيوعي فباسم الحفاظ على التناقض الرئيسي لفظيا وتحت دعوة الوحدة الوطنية بين كل القوى التقدمية والوطنية المعارضة ، تعايش مع البيروقراطية، وسلك سياسة ذيلية خنوعة للجهاز النقابي ان القوى التقدمية بحكم خطها السياسي، لم تستطع ان تربط النضال من اجل الديمقراطية داخل أ.م.ش. بخطة سياسية تهدف لتعبئة العمال في اطار معارك حاسمة ضد هياكل النظام ومصالح الامبريالية ، وبذلك لم يتعد شعار الديموقراطية مجرد سبة في وجه البيروقراطية النقابي كان شكله الاول السقوط اما في سياسة تقسيمية لوحدة الطبقة العاملة ، او الصمت الكامل عنها (عن البيروقراطية) وفى شكله الاخير الالتقاء مع البيروقراطية سواء بوحدة ٦٧ او في كتلة ٧١ الذي شكل الجهاز النقابي أ.م.ش. عصبها الاقوى .

(٧) ان الوضع الحالي الذي تحدث عنه بيان المكتب الوطني أ.م.ش. ، باشارة ان هناك «تعديلات تنظيمية هو شكل جديد متطور لتصاعد الانحراف في الجهاز النقابي ، يمثل المرحلة العليا من خطه ، او بالاصح التيار الرجعي العميل منه. لقد اعتمد الحكم في ضرب الطبقة العاملة على سن سياسة تقسيمية مرورا بتأسيس الاتحاد العام للشغالين الى الاتحاد المغربي للشغل المستقل .

ان الحكم في هذه المرحلة يطور كل الاساليب في محاولة عبر عناصره المندسة لهضم جهاز أ.م.ش. نفسه ومن الداخل ، وما الذعوات التي تطلق الان «كفانا من المعارضة» «نريد انسجاما اكثر مع الحكم» سياسة المعارضة لا تحل مشاكل العمال ». وتقسيم العمل بين البيادق المندسة في الجهاز النقابي ، وبين اخوتها في جهاز الدولة الا اعلانا وتأكيدا لذلك»

اختياران متعاكسان في الحركة العمالية

ـ صحيح جدا انه في الوقت الذي يبدأ التيار البيروقراطي ـ البورجوازي في الانهيار موضوعيا تشتد مقاومته مرات مضاعفة ، وبأعنف الاشكال ، وبصورة صارخة . ان الوجه الجديد والخطير في نفس الوقت الذي اصبح عليه التيار البيروقراطي ـ الرجعي داخل الجهاز النقابي من ولاء مكشوف لخطة الحكم ، هو تعبير ارقى عن الفشل الموضوعي له .

لقد اكدت تجربة السنوات العشر الاخيرة وكما اوضحنا فشل «سياسة الخبز» .

كما اثبتت ايضا ان الجهاز مهما راوغ واتقن الالاعيب الديماغوجية ، اضطرته ديناميكية الحركة الجماهيرية ان يعري وجهه الحقيقي ، فمعادي لمصالح العمال ، بحكم تركيبه ومصالحه نفسها وبالاساس .

ان هذا الاختيار واضح ، ويزيد في الاتضاح تدريجيا للمزيد من الجماهير العمالية ، وتخظر في النهاية اطراف منه والتي ساهمت في تركيزه ، ان تفصحه هي ايضا، لان تردي الوضع بالنسبة لها يخطرها ايضا لتبريىء الاجنحة المتطرفة فيه لكي لا يسقط كل البنيان .

ان هذا الاختيار غير مطروح عليه بتاتا «اصلاح العطب» داخل النقابة لان اصلاح العطب ببساطة معناه العملي ان يقرر بنفسه التضحية بمصالحه وعقليته التي تربت عشرات السنين .

ان الاتجاه البيروقراطي ـ لا يستطيع ذلك ، وسيظل تنخره عددا من التناقضات الداخلية يصلح العطب في شاكلته ، وعلى المنوال الذي ينسجم مع اختياراته ،

– الاختيار الثاني وهو الذي تمثله الحركة الجماهيرية العمالية ، وهي التي مطروح عليها فعلا اصلاح العطب ، تحقيق تغييرات جذرية في توجيه النقابة ، (أ.م.ش.) . في ديمقراطيتها الداخلية .

ما هو وضع الحركة الجماهيرية العمالية ؟

ما هي اهم سماتها النضالية ؟

تعيش الطبقة العاملة بصورة عامة شتى انواع القهر والاستغلال، سواء نتيجة الغلاء المتفاحش للمعيشة او الاجور المجمدة والطرد المستمر ، هذا الواقع الذي تعيشه كبقية الطبقات المضطهدة .

فما هي الخصائص النوعية المحلية في تواجد الطبقة العاملة .

(أ) العمال في المدن الرئسية (البيضاء – الرباط – فاس – مراكش).

– الدار البيضاء : حيث يوجد فيها اكثر من نصف المراكز الصناعية بالمغرب ، وحوالي ٣/٥ اليد العاملة ، وهي متوازنة من حيث انواع الانتاج ، فهناك صناعة النسيج والمواد الغذائية والجلد والحديد والصناعات الكيمائية والخشب والطباعة والاثاث بالاضافة الى الميناء والسكك الحديدية .

– أسفي التي تشغل ٥٪ من اليد العاملة المغربية و ٤٪ من الانتاج الصناعي حيث تحتل صناعة المصبرات مكانة رئيسية ، يوجد منها حوالي ٤٠ مركزا صناعيا الى جانبها المركب الكيماوي .

ففي المركز الثالث تأتي الرباط وسلا بـ ٤،٥٪ من اليد العاملة و ٣٪ من المعامل الصناعية .

– ثم تأتي فاس ومراكش التي لا يوجد فيها الا عدد محدود من الصناعات بينما تكثر صناعة المصبرات خاصة في مراكش والنسيج والمواد الغذائية في فاس .

ولقد مورس في معظم هذه المدن نشاط سياسي ونقابي متقدم اعطاها خصوصية ميزتها عن باقي الفئات الاخرى مما جعل عمالها يتمتعون بوعي متقدم نسبيا رغم انها اعتزلت العمل فى التشكيلات السياسية، لقصور هذه التشكيلات من جهة ولفقدان ثقتها في الخط السياسي السائد .

كما ان اتساع هذه المدن وكثرة سكانها والحريات العامة النسبية فيها ، اعطاها امكانيات اكبر لاستمرار العمل النقابي النضالي – كما انها تشكل بطابعها المركزي في البلاد وبوجود موانيء اساسية في مدن البيضاء – أسفي) مناطق تصريف مما سيجعلها مؤهلة اكثر من غيرها لخوض نضال نقابي وسياسي متقدم في مواجهة المصالح الامبريالية والطبقات العميلة .

(ب) العمال في المدن الصغيرة: ونعني بذلك بالاساس المراكز المنجمية ومراكز التبادل الفلاحي (خريبكة – اليوسفية ضاحية الناضور الذي توجد بها مناجم الحديد ، جرادة في شرق المغرب – قطارة باقليم مراكش – جبل عوام باقليم مكناس – احولي بميبلادن بناحية قصر السوق .)

وعمال هاته المدن يمتازون بانهم :

– يكونون تشكيلة متقدمة من الطبقة العاملة من حيث التمركز العددي وقوة الانتاج .

– تمارس ضدهم ابشع اشكال الاضطهاد والقمع السياسي ، حتى ابسط شروط العمل النقابي .

– يمتازون بنضالية مرتفعة جدا ، واشكال اكثر تطورا في مواجهة الاستغلال.

(ج) العمال الزراعيون : ويشكلون حوالي ٨٠٪ من اليد العاملة يعيشو ن وضعية مادية مزرية اذ

تتراوح اجورهم بين ٣،٨٩ و ٥ ويتعرضون لبطالة متقطعة طوال السنة يرتكزون اساسا في المناطق التي يسيطر عليها المعمرون الجدد واهميتهم تأتي من : ـ

ـ كونهم يشكلون النقيض الطبقي المباشر لطبقة تتحكم اليوم في السلطة .

ـ نضالية نامية ، وسخط متزايد رغم القمع الشديد المسلط ضدهم ، والذي يجعلهم اقل قدرة عن ممارسة العمل النقابي المنظم والموحد ، الذي فرضته من جهة اخرى شروط التوزع الجغرافي في البادية .

ـ عمال الخارج : ان كلا من عاملي نقص التشغيل والقمع السياسي ساهم فى تكوين ظاهرة الهجرة المتزايدة للخارج وساهم في تكوين طبقة عاملة مغربية واسعة في الخارج ففي سنة ١٩٦٧ تجاوز عدد الذين خرجوا من البلاد كعمال في الخارج من ١٢٤٧٢ الى ٢٣٥١٩ ليصل في سنة ١٩٧٠ الى ٣٢٨٠٥ : منهم ٨٠٪ توجهوا الى فرنسا ثم البلاد المنخفظة بـ ٨٪ وانجلترا بـ ٦٪ ثم المانيا وليبيا وبلجيكا .

ويتعرضون في الخارج لابشع صور الاستغلال سواء باشتغالهم في المراكز المنجمية التي تعرض صحتهم في سنوات قليلة للهلاك ، او في شروط العيش بصورة عامة

٢ ـ السماة العامة لنضال الطبقة العمالة

(أ) غلبة النضال الاقتصادي

ان فحصا بسيطا لمجمل نضالات الطبقة العاملة يجعلنا ستخلص السمة الرئيسية لحد الان وهي غلبة النضال الاقتصادي المطلبي في شعارات الطبقة العاملة واكثر من هذا ان جل المعارك الاساسية كانت ترتكز حول الدفاع عن حق الشغل وضد سياسة الطرد الجماعي بالاساس. لنأخذ امثلة حية عن عدد من الاضرابات الاساسية وعن اسباسبها .

اسم المعمل	سبب الاضراب	تاريخ الاضراب
منجم بوعرفة	طرد ٢٠٠ عامل	ماي ١٩٦٩
منجم تانورات	طرد ١٠٠ عامل	ماي ١٩٦٩
منجم زليجة	طرد ٥٠٠ عامل	ماي ١٩٦٩
شركة توسيست	طرد ١٨٩ عامل	ماي ١٩٦٩
مناجم جبل عوام بمكناس	طرد ١٠٠ عامل	ماي ١٩٦٩
منجم قطارة بمراكش	طرد بعض العمال	ماي ١٩٦٩

كما تأخذ في الشق الثاني مطالب الزيادة في الاجور والتعويضات العائلية وغيرها والدفاع عن الحريات النقابية الجزء الاساسي الاخر من نضالات العمال ، هذه الاسباب التي كانت وراء أهم المعارك في سنوات ٦٩ ـ ٧٠ .

لنأخذ بعض الامثلة عن ذلك ..

● **اضراب عمال منجم جرادة ، سنة ٦٧ الذي تركز حول :**

ـ تعويضات عن الادوية

ـ ابعاد رئيس الموظفين لتصرفاته

● اضراب عمال فيلروك بالرباط سنة ٧٠ تركز حول :

ـ الزيادة في الاجور

ـ الغاء توقيف ممثلي العمال

● اضرابات قطاع النسيج في كل من البيضاء وفاس تركزت حول :

ـ الزيادة في الاجور .

ـ التعويضات العائلية

وسنعطي في جزء اخر تفاصيل أكثر عن الحركة النضالية الاخيرة للطبقة العاملة .

(ب) طول النفس

تميزت هذه النضالات بميزة رئيسية اخرى لها اهميتها هي طول مدة الاضراب وعدم الاكتفاء باسلوب الاضراب الانذاري .

ان هذا الاسلوب في النضال الذي سنبرزه بعدد من الامثلة يبين من جهة الى اي درجة من التعنت تقف الاحتكارات ضد مطالب العمال ، والى اي درجة كذلك من الصمود تتحدى الطبقة العاملة ايضا هذا التعنت .

والجدول التالي يوضح ببعض الامثلة امامنا ذلك جليا .

اسم المعمل	مدة الاضراب	تاريخ الاضراب
جرادة	٥٢ يوما	ابتداء من ١٧ دجنبر ١٩٦٨
فيلروك (الرباط)	٥٢ يوما	سنة ١٩٦٨
خريبكة	٤٠ يوما	سنة ١٩٧٠
خريبكة	٥٥ يوما	ابتداء من ٢٠ شتنبر ١٩٧١ ولا زال مستمرا
كوفيطكس	٥٠ يوما	ابتداء من ٢٥ اكتوبر ١٩٧١ ولا زال مستمرا

(ج) تطور اشكال النضـــال

صحيح جدا ان الشكل الرئيسي للنضال كـان ولا يزال وسيبقى هو الاضراب ، وتعطيل الانتـاج ، الا ان هذا الاسلوب وبمفرده اصبح غير كفيل بتصعيد الضغط على الرأسمال ، مما دفع في خضم النضال الى ابتكـار اشكال جديدة ظهرت بالتدريج على الشكل التالي :

ـ اسلوب المقاومة السلبي : ففي اضراب منجـم جرادة سنة ١٩٦٨ ومع استمرار الاضراب مدة طويلـة وتعنت ادارة المنجم المطلق انتحر العامل «احمد اتفاغيت» الذي يحمل رقم ٣٤٥٤٧ بعد ان ودع عائلته ، تاركـا رسالة مغلقة يشرح فيها اسباب الانتحار والتيتتلخص في قسوة الظلم المسلط على العمال ، وفي الحقد الغريزي الذي يحمله ضد المستغلين ، الذين « لا جدوى مـن الاشتراك معهم في دنيا واحدة» . ان هذا الاسلوب رغم فرديته ورغم مثاليته ورغم عدم صحته يدل على شيء جوهري هو مدى تأجج الحقد الطبقي، مـدى المـرارة اليومية التي يشعر بها كل مضطهد حر، ومدى التيقن من ان هذا العدو الطبقي لا يهزم بالاضراب بل بالتضحيـة الجسدية بمواجهته بالقوة.

ـ اسلوب الاحتلال : الذي مارسه العمال بشكل عفوى في اضرابين :

- اضراب معمل فيلروك سنة ١٩٥٩ ، حيـث احتلوا المعمل بكامله بما فيه الادارة وشرعوا في تسييره ذاتيا من طرف العمال لمدة ساعات .

- اضراب عمال منجم جبل عوام سنة ١٩٥٩ ، الذي تملكه الشركة الاستورية للمناجم حيث احتـل العمال المضربون المنجم بكامله .

ـ اسلوب المحاصرة

والذى حدث بالضبط في معمل الفرشي ببوزنيقـة خلال سنة ٧١ ، حيث قرر العمال محاصرة المعمل ومنع خروج الشاحنات منه بالقوة ، مما اضطـر الشرطـة والسلطات المحلية للتدخل ، ولتفادي حدوث اصطدامات دموية رضخت ادارة المعمل لمطالب العمال .

ـ اسلوب الاعتصام

كما حدث في اضراب معمل قطارة بنواحي مراكش حيث اعتصم العمال داخل المنجم وقطعوا كل وسائـل الاتصال بالخارج واضعين المنجم في حالة تعطل دائـم وواضعين انفسهم في خطر في حالة تعنت الادارة . مما اضطر المسؤولون لتقديم عدد من التنازلات .

(د) التبعثر وعدم التنسيق

ان تبعثر نضالات العمال وعدم تنسيق نضالاتهـا في جبهة عريضة واكثر قوة على صعيد القطاعات مثلا، يفقد الكثير جدا من فعالية الاضراب الجزئي لمعمل معين او منجم معين .

الا ان الاساس الجوهري في هذه المسألة يرجـع بالذات لدور الجهاز النقابي وخطته وعجزه الفعلي .

النضالات العمالية الحالية

ان الجـــدول اسفلــه يبين امامنا بجلاء النهوض الحالي لنضال الطبقة العاملة ، هذا النضال الذي جاء تعبيرا عن الانفتاح الجماهيري الحالي بعدما عرفتـه بلادنا من تطورات سياسة بالغة الاهمية ، ونتيجة ايضا للظروف المعاشية ، البـالغـة القسـاوة التـي تعيشها الجماهير ، والتي علمتها التجربة ان لا طريق للتحرر ،

ولا طريق لتحسين اوضاعها سوى طريق النضال الوحدوي ويمكن تحديد اهم سمات هذه الحركة بايجاز في النقط التالية :

ـ تشهد القطاعت الشبه عمومية والخاصة نضالا متزايدا الكثر من غيرها ، خاصة قطاع المناجم والنسيج اعتبار للاستغلال التفاحش الذي تتعرض له بابشع الصور من هذين القطاعين .

ـ تجاوزت الطبقة العاملة في هذا النضال ، واعتبارا بالدرجة الاولى لوحدة مصيرها واهدافها كل اشكال التقسيم النقابي الذي فرض علينا ومثال ذلك عمال كوفيطكس بفاس والوحدة النضالية بين مجموع العمال والتي ظهرت في الاضراب كأكبر دليل ، على ان الطبقة العاملة تستطيع من خلال نضالاتها الملموسة ان تحقق هذه **الوحدة** .

ـ في نفس الوقت الذي عبرت فيه هذه الحركة العارمة ، التي انطلقت بدون اي مبادرة منظمة او تعبئة منظمة من اي تنظيم نقابي ، عن الاستعداد النضالي الذي تختزنه الطبقة العاملة ، وانها تستطيع في خضم النضال ، ان «تصلح العطب بالرغم من الاجهزة» ـ البيروقراطية التي تكرس هذا العطب». ان الحركة الحالية تؤكد شيئا بارزا ، وسيكون حتميا ، ان الطبقة العاملة المغربية قادرة اذا كان هناك عمل جدي للتقدميين الحقيقيين من ان تتجاوز بسواعدها مرحلة الركود السابقة التي فرضها الانحراف النقابي وتخوض نضالا طليعيا في جبهة الحركة التحريرية التي تشهد نهوضا جديدا بدت ملامحه في بلادنا .

اسم المعمل	اسباب الاضراب	تاريخ بدايته	تاريخ نهايته	عدد ساعات الاضراب	الاشكال النضالية والنتائج
مدينة فاس					
كوفيطكس	الزيادة فى الاجور منحة آخر السنة	٢٥ اكتوبر ٧١		٤٠٨ ١٦٨	لازال مستمرا لحد الان (١١ نوفمبر ٧١)
٢ معامل للنسيج	تضامن مع كوفيطكس			٦	
مدينة البيضاء					
الميناء	مغربة الادارة الزيادة فى الاجور ترسيم ٤٦٧ عامل	٥ نوفمبر ٧١	٨ نوفمبر ٧١	٧٢	انتصر العمال ، وتحققت الزيادة بنسبة ١٥٪ بالنسبة للحمالون والموقتون
صوماكا	التضامن مع ٤ عمال مطرودين الزيادة في الاجور	١ نوفمبر ٧١	٢ نوفمبر ٧١	٢٤	تحققت المطالب بعد مفاوضة الادارة
الصندوق الفرنسي	الزيادة فى الاجور منحة آخر السنة	١ اكتوبر ٧١	١٧ اكتوبر ٧١	٣٨٤	لم تعرف نهاية الاضراب بالضبط ولا النتائج المحصل عليها

اسم المعمل	اسباب الاضراب	تاريخ بدايته	تاريخ نهايته	عدد ساعات الاضراب	الاشكال النضالية والنتائج
مدينة الرباط فيلروك النسيج	الزيادة في الاجور	٥ اكتوبر ٧١	٦ اكتوبر ٧١	٢٤	حصل العمال على المطالب بعد صدام عنيف
الادارة المركزية للفوسفاط	اضراب تضامن مع خريبكة			٢٤	
مطاحن باروك والساحل	لزيادة في الاجور	٣١ اكتوبر ٧١		١٨٨	لازال الاضراب مستمرا لحد اليوم (١١ نوفمبر
مدينة تطوان شركة اورافريك	لزيادة في الاجور	٢٥ اكتوبر ٧١		٤٠٨	لم تعرف نهاية الاضراب لحد الساعة ولا النتائج المحصل عليها .
برماطكس	الزيادة في الاجور	٢٤ اكتوبر ٧١		٤٣٢	» »
الحافلات	الزيادة في الاجور	٤ اكتوبر ٧١		٩٦	لم تعرف نتائجـــه
مدينة مراكش رياض بلاستيك	طرد احد العمال	٥ نوفمبر		٤٨	» »
ضيعة الشركة المغربية	الزيادة في الاجور			٤٨	» »
ضيعة اليزابيت	الزيادة في الاجور			٤٨	» »
مصنع المصبرات صوميـا	الزيادة في الاجور			٢٤	» »
مدينة طنجة مطاحن البوغاز	تصرفات الادارة			٢٤	» »

اسم المعمل	اسباب الاضراب	تاريخ بدايته	تاريخ النهاية	عدد ساعات الاضراب	الاشكال النضالية والنتائج
مدينة القنيطرة					
معمل السكر بسيدي علال التازي	الزيادة في الاجور منحة اخر السنة	٤ اكتوبر ٧١	١٣ اكتوبر ٧١	٢١٦	حصلوا على المطالب وتنازلت الادارة
مدينة اليوسفية					
منجم الفوسفاط	اضراب تضامني مع خريبكة			٢٤	
مدينة مكناس					
شركة باز الطس	الزيادة في الاجور	١٥ اكتوبر ٧١	٢٨ اكتوبر ٧١	٢١٢	لم تعرف نتائجه ولا نهايته بالضبط
مدينة وجدة					
الحافلات	الزيادة في الاجور	٤ نوفمبر ٧١		١٩٢	لازال مستمرا لحد الساعة (١١ نوفمبر ٧١)
مدينة خريبكة					
منجم الفوسفاط	ظروف العمل الزيادة فى الاجور	١٧ غشت		٨٨٨ ١٦٨	استمر منذ ١٧ غشت متقطعا ، وتوقف الى يوم ٢٠ شتنبر حيث شن اضراب عام ، ولا زال الاضراب مستمرا خاصة من عمال الغار
مدينة ميدلت					
احولي ـ ميبلادن	محاولة طرد بعض العمال الزيادة فى الاجور تخصيص منحة ايضافية	١٠ غشت ٧١		٤٨٠	ابدأ اضراب من عشر غشت على صعيد ميبلادن وتضامن من احولي لمدة ٢٤ س ، ثم انطلقا المنجمان في نضال مشترك . لم تعرف النتائج ووقت نهاية الاضراب بالضبط
الميناء بالبيضاء والمحمدية	الزيادة فى الاجور	١٣ نوفمبر ٧١	١٧ نوفمبر ٧١	٩٦	استئناف الاضراب بالضبط لاحلال الادارة بوعدها السابق ، وبعد هذا الاضراب تراجعت
				المجموع ٤٧٠٤	

الثورة العربية بين الاهداف الكبيرة والواقع الراهن

علي الحمراوي

هل فشلت المقاومة ؟ هل سيقع الاستسلام النهائي لاسرائيل ؟ هل توالي الهزائم في المعركة العربية ينم عن حتمية الرضوخ وابدية «اتفاق العرب على عدم الاتفاق» ، وطوبوية الاهداف الكبيرة في التحرير والوحدة والاشتراكية ؟

هذه بعض من تساؤلات تسري في وقت الصعاب .. وقد يمليها اصلا منطق انهزامي متخلف ، تحجب عنه الهزائم والتضحيات كل رؤية علمية بعيدة النظر بحيث لا يعود يبصر اخلص اصحاب هذا المنطق غير اشرطة من التشنجات العاطفية التي تذكر بهيام الشعراء على الاطلال .

ونقول انه منطق رومنسي انهزامي لان القوى الطبقية والسياسية المتمرسة مع التاريخ تنطلق توا لاعادة ترتيب مفاهيمها وتجديد خططها لتتكيف مع الاوضاع الجديدة وتستفيد منها حسب الامكان.

حقا ان التراجع البارز للمقاومة الفلسطينية منذ سبتمبر ١٩٧٠ بعد المذبحة الشنيعة التي تعرضت لها، يطرح تساؤلات اساسية في استراتجيتها بل وفي آفاق المعركة العربية بوجه عام .

لكن النقد لا يصح ان يأتي على الاخضر واليابس وعلى الاحمر والابيض بنفس اللكم الاعمى ، كما لا يصح للتساؤل والتمحيص ان يبرر التخلي عن النضال ويبرر الانتظار .

ان الامبريالية والرجعية العربية تقومان حاليا بحملة واسعة على جميع الاصعدة لابتلاع فريستها المنهكة : المقاومة الفلسطينية وقواها الحية الصامدة . انها تريد ان تنزع منها حتى حق التعبير باسم الشعب الذي تمثله . ان هذه القوى السوداء تريد ان تطفىء اخر الشرارات في الموقد الذي تستمد منه الجماهير نورها على درب التحرير وحماسها في مواجهة الاستسلام .

وقوى الاستسلام تتحرك بحرية اكبر في هذا الظرف بالضبط لتفرض مفهومها في «التحرير» : تكديس القوى العسكرية وتوحيد القوى الطبقية ـ القطرية بينما تلقي بالسلاح فعلا في جبهة المواجهة ، وتنشط على جبهة البلاغة الديبلوماسية لتحديد صيغة للاستسلام تضمن لها غسل يدها من المعركة امام الجماهير (نقلت جريدة العلم بتاريخ ١١ اكتوبر ١٩٧١ تصريحا لانور السادات يقول فيه بان استرجاع الاراضي سيتطلب سنوات بل اجيالا ، جميل ـ لم تعد «المعركة

المصيرية والحاسمة» قريبة ، صار الامر يتعلق باجيال وذلك صحيح اذا اضفنا انها اجيال ثورية خارجة عن سيطرة بورجوازية الدولة .

وداخل القوى الطليعية المناضلة يحتدم الصراع بينما هو سائد قديما وما هو جديد ومتقدم كاي جسم يلفظ خلال عمله واتعابه بكل ما هو متخلف ومعطل ، ويتزود بدم جديد شيئا فشيئا ، وهو بالطبع دوما صراع سياسي ذو ابعاد طبقية واستراتجية ، ولذا فلا يصح اعتباره مطلقا من مظاهر الافلاس والعبث ، بل يجب استيعابه ونقده بايجابية ، فالصراعات داخل المقاومة الفلسطينية ذات مضمون سياسي حاسم ، يكفي للدلالة عليه الاشارة الى ان هناك محاولات تقوم بها عدة حكومات وعدة هيئات قصد تصفية يسار المقاومة الفلسطينية بدعوى التمييز بين العمل الفدائي «الشريف» و«الغير الشريف»

وعلى صعيد «اهل المراجعة النقدية الصارمة من بعيد» تظهر نزعة رئيسية الى تحويل التصحيح والتقليم بالنقد الى ملاكمة وطس باللفظ، بحيث تنتشر البلبلة في المنطلقات الاساسية مما قد يؤدي الى اضعاف جبهة الصمود المباشر واليومي ، ومما قد يفتح «نوافذ اغاثة» مزعومة لا تؤدي في الواقع غير خارج النضال الملموس.

اما على صعيد الانتظارية الانتهازية فتبقى جلسة القرفصاء هي هي . لان «التبصر والحنكة» يقتضيان عدم منح المساندة لهذا او شجب ذاك ، ولو في حدود كلامية ، الا بعد امعان النظر ، لكن من فاتته الجماهير لا يعود يبصر شيئا .

ان من الضروري تكريس واعادة تثبيت المنطلقات الاساسية لنضال الامة العربية . كما ان من الضروري ابراز الظروف العامة التي تحيط به ، وبعض الثغرات التي ساهمت في اعطاء الجزر العام والتراجع المؤقت الحالي وملامح المد القادم سياسيا وجماهيريا ولو بايجاز شديد ، واذا كررنا كثيرا من «البديهيات» فعذرنا في ذلك اننا في غرب الوطن العربي تنقضنا معرفة بعض البديهات ، وان محاولة تجاوز البديهات تتحول احيانا الى طمس المبدئيات .

ونتطرق للنقط الاتية :

١ ـ الاهداف الاساسية للنضال العربي
٢ ـ الجزر الحالي والافاق القادمة للمقاومة
٣ ـ التحولات اليمينية في الانظمة العربية
٤ ـ الحركة الجماهيرية

الاهداف السياسية للنضال العربي

ان مشروع التحرير الوطني العربي والوحدة الثورية للامة العربية مشروع عظيم . وهو عظيم لانه يجمع على نفس الوثيرة النضالية ملايين الجماهير ، ولانه يضم على نفس السبيل طاقات شعوب عريقة نضاليا وحضاريا ، ولانه يشد اطراف وطن شاسع عظيم الموارد ولان المرحلة الحالية من النضال ضد الامبريالية العالمية وكذا الحساسية التي تكتسيها موارده ومواقعه الاستراتجية ، تؤهلان الوطن العربي ونضاله للقيام بدور حاسم في لوي عنق الامبريالية ، والمساهمة بقسط وافر في بناء مجتمع انساني جديد ،، في اطار التحرر العالمي الشامل للشعوب المضطهدة والطبقات الكادحة .

ان الاهداف العظمى للنضال العربي في :

ـ تحرير كل بلد عربي من تسلط الثالوث الاستغلالي،

من التحالف الاسود ، من الصهيونية والامبريالية والرجعية العميلة ،

- بناء الديموقراطية الاشتراكية على اساس السلطة الفعلية للجماهير الكادحة والثورية وفي مقدمتها العمال والفلاحين الفقراء ،

- وضع حد «للبلكنة» والتقسيم الاستعماريين ، والغاء الجيوب السياسية والاقليمية والعشائرية ، وبناء دولة عربية عصرية متقدمة وتقدمية .

تلك هي المثل العليا لكل الجماهير العربية وطلائعها المخلصة ، وهي اهداف تاريخية مطروحة للانجاز برسوخ وطول نفس .

ولكونها اهدافا خطيرة بالنسبة للمصالح العدوانية الصهيونية ، ولكونها تهدد الامبريالية تهديدا محققا ، وتطرح للدوس والاقبار كل الاصنام الرجعية ، فمن الطبيعي ان يكون الطريق معقدا وشاقا، وان تكون المهام النضالية (المطروحة على الصعيد العربي) وثيقة الارتباط والتشابك بالمهام النضالية الديموقراطية والطبقية، بحيث تؤثر الانتصارات والهزائم على الصعيد القومي على اوضاع وافاق النضال الطبقي ، وبحيث يكون لمسألة القيادة الطبقية للمعركة القومية طابعا حاسما في تحديد الافاق المرحلية للتحرير القومي .

وقد سعت الطبقات الوطنية العربية ضمن نضالها ضد الاقطاعية والاستعمار الى قيادة النضال الوطني والقومي ايضا ، وذلك طبعا حسب مصالحها الاقتصادية ومفاهيمها الايديولوجية وخطها السياسي . فمن بورجوازية عقلانية وديموقراطية وليبرالية اسلامية او قومية (كحزب الوفد المصري ، او القوميين العرب) الى بورجوازية صغرى براغماتية وتجريبية وتقنوراطية وانقلابية (كحزب البعث العربي ، او التيارالناصري). الى بعض الاحزاب «الشيوعية» التحريفية الاصلاحية ، تبقى تجربة المعركة العربية لحد الان مفتقرة الى الدور الطليعي للعمال والفلاحين الفقراء بقيادة ثورية ، مثل النموذج الفيتنامي ، اللهم بعض البوادر التي صارت تتكون ببطأ (فلسطين وظفار مثلا) .

ذلك ان الفهم الايدولوجي والاستراتجي للاهداف الثلاثة العظمى في التحرير والوحدة والاشتراكية ظل فعلا محصورا في حدود افاق البورجوازية الصغرى في احسن الاحوال والى حدود هزيمة ١٩٦٧ على الاقل

- تحرير فلسطين

الخلاف الاساسي يكمن في دور الشعب الفلسطيني - الاردني في معركة التحرير .

واذا كانت عوامل موضوعية عدة عرقلت ثورة الشعب الفلسطيني المباشر منذ ثورته في سنة ١٩٣٦ ثم مقاومته في سنة ١٩٤٨ لعملية التقسيم ، فان العامل الهام هو ان مختلف القيادات العربية ، الاقطاعية ثم البورجوازية الصغرى قد فرضت وصايتها المطلقة على الشعب الفلسيطي مما عطل استقلاله السياسي في المعركة . فثورة ١٩٣٦ وكذلك ثورة ١٩٤٨ انتهت بقرارات من القيادات الاقطاعية بايقاف المعركة. كما ان الورجوازية الحاكمة حاليا في البلدان المحيطة بفلسطين تحاول ان تجعل الشعب الفلسطيني يلقي السلاح او ينطوي على الاقل تحت القيادة العامة للانظمة الحاكمة ذلك ان المفهوم البورجوازي الصغير **لقومية المعركة** - معركة تحرير فلسطين ، حتى عند القيادات السياسية المخلصة والمؤمنة بضرورة ازالة دولة اسرائيل - ذلك

المفهوم ظل يعوم في مفهوم اوسع وهو «الحرب الخاطفة» و«المعركة الحاسمة» و «الهجوم المفاجيء» الشامل،

و« اليوم الذي نصبح فيه في تل ابيب» . ومجموع هذه الاوهام الطبقية ينتج عنها سلوك فعلي يعطل التحرير وهو التأكيد المطلق على دور الجيوش النظامية الكلاسيكية ، ومحاربة كل مبادرة جماهيرية من شانها ان تبطل المخططات الدقيقة للقيادات العليا والجنرالات.. وانفجار الثورة الفلسطينية بصورة شاملة بعد هزيمة مجموع هذه المفاهيم في ١٩٦٧ ، اكد بالضبط الدور الهام الذي يجب ان يلعبه الاستقلال السياسي للشعب الفلسطيني في تصعيد المبادرة الثورية وتجاوز ما تفرضه وصاية الدوائر الرسمية ، ويمثل هذا بالضبط اول خطوة في فرض دور الجماهير العربية المضطهدة تدشين الطريق الاخر للانتصار : طريق الحرب الشعبية. ولسنا بحاجة ان نؤكد هنا ان الخلاف في مضمون مساندة الثورة الفلسطينية (الذي يقوم حوله اجماع غريب) يبقى حول ضرورة مساندة مواقفها السياسية (خاصة رفضها للحلول السلمية)، وتبقى درجة تناقض مواقف نظام ما او تيار سياسي مع المقاومة الفلسطينية فى مواقفها (من مشروع روجرز من النظام الهاشمي مثلا) بوصلة لتحديد طبيعة موقفه العملي (لا اللفظي) من مسألة تحرير فلسطين ذاتها .

وهناك ثانيا مسألة الحل الديموقراطي للمسألة الفلسطينية . فقد توهمت البورجوازية الصغرى انها ستحرر فلسطين في يوم ما على اثر هجوم مظفر ، ومن ثم طرحت دوما حلا «حاسما وجذريا» للكيان الصهيوني يقضي بتصفية اليهود بصيغة او بأخرى (كالرمي الى البحر او الطرد) وهذا «الحل» عنصري وشوفيني كما هو واضح ، لكن الاهم هو انه لفظي تماما وغوغائي تماما اذ ان القضاء النهائي على كل الجذور الصهيونية وايديولوجية «الشعب المختار» ترتبط في الواقع بالقضاء على الامبريالية والرأسمالية وليس بابادة اليهود كجنس بشري . ثم ان الاستيلاء المفاجيء على تل ابيب بواسطة هجمة منسقة ، بحيث يقع التعارض المباشر مع مجموع سكان اسرائيل الحالية ، هذا التصور لايوجد الا في خيال البورجوازيين الصغار. ان الحل الديموقراطي للمسألة الفلسطينية بحيث يتعايش في نفس الارض كل الكادحين يهودا وعربا مطروح ضمن شروط تاريخية اهمها :

– ان تصاعد الحرب الشعبية العربية ضد دولة اسرائيل ، سيعمق تناقضات الهياكل الصهيونية برمتها، ويؤثر على الكادحين اليهود باتجاه ثوري .

– ان ازالة الكيان الصهيوني والفكر العرقي والديني سيخلص الكادحين اليهود من استلابهم الفظيع حاليا .

– ان الدولة الفلسطينية الديمقراطية واللائكية تدخل ضمن الاطار العام للوحدة العربية والنضال العربي الشامل، وتلك هي الضمانة لاقبار كل امكانية في تحول مشكل «الاقلية» الى رحم جديد لنمو العنصرية الصهيونية .

ونلاحظ الان ان المقاومة التي بدأت في مباشرة طريق التحرير تجاوزت الشوفينية

ب – التحرر من الامبريالية والرجعية

ان الخلاف الاساسي في مسالة التحرر من الامريالية والطبقات العميلة يدور حول برنامج التحرر وقيادة النضال ودور الجماهير .

● وعلى صعيد البرنامج اتضح بالملموس ان عملية التأميمات والاصلاح الزراعي غير كافية ايضا لضرب اسس الرأسمالية في علاقات الانتاج وملكية وسائله اذا لم يصاحبها تحويل اشتراكي علمي يلغي الامتيازات المادية ، والهياكل الطفيلية (البيرقراطية والسمسرة الخ والاختصاص البورجوازي بين العمل اليدوي والعمل الفكري ، والفروق بين المدينة والبادية) ، ذلك ان «الاشتراكيات» الوسيطة من النوع السائد في كثير من الاقطار العربية لا يلغي نهائيا تبعية تلك «الاشتراكيات» للامبريالية ذاتها على الصعيد المالي والتقني والتجارى بل وفي الاستثمارات والاطر ايضا .

● وفي مسألة القيادة الطبقية للنضال التحرري ، طالما اكد البورجوازيون ان الطبقة التي يمثلونها ذات مصلحة في المعركة الوطنية الديموقراطية .

وهذا لا ينازعها فيه احد . لكن المتنازع فيه هو الدور القيادي للبورجوازية . ففي المعركة ضد الامبريالية والاقطاعية نجد ان العمال يمثلون اكثر طبقات الامة جذرية في مناهضة اسس اضطهاد الامبريالية للامة ، اسس العلاقات الرأسمالية، والفلاحون الفقراء كضحايا اساسيين للاضطهاد الاقطاعي والامبريالي يمثلون حليفا تاريخيا للبروليتاريا. وبفضل الطاقات العددية والنضالية والخلاقة لهذا التحالف الثوري ، وبفضل الايديولوجيا العلمية التي هي اديولوجيته فانه يمثل القوة التاريخية المؤهلة فعلا لفرض وجهة نظرها واساليبها في النضال حتى النصر . ومتى قامت طبقة وسيطة اخرى مثل البورجوازية الصغرى بفرض وصايتها عليه فان النضال ضد الامبريالية يتحول الى التبعية المطروحة في الفقرة السابقة، مما يطرح من جديد مسألة القيادة الطبقية .

●وفي مسألة دور الجماهير العريضة في النضال لفرض مطالبها وسلطتها الديمقراطية الثورية وحماية مكتسباتها ، يقف المفهوم البورجوازي الصغير عند حدود «التدويخ الدعائي المركز» والتحريك من اعلى على يد «النخبة المحنكة» ، وينفي جدلية العلاقة بين الجماهير وطليعتها (العلاقة المركزية – الديمقراطية ، النقد والنقد الذاتي) . واذا كان المفهوم البورجوازي الصغير يعترف بان الجماهير مضطهدة ، فانه مع ذلك يحتقرها في العمق باعتبار انها «متخلفة ونائمة» ، ويرفض عادة طريق النضال الطويل والشاق في قلب الجماهير لتعليمها والتعلم منها ، وتصعيد نضالها الطبقي، ومن تم يلجئ الى الانقلابات والمؤامرات لاخذ السلطة بسرعة وفرض الوصاية على الجماهير وتكبيل مبادرتها . وهذا يساهم طبعا في عزل النخب البورجوازية الصغرى عن الجماهير اذ تدخل مباشرة في هياكل دولة الطبقة القديمة ، وتنغمس في هياكل ادارية وعسكرية طفيلية تجثم على صدر الجماهير اقتصاديا (اذ لا دور لها في الانتاج المادي المباشر) والامتيازات المذهلة (مما يساهم في تكوين بورجوازية الدولة) وسياسيا العداء والاحتقار، النزعة الاستغلالية) وفي اسوء الاحوال، عندما يتعلق الامر بالبورجوازية الليبرالية والاحزاب الاصلاحية ، يغدو التعامل الاستراتجي مع البنية الامبريالية والرجعية واضحا سواء

على الصعيد الاقتصادي (قبول التعايش السلمي مع الاقطاع والاستعمار) ام على الصعيد السياسي (الدخول في حلبة الديمقراطية المزيفة) ، وفي هذه الحال ينحصر «التجنيد السياسي والنضالي » للجماهير الشعبية في مظاهر شكلية وديماغوجية مثل حملات الانتخاب .

ـ ج الوحدة العربية

ان الجوهر الثوري للوحدة العربية يتمثل بالضبط في مضمونها الوطني ـ الطبقي المعادي للامبريالية والرجعية بحيث لا تقوم على اساس عرقي (توحيد كل العرب)وانما توحيد العرب الكادحين والمحرومين والوطنيين المخلصين .

وبهذا المعنى فان هدف الوحدة يخضع لهدف التحرير من الامبريالية والرجعية من جهة ويقتضي بالضرورة تعميق وحدة النضال حسب الاشكال الممكنة في كل مرحلة من جهه ثانية . وبهذا المعنى فان الانظمة الرجعية (الاقطاعية البورجوازية) ، تعتبر خائنة لهدفي التحرر والوحدة معا .

وقد سعت البورجوازية الصغرى العربية الى تحقيق الوحدة بين البلدان التي استطاعت ان تأخذ فيها السلطة ، وقد ربطت فعلا على الصعيد الايديولوجي بين ناضالها ضد الامبريالية والرجعية من جهة وبين محاولتها الوحدوية من جهة ثانية . لكن سوء جظها في مجال التوحيد يرتبط في العمق بواقعها الطبقي وافلاسها في قيادة التحرير نفسه . ان اساس افلاس البورجوازية الصغرى في تحقيق هدف الوحدة هو الاساس الرأسمالي والتبعي والمتخلف للانظمة الاقتصادية والاجتماعية التي تبنيها . ولذا نجد العلاقات التجارية والاقتصادية بين اي بلد عربي من هذا النوع مع الدول الاجنبية (واحيانا مع دولة اجنبية واحدة) هي اضعاف حجم علاقاته مع البلدان العربية الاخرى من نفس النوع بمعنى ان عجز البورجوازية الصغرى على بناء اقتصاد-وطني معتمد على نفسه ، يتوفر على بنية تحتية صناعية وزراعية متينة ، يجعلها محكومة بالتبعية لبلدان اخرى (كل بلد يجد نفسه تابعا بصفة موازية لدولة او دول اجنبية) . وهذا بالطبع يكرس هياكل الانقسام . ومن الوجهة الطبقية نجد ان كل بلد له بورجوازيته الخاصة ، ذات مصالحها الخاصة المتناقضة مع بورجوازيات البلدان الشقيقة . ولان الطابع الرئيسي لكل البورجوازيات هي المركنتيلية والتجارة والمصالح البيروقراطية ، فهي تعمل كل من جهتها على الحفاظ على مصالحها الانانية الخاصة ، مما يضعف حتى مجال المبادلات التجارية المشتركة ، فبالاحرى العمل الجماعي على بناء اقتصاد مشترك متين يبدأ بالضبط من ضرب الجيوب الطفيلية والمصالح الانانية البورجوازية . ومثال فشل الوحدة بين سوريا ومصر ساطع في هذا المجال ، حيث ان تناقض مصالح البورجوزيتين كان عاملا رئيسيا في تفجير الوحدة ، رغم ان الاطار السياسي للنضال ضد الرجعية والامبريالية كان يعطيها صبغة جماهيرية وتقدمية عالية المستوى . اما الوحدة الثلاثية الاخيرة فبالاضافة الى انها محكومة بنفس الافق الطبقي البورجوازي القاصر بحيث لا يمكن الخلط بينها وبين الوحدة العربية الثورية والمتينة المنشودة (بناء الاشتراكية على الصعيد العربي) ، فانها تأخذ اتجاها يمينيا مناهضا للحركة الجماهيرية والثورية .

وتلخيصا نقول : ان الطبقات التي لها ابعد المصلحة واكبر الطاقة في بناء الاستقلال الاقتصادي والسياسي الكامل ، تلك الطبقات المعادية اساسا للطفيلية والانانية والامتيازات ، الطبقة العاملة والفلاحين الفقراء هي المؤهلة تاريخيا لتحقيق الوحدة العربية الثورية المنشودة .

هذه بايجاز شديد المضامين الاساسية للاهداف الثلاثة العظمى للامة للامة العربية في التحرير والاشتراكية والوحدة ، ان الظروف العامة للنضال من اجلها تتحدد خصوصا بعد هزيمة يونيو ١٩٦٧، في اطار مرحلة تاريخية تتميز بالخصائص الاتية :

١ ـ ان مجمل الانظمة العربية استنفذت طاقاتها النضالية ضد الصهيونية والامبريالية ، وانه بالتالي صار مطلوبا بوضوح توفير قيادة طبقية جديدة للمعركة ، حتى يتوفر التفوق بالجماهير الثورية المسلحة على التفوق التقنولوجي الصهيوني والاميرالي ، وان هذا الهدف ليبتدء من بناء الاستقلال التنظيمي للبرليتاريا .

٢ ـ ان عجز الانظمة على صعيد التحرير الوطني مرفوق باستنفاذها لزادها الاصلاحي التقدمي (الاصلاحات الزراعية التأميمات) ، وانها صارت تأخذ كطابع رئيسي لها ، التناقض المباشر مع الجماهير ، وانه لم يعد بامكانها تبرير الاستغلال بدعوى المعركة ، وانها تبعا لذلك ستصطدم اكثر فاكثر بالنضالات الجماهيرية وانها مطروحة للزوال تاريخيا ، وهذا الوضع بالذات هو الاساس الموضوعي لنمو القوي الثورية .

٣ ـ ان الامبريالية تلتقي مع الاتحاد السوفياتي في المسألة الاساسية وهي فرض الاستسلام ومحو تحرير فلسطين من جدول الاعمال رسميا ، وتثبيت ما هو قائم من اوضاع طبقية عربية ، ومعاداة الحركة الجماهيرية .

٤ ـ ان المقاومة الفلسطينية هي النقيض المباشر للاستسلام ، وانها اول تجسيد لا ستمرار النضال القومي العربي، ورأس رمحه ونموذجه وهي في الوجهة المقابلة محكومة الى حد كبير في بعدها الاستراتيجي بتطور النضال العربي الثوري خاصة في المناطق المحيطة بها .

٥ ـ ان الحركة الجماهيرية والقوي الثورية تسجل بداياتها بافقها الجديد ، والخاصية الاساسية للحركة الجماهيرية ستكون في المرحلة المقبلة محكومة بالدرجة الاوائى بمستوى تطور الصراع الطبقي القطري خاصة في المناطق الغير المجاورة مباشرة لساحة تحرك المقاومة الفلسطينية وهذا طبعا لا يصح ان يؤدي الى فهم قطري ضيق للمهام النضالية ، ولكن يصح ان يلغي النظرة العمومية لثورة عربية مثالية لا تنطلق من الوضع الملموس للمقاومة والحركة الجماهيرية في كل قطر ومن عدم تساوي الصراع الطبقي في كل قطر.

الجزر الحالي والافاق القادمة للمقاومة

ان ظروف نشأة المقاومة الفلسطينية جعلت مصيرها المرحلي مرهونا بصفة حاسمة بمدى قدرتها على نهج خط صحيح يراعي بدقة الاعداء الفعليين : صهيونية ، امبريالية ، رجعية ، رجعية جديدة استسلامية) ، والقوى الفعلية : الحركة الجماهيرية ، الوعي الثوري ، الامكانيات النضالية فلسطينيا وعربيا.

ـ أ ـ المــد

وقد كان التوسع الباهر للمقاومة الفلسطينية فيما بعد هزيمة يونيو بفعل ظروف عربية (رسمية وجماهيرية) وفرت لها صدى وقتيا محكوما بمجمل تلك الاوضاع :

لقد تجاوبت الجماهير العربية مع المقاومــة بحماس ونضالية في غمرة الجو القومي العــارم الذي اوقدته الهزيمة النكراء .

١ ـ وقد مثلت المقاومة الفلسطينية القلب الذي باتت الجماهير العربية تلمس في نبضاته استمرار النضــال القومي وتودعه كل مطامحها في التحرير الشامل . لكن هذا الجو الحماسي والنضالي لم يصاحبه اي تغير في ميزان القوى لصالح الجماهير وقواها الثورية .

٢ ـ ورغم تشبت القيادات الطبقية السائدة بكل مصالحها وخططها ، ورغم بقائها متحكمة الى حد كبير في الوضع السياسي، فقد اضطرها سعيها لتمرير هزيمتها وقبولها بوقف اطلاق النار الى مساندة او عدم محاربة المقاومة الفلسطينية مرحليا ومؤقتا (الملك حسين يقول « كلنا فدائيون » ويلقب نفسه «بالفدائي الاول» ، اغلــب الانظمة تساعد المقاومة ماديا وبالاذاعات). ولكــن الانظمة العربية لم تمنح المقاومة الا درهما ذا وجهين ، فقد عملت جهد امكانها على سجن المقاومة سياسيا مقابل مساعدتها المادية ، بل ولجأت احيانا الــى ايجــاد منظمات تابعة لها داخل صفوف المقاومة قصد استعمالها في الوقت المناسب لجر المقاومة الى دهاليز السياسات الرسمية والا فلخلق تناقضات متفجرة داخل المقاومــة .

وقد عملت الانظمة العربية على استغلال ظاهرة المقاومة كورقة ضغط على اسرائيل لتسرع بتقديم بعض التنازلات في الشروط التي تضعها للحل السلمي . كما استغلت الانظمة العربية المقاومة ايضا كورقة دعايــة «لالهاء» الجماهيــر العربية وتلفيت انتباهها عن مــا يدور على «الجبهة الديبلماسية» من مساومات مادامت «البيانات الرسمية» تؤكد مساندتها للمقاومة على جبهة القتــال .

٣ ـ وقد ساهم في التوسع الباهر للمقاومــة الفلسطينية ايضا تجدد نفس القيادات البورجوازيــة العربية في مواقعها الغير المهزومة بصفة مباشرة لحد الان من ذلك على الصعيد العربي قيام انقلاب السودان (في مايو ١٩٦٩) وليبيا (في شتمبر ١٩٦٩) ، لــكــن الظاهرة الهامة في هذا الصدد هو التوسع الباهــر والسريع لحركة «فتح» ولقاؤها الدعم والتأييد الشبه مطلقين بمافي ذلك على الصعيد الرسمي. وتفسير ذلك كما هو واضح ليس لانها فرضت نفسها بانتصارات مــا على العدو الاسرائلي (فمجموع عمليات المقاومة ظلت محدودة ، وان كانت «فتح» انشط المنظمات من حيــث عدد العمليات العسكرية) ، فذلك راجع بالاساس الى الامكانيات في «المال» والعتاد» وليس الى اي تجديد او تفوق في استراتجية تاكتيك واساليب الحرب الشعبيــة لكن الدعم الرسمي من الانظمة واغلب المنظمــات يرجع الى التعاطف الايديولوجي والطبقي المتبادل ، والى تلك الصبغة البريئة والساذجة ، والعملية ، والتي تصبغ بها ايديولوجية وممارسة اليمين المقاوم نضال الشعب الفلسطيني بحيث تعاهد على «الثورة حتى النصر» وفي نفس الوقت على عدم التدخل في شــؤون الاخرين» ، بمعنى عدم نقد الاوضاع السياسيــة العربيــة بصفــة منهجية وعدم المساهمة في توضيح المهام القوميــة . وتلك الصورة «المجتهدة والبريئة» في نفس الوقت هو ما

كانت تحتاجه الانظمة العربية للتظاهربدعم الثـورة ، وممارسة البحث عن وسائل الاستسلام .

جو جماهيري حماسي ونضالي ، تساهل اضطراري مؤقت من جانب الانظمة العربية ، قيادة يمينية سائدة للعمل الفدائي ، تلك هي العناصر الاساسية التي اعطت المد الكبير للمقاومة الفلسطينية في فترة ١٩٦٧ ١٩٧٠

وقد اشرنا الى بعض حلقات الضعف في هـــذه المعطيات ، فلنرى الان كيف ان جزر المقاومة اتى بالضبط في ظل استفحال حلقات الضعف تلك .

ب ـ الجـزر

١ ـ لقد فشلت المقاومة الفلسطينية في حسم الصراع مع النظام الاردني العميل لصالحها ى وهـذا يفقدها ولوقت طويل قاعدة اساسية للانطلاق السياسي والعسكري . ولسنابحاجة الى التاكيد على ان الواقع الموضوعي للنظام الاردني يجعله «عميلا حتى المـوت» للامبريالية بل والصهيونية ، والكل يذكر ان محاولاته لتصفية المقاومة بدأت بظهور المقاومة ذاتها والكل يذكر ايضا ان معركة الكرامة الخالدة (في فبراير ١٩٦٨) سجلت بدماء الشهداء تخلي النظام الاردني وجيشه عن الفدائيين في معركة طاحنة ضد الغزاة الصهاينة ، وكأنه يرجو ان تتم ابادتهم . غير ان صمود الفدائيين البطولي جعل المقاومة الفلسطينية تكسب نصرا سياسيا باهرا . ونذكر بهذا الحدث للتأكيد عـلى ان الواقع الملموس اثبث للمقاومة منذ فجرها بانه لا نضال مستمر ضد الصهيونية الا اذا صاحبه نضال مستمر ومضبوط استراتجيا وتاكتيكيا ضد العملاء وعلى رأسهم النظام الهاشمي . وقد استفاد النظام الاردني من هذا الدرس التاريخي وانصرف بمجرد ما تمكن من استعادة نفسه السياسي والعسكري الى بناء خطة منهجية لتصفيــة المقاومة الفلسطينية وركز في هذه الخطة على :

ـ تقسيم الشعب الاردني الفلسطيني وعزل بعضهما عن بعض .

ـ توسيع جبهته السياسية يكسب مجموعة من العملاء وبخلق تنظيمات موالية له كالميليشيات»

ـ تقوية اجهزة القمع بجميع الوسائل وبالتعاون مع الامريكيين .

ـ شن حملة تضليلية واسعة النطاق لعزل المقاومة عن جماهيرها .

لكن المقاومة لم تنهج الخط الصحيح للمواجهــة ، وذلك راجع بالاساس الى السيطرة الكبيرة للخط اليميني في التوجيه والامكانيات . وهذا التوجيه جعل المقاومة تقفز على الصراع الطبقي في الاردن لتسقط في نزعـة عسكرية استعراضية وفي شبكة علاقات متخلفة علــى جميع الاصعـدة :

ـ من حيث التكوين العضوي للمقاومة سيطـرت الظاهرة البيرقراطية عسكريا وسياسيا (جهاز مـــن «الموظفين») .

ـ في العلاقات مع الجماهير العربية ، وخاصــة الجماهير الاردنية (نظرا لحسميتها في الصراع وضمان الاستمرار) ، سيطر التحريض العاطفي ، الغير المقرون باي عمل من اجل تحالف وطنـي وتقدمـي فلسطيني ـ اردني على اساس برنامج محدد وثابث ، كما سيطرت ظاهرة «فلسطنة» القضية الفلسطينية بايحاء من شعار «الاكتفاء بالمر الاردني للتسرب الى اسرائيل» ومن وهم

«تعايش اجهزة السلطة الاردنية مع اجهزة سلطة المقاومة» وعلى اساس رغبة طبقية في عدم اذكاء النضال الطبقي للكادحين في الاردن .

وفي العلاقات مع الانظمة العربية تكاثرت الارتباطات المادية والاعلامية .

ـ٢ـ وقد ظلت الحركة الجماهيرية وقوة الثورة في العالم العربي (باستثناء جنوب اليمن وظفار ولبنان) عاجزة عن تشكيل حتى قوة ضغط اصالح الثورة الفلسطينية ، فبالاحرى تحقيق انتاصارات ملموسة وتوفير قواعد اعتماد صلبة لها . وهذا الذي عزل المقاومة في صراعهامع النظام الاردني ، كما سمح للانظمة البورجوازية بالتزكية الصامتة للمذابح ، لكن الحركة الجماهيرية في الاقطار العربية لا يصح ان تقدر امكانياتها في حماية الثورة في الاردن اكثر مما يجب اذ بقى العامل الاساسي في الصراع هو ميزان القوى بين النظام الاردني والمقاومة الفلسطينية ، وقد اوجزنا اختلال ميزان القوى هذا في الفقرة السابقة .

ـ٣ـ اما الانظمة العربية فسرعان ما انتبهت الى الخطر الذي باتت تمثله المقاومة الفلسطينية في الامكانيات التطبيقية للحل السلمي ، اذ صارت قوة ضارية عسكريا وسياسيا ، وحجر عثرة في وجه ارضاء الامبريالية والصهيونية في شروطهما للحل السلمي. وقد كانت نقطة انطلاق كبت الانظمة للمقاومة هي مشروع روجرز الذي رفضته المقاومة كخطوة تطبيقية اولى لقرار مجلس الامن (نونبر ١٩٦٧) الذي سبق ان رفضته المقاومة ، ونذكر كمثال ان النظام المصرى قفل اذاعة صوت فلسطين من القاهرة وحاول القيام بدور الحكم«الحكيم» في الصراع الدائر بين المقاومة والنظام الهاشمي .

ـ ج ـ خلاصات وافاق

● كثيرا ما يعيب على المقاومة الفلسطينية وخاصة على يسارها ، انها لم تطبق شعارها في وحدة النضالين العربي والفلسطيني ، وكثيرا ما يعيب عليها ايضا انها سبقت تناقضات ثانوية او غير ذات طابع الاستعجال على التناقض الرئيسي مع الصهيونية .

فيما يخص الانتقاد الاول ، والمتعلق بالدور العربي ليسار المقاومة يجب التأكيد على ان المقاومة ليس مطلوبا منها القيام بمهام الثورة في كل قطر. وان الحركة الجماهيرية في الاقطار العربية لا يمكن الاستعاضة عنها بنزالمظليين فدائيين ولو كان مستوى وعيهم رائعا. كما ان المقاومة لا يمكن ان تحل مسألة قومية المعركة بمجرد ضمان فدائيين عرب من مختلف الاقطار في صفوفها لان المسألة في النهاية مرهونة عمليا بوجود المتطوعين من جهة ، وبقدرة المقاومة سياسيا وماديا على استيعابهم ضمن خط سياسي صحيح وليس ضمن نفس الانتفاخ الكمي الذي لن يحل اية مشكلة . والواقع ان المقاومة الفلسطينية افرزت حركة سياسية وايديولوجية جديدة كل الجدة على صعيد العالم العربي خاصة بفعل نشاط يسارها المتقدم على هذه الجبهة ، وان كان ذلك لم يؤد بالطبع بصفة مباشرة اوتوماتيكية الى نتائج تنظيمية ومتقدمة في الاقطار العربية .

ان المهمة الاستراتجية الاولى التي تتجسد فيها قومية المعركة بالنسبة للمقاومة الفلسطينية هي بالضبط استراتجيتها الفلسطينية ـ الادرنية ، ذلك ان قدرة المقاومة او عدم قدرتها على اداء هذه المهمة الاستراتجية الاساسية في هذه المرحلة هو المقياس الصحيح لمحاكمة

تجربة المقاومة على الصعيد القومي . لماذا ؟

هنا نرجع للانتقاد الثاني الذي يتحدث عن تسبيق تناقضات ثانوية على التناقض الرئيسي مع الصهيونية وبعيدا عن اي تلاعب بالالفاظ حول الثانوي والرئيسي، اتضح تاريخيا وفي الملموس ان النظام الهاشمي يمثل حجر عثرة فعلية في وجه تصعيد الصراع مع العدو الاسرائلي بينما تأتي جملة حقائق اساسية لتؤكد الطابع الحاسم لخط المقاومة الفلسطيني ـ الاردني .

١ ـ ان الشعب الفلسطيني ـ الاردني شعب واحد تماما من الوجهة التاريخية والاحصائية ايضا .

٢ ـ ان العمل في الاراضي المحتلة ، نظرا للصعوبات التي تكتنفه ، بل ونظرا لقيام اسرائيل بترحيل السكان باستمرار ، يتطلب قاعدة خلفية صلبة للنضال والتدريب والبناء الاقتصادي المستقل عن « المساعدات والتسرب لانجاز العمليات الخ .. وان الاردن هي بفعل الاعتبار الاول وبفعل ان لها اطول جبهة مع اسرائيل هي القاعدة الاولى المطلوبة .

٣ ـ ان المقاومة منذ نشاتها تعرضت لمحاولات الذبح من جانب النظام الاردني .

وقد رأينا ان العامل الاول في افشال مهمة حسم ازدواجية السلطة لصالح المقاومة الفلسطينية كان بالضبط سيطرة الخط اليميني فيها ، بحيث ان المنظمات التي كانت لها اكبر قوة في «المال والعتاد» وكان لها اوسع الصدى ظلت تنهج خطا دفاعيا على الصعيد الاستراتجي تجاه النظام الاردني (لا تهيء الشروط الجماهيرية سياسيا وتنظيميا لتحاربه وتهاجمه فقط كلما بادر هو بالهجوم ، وتذهب احيانا الى اتهام بعض اليساريين باستفزاز النظام .

وقد اكدت الاحداث الان ان المهمة الرئيسية المطروحة على المقاومة في المرحلة الراهنة هي :

بناء الجبهة الوطنية ـ الديمقراطية ـ الفلسطينية ـ الاردنية بالتعاون مع القوى التقدمية والوطنية في الضفتين باتجاه عزل الطغمة الهاشمية . ولا شك ان هذه المهمة تتطلب نضالا طويلا النفس على ثلاثة جهات :

أ ـ تركيز علاقات نضالية فى الاراضي المحتلة .

ب ـ بناء علاقات تنظيمية وسياسية بالجماهير في الاردن بمضامين واشكال ثورية جديدة تعتمد بالاساس على القواعد الجماهيرية .

ج ـ تعميق النقاش على صعيد الحركة ككل من اجل تحديد برنامج وطني ديمقراطي .

● فيما يخص التركيب الذاتي للمقاومة الفلسطينية يتضح من نقد الخط السايسي السائد ، الذي اورداه بايجاز ان تراجع المقاومة في الوقت الراهن هو فشل خط معين ، وليس نتيجة ظواهر ثانوية من نوع تعدد المنظمات وانعدام الوحدة ..

لقد اكدت التجربة ان الوحدة الفلسطينية مرهونة بتبلور وسيادة خط سياسي سديد ، لا يمكن بدونه لاية وحدة الا ان تكون تجميعا للتناقضات. وقد اكد اليمين الفلسطيني بالضبط ضمن نفس مفهومه للعمل الفدائي على ضرورة الوحدة الوطنية بفهوم اندماجي وعسكري بالاساس يخدم في النهاية سيطرته المطلقة وابتلاعه التنظيمات الاخرى . ويجب ان نسجل ان الجبهة الشعبية الديمقراطية عملت بمبدأ التعاون ضن جميع هياكل التنسيق والحوار المتوفرة في منظمة التحرير الفلسطينية

ولكنها ناضلت دوما من اجل وحدة وطنية بمضمون متقدم يتمشى ووعيها العام المتقدم (انظر حركة المقاومة في وضعها الراهن ، لج. ش. د.)

ولا عجب ان تعمل الان اكثر الدوائر الرسمية الرجعية على تصفية يسار المقاومة الفلسطينية لانه في الوقت الراهن يمثل بذور انطلاقة ثورية جديدة للمقاومة.

والصراعات الداخلية الجارية في صفوف المقاومة حاليا تنبيء بتحولات تقدمية هامة وباعادة ترتيب موازين القوى في المستقبل ، وكانت اهم حلقة في الصراع مسألة الموقف من مفاوضة جدة الاخيرة ومن المفاوضات بوجه عام مع النظام الهاشمي ، وعمت موجة جماهيرية للاحتجاج ضد موقف التيار اليميني الذي يجلس للتفاوض مع النظام بدعوى «التكتيك» بينما هو لا يعدو ان يتكتك على الجماهير بحيث يشككها فى الاعداء ويشككها في جدية المقاومة ، مؤكدا بذلك على عدم وعيه بمهمة بناء الجبهة الوطنية الفلسطينية ــ الاردنية ، المعتمدة بالاساس على القواعيد الجماهيرية ، والمعادية بالاساس للطغمة العميلة .

ان الممارسة هي التي تعي من خلالها الجماهير الخطالصحيح ، وان الظروف الموضوعية لنضال الشعب الفلسطيني ، زيادة على تجربته القاسية الاخيرة ، لتتطلب خطا وممارسة على مستوى عال من الوعي الايديولوجي والسياسي والتنظيمي ، والصراعات الحالية تسير في هذا الاتجاه رغم حدة الصراع وطول الطريق .

ونفس ما وصلت اليه المقاومة الفلسطينية من تراجع لاعادة الانطلاق من الاساس ، تصله القوى التقدمية في الوطن العربي ولو على مستوى اخر ، تحت وطأة الردة اليمينية العامة في الانظمة العربية.

التحولات اليمينية في الانظمة العربية

استنفذت اذن مختلف الطبقات السائدة العربية طاقاتها النضالية القومية منذ هزيمة خزيران ــ اضيف الى احتلال فلسطين ، احتلال ارض عربية واسعة وذات حساسية استراتجية شديدة!

ما هو الموقف القومي ؟ الاستماتة في النضال ، وتصعيد المعركة .

ما هو موقف الطغم الحاكمة؟ الاستسلام، وتصعيد الاستغلال الطبقي .

هذا الموقف يتضح بجلاء على جميع اصعدة سياسة الطبقات السائدة سواء منها في «جبهة المواجهة» ام في توطيد الجبهة الداخلية ام في «حشد القوى» .

١ ــ الاستسلام في جبهة المواجهة

سبق ان اشرنا الى ان كل النظرية العسكرية للبورجوازية الصغرى ولبورجوازية الدولة تقوم على السباق مع اسرائيل في بناء الجيش النظامي الكلاسيكي وتهيئه ليقوم يوما بمعركة حاسمة وهجوم مظفر ، يحرز فيها بعصا سليمان على تفوق ساحق على مجموع تقنية وتنظيم ومال الولايات المتحدة واسرائيل ، والامبريالية عموما .

لكن هزيمة يونيو النكراء اتت بحدثين شديدا الاهمية من الناحية الاستراتجية اكدت استحالة ذلك المنظور :

ــ الاول ان الجماهير العربية في سيناء وغزة ومرتفعات الجولان كانت بدون سلاح ، بدون تدريب ،

بدون تنظيم سياسي مما سهل على العدو الاسترخاء في تلك المناطق والسير في الاضطهاد «والتهويد».

– الثاني ان اهمية تلك الاراضي بالضبط وخاصة منها الضفة الغربية للقنال ومرتفعات الجولان جعلت الجيوش النظامية عاجزة تماما على الصمود ، وعن القيام بهجوم مضاد .

وبعد لاي من الهزيمة ، بدأت خطة الاستنزاف ، وطرحت ضمن نفس المفهوم من جديد ، على اساس ان استنزاف قوى العدو سيساعد على منعه من بناء التحصينات على غرب القنال ، وسيشغله الى ان تتهيأ الظروف في «يوم المعركة الحاسمة» فيقوم الجيش المصري بهجوم مظفر لكن :

– بدأ العدو يهاجم الاراضي المصرية في الاعماق بطائرات الفانتوم ، هاجم بالخصوص معمل ابي زعبل فاستشهد عشرات العمال .. فتوقفت حرب الاستنزاف دون ان تكون ادت الى هجوم مظفر ، ودون ان تكون منعت العدو من «التهويد» وبناء التحصينات.

وجاء وقف اطلاق النار الذى امتدوتمطط ، وقد تم تبريره بهدفين :

– الاول ان مصر صارت هي المحتاجة اساسا لبناء التحصينات (وقامت فعلا بتنقيل صواريخ سام ٣ و ٢)

– الثاني، وقد جاء متأخرا بعض الشيء يدخل ضمن فتح قنات السويس ، وتنقيل بعض الكتائب العربية ان سمحت اسرائيل بذلك الى الضفة الغربية كخطوة اولى على طريق الهجوم ، (على ما لا يبدو، اذ ان فتح اقنال يتنافى مع الحرب) ، لكن اسرائيل متعنتة في هذه النقطة على كل ، وبديهي ان حساباتها العسكرية ستحدد بالضبط امكانية تنازلاتها مع ضمان التفوق ، نذكر بهذا الصدد انها تضع مجموعة من الشروط من ضمنها تقنين عدد الجيوش ونوع اسلحتها ، وعدد كلمترات التراجع الاسرائلي ، وحضور قوة دولية الخ ..الخ..)

هذا التدهور في الموقف العسكري رافقه وأملاه اختيار استراتجي اساسي (ليس غيره من خيار امام الانظمة القائمة) : هذا الاختيار هو الحل السلمي . ويالها من حلقة مفرغة تلك التي يبرر فيها الحل السلمي والخطوات الاستسلامية ببناء القوات المسلحة ، ويبرر فيها استمرار التفوق العسكري الاسرائلي بامكانيات احراز انتصارات ديبلماسية قد تسهل مهمة التحرير بالقوة !!

هذ الحل السلمي بحكم تعنث اسرائيل ، لم يؤد في التطبيق الا الى اضافة هزيمة ديبلماسية بارزة الى الهزيمة العسكرية :

– تم القبول بوقف اطلاق النار تحت وطأة العدوان الاسرائلي .

– طرح شعار «تحرير كل شبر» لكن ووفق على قرار مجلس الامن المعروف وهو يمحي تحرير فلسطين من جدول الاعمال ، ويحافظ مع ذلك بمبدأ تراجع اسرائيل عن الاراضي المحتلة .

– ووفق على مشروع روجرز كبرنامج «عملي» لتطبيق قرار مجلس الامن ، وفضلت الانظمة معاداة المقاومة الفلسطينية التي رفضته ، (ذلكم ثمن التكتيك)

– واخيرا يدور النقاش حول مجرد فتح قناة السويس ، اما التحرير فقد يتطلب «اجيالا» كما قال السادات .

كم من وطني عربي مخلص ظل ضحية «التكتيكات» الرسمية العربية فغابت عنه الاستراتيجية الوحيدة التي صارت تنهجها وهي الاستسلام !

لنفرض الان ان صداما وقع بين الانظمة العربية واسرائيل، بسبب تعنت هذه الاخيرة، لو بسبب استحالة استمرار الانظمة في ممارسة التسويق والتضليل الديبلوماسي للجماهير ، ماذا خلف الجيش ؟جماهير بدون سلاح !

ولذلك ، فسواء كان الامر يتعلق بالدفاع او الهجوم بالصمود او استرجاع الاراضي ، هناك مطلبان اساسيان لكل وطني عربي .

- مساندة الثورة الفلسطينية سياسيا وماديا بصفة مطلقة .

- تسليح الجماهير الشعبية التي طالبت بالسلاح منذ يونيو ٦٧ . وكما ان الانظمة تتخلى عن المقاومة ، فهي تقمع الجماهير .

٢ - القمع في الجبهة الداخلية

ان شعار تسليح الجماهير لا يعني نهائيا عملية بسيطة لتوزيع الاسلحة على الشعب ، وان العائق عن تنفيذ هذه العملية «البسيطة في حد ذاتها» ليس هو انعدام التدريب »وعدم جدوى تسلم الشعب البندقية الخفيفة في الوقت الذي تشترى فيه اسرائيل «الفانتوم» ذلك ان تسليح الشعب يعني في الواقع تجنيد مجموع الاقتصاد والطاقات والغاء الامتيازات المنهلة الخ..

لكن بورجوازية الدولة تسير في الاتجاه المعاكس تماما ، فهي تصعد الاستغلال الطبقي والامتيازات ، وتصعد تبعا لذلك قمع الجماهير بعد ان وصلت الى الهدنة الضمنية مع العدو .

على الصعيد الاقتصادي يسجل في مصر مثلا بداية بعض المشاريع بمساعدة الامبريالية الامريكية والالمانية ، ونذكر منها بالخصوص بناء مضخة في مصر، وامكانيات توسيع الانفتاح على امريكا ضمن المراهنة على فتح قناة السويس ، والمبادرة الفردية الليرالية المشجعة اكثر فاكثر في هذه البلدان .

وقد رافق هذه التطورات الاقتصادية تطورات سياسية لصالح اكثر الفئات انغماسا في الاستسلامية المكشوفة ولصالح البورجوازية التقليدية «الليرالية» اى الغير القابل للسيطرة المطلقة لجهاز الدولة وبورجوازيته البيروقراطية . كما ان نفس التطورات جاءت كحسم نهائي للتوازن السياسي القديم الذي كان يرغم القيادة على التريث والمراوغة في خطها الاستسلامي (انقلاب حافظ الاسد في سوريا ، تصفية الجناح «السوفياتي» المنغلق وضمن نفس العملية تصفية عدد من المناضلين الوطنيين والتقدميين في الجيش والحزب في مصر ، تزعم القدافي ملحملة ضد الشيوعية وكل معارضة على العموم ، تصفية الحزب الشيوعي في السودان الخ.. حملة القمع ضد التيار الشيوعي المتقدم في العراق بزعامة عزيز الحاج (الذي انهار والتحق بالنظام ، دون ان يمنع ذلك من تضييق الخناق على المناضلين المتصلين) الخ ..

بموازاة مجموع حملات القمع و «ترتيب الاوضاع» هذه تنظم الانظمة حملة استفتاء بونابارتية (في سوريا ومصر، وليبيا والسودان) ، وحملة القمع هذه تمتد الى داخل صفوف المقاومة(الحمل على اليسار).

٣ «حشد القوى» الرجعية

لقد ارتمت الانظمة الرجعية الجديدة في احضان

الرجعية القديمة كي تمنحها هذه خدماتها المالية لتعيد ترتيب اوضاعها المنهكة ، والسياسية لتساعدها على قمع الحركة الجماهيرية والقوى الثورية ، هكذا انعقد مؤتمران للقمة العربية (الخرطوم ثم الرباط). اما الاول فاكتفت فيه الانظمة البورجوازية بتسلم المساعدات المالية من السعودية والكويت مقابل السكوت عن مواقف التخاذل التي تنهجها الرجعيات القديمة ، ومعلوم ان النظام الاردني كان له نصيب هام من تلك المساعدات التي مكنته من «اعادة بناء الجيش» ، ومعلوم ايضا ما قاسته الحركة الثورية الفلسطينية من ذلك الجيش. اما مؤتمر الرباط فقد اكتنفته صعوبات اكبر نظرا لحضور «النظامين الوطنين الشابين» لكل من السودان وليبيا.. لكن الحلف امتد من جديد ليشمل السعودية خاصة في مسألة «احتواء» المقاومة الفلسطينية ، اي محاولة اخضاعها للشروط الاساسية التي يضعها النظام الاردني والتي قوامها تكبيل المقاومة الفلسطينية ضمن حدود تسمح بمراقبتها التامة من طرف السياسة الرسمية ، بل وربما تسمح ايضا بالوصول مع بعض الاطراف في المقاومة إلى تصفية اليسار او القبول بمشروع دويلة مصطنعة في المستقبل . وهكذا يتضح الدور الطليعي الذي تقوم به السعودية ومصر من اجل ايجاد الصلح بين «الاشقاء» في مفاوضات جدة .وفي هذا الاطار يتضح قيام مصر بترك جنوب الجزيرة العربية تحت تصرف السعودية والقوى الامبريالية في امارات الخليج ، وتطويق ثورة ظفار .

وضمن هذا السياق يأتي الاتحاد الثلاثي نفسه كحلقة مركزية في التحالف الرجعي الواسع ، يقوم على:

أ) خيانة الثورة الفلسطينية ومحاولة «ترويضها» نهائيا .

ب) شل وتطويق الحركة الجماهيرية وقمع كل تحرك تقدمي .

ج) تقوية التعاون الاقتصادي بين البورجوازيات السائدة

د) محاولة الضغط على اسرائيل في اطار الحل السلمي ، وبالاضافة الى كونه يقوم على هذه المقومات المشبوهة ، فان الاتحاد مهدد ايضا بالتصدع وذلك مراعاة للاعتبارات الاساسية الاتية :

أ ـ عدم استقرار اوضاع الطبقات السائدة بعد في كل قطر . ففي ليبيا مثلا من المحتمل تماما حسب تطورات الطبقة الناشئة ان تعيد النظر في علاقاتها مع مصر ومساهماتها في «المجهود الحربي» المغلوط. كما ان السودان لازال مبعدا بالنظر لعدم قدرة مجموعة النميرى لحد الان على تثبيث سلطتها وقمع الحركة الجماهيرية ، كما ان البورجوازية السائدة في سوريا غير مستقرة كما ثبت ذلك تاريخها ، نظرا لعدة عوامل سياسية وطبقية .

ب ـ ان تطورات الحل السلمي من شانها ان تؤدي الى تفجرات جماهيرية تضطر الانظمة الى المناورة كل على حدة حسب «ظروفه الخاصة» دون كبير المراعاة للالتزامات الجماعية ، ثم ان الحل السلمي كما يظهر لحد الان قد يتقدم الى حد ما في مسالة قناة السويس ، لكن مشكل النظام السوري في استرجاع اراضي الجولان لازال مدغوما ، وفي حالة هزيمة جديدة ، اذا ما قام صدام عسكري لسبب او لاخر ، فان عجز الاتحاد سيتجلى بشكل يهدد وجوده مباشرة.

الحركة الجماهيرية

ان النضال الاجتماعي والنضال القومي لجماهير الامة العربية يرتبطان بجدلية ، اذ يغني مجرى المعركة القومية وعي ومبدارات الجماهير ، ويحدد مستوى الحركة الجماهيرية الاجتماعية ، ومدى جذريتها، وتنظيمها امكانيات التحرك في المعركة القومية .

ويدخل بالطبع عامل التمايز بين الانظمة السائدة من جهة وتفاوت درجات احتكاك كل منها بالمعركة القومية من جهة ثانية ، وعدم تساويها في التطور والنضج من جهة ثالثة ، في تحديد خصوصيات وافاق النضال الجماهيري فى كل قطر او مجموعة اقطار. وواضح ان من المستحيل اعطاء بضع وصفات صالحة على امتداد العالم العربي في هذا المقام .

لكن الميزة الاكيدة للحركة الجماهيرية العربية في هذه المرحلة ، هي انما تمر في منعطف تاريخي ذي افاق ثورية جديدة كل الجدة . والمرتكز الموضوعي لهذا التجول هو تعمق تناقضات الانظمة القائمة جميعا ودخول مختلف الايديولوجيات والقيادات السياسية فى مأزق خانق يدفعها الى تصعيد القمع والديماغوجية داخليا والى الاستسلام والتراجعات المكشوفة على الصعيد القومي .

ان هناك عدة شروط تاريخية اهلت البورجوازية الصغيرة لتزعم الصراع الوطني وفرض هيمنتها الايديولوجية والتنظيمية المطلقة على الجماهير العربية بوجه عام ، ومن بين تلك الشروط اتساع التجارة في العالم العربي ووفرة الموارد الاقتصادية ، وتعمق الامبريالية في نسيج شبكاتها الاستثمارية والتبادلية في البلدان العربية . وقد طمحت البورجوازية العربية الى حل ازمة الطريق الرأسمالي (الذي يكبته الاقطاع والاستعمار) .

لكن مجموع الرأسماليات التبعية القائمة ، سواء منها التي تقودها بورجوازية الدولة ، او التي يقودها التحالف الاقطاعي ـ البورجوازي ـ الكمبرادوري ، لم تؤد الا الى تعميق الظواهر الطبقية الاتية :

١ ـ توسع نسبي للطبقة العاملة ، مع تعرضها للاستغلال الفاحش والاضطهاد .

٢ ـ توسع وافلاس الفلاحين الفقراء (الذين يكسبون جزءا من قوتهم بالعمل المأجور) بشكل عريض

٣ ـ تبلتر وتشرد جموع عريضة من الجماهير القروية والحضرية .

٤ ـ تأزم اوضاع الفئات الدنيا الواسعة من البورجوازية الصغيرة ذاتها ، وتجدر مواقفها تبعا لذلك .

هذه المعطايات الطبقية العامة ، تضع القيادات البورجوازية الصغيرة ، سواء منها الموجودة في مواقع السلطة او الموجودة خارجها، على نفس ارضية الافلاس التاريخي ايديولوجيا وسياسيا وفي المهام التحررية . هذه الوضعية تضع العالم العربي على الطريق الاسيوي في الثورة .

(في اسيا كانت الجماهير الكادحة والمحرومة في صراع مباشر مع الامبريالية والرجعية، ولم تكن هناك بالقياس مع العالم العربي ، بورجوازية صغيرة بنفس حجم وقوة البورجوازية العربية ، بحيث انعدمت او كادت الافكار والقيادات الوسيطة) .

لقد فرضت البورجوازية الصغيرة العربية تيارات واسعة ، واستلمت السلطة في اغلب البلدان العربية

ولجمت الحركة الجماهيرية بهياكلها النقابية والسياسية بما فيها التشكيلات «الشيوعية» المنحرفة التي ما مثلت البروليتاريا يوما بقدر ما كانت احدى ذيول البورجوازية وقد صارت الجماهير الكادحة بما فيها قطاعات واسعة من البورجوازية الصغيرة تلمس شيئا فشيئا تناقضها الطبقي مع الطغم المتبرجزة اقتصاديا وايديولوجيا ، وصارت تدخل في نضالات ضدها تتجاوز الاطار «المهني» الذي تريده لها تلك الطغم منفي .

ذلك ان التفقير المتصاعد لاوسع الجماهير، وتراكم الثروة في حضانات من البورجوازيين ، بضغط على شبكة وسائل الاستلاب والتضليل وعلى الشعارات الواهية . لكن هذه الشبكة بالطبع لا تتفتت دفعة واحدة . ومع ذلك فهي في طريق التفتت ، حيث ان اسطع وجود البورجوازية الوطنية المخلصة والمكافحة، مثل جمال عبد الناصر، لم تعد الجماهير تنظر اليه بتلك القداسة المجردة وانما تقدر له نضاله ، وتعي في نفس الوقت انه فشل في التحرير ، ولم يقض عن الاستغلال ، وانما استبدل الاستغلال الاقطاعي الى حد ما بالاستغلال البورجوازي البيرقراطي .

وغياب العنصر الثورى في الساحة العربية الا باشكال جنينية ومحدودة في فلسطين وظفار مثلا ، يبقي الحركة الجماهيرية مكبلة ضمن آفاق عفوية غامضة ، ومضغوطة بالهياكل البرقراطية (اتحادات اشتراكية ، نقابات ، تنظيمات مهنية الخ..) تكبت الحركة وتجزءها .ولذا فان مخاض الحركة الجماهيرية الثورية طويل وشاق ، وسيصاحبه بنفس الصعوبة وطول النفس نمو القوى الثورية . وبعبارة اخرى فان الحركة الجماهيرية والقوى الثورية في العالم العربي لا ينظر اليها الان على اساس احرازها انتصارات ملموسة ، واحداث تغييرات هامة في بناء موازين القوى ، بقدر ما ينظر اليها من زاوية تناميها وبناء ذاتها ، طبعا في غمار الصراع الطبقي الملموس .

حقا « لا يستطيع الحزب ان يطلب الاعتراف به بالقيادة ، وعليه بدلا من ذلك ان يكون العضو الذي يقدم اعظم التضحيات، ويثبت بالعمل لا بالكلام انه اكثر الاعضاء نشاطا واخلاصا ، وفقط حين يثبت للجماهير اثناء الصراع اليومي صحة سياسة الحزب وكفاءته القيادية فانها ستفوضه القيادة» (هو شيء منه، المختارات الجزء الاول ، ترجمة ونشر دار الطليعة ، ص.١٧) .

ذلك الاثبات والاخلاص والتضحية ، هي الضرورة التاريخية التي يتطلبها تغيير القيادة الطبقية للثورة على الصعيد العربي .

وقد رأينا بالنسبة للمقاومة الفلسطينية ان نكستها الفادحة تثبت بالضبط صحة المنطلقات الاساسية للخط الثوري ، واشرنا الى ان النقاشات المحتدمة هي ذي العمق من شأنها تعزيز تلك المنطلقات ببعد اكبر على صعيد الممارسة مهما تعقدت الطريق .

وتضحيات الشعب السوداني الدامية ، تذهب في نفس الاطار . لقد كان هذا الحزب الشيوعي هناك فريدا من نوعه على الصعيد العربي ، سواء من حيث تقدم مواقفه العامة ، او من حيث تجدره النضالي في اعماق الجماهير . وتؤخذ خلاصتان اساسيتان من المذبحة التي تعرض لها وهي تصوب اخطاء خطه السابق.

الاولى ان الاسباب باطلة فيما يخص التعايش مع الطغمة الحاكمة ، على اساس ان البورجوازية

الصغيرة يجب جرها تحت قيادة النضالات الجماهيرية للعمال والفلاحين ، وليس الاعتماد على السير معها تدريجيا على طريق الثورة وعلى قدم وساق .

الثانية : ان بورجوازية البلدان الشقيقة المجاورة لها مصالحها الاستراتيجية والطبقية في محاربة الثورة في السودان ودعم الطغمة الحاكمة باي ثمن ومهما كانت عزلتها وعدم تمثيليتها ، وانه بالتالي لا سلطة ثورية بدون سلطة جماهيرية عتيدة .

(تشكلت اخيرا جبهة «المقاومة الشعبية» في السودان لكن يجهل الكثير عن برنامجها واستراتيجيتها)

وفي لبنان تمتاز الحركة الجماهيرية بمستوى لا بأس به من النمو والاستمرار ، سواء على صعيد النضالات الاجتماعية او على صعيد الدعم النضالي للمقاومة .

وفي مصر ذاتها اشهدت فترة الصيف الماضي انتفاضتين تمتازان بمدلولهما العميق من الناحية التطبيقية والاستراتيجية .

الاولى بمناسبة الانتخابات في الاتحاد الاشتراكي العربي (حزب بورجوازية الدولة فى مصر) في مدينة ابو كبير ، حاول وجيه بورجوازي يدعى محمد علي بشير احتكار الترشيح . وعمل على اقناع احمد الشبان بالتنازل عن ترشيح نفسه . وفي خلال احدى المناقشات قال الوجيه عن الشعب «انه مجموعة من الخرفان» وبعد اتصالات في القاهرة فرض رغبته . لكن الشاب المعني بالامر كان قد سجل على شريط تصريحات الوجيه المعادية للشعب . وقامت مجموعة من الشبان باحتلال مقر الاتحاد الاشتراكي وصارت تذيع بالابواق تصريحات الوجيه ... وتجمهر الشعب ليسمع ، وتدخل البوليس لايقاف التسجيل .. فانتفضت المدينة بكاملها في انتفاضة عارمة ضد السلطات ، مما اضطر القاهرة الى التدخل مباشرة لاخماد غضب الجماهير .

الثانية في شهر غشت ، قام عدة الاف من عمال الحديد والصلب في حلوان باضراب عارم مع الاعتصام بالمصانع . (اكثر من ثلاثين الف عامل) والامر الهام ان العمال رفضوا علانية وصاية النقابة الرسمية، وقالوا لممثلها الرئيسي : «انت بتاع السلطة» وقد اعتقل اكثر من ٣ الف عامل - وقام سكان شبر الخيمة ، وهو حي شعبي في القاهرة يضم حوالي مليون نسمة بمظاهرة تضامن ، وقد سيق لهؤلاء العمال ان التحموا بطلبة الجامعة في حركة الاضرابات والتظاهرات العارمة سنة ١٩٦٨ .

وفي منطقة الخليج العربي تقوم الجبهة الشعبية لتحرير الخليج العربي المحتل ، بتجربة نموذجية لمحاربة الامبريالية والعملاء المحليين بالاعتماد على الشعب المسلح . وقد بدأت هذه التجربة قفزاتها الاساسية منذ سنة ١٩٦٧ ، كاحدى الردود الثورية الاولى على الهزيمة النكراء وخلفياتها الطبقية والقيادية .

ولسنا طبعا بصدد احصاء كل النضالات الجماهيرية اننا نريد ان نؤكد ان هذه النضالات مهما كانت محدودة ومجزأة ، تكتسي اهمية بالغة في الشروط الحالية والتحولات اليمينية البارزة . لماذا ؟

ـ لانها تأتي في ظل ازمة القيادات السياسية المتواجدة وعادة ما تتعدى وصايتها ، وتتجاوز الحدود

«المشروعة» في اطار الهياكل القائمة .

ـ لانها بدايات لا بد لها من التصاعد تحت ضعط الاستغلال المتصاعد ، وتعرضها عادة للقمع ، وبتاثير من التطورات السياسية في المستقبل .

ـ لانها المادة العفوية لبناء الخط الثوري ، وتطوير اساليب العمل .

الظرف الراهن اذن رغم سلبياته وتراجعاته ، يحمل بذات الوقت العناصر الاولية للتحولات الثورية التاريخية المطلوبة . هذه المواد الاولية تسخر من النزعة العنترية الى مسخ كل شيء بجرة قلم اصابه الزكام (ربما لابتعاده عن حرارة النضال). انما تسخر من اولئك المثقفين (غربيين وعربا) الذين يحاولون التدريس وادعاء العلم ، واستغلال ظروف الركود لدعم الاتجاهات اليمينية ، وبلبلة المنطلقات الاساسية .

٢٥ اكتوبر ١٩٧١

الـوضـع الطبقي في الجزائر (٢)

تعددت على الصعيد العربي تجارب وتعاقبت طبقات حملت نفسها لا فتة الاشتراكية « العربية » او « العلمية » او « المطابقة للخصائص الوطنية ». ومجموع هذه الاشتراكيات المزيفة لاتطابق في الواقع غير خصائص بورجوازية الدولة كتشكيلة معادية للجماهير الكادحة ولخط التحرير الوطني الصحيح من الصهيونية والامبريالية. وقد سبق ان نشرنا مقالا في حلقتين حول الصراع الطبقي في مصر . وفي هذا العدد، ننشر الجزء الثاني من الوثيقة التي توصلنا بها من باريس حـول الوضع الطبقي في الجزائر .

في الحلقة الاولى :

١ ـ طبقة الملاكين العقاريين شبه الاقطاعيين

٢ ـ البورجوازية الوطنية

٣ ـ البورجوازية البيروقراطية أ ـ في الزراعة

ب في الصناعة :

تعتبر الشركات الوطنية، والمؤسسات العمومية والمؤسسات المسيرة ذاتيا بمثابة نفس « التركـه » التي هي اليوم في حوزة البورجوازية البيروقراطية ، ومسيرة حسب اساليب مختلفة ولكن في اطار علاقات الانتاج .

تمتلك البورجوازية البيروقراطية حـوالـي ٢٠٠ مؤسسة تتصل بها ٥٠٠ منشأة هذه المؤسسات تتوزع كالتالـــي :

ـ ٦ مصانع ميكانيكية وكهربائية ١٥٠/٦٠ بنسبة ٤٠٪ من الشعبة (الفرع)

ـ مواد البناء : ٩٥/٧٣ بنسبة ٨٠٪ من الفرع

ـ النسيج ، ١٦٦/٣٥ بنسبة ٢١٪ من الفرع

ـ الجلد ى ٣٩/١٠ بنسبة ٥٥٪ من الفرع

ـ الصناعة الغذائية ى ٢٦٤/١٤٧ بنسبـة ٥٥٪ من الفرع

وتستثمر من قبل حوالي ٧٠،٠٠٠ اجير يحققون رقما ماليا من ٣ مليار دينار ، وينتجون قيمة سنوية من حوالي ١،٥ مليار دينار موزعة على ـ

ـ ٥٠٠ مليون دينار للدولة

ـ ٥٠٠ مليون دينار للدولة
ـ ٦٠٥ مليون دينار اجور
ـ ٣٧٥ مليون دينارربح للمؤسسات .

وفيما يخص قطاع الصناعات البترولية يصعب تقدير الحصة التي يشغلها فعلا في البنية الاقتصادية للمجتمع ، ان «سونا طراك» اصبحت شركة «سرية» حقيقية ودولة في الدولة .

ان عدد العمال يقدر بحوالي ١٧٠٠٠ اجير ٨٠٠٠ منهم لسونا تراك والباقي يستخدم من قبل الرأسمال الاجنبي .

ويحقق رقما ماليا قريبا من٤ مليار دينار ٨٠٠ مليون منه لسونا طراك ، ان القيمة المضافة لكل الصناعة نصيب سونا طراك (منها) ٥٠٠،٠٠٠ مليون دينار .

وعلى ضوء هذه المعطيات (وكلها رسمية) يظهر ان البورجوازية البيروقراطية تتخصص هي ايضا ، انها تتخلى عن النسيج والجلد وكذلك عن فرع البناء للبورجوازية الوطنية التي تقتسم واياها الصناعات الغذائية ، وتهتم بصورة اخص بالكيمياء والكهرباء . والطاقة عموما ، ومواد البناء ، والمعادن ، والتنقيب

فهل يمكننا ان نعثر على نظام في توظيفات رؤوس اموال الدولة هذه التي هي ظاهريا فوضوية وتعسفية؟ لكي نستطيع الاجابة على هذا السؤال ينبغي لنا ان نحلل علاقات رأسمال الدولة ، والرأسمال الوطني والرأسمال الاجنبي مع النظر بعين الاعتبار الى الطابع التقني للفروع التي توظف فيها من جهة ، والاختلافات في التركيب العضوي لرؤوس اموال مختلف الفروع من جهة اخرى .

اولا ان الفروع التي يستقر فيها رأسمال الدولة حسب الشكل السائد هي هذه التي تنتج المواد الاولية (البترول الغاز ، المعادن) التي تغدي قبل كل شيء السوق الامبريالية . وان الصراع القائم اليوم بين الجزائر وفرنسا لا يهدف الى اعادة التقسم الامبريالي للعمل ، وانما فقط تعديل للعلاقات التي تقوم داخل هذا الاطار . واما فروع الاستثمارات الاخرى «المحظوظة» من رأسمال الدولة ، مواد البناء ، القطاع المدعو مسيرا ذاتيا) ، الكيمياء ، الماء والكهرباء فانها تنتج «الثروات الوسيطة»(التي تتعلق بالمنتجات او بالخدمات) اللازمة لصناعات التحويل ، النسيج، الجلد ، الخشب، الصناعات الميكانيكية ، وهي التي تكون الفروع التي يسيطر فيها الرأسمال الخاص ، وهناك تقسيم مضاعف للعمل ، البورجوازية البيروقراطية تنتج المواد الاولية للامبريالية و « الثروات الوسيطة »ـ للبورجوازية الوطنية مع استثناء واحد فقط هو فرع الصناعات الغذائية التي يجد تفسيره في خطورة المشكلة التي تطرحها تغذية السوق الداخلية بالحبوب (الشعب الجزائري مستهلك كبير لهذهالمنتجات).

ثانيا : ومن جانب اخر فان الفروع التي يستثمر فيها رأس المال ، ي الوقت الذي تغذى فيه السوق العالمية ، وصناعات البورجوازية الوطنية ، تستلزم رأسمالا ثابتا هاما جدا واذنرأسمال انطلاق مرتفعا . ان استهلاكات هذه الفروع تمثل اعباء ثقيلة (½للبترول ٢/٥ للطاقة). هذان العنصران : اهمية رأسمال الانطلاق وضعف « المردودية » في العاجل الذي يعزى الى ضخامة

الاستهلاكات يدفعان رؤوس الاموال الخاصة نحو الفروع التي توقف ادنى رأسمال وتسمح بربح عاجل.

وفي جميع الاحوال فانه واضح الاتجاه الذي يبين لنا بان رأسمال الدولة والرأسمال الخاص الوطني مدعوان لان يترافقا معا في الطريق ، فاستثمار رأسمال للدولة في فرع محدد يستدعي استثمارات الثاني في فرع اخر على (اساس) الفرع الاول

ومن جهة اخرى فان هذا التقسيم « الوطني » للعمل يدخل في تقسيم اوسع ، تقسيم عالمي وامبريالي للعمل فانتاج وسائل الانتاج يعود للبورجوازيات الامبريالية وانتاج وسائل الاستهلاك والمواد الاولية يعود للبورجوازية « المحلية » ، البورجوازية الواقعة تحت السيطرة ـ والعاجزة ـ في نمط الانتاج الرأسمالي ـ عن تأمين تراكم « عادي » للرأسمال .

ان الاستقلال الاقتصادي هو عبارة عن وهم طالما انه يبقى موضوعا في اطار العلاقات الرأسمالية للانتاج والتبعية للامبريالية ، وهم «مختص» بالانظمة البورجوازية البيروقراطية ، هو وهم بورجوازي صغير وليس هناك اغرب في هذا الموضوع ـ من تبجحات بيروقراطيينا (زد على ذلك انها تبجحات تدل على تجاهل كلي للواقع الاقتصادي العالمي ، وسوء تقدير لقوى الامبريالية والطابع الطبقي للتقسيم العالمي للعمل) الذين يعتبرون ان الجزائر بعيدة جدا عن البلدان الافريقية «الاخرى» ، وانها كانت قريبة جدا من البلدان المصنعة ، وباختصار فالجزائر هي في الطريق لان تصبح بلدا بورجوازيا عاديا في عصر الامبريالية

في عصر الامبريالية لا تستطيع اية طبقة (ما عدا البروليتاريا) قيادة الثورة الى النصر .

ان التنمية الاقتصادية في اطار العلاقات الرأسمالية للانتاج فيما يتعلق بالبلدان التابعة للامبريالية ، وفي الجزائر على الخصوص تؤدى الى تشكيل «جيش» عرمرم من الاحتياط الصناعي الذي يضطر ـ لعدم حصوله على العمل في وطنه الام ـ الى الهجرة الى اوروبا .

ان سبب هذه الظاهرة يكمن في الوتائر المختلفة لتراكم المال وفي تبلتر الفلاحين .

ان التراكم «الاولى» للرأسمال في الجزائر ابان الاحتلال ـ لم يخدم الا رؤوس الاموال الفرنسية على حساب البورجوازية الاهلية ، وها نحن اليوم نشاهد البورجوازيات المحلية نفسها في نطاق تبعيتها الواسعة النطاق للامبريالية ملزمة من طرف هذه الاخيرة باتباع وتيرة محددة للتراكم ، ان مساهمة الرأسمال الوطني ترضخ لمشيئة الرأسمال الامبريالي ..

وفي مقابل مغادرة الفلاحين لاراضيهم ، وخراب صغار الصناع التقليديين ، فان مساهمة العمال الاحرار من كل ملكية ، والمحرومين من كل اداة للانتاج كانت مساهمة سريعة وغنية ، وقد ارتبطت **بفترة الاحتلال ، ولكنها تستمر اليوم بالذات وتحت قيادة البورجوازية الجزائرية .**

جمهور ضخم من العمال ، الاحرار ، وتراكم ضعيف للرأسمال هما نتيجتا هذا التطور ، والهجرة القروية والهجرة الى الخارج ، والبطالة ، والحالة البئيسة لصغار الفلاحين ، تلك هي النتائج الاجتماعية .

تريد الايديولوجية الرسمية باي ثمن التقليل من شأن هذه الظاهرة ، وتجاهل اسبابها الحالية ، بالقاء كل شيء «على ظهر الاستعمار» ان الابقاء على الفلاح في ارضه او في اراضي ملاكه ، ودق رؤيــة كون اغلبية الفلاحين لم يعودوا سوى بروليتاريين بلا عمل واذن بلا عيش ، بروليتاريين يغادرون اراضيهم ، ومنطقتهم ، وبلادهم ذلك هو ما تؤول اليه السياسة الزراعية للنظام القائـم .

يجب التمييز اذن داخل الجماهير بين هؤلاء الذين ليسوا عمالا ولا هم رأسماليون ، وصغـار المـالكيــن، لوسائل الانتاج او للارض الذين يشكلون البورجوازية الصغيرة وبين باقي «المالكين» الاخرين الذيـن ليست لهم ملكية فعلية سوى قوى عملهم ، الجماهير المبتلرة.

البورجوازية الصغيـــرة

- المنتجين المستقليـن والمـلاكين المتوسطيـن في البوادي ، والحرفيين في المدن ، الذين يعيشون مــن عملهم ولا يستغلون عمل الاخرين .

- التجار اصحاب الدكاكيـن ، والجـزاريـن ، والبقالة الخ ..

- الموظفين والمدرسين في الثانوي والابتدائـــي

- الطلاب .

كل هؤلاء الافراد يشتركون في كونهم يعيشون من عملهم الخاص دون استغلال عمل الاخرين ، وينبغي ان نفرق بين فئة عليا تقترب من البورجوازية الوطنيـة او البيروقراطيـة وفئة دنيا تقترب من البروليتاريــا ومن الجماهير المبلترة .

أ ـ في الزراعـــة :

ان البورجوازية اللوطنية وكبار الملاكين العقاريين يجمعون اكثر من ٥٠٪ من الاراضي الخاصة ، والنصف الاخر من هذا القطاع (اي القطاع الخاص)يـــوزع بصورة متفاوتة بين جميع الملاكين حسب الترتيـــب التصاعدي التالي :

٣٠٠٠٠٠ مـلاك يملكـون ٢٥٥٠٠٠ هكـتار بنسـبـة ٣٣٪ من العائلات تركز في يدها ٤٠٪ من الاراضي .

٣١٠٠٠٠ ملاك يملكون ٥٢٥٠٠٠ هكتار بنسبـة اكثر من ٥٠٪ من العائلات لا يملكون سوى ١٠٪ مـن الاراضي .

ان الاولين وحدهم ينتمون فعلا الى البورجوازية الصغيرة ، ولكن في داخل هذه الـ ٢٠٠٠٠٠ مـــلاك ينبغي ان نميز فئة عليـا تستخـدم عمـل الاخريــن (المساعدات العائلية ، العمال الموسميون) وتكتـــرى للبورجوازية الوطنية والبيروقراطية الالات الميكانيكيـة (جرارات عربات)وتنتج للسوق ، وفي اغلـب الاحيان بواسطة كبار التجار ، وبين فئة دينا مجبرة على بيـع قوة عملها وقتيا والتي تستفيـدُ من اجور اولادها الذين تبعثهم للعمل في اوربا الخ .. في الجزائر لا تستطيـع الفئة الدنيا من البورجوازية الصغيرة ان تحتفظ بنفسها داخـل هـذا الاطار، ولا تستطيع ان تبقى بورجوازيـة صغيرة الا مقابل حياة بئيسة تحملها توافق علـى نفي ابنائها ، وعلى الاستنزاف ، وسرقة التجار واستغـلال

كبار الملاكين ، هذه الفئة من البورجوازية الصغيرة التي تفرض مقابل حياة لا انسانية ـ ان تتبلتر (هذا التبلتر الذي لا يجلب لها الا البطالة، ومدن القصدير ، اي الشقاء الحضرى بدل الشقاء القروي) ظهرت كيفية رجعية اثنا حملات شرح الاصلاح الزراعي في ١٩٧٠.

وهي تقع على الاقل مؤقتا تحت السيطرة الايديولوجية للملاكين العقاريين

ب) في المدن

الحرفيون : يصعب تعيين موضع منتجي المدن المستقلين ، وتقدير وزنهم الاقتصادى، فالصناعة التقليدية من الطراز الكلاسيكي ، وتنتج الحرير ، وصناعة المجوهرات ، وصناعة الخزف ، ما فتئت موجودة في بعض المراكز الحضرية القديمة كالجزائر وتلمسان ، وقسنطينة ، وغرداية ، وبيسكرا وبجاية ، وبني يني

اما بالنسبة للحرف الحديثة ، وخدمة المواد الاحواس االمعدنية فانها منبثة في كل مكان تقريبا من الجزائر

وهنا كما هو الشأن في الزراعة ، يجب التمييز بين فئة عليا تستخدم اكثر فاكثر عمل الاخرين وفئة دنيا فيطريق التبتلر (الصيرورة الى بروليتاريا).

ـ التجار نعني بهم اساسا التقسيط (المفرق) الذين يملكون حانوتا ورسمالا صغيرا للانطلاق ، لا يتعدى ٥٠٠ دينار ، ويجهلون في اغلب الاحيان التشريع ، والتقنيات الجارية ، ومفرقون ، هؤلاء التجار يقفون فريسة سهلة لكبار المضاربين في الضريبة .

ان الخصائص الرئيسية لهاتين الفئتين من البورجوازية الصغيرة هي تشتتها وجهلها بالمشاكل الاقتصادية ، واستغلالهما المشترك من طرف تجار «الجملة» والمضاربين .

ـ الموظفون :

ان البورجوازية البيروقراطية بحاجة الى الة ادارية ضخمة للاشراف على المجتمع وفي الجزائر فان سلك الموظفين المستخدم من طرف الادارة يتوفر على اكثر من ٢٥٠.٠٠٠ شخص .

ولكن «سلك الموظفين» هذا غير متجانس ، ففي حين ان فئته العليا مندمجة في الحكم ، فان الموظفين الصغار ، وموظفي المكاتب ، والمعلمين ، وسعاة البريد الخ.. مهانون باستمرار من قبل رؤسائهم الاداريين، ويحاسبون حسابا عسيرا على ادنى مخالفة للقواعد التي يضرب بها رؤوسهم يوميا عرض الحائط . بينما الفئة العليا من موظفي الادارة تستطيع انتترقى في السلم الاداي بفضل مستوى ثقافي يسمح لها بمتابعة دراستها ، والتسهيلات الادارية التي توجد من تلقاء نفسها و «الوساطة». ان الفئة الدنيا محكومة عليها بالجمود والتقهقر. انها تشكل من ثم ، رغم مقاومتها السلبية وفرديتها ، واحتقارها للعمل اليدوي ، حليفا للبروليتاريا .

ـ الطلاب :

رغم الاصل البورجوازي والبورجوازي الصغير للطلبة ، فان الحركة الطلابية في الجزائر ظهرت بكونها القطاع الاكثر تسيسا ، والاكثر وعيا ، والاكثر ديمقراطية في البورجوازية الصغيرة .

لقد ساهمت الحركة الطلابية في جميع النضالات السياسية الطبقية التي عرفها المجتمع الجزائري منذ الاستقلال .

واليوم كذلك ، ورغم القمع من طرف الحكم ، فانها تناضل بشجاعة من اجل استقلالها ، وضد استبداد حزب القمع ج ت، هذه المساهمة النشيطة في النضال السياسي للطبقات المستقلة في المجتمع الجزائري يفسرها تنامي عدد الطلاب في المدن الكبرى وبصورة رئيسية في العاصمة ، ومستواهم الثقافي الذي يتيح لهم الاطلاع على التجارب وعلى القوانين العلمية الصراع الطبقي ، ونمط حياتهم الذى يحررهم من كل مصلحة مادية ، ومن كل مشكل من اشكال الملكية ويقربهم هكذا من البروليتاريا ..

ولكن الحركة الطلابية باعتبارها فئة من البورجوازية الصغيرة تميل الى الاعتقاد بان مستقبل المجتمع ، مستقبله الاشتراكي يكمن في «اعادة وضع السلطة الى ما كان عليه » reconversion ، وانتصار «الجناح اليساري» على «الجناح اليميني» الخ.. هذا الاتجاه الذي يشكل استراتيجية الاصلاحي البورجوازي الصغير S G ٥ .٥«الطليعة الاشتراكية» يعبر في الواقع عن كل حدود البورجوازية الصغيرة التي باحتقارها للدور المحرك للصراع الطبقي ، ولقيادة البروليتاريا لهذا الصراع تعتبر نفسها «كممثلة» للطبقات المستغلة من المجتمع ، وتفرض رؤيتها الخاصة للصراع الطبقي، واشكالها الخاصة للنضال ، التي تقوم تقوم به في الواقع على اجراء الحوار مع هذا «الجناح اليساري» واقتراح اصلاحات عليه الخ..

الاشتراكية من الاعلى ، والخوف من الصراع الطبقي، ورؤية غريبة بالمرة عن الماركسية ـ اللينينية ، والمحتوى الطبقي للدولة : تلك هي المظاهر السلبية للفئة الاكثر تقدما في البورجوازية الصغيرة .

وبشكل عام يجب ان نميز داخل البورجوازية الصغيرة بين الفئة العليا وهي تتكون من:

ـ المنتجين المستغلين في المدن والبوادي (الحرفيين والمزارعين) الذين يستغلون عمل الاخرين ، ويثرون تاريخيا ويلتحقون من ثم بالصفوف العليا من البورجوازية ،

ـ التجار بالمفرق (بالتفصيل) المتوفرين على تجهيز عصري ، ولا يخشون (رغم الضرائب القاسية ومزاحمة كبار التجار) الخراب ،

وبين الفئة الدنيا وهي تتكون من :

ـ الموظفين المتوسطين : نواب المديرين ، مفتشي الابتدائي ورؤساء المصالح ، اساتذة الثانوي الخ..

ـ المنتجين المستقلين الذين يصلون تماما الى تأمين قوة عملهم او القيام بطلب اجور ابنائهم .

ـ التجار الصغار الذين يقف لهم الخراب ، والافلاس بالمرصاد .

ـ الموظفين الصغار الذين يشتغلون في المكاتب المعلمين الخ ..

ـ الطلاب .

ان البورجوازية الصغيرة تبدو هكذا عبارة عن طبقة غير متجانسة، مكونة من عمال يدويين، وعمال

ذهنيين ، مميزة عن البورجوازية البيروقراطية والبورجوازية الوطنية وتستغل هي بدورها ، بقدر كثير او يسير ، البروليتاريا والجماهير المتبلرة .

انه يستحيل على هذه الطبقة المتنافرة الى هذا الحد اتخاذ موقف طبقي موحد ، فاذا كانت فئاتها العليا تتبنى موقفا اكثر او اقل سلبية (حسب العينات) تجاه الطبقات الحاكمة والدولة ، فان الفئات الدنيا من البورجوازية الصغيرة (سواء منها العمال الذهنيين او العمال اليدويين) مستاءة ، وتشعر بحاجة الى التغيير .

ولكن تصرف عناصرها ، والفردية الملازمة لوضعها الاقتصادي والاجتماعي البورجوازي الصغير يعيش مشاكله منعزلا ، ويعاني استغلاله بكيفية فردية الخ.) يحولان دون تحول هذا الاستياء الى تمرد منظم .

وعلى وجه الاجمال ، فان البورجوازية الصغيرة تعيش في الانتظار ، فلا هي مع ، ولا هي ضد ، ويتوقف امد جدها لاتخاذ موقف واضح وثوري على قدرة الطبقة العاملة .

الجماهير المبلترة

في الجزائر، وفي البلدان التابعة للامبريالية والمستعمرة قديما او شبه مستعمرة فان تبلتر الشعب بمعنى تصفية ملكية الفئات الدنيا من الفلاحين ، وخراب صغار الحرفيين قد تجاوز بكثير (تاريخيا واجتماعيا) انشاء رأسمال وطني .

بروليتاريون بلا عمل ، فلاحون يبحثون عن القيام بأي شيء، عمال موسميون حسب مشيئة الطلب ، بائعون صغار متجولون ، في المدن والبوادي يشكلون الاغلبية الشاسعة ممن تسميهم الاحصائيات الرسمية «بالسكان العاملين الحقيقيين»

لقد رأينا ان ۳۱۰۰۰۰ من صغار المستثمرين يملكون حوالي ۰۰۰ ۵۲ هكتار يكونون ۵۰٪ من العائلات القروية ولا يملكون سوى ۳٪ من الاراضي القابلة للحرث

والى هذه الـ ۳۱۰۰۰۰ «ملاك» الذين تتلخص ملكيتهم غالبا في قطع من هكتار واحد تحرث بطريقة «عتيقة» ـ يجب اضافة الـ ۵۰۰۰۰۰ فلاح بلا ارض .

ان ۸۰۰۰۰۰ من ½ مليون من السكان العاملين الحقيقيين في الزراعة هم في طريق التبتلراو تبتلروا تماما .

وفي المدن فان العلاقات مماثلة : الباعة من كل نوع ، العاطلون ، الموسميون ، الذين تأتي اغلبيتهم من البوادي يشكلون كتلة هامة من سكان المدن الذين يعيشون على هامش هذه المدن .

فاذا كانت الجماهير المتبلترة في البوادي تظل ـ في حدود نسبية جدا ـ اكثر او اقل اندماجا في المجتمع القروي ، فان جماهير المدن قد نبذت تماما من هذه المدن .

لقد باتت في البوادي تشكل الفئة الاكثر تحررا من التقاليد ، والاكثر تعلما ، تلك التي تستمع للخطب الديماغوجية «للقادة» بدون ان تعلق ، وتعلق بسخرية على النصائح الابوية لممثلي السلطة .

وفي المدن فان هذا التحرر يصبح اشد وضوحا وان تقاليد المجتمع الجزائري «شخصيتنا الاساسية المزعومة» لم تعد تعترف بها لانها لم تعد تملك الوسائل لاقتسامها .

ان ما يميز الجماهير البروليتارية في المدينة كما في البادية هو عدم استقرارها الاجتماعي (دائما في البحث عن طلب العيش) ان عدم الثبات في شروط حياتها هو الذي يضطرها عندما يعرض عمل ، الى تحمل تكاليف الاستغلال التي تتجاوز بكثير المتوسط الاجتماعي (مما يخفض الى الحد الادنى قيمة قوة العمل للعمال) .

ان الجماهير المتبلرة تشكل الحليف الرئيسي للبروليتاريا ، ان عدم تعلقها بالقيم الاجتماعية الاكثر رجعية في المجتمع الجزائرى ، وتحررها من كل ملكية (ما عدا الـ ٣٠٠٠٠٠ من اشباه البروليتاريا) والضغط الذي يقع عليها (فهي ضحية جميع انحراف رجال الدرك والحراس الغابويين ، والممثلين المحليين للحزب ، والبلدية) واحتقار السلطات والطبقات الحاكمة لمشاكلهم كل ذلك يجعل منهم القوى الاجتماعية القادرة على الجواب بالعنف وبكيفية كثيفة على الاستغلال وعلى الضغط الذي هم ضحاياه .

ولكن عدم استقرارهم الاجتماعي ، ومختلف اشكال الاستغلال التي يعانونها ، والتي تسير من الاستغلال الاقطاعي الاشد تأخرا ، الى استغلال من الطراز الرأسمالي (عمل مأجور وقتي) مرورا بالخدمات الخ.. وعدم دمجهم في الحياة «العادية» للمجتمع الذي يرمي بهم احيانا بين صفوف البروليتاريا الرثة ، كل ذلك يجعلهم متمردين على كل شكل من اشكال النضال السياسي ، وغير قادرين على تنظيم انفسهم للدفاع عن مصلحتهم ، وهكذا فلا يجب ان ينتظر منهم ان يأخذوا زمام المبادرة في الصراع الطبقي .

ان الجماهير المتبلرة لا يمكنها الا ان تتبع الحركة الثورية ، واذا كانت هي القوة الرئيسية لهذه الحركة فان الطبقة العاملة هي التي ستكون القوة القائدة لها .

البروليتاريا

«في الجزائر ليس بامكان البروليتاريا ان تقود الحركة الثورية ، فالبروليتاريا ضعيفة جدا من الناحية العددية وعناصرها غير متعلمين ، وهي محظوظة بالمقارنة مع الفلاحين» .

هذه الافكار يروجها يوما جهاز الاعلام الذي تعبث به البورجوازية البيروقراطية . فالجرائد والاذاعة والندوات ، كل ذلك يسخر لتبرير سيطرة هذه الطبقة، وقمعها للعمال في كل مرة يبحثون فيها لتبرير انخفاض الاجور ، والشروط المادية للحياة الخ..

ان هذه الشعبية الرجعية التي تشكل الايديولوجية الرسمية للنظام الذي يعتمد في تدعيم ديماغوجيته على الكتابات الاكثر تنافرا والتي تسير من فانون الى شي غيفارا مرورا بابن خلدون ، تشوه تاريخ شعبنا وتاريخ شعوب العالم الاخرى ، ان هدفها هو تبرير ديكتاتوريته البورجوازية البيروقراطية ، ومعارضة الفئات الدنيا من البورجوازية الصغيرة والجماهير المتبلرة مع الطبقة العاملة (جعل الواحدة منها تعارض الاخرى) واستغلال هذه الاخيرة الى اقصى الحدود ، ان نضال الماركسيين ـ اللينينيين ضد الايديولوجية السائدة التي تسربت الى صفوف الطبقة العاملة ، نضالا ايديولوجيا ونظريا ليكتسي نفس الاهمية التي يكتسيها النضال من اجل تنظيم البروليتاريا

ان الماركسيين لم يقرنوا أبدا وزن طبقة ما داخل المجتمع باهميتها العددية ، فهذه البورجوازيات الاحتكارية في البلدان الامبريالية ضعيفة جدا من الناحية العددية ونحن نعلم مع ذلك ما تساويه .

ان الطبقة العاملة الصينية كانت ضعيفة جدا من الناحية المادية في ١٩٢١ ومع ذلك فقد قادت مجموع الحركة في طريق الاشتراكية .

ان هؤلاء الماركسيين لم يخطر قط ببالهم بأن على المرء ان يكون «عالما» لكي يكون ثوريا ، ان البروليتاريا «المتأخرة» في روسيا ١٩١٧ قادت بنجاح اول ثورة اشتراكية في العالم بينما الطبقة العاملة الفرنسية في ١٨٧٠ «اكتشفت عمليا» اول شكل للدولة البروليتارية الكومونة .

ان «الثقافة» الوحيدة التي يمكن ان يحتاج اليها البروليتاريا هي : الماركسية اللينينية .

تعد البروليتاريا الجزائرية بحوالي مليون ممثلا يشمل العمال الزراعيين البالغ عددهم ٢٥٠٠٠٠ ، والعمال الصناعيين البالغ عددهم ٣٠٠٠٠٠ ، والعمال المهاجرين الى اوربا باكثر من ٤٠٠٠٠٠

في الزراعة : بخلاف كثير من البلدان الاخرى ، فان البروليتاريا الزراعية في الجزائر هامة ، ومنظمة، ومترسة بالنضالات السياسية .

ففي القطاع «المسير ذاتيا» ١٤٠٠٠٠ مداوم هم يوميا في صراع ضد البورجوازية البيروقراطية ، وضد «رئيس» لجنتهم المفروضة عليهم من طرف ج. ت. و ، المجالس الشعبية البلدية ، وضد مدير البنك الوطني الجزائري المحلي الذي لا يريد ان يدفع لهم اجورهم، وضد مدير احدى التعاونيات الذي يشتري منهم المنتجات باثمان منخفضة الخ ..

والى العمال المداومين يجب اضافة ١٠٠٠٠٠ من العمال الموسميين الذين ينظمون الى الجماهير المبلترة المضاعف استغلالها والمنخفضة اجورها ، ولا يستفيدون من نفس الامتيازات التي للعمال المداومين .

ان البورجوازية البيروقراطية تريد باي ثمن خلق تعارض بين الموسميين والمداومين باعطاء امتيازات وهمية للاخيرين مفرقة بذلك بين المصالح المشتركة للفئتين .

وفي القطاع الخاص ٥٠٠٠٠٠ عامل مداوم يضاف اليهم ١٤٠٠٠٠ عامل موسمي يعرفون استغلالا اشد بكثير.. هذا الاستغلال هم اقل تسلحا ضده من عمال التسيير الذاتي .

وهم مبعثرون داخل ضيعات متوسطة بينما الاخرون متمركزون في الاملاك الكبيرة ، وهم قلما تسمح لهم الفرصة للاجتماع وامتحان قوتهم ، وهم يناضلون فقط ضد «رب عمل» من اجل مشاكل اقتصادية اساسا بينما الاولون بنضالهم في اطار نظامي ، يقفون في وجه مؤسسات على الصعيد الوطني ، وافقهم السياسي اكثر ضيقا بكثير ، لهذه الاسباب (وغيرها ايضا فان عمال التسيير الذاتي يشكلون داخل البروليتاريا الزراعية ـ الفئة الاكثر تقدما في هذا القسم من الطبقة العاملة الجزائرية ، فئتها الطاليعية .

ـ البروليتاريا الصناعية .

تعد البروليتاريا الجزائرية في الصناعة بحوالي ٣٠٠٠٠٠ يستخدمون بصورة رئيسية في المصانع الغذائية ، وصناعة المستخرجات ، والنسيج ، والبناء والاشغال العمومية .

وتأتي عنابة وتلمسان في المرتبة الاولى بالنسبة لصناعة المستخرجات ، وبالنسبة للصناعات الغذائية

نجد حسب الترتيب : الجزائر، وهران، قسنطينة، تيزى وزو ، تلمسان ، باتنا .

وبصورة عامة فان ١٢٥٠٠٠ عامل متمركزون في الجزائر بنسبة ٤٠٪ من العمال ، و ١٥٪ في وهران ، تليها عنابة ، وتلمسان ، وقسنطينة ، وتيزى وزو .

ان تمركز العمال في القطاعات الاربعة السابقة وفي مدن الجزائر الرئيسية يمنح الطبقة العاملة قوة اجتماعية تتجاوز بك؟ير ضعف العددي لافرادها . وتسمح لها زيادة على ذلك بالحصول على وعي طبقي جماعي بسهولة اكثر من الطبقات الاخرى في المجتمع .

وان الحركية الاجتماعية للعمال للجزائريين ، والاصل القروي لعدد منهم يمنحان الطبقة العاملة رؤية وطنية ، ويريانها ان المشاكل هنا وهناك في الجزائر هي واحدة ، هذا مع ما يتيحه لها ذلك من البقاءفي اتصال بالفلاحين الذين ينتمون اليهم .

ان الضعف العددي للعمال ذوي الكفاءات العليا، وكون ٦٠٪ هم اقل كفاءة او ليسوا اكفاء بالمرة ، لمن شأنه ان يحول دون تشكيل ارسطوقراطية عمالية، التي هي القاعدة الاجتماعية للتحريفية والاصلاحية.

ان استغلالها سواء من قبل الرأسمال الاجنبي او الرأسمال الوطني الخاص او البروقراطي يجعلها معارضة للامبريالية وللبورجوازية البيروقراطية الوطنية على حد سواء .

واخيرا، فان وجود ٤٠٠٠٠٠ عامل جزائري في اوربا ، يجري تشغيله في القطاعات الاكثر مشقة من الصناعات الاوربية ، وعلى اتصال مع الواقع العالمي للصراع الطبقي ، ويعانون نفس المشاكل التي يعاني منها عمال افريقيا والشرق الاوسط ، والبلدان الاشد تأخرا في اوربا ، مع الاستفادة من التجربة القديمة للبروليتاريا الفرنسية والاروبية ، كل ذلك يمنح الطبقة العاملة الجزائرية ، في اتصالاتها مع عناصرها في اوربا بعد اعالميا سيربط نضالها بنضال البلوريتاريا في افريقيا وفي السوق المستغلة بكيفية مماثلة (رأسمالية) من قبل الامبريالية ، والبرجوازية البيروقراطية ، والبورجوازية الوطنية ، انها اذن بنضالها في هذه الجهات الثلاث ، وبتمركزها في بعض القطاعات ، وفي المدن الجزائرية الكبرى ، ولكونها قادرة على تشرب وعي طبقي بسهولة اكثر ، وانها لم تنفصل بعد عن اصولها القروية ، وبالتالي فهي قادرة على ربط اتصال مع البروليتاريا الزراعية ومع الفلاحين ، ولكونها تتوفر على عدد من افرادها في اوربا ويمكنها تبعا لذلك ان تستفيد من تجربة النضال البروليتاري الاوربي مع توسيع افقها السياسي على صعيد عالمي ، لكل ما تقدم فان البروليتاريا الجزائرية تبدو ايضا بمثابة الطبقة الاكثر تقدما في المجتمع الجزائري ، والتي هي وحدها تستطيع ضمن شروط تنظيمها ، ان تكافح بشجاعة اكثر ضد الطبقات المسيطرة من المجتمع ، وضد الامبريالية . وان تقود بنجاح مجموع الحركة نحو ثورة اشتراكية .

انتهى

موضوعات فكرية

الطبقة العاملة الغربية وشعوب العالم الثالث

(ضد ارون)

عبد الكريم الادريسي

ان التطرق لا رون لا يستهدف بالقطع نقاشا «ثقافيا» ضيقا ، بل يستهدف على العكس نقد افكار احد البورجوازيين الذين يحاولون تشويه الفكر المادي-الجدلي طارحين نماذج ذات طابع اصلاحي ، فالذي يهمنا من آرون هو ان فكره يؤثر على عدد من الساسة و « الاطر» في بلادنا . هؤلاء الساسة الذين - بحكم واقعهم الاجتماعي والفكري - لايمكنهم ان يجدوا الا حلولا او اشباه حلول «تقنوقراطية» للازمة التي يمر بها المجتمع . ان لفكر آرون امتداد في المغرب. وسيلمس القاريء عبر العرض ، النقط التي يلتقي فيها هذا الفكر بالفكر البورجوازى والبورجوازي الصغير في بلادنا .

يكثر التساؤل عن طبيعة تطور المجتمعات الغربية وعن دور الطبقات الشعبية داخلها وخاصة دور الطبقة العاملة . وامام هذا التساؤل يوجد جوابان ، جوا بعلمي ينطق من الاسباب الموضوعية التي جعلت الغرب على ما هو عليه اليوم والتي كانت حتى في اصل حدة التساؤل المطروح ، وجواب رجعي يحاول ان يطمس دور الطبقات الكادحة الغربية وان يعطي طابعا ديمقراطيا لانظمة البورجوازية الامبريالية .

وسنناقش في هذا المقال احد المدافعين عن الجواب الثاني ، ريمون آرون ، من «ابرز» مدرسي علم الاجتماع بالجامعات الفرنسية ، وقد كتب عدة دراسات في هذا الصدد اهمها كتابان عنونهما الاول : ثمانية عشر درسا حول المجتمعات الصناعية ،والثاني : الصراع الطبقي. وهي مجموعة دروس القاها في جامعة السربون . وسنحاول عبر مناقشة آرون ان نبرز دور الطبقات الشعبية في الغرب وواقع الصراع الطبقي سواء في الدول الغربية او الدول التي تسمى متخلفة .

١) المجتمعات الصناعية

ان ريمون آرون لا يعتمد على طبيعة الانظمة السياسية والاجتماعية ليفرق بين بلد وآخر . بل يعتمد على مقياس اخر : التصنيع فالعالم في رأيه ينقسم الى قسمين : عالم متأخر، وعالم صناعي،وهكذا يدخل مصطلحا جديدا يحدد به البلدان التي تقدمت من حيث التصنيع فيسميها : المجتمعات الصناعية ، وهي التي

«يحصل فيها الانتاج داخل مؤسسات كرونو وسيتروين»

وحسب منطق آرون فان الاتحاد السوفياتي والصين الشعبية ـ ولو لم يتطرق لهذه الاخيرة ـ يسجلان في لائحة المجتمعات الصناعية لاحرازهما على درجة متقدمة في ميدان الصناعة، ولان لهما، من حيث الضخامة معامل تعادل او تكاد تتحدى معامل رونو وسيتروين. ويتقدم آرون خطوة في التحليل حتى يعتبر ان المجتمعات الصناعية لا تكون كتلة منسجمة بدرجة ١٠٠٪ وان داخلها تناقضات وان بينها اكثر من فارق «ليست امامنا تجبرة واحدة للتنمية ولكن اثنتين، تجربة العالم الغربي (امريكا ، اوربا الغربية) ، وتجربة الانظمة التي تسمى بدون فرق اشتراكية ، شيوعية او سوفياتية ـ سأستعمل هذه الكلمات كمترادفات لانها لا تعبر الا على شكل من التطور في الجهة الاخرى من اوربا»(١) . ان آرون يبدأ اول الامر باستغلال التناقضات القائمة بين النمط السوفياتي الحالي والنمط الاشتراكي الحقيقي لتسيير المجتمع . واستغلال هذه التناقضات يتجلى فى القفز عليها . فاستعمال المترادفات لن يمحو الفرق القائم بين طبيعة الاقتصاد الروسي والصيني مثلا . فهكذا ينطلق الاستاذ من استعمال المترادفات لا من تحليل عميق لمختلف الانظمة الاشتراكية .

وفي رأيه تتسم المجتمعات الصناعية ، ككل التجمعات باللامساواة هذه اللامساواة «الضرورية كشرط للثقافة حتى يضمن لاقلية التطرق للاشغال العليا الشيء الذي يضر طبعا باولئك الذين يوجدون فى الطرف الاخر من الخشبة»(٢) فارون ينهج سياسة «النجبة» الشهيرة محتقرا الجماهير، لانها فى منطقة لا يمكن ان تهتم الثقافة والشؤون السياسية. انه يفصل بين العمل الفكري والعمل اليدوي معتبرا ان الاقلية المفكرة هي اساس المجتمع وان امتيازاتها المادية شيء طبيعي . ان اهتمام ارون بالسوسيولوجيا يتم على حساب الجماهير الفرنسية ، واللامساواة طبيعة وضرورة في مجتمع رأسمالي . لكن المجتمعات الاشتراكية تحدف تدريجيا اللامساواة وتعطي كل السلطة للجماهير لا لاساتدة الجامعات .

وان رأي آرون في اللامساواة خطير جدا ويحمل في طياته جذور فكرة انهزامية : بما ان اللامساواة شرط ضروري في كل مجتمع ، فما قيمة النضال من اجل مجتمع يتسم بالعدالة ؟

فاللامساواة حسب آرون لا يمكن القضاء عليها حتى بتغيير جذري . وينتقد آراء الماركسيين في هذا المضمار قائلا « لا يوجد اي مبرر ليفكر الانسان انه بتأميم وسائل الانتاج ستنطفيء جميع الصراعات» فنحن نتفق هنا مع ارون . فالماركسيون لا يتبنون هذه الفكرة. كما ان الجماهير في الدول البرولتارية لا تؤمن بانطفاء الصراع الطبقي واللامساواة ابان التاميم . فالثورة الثقافية الصينية لم تكن مجرد ترف ومجون ، بل كانت توجه ضد الفئات التي كانت تنمو مستفيدة من بعض الامتيازات البيروقراطية .

ويمكن ان نتفق مع ارون حول ضرورة اللامساواة فى اي دولة دولة بشرط واحد : ان نحدد ان اللامساواة في الدول الرأسمالية تكون لصالح الاقلية المستغلة (بكسر الغين) وفي الدول الاشتراكية تكون لفائدة البروليتاريا والفلاحين اي الاغلبية . هذا لان وجود

---

(١) ص ٢٢ «الصراع الطبقي»

(٢) ص ١٢٧ حول المجتمعات الصناعية .

الدولة مقترن بوجود الصراع. والدولة اذا وجدت، فهي حتما طبقية تمارس دكتاتوريتها على الطبقات الاخرى. ومن هنا يأتى مفهوم دكتاتورية البروليتاريا التى تمارس ضد اعداء الثورة ، ضد الذين يحاولون بعث الافكار البورجوازية لنسف الثورة .وطبعا فان ارون لم يتوصل لفهم دكتاتورية البروليتاريا : «فى كل المجتمعات، تمارس السلطة من طرف عدد قليل من الناس ، فقد وجدت الى حد ما بعض الحكومات للشعب ، ولم توجد، لحد الان اية حكومة تسير من طرف الشعب» . بدون الاستناد على اي تحليل يقرر الكاتب هذه الموضوعة . فاذا كان الحكم الممارس من طرف الشعب هو الحكم الذي يجعل لكل عامل ولكل فلاح مكتبا اداريا ، فان هذا الحكم بالفعل لن يوجد لان المنطق لا يسلم به . اما اذا كان الحكم الممارس من طرف الشعب هو الحكم الذي يمارس دكتاتورية الطبقة العاملة متحالفة مع جماهير الفلاحين حسب اشكال تنظيمية تبرز علاقة الطلائع بالقواعد ، فمن الحمق ان ننفي وجود هذا النوع من الحكم الذي لا يشارك فيه المثقفين الا اولئك الذين تنازلوا عن كل الامتيازات التي كانت تخولها اهم وضعيتهم البورجوازية والتحقوا بالجماهير الشعبية «منتحرين اجتماعيا».

ان ريمون آرون يحاول دائما ان يعطي لتحاليله صبغة الموضوعية ، ولكن حقده على الماركسية يظهر جليا في بعض الاحيان: «الصراع ممكن فى كل المجتمعات الصناعية بين فئتين من الناس ، البرلماني والديماغوجي، صراع اساسي لانه يطرح شكلين للتمثيلية وللحوار بين الشعب والحكام . فرئيس حزب فاشستي او شيوعي يختلف عن الارستوقراطي التقليدي بقدر ما يختلف عن البرلماني المنتخب او اكثر) (١) . لا فرق عند العلامة بين حزب شيوعي وحزب فاشستي هذا منطق البورجوازية المندحرة . ان احدى الميزات الاساسية للقرن العشرين هي التناقض الحاد والمستمر بين الفاشستين والاحزاب الشيوعية : الفاشستية الالمانية بقيادة هتلر، الحزب الشيوعي الالماني، حكومة نيكسن نضال الفهود السود، حكومة فرنكو/الشيوعيون الاسبان فلا اقوى ولا ابخس من ديماغوجية آرون ، هذا الذي يشوه التاريخ بدل الانطلاق منه . فهدف آرون هو تشويه الماركسية والقضاء على دور الطبقة العاملة في الغرب حتى يتسنى للبورجوازية ان تبقى مسيطرة في الغرب وعلى بلدان العالم الثالث .

٢) الطبقة العاملة

وفيما يخص الطبقة العاملة في الغرب يرى ريمون آرون انها طلقت «احلام» الثورة:«توجد عدة امثلة في شأن الطبقات العاملة في الغرب .. التي احرزت الى حد ما على الشعور بوحدتها والتي ترفض رغم هذا ان تقوم بالثورة تزيد الاصلاحات وهذا طبيعي، تريدها اكثر منا لانها توجد في الطرف السيء من الخشبة (٢)»

صحيح ان الطبقة العاملة الغربية بقيادة الاحزاب الشيوعة قد مارست طويلا سياسة اصلاحية وهذا يرجع لعدة اسباب ان كان ارون لا يدركها فان لينين قد ادركها عشرات السنين قبله «ان الارباح الاحتكارية الفاحشة التي يبتزها رأسماليو فرع من فروع الصناعة ، من بلد لاخر تمكنهم اقتصاديا من ارشاء فئات من العمال وبصورة مؤقتة ارشاء حتى اقلية عمالية ذات اهمية

(١) ٢٩٣ «الصراع الطبقي»
(٢) ص ٤٦ «الصراع الطبقي»

وذلك بجذبها الى اهداف البورجوازية في فرع صناعي معين او امة معينة ضد الفئات الاخرى (٢)» وليس هذا السبب الوحيد لنهج الاصلاحية من طرف الاحزاب الشيوعية الاوروبية ، ولابراز هذه الاسباب ، من الضروري الرجوع الى تطورات السياسة الروسية من ١٩١٧ الى اليوم وعلاقتها بالاحزاب الشيوعية في العالم كله ويمكن ان يدخل هذا في مشروع دراسة اخرى .

المهم ان آرون ينفي ارادة الطبقة العاملة في الغرب في القيام بالثورة . فهي الطبقة «الوحيدة التي لها واقع قوي موضوعيا وذاتيا ، ورغم هذا فحتى في المجتمعات الصناعية ، ليست هذه الفئة موحدة بالدرجة التي تزعمها النظرية، ففي رأيي، ان الاتجاه هو اتجاه التشتت لا اتجاه التلاحم(٣)» . في رأي هذا الجامعي ، لا يمكن ان يكون الاتجاه الا اتجاه التشتت . لان التلاحم ليس في صالحه كمثقف بورجوازي يطل على المجتمع من منابر الجامعة . ان انتفاضة مايو ١٩٦٨ بفرنسا كانت المثال النموذجي لارادة الطبقة العاملة الفرنسية على القيام بالثورة فقد تجاوزت الخط الاصلاحي الذي كانت تفرضه عليها الاحزاب والنقابات «الخبزية» طارحة مشكل السلطة بشكل جذري . ونضالات الشعبين الايطالي والافروأمريكي دلالة اخرى على ان «الاتجاه الرئيسي هو الثورة » . قد عانت الحركة التقدمية في الغرب طويلا من فراغ نظري ومن غياب استراتيجية صحيحة . لكن المهام اليوم اصبحت واضحة وضوح

(٢) لينين «الامبريالية ، اعلى مراحل الرأسمالية ص ١٧٧ المطبعة الروسية

(٣) ص ٣٥٧ «الصراع الطبقي»

الشمس .

فلا يمكن الان الادعاء ان الطبقة العاملة في الغرب قد ادمجت نهائيا في الهيكل الرأسمالي . اذ ان هذا الهيكل يعرف اليوم ازمة خانقة لا على الصعيد الاقتصادي فحسب ولكن حتى على الصعيدين الثقافي والاخلاقي. فقيم النظام الرأسمالي تندحر شيئا فشيئا. واتهامها من طرف الجماهير والشباب يزداد عمقا وان الحلول التي يجدها «التحريفيون» والاصلاحيون لازمة النظام الرأسمالي قد عبرت غيرما مرة عن فشلها «ان التحريفية والاصلاحية حتى على الصعيد العالمي قد فشلتا في تحقيق اهدافهما . ان الوضعية الحالية في العالم تشهد انفجار عدة تناقضات داخل هذين الهيكلين ، كما تشهد سيطرة القمع من جديد : ان انبعاث الاختيار بين الثورة والكارثة هو الذي سيطر على مدى القرن العشرين(١)» هكذا يصبح الحال الثوري مطروحا على جدول اعمال الطبقة العاملة في الغرب ، هذه الطبقة التي لن تتشتت لان النظام الرأسمالي بدونها وبدون حشدها في معامل كرونو وسيتروين لا يمكن ان يعيش ويستمر ، وهي من جهة اخرى القادرة على تحطيم البورجوازية الرأسمالية وهذا يرجع الى المكان الذى تحتله فيعلاقات الانتاج . ولكن ارون يسحب اي قدرة للبروليتاريا على السيطرة على الحكم «فى الاخير ان البروليتاريا هي الطبقةالوحيدة التي يمكنها ان تقلب البورجوازية وان تتحول الى طبقة مسيطرة . اننا هنا في قلب الميثولوجيا» ويضيف « ان البروليتاريا تتكون من ملايين من العمال الذين ،

(١) ال مانغستو اطروحة ٣٢

(٢) ص ٥٢ «الصراع الطبقي»

بطبيعتهم لم ولن يكونوا ابدا طبقة مسيطرة تمارس الحكم ، ولا يمكن ان ننفي ان اقلية من الناس يمكنها ممارسة الحكم باسم البروليتاريا او بدعوى ان هذه الاقلية تمثلها » . امامنا امثلة عديدة لاحزاب شيوعية مسيطرة على الحكم . توجد طبعا ـ ولا ننفي هذا ـ بعض الاحزاب التي سيطرت عليها فئة من البروقراطيين يدعون انهم يمثلون الطبقة العاملة . وبذات الوقت توجد احزاب في الحكم تسيطر عليها طلائع بروليتارية، والقاء نظرة ولو سطحية على الحكم في البانيا والفييتنام الشمالية يؤكد هذه الموضوعة بدون الحديث عن الصين الشعبية وكوريا الشمالية .

ان الاجهزة التي تجسد بحق حكم الشعب هي اللجن العمالية ـ التي سميت في روسيا بالسوفييتات ـ والفلاحية .. هذه اللجن التي تربطها علاقات ديمقراطية من القاعدة الى القمة ومن القمة الى القاعدة : «..ان سوفيات المسؤولين العمال هو الشكل الوحيد والممكن لحكم ثوري .»(١)

هكذا طرح لينين مشكل حكم الشعب سنة ١٩١٧ .

وقد رفع شعار «كل السلطة للسوفيات» لا لا تبقى اية وصاية بيروقراطية على الطبقة العاملة . وان مهمة هاته اللجن تمتد من مراقبة الانتاج الى تخطيط سياسة البلاد.

ومعنى سيطرة البروليتاريا على السلطة عند آرون هو ان يتحول مجموع العمال الى بيروقراطيين وتبقى اقلية المجتمع لا ادري اين « ان الحكم بطبيعته يمارس من طرف اقلية، وفي كل المجتمعات التي عرفت لحد الان ، لم تمارس الاغلبية السلطة(١)» . يجب اذن انيتخلى العمال عن الانتاج في المعامل ليمارسوا الحكم، ياللبلاهة! فالذي يجب فى الواقع ليس هو مغادرة العمال للمعامل قصد الالتحاق بالادارات ، ولكن انزال امثال ارون من منابر الجامعات لينتجوا في المعامل .

(١) لينين «اطروحات ابريل »

٣ العالم الثالث ونموذج التنمية

فعبر تحاليل آرون لا نعثر على اهتمام جدي بالعالم الثالث ، كأن هذا الاخير مفصول عن العالم الغربي لا تربطه به اية علاقة وكأنه لا يوجد بينهما اي تناقض . فيكتفي آرون بالقول «اننا شعرنا بان المجتمعات الغربية اغنى من المجتمعات المسماة متخلفة في افريقيا وآسيا» (٢) . فملاحظة الاستاذ صحيحة جدا ولكن ما هي الاسباب التي جعلت الفقر يتجمع في هذا القطر والغنى في العالم الغربي ؟

فجواب على هذا السؤال يتلخص في « ان الفقر الذي عانت منه البشرية طوال عدة قرون يعرف بالفرق بين مطامح الافراد ووسائل تلبية هذه المطامح . هذا تعريف مبهم لانه يتجاهل الاسس الموضوعية التي تزج بالجماهير الشعبية في الفقر الذي يزداد اندلاعا في العالم الثالث .ولكن ارون ديمقراطي الى حد ما فهو يكره الفقر ويعتبره مظهرا سلبيا من مظاهر الحياة الاجتماعية . ويعترف ـ وقد بذل مجهودا من اجل هذا الاعتراف ـ بان الاستغلال يوجد فعلا في المجتمعات المتخلفة «ففيما يخص مجتمعا رأسماليا ناميا ـ يسمى

(١) ص ٥٢ «الصراع الطبقي »
(٢) ص ١٦٤ «الصراع الطبقي»
(٣) ١٨٣ درسا حول المجتمعات الصناعية

اليوم متخلفا ــ والذى يوجد فيه عدد قليل من الرأسماليين الذين لا يملكون فكرا رأسماليا بل فكر التدبير ، فان التأجير يكون في بعض الاحيان نظام استغلال مشجوب في نفس الوقت مـ نطرف المستغلين (بفتح الغين) ومن طرف المجتمع باجمعه(٤)». فعند ارون يكفي ان يتحلى رأسماليو العالم الثالث بفكر رأسمالي لكي يمحي الاستغلال ، فلو كتب للتطور التاريخي ان يعطي هذه الظاهرة لما حل المشكل . والواقع انه من المستحيل تماما ان يحرز هؤلاء على فكر رأسمالي غربي لماذا ؟

سنحاول ان نعطي جوابا ملخصا على هذا السؤال في ثلاث نقاط

١) لانهم بكل بساطة لا يحرزون على رساميل كالتي كانت في اصل تشييد معامل رونو وسيتروين .

٢) لانهم لم يتشكلوا كـ «طبقة» بعد ثورة بورجوازية وانما انحدروا من فئات اقطاعية في الغالب .

٣) بما اهنم لم يقوموا بثورة ضد الاقطاع ، فان ايديولوجية هذا الاخير تبقى مسيطرة عليهم رغم نزعاتهم الليبرالية الجديدة . وهكذا لا يحرزون على اديولوجية البورجوازية الغربية التي حققت فصل الدين عن الدولة ، واعطت نسبيا للمرأة بعض الحريات واعطت التعليم صبغة اكثر ديمقراطية مما كان عليه في عهد الاقطاع او «الفيودالية». ولكن ريمون ارون يؤمن بتقدم العالم الثالث لان بعضالتطورات الهامة قد حدثت في تاريخه «ان ما يسمى اليوم بالامبريالية يندحر ،

(٤) ص ١١٦ ــ ١٨ درسا حول المجتمعات الصناعية

فالشعوب التي كان يسيطر عليها الاروبيون قد تحررت او هي في طريق التحرير . فالاوروبيون كانوا يسيطرون على العالم بفضل قوتهم العسكرية . وهذه الهيمنة العسكرية قد امحت ، واصبحت الشعوب ذات اللون ــ ويقصد هنا السود والصفر والعرب ــ قادرين على القتل بشكل يعادل في النجاعة اساليب الشعوب الاوروبية »(١) حقا ان الاستعمار المباشر كان ابشع شكل لاستغلال العالم الثالث . وعلى جثمان السود والصفر والعرب ــ كما يقول فانون ــ قامت الثروات التي اجبرت الغرب الى حد كبير على التقدم من الناحية العلمية وبالتالي التقنية وهي التي رفعت بشكل غير مباشر من مستوى عيش الجماهير الشعبية في الغرب. ولكن الاستعمار المباشر العسكري لم ينته كما يعتقد آرون وانما ابدل بالاستعمار الجديد اي بشكل ارقى للاستغلال لا ينفي «التدخلات العسكرية»

فالاستعمار الجديد يتلخص في نهاية الامر في اخفاء الجندي الاجنبي ذي البذلة ، واضافة عناصر تخدم المخابرات عن طريق بعثات ، اقتصادية ، ثقافية ، وحتى دينية . ولا يختفى الجندي صاحب البذلة الا في القواء دالعسكرية . والاستعمار الجديد يعتمد على الفئات الرجعية المسيطرة في بلدان العالم الثالث . انه يهدي عكاكيز للطبقات لارجعية العرجاء ، هذه الطبقات التي لا يمكن ان تسقط الا باسقاط العكاكيز.

وامام مشكل التخلف الذي يزداد تفاقما ، يلعب آرون دور المنقد الاجتماعي ، فيقترح نموذجا للتنمية: «في نظرنا يجب ان نخضع التقنيين للمنتجين ــ بفتح

(١) ص ٧٦ ١٨ درسا حول المجتمعات الصناعية .

الخاء ـ » (١) نلاحظ او الامر ان الخط برلماني يقترح ان يقع التمييز بين مرحلة التنمية ومرحلة التصنيع .. وكيفما كان النظام السياسي الاجتماعي يجب ان تقع سيطرة محكمة في المرحلة الاولى ـ الاستثمارات الخ.. ويسترسل الكاتب «ان الاحتياج للتقنيين يزداد اكثر فاكثر » وفي رأيه لا يجب ان يسيطروا على مجموع السلطة .

نريد ان نطرح سؤالا بسيطا على السيد آرون : ما هي طبيعة الديمقراطية البرلمانية وما هو نوع الانتخابات والتصويتات التي عرفها الغرب والعالم الثالث ؟ . اما حبه وتغنيه بالتقنيين بهذه الدرجة فغير وارد في بلدان العالم الثالث لان شكل الصناعة فيه يختلف عن شكلها في الغرب . وحتى الصناعة البسيطة فانها مسيرة ـ اذا استثنينا بعض «البورجوازيين المحليين ـ من طرف ارباب العمل الاستعماريين . فهدف آرون هو فصل الاقتصاد عن السياسة ، انه يتكلم عن تطور المجتمعات «المتخلفة» ولا تهمه ـ وحسب تعبيرة ـ الطبيعة السياسية للانظمة الحاكمة . واذا كانت لا تهمه طبيعة النظام القائم ، فلا تهمه ايضا نوعية الطبقة التي يمثلها هذا النظام ونعلم جيدا ما هي الطبقات التي تمارس البرلمانية وادماج التقنيين . ان آرون مدافع مخلص عن البورجوازية .

(١) ص ٣٦٥ « الصراع الطبقي»
(٢) ٣٦١ « الصراع الطبقي»

ادماج بسيط للتقنيين كفيل بالقضاء على التخلف!

وأين توجد الجماهير، وما دورها ؟ نلاحظ الان بوضوح الفصل الذي يخلقه آرون بين النخبة واوسع الجماهير. فهذا المنطق يجعل من السياسين والتقنيين ارباب المعرفة ومن الجماهير الالة المطبقة التي ليس لها اي حق في التفكير وفي نقد الاساليب المستعملة . فدكتاتورية الساسة والتقنيين على الجماهير هي النموذج الذي يحاول ارون ان يقدمه كبديل لبلدان للعالم الثالث. ومن ساستنا البورجوازيين من يدافع على نفس الفكرة معتبرا ان الجماهير المغربية، نظرا لجهلها ، لا يمكنها ان تلعب دورا هاما في الاقتصاد ، وهي عبارة عن الة بها عطب يجب اصلاحه ـ كان من البلاشفة سنة ١٩١٧ كانوا كلهم حاملي دكتوراه في الاقتصاد او الفلسفة ـ فحسب هؤلاء الساسة يجب ان تخرج الجماهير من الجهل ، وينسون ان يندمجوا بالجماهير ليراجعوا من جديد الثقافة التي احرزوا عليها في الجامعات البورجوازية. فالامل في تحقيق تعليم ديمقراطي تحت نظام رجعي وهم بورجوازي صغير ، يلقي باصحابه في غياهب فكر اصلاحي يتهرب من اتهام جذري للهيكل التعليمي الذي تربطه بالواقع السياسي العام اكثر من علاقة . فالتقني او المربي حسب تعبير ماركس «هو بدوره محتاج الى تربية(١) » ، تربية الجماهير الشعبية ، وهذه هي نصيحتنا بدون ابوية لامثال آرون .

(١) اطروحات حول فويرباخ

بالتبعية لهابل وتبحث عن تلك التبعية ، بحكم التفوق الساحق للاقتصاد الامريكي وبحكم ان الولايات المتحدة هي وحدها القادرة على القيام بدور الدرك العالمي للرأسمالية .

اما اليابان فعرفت تطورا مخالفا بعض الشيء ، رغم ان الولايات المتحدة استولت عليها تماما .

ذلك ان الهزيمة لم تكسر الا بنيته السياسية والعسكرية بينما بنيته الاقتصادية كانت مركزة في يد ثلاث او اربع شركات كبرى ظلت سالمة بدون مساس . وهذا الذي مكن الاحتكارات اليابانية بالحفاظ لنفسها على استقلالها الذاتي اقتصاديا وماليا رغم الضغط الامريكي وان كانت تنضوي بالفعل تحت القيادة السياسية والعسكرية والاقتصادية للامبريالية العالمية ، وقد احتفظت الامبريالية اليابانية بطابع عدواني خاص تتجلي خطورته اكثر فأكثر في المحيط الهاديء .

النظام النقدي الدولي والتوسع العالمي للامبريالية الامريكية

وضمن هذا الاطار لعب نظام «بروتن وودز» دور اداة اساسية للامبريالية الامريكية .

والنتيجة الاشهر والابهر ، لهذا النظام ، هي تمكن الولايات المتحدة من الاحتفاظ على عجز متزايد في ميزان الاداءات ، ويغطي ميزان الاداءات(٨) بالاضافة الى الميزان التجاري ، حركة الرساميل (٩) العمومية والخصوصية .

بينما تجد البلدان الاخرى نفسها مرغمة على ضمان توازن ميزان اداءاتها ، تلجؤ الولايات المتحدة الى اصدار الدولارات الورقية لتغطية عجز ميزانها .

وقد ادى تضامن البلدان الرأسمالية مع دركيهم المشترك اقتصاديا وسياسيا الى عدم قيام ابناك الدولة في تلك البلدان باستبدال الدولارات التي تتوفر عليها بالذهب باستثناء بعض التوترات من جانب دي كول وقد انسيت منذئذ .

لكن الابناك الملتفة حول البنك الامريكي الفدرالي للاحتياطات(١٠) ، كانت مضطرة الى محاربة المضاربة الخصوصية التي من شأنها الارتفاع بثمن الذهب ولذا صارت تلك الابناك تبيع الذهب في السوق ، مما جعل الاحتياطي الامريكي من الذهب ينخفض بنصفه ، الى حين سنة ١٩٦٩ حين تم فصل السوق الرأسمالية للذهب كاحتياطي نقدي عن السوق الخصوصية للذهب.

ومنذ ذلك الحين ابلضبط ثم التخلي عن الاسطورة التقدمية حول مرجع الذهب عمليا ، وتصريح نكسن في ١٥ غشت الماضي ترسيم لهذا التخلي حيث اعلن ان الدولار قد لا يبقى قابلا للاستبدال حتى على مستوى الابناك المركزية .

لكن الولايات المتحدة استطاعت بفضل النظام النقدى تمويل النفقات الخارجية التي اقتضتها مهامها كدركي عالمي للرأسمالية العالمية واستطاعت توسيع سيطرتها على الاقتصاد الرأسمالي العالمي .

لقد ظل ميزان الاداءات الامريكي فعلا يسجل سنويا بانتظام عجزا يبلغ مليارين من الدولارات ، رغم ان الميزان التجاري ظل دوما يسجل فائضا الى حدود شهر ابريل الماضي حيث سجل لاول مرة خلال هذا القرن عجزا . هكذا ارتفع حجم الديون الخارجية الامريكية من ١٥ مليارا من الدولارات سنة ١٩٥٧ الى ٤٥ مليار دولار سنة ١٩٧٠ .

هذه الديون المتراكمة بالاضافة الى الفائض التجاري مكنت الولايات المتتدةمن تمويل نفقاتها العمومية في الخارج في الحروب الامبريالية ضد الشعوب خاصة ضد الشعب الفييتنامي ، من جهة ، ومن تصدير الرساميل الخصوصية قصد سيطرة الاحتكارات الامريكية على احسن قطاعات الاقتصاد الرأسمالي العالمي .

وعلينا التاكيد هنا على هذا الجانب، اذ ان تعاليق الصحافة البورجوازية تميل الى حصر المشاكل النقدية الحالية في نطاق مشاكل بين دول وبين بلدان وليس بين قوى اقتصادية خلفية .

في نهاية ١٩٧٠ بلغت القيمة الحسابية للاستثمارات الامريكية في الخارج ٨٠ مليار دولار ، بينما كانت تبلغ سنة ١٩٦٠ ٣٢ مليار ، ومنتظر ان تمثل الفروع الخارجية للشركات الامريكية ٣٥٪ من الانتاج الاجمالي للبلدان الرأسمالية غير الولايات المتحدة .

وتتوزع الاستثمارات الامريكية التي تمت في الخارج سنة ١٩٧٠ كما يلي :

اوربا : ٤،٨٨ مليار دولار

كانـدا : ٢،٤٠ « «

اوصيانيا : ٠،٩٥ مليار دولار .

المجموع في هذه البلدان الرأسمالية : ٨،٢٣ مليار دولار .

اليابان ـ آسيا : ٠،٥٦ مليار دولار

امريكا اللاتينية : ٢،٤٣ « «

متنوعات : ٠،٥٦ « «

المجموع العام ٧٨،١١ مليار دولار .

ولا يصح الظن بان مجموع هذه الاستثمارات رساميل خارجة من الولايات المتحدة ، ذلك ان سياسة التمويل الذاتي (١٢) التي تسلكها الشركات الفرعية (١٣) ، ولوجوءها الى الاقتراض في السوق العالمية للرساميل (الامر الذي سنرى نتائجه فيما بعد) هما المصدر الاساسي لتمويل تلك الاستثمارات ، ثم ان الارباح التي ثم ادخالها الى الولايات المتحدة بلغت حوالي ٨ مليار دولار سنة ١٩٦٩ . وهذا ما يفسر كيف تستطيع الاحتكارات الامريكية المرور الان الى نظم غير التي وضعت في «بروتن وودز» .

ومهما يكن من امر ، فان المواد التي يوفرها لها استغلال العالم ، بالاضافا الى تلك التي توفرها لهاالنظم النقدية الدولية ، قد سمحت للاحتكارات الامريكية بتوسيع امبراطوريتها باستمرار .

وتظهر الارقام اعلاه كيف تقوم الاحتكارات الامريكية بالاسيلاء الكامل على اقتصاديات البلدان الخاضعة سابقا للرأسمالية الاوربية الى حد انه صار صعبا علينا الحديث الان عن استقلال تلك الرأسمالية الاوربية . ولذا فاننا نرى ان من الوهم والخطأ الاعتقاد بامكانيات احتداد تناقضات عدائية بين الرأسمالية الاوربية والرأسمالية الامريكية.

اما تصريحات القدافي بان اوربا الغربية لم تعد امبريالية فتطرح نفسها في مستوى اخر : حضيض الكذب والبلاهة، ونلاحظ في الواقع الملموس بغض النظر عن التصريحات الدبلوماسية بان اوربا الغربية تلعب اكثر فاكثر دور المكمل الاقتصادي والسياسي بل والعسكري للامبريالية الامريكية .

حقا ان مفعول السيطرة لا يلعب وحده ، فهو

يتفاعلمع شبكة مترابطة من العلاقات ، وعلى سبيل المثال فان الشركة الامريكية دو كميكال dow chemical المعروفة بصناعة النبالم ، لها فرع في المانيا ، وقامت مع ذلك بانشاء فرع اخر في الولايات المتحدة بالتعاون مع الشركة الالمانية الكبيرة بادش أنليم Badische Anilim

وهذا النوع من العلاقات المتشابكة هو الذي صار يطبق في حالة اليابان ، مثال ذلك ان شركة كريزلر Crysler سعيا لتزويد السوق الامريكية بالسيارات الصغيرة ، فضلت بناء مصنع في اليابان ، بالتعاون مع الشركة اليابانية متسوبشي ، بدل بنائه على الشاطيء الغربي للولايات المتحدة .

زد على ذلك ان الاحتكارات(١٤) تركز استثماراتها في المرافق الاستراتجية الحيويةللاقتصاد مثل الكيمياء وفي المرافقذات الربح المرتفع كالسياحة .

ان هذه العناصر تسمح بفهم الطريقة التي نمت بها خلال خمسة عشر عاما في قلب الرأسمالية العالمية شبكة اقتصادية ومالية تسيطر عليها كبريات الشركات الامريكية ، ونرى فيما يلي الاعطاب التي نتجت عن ذلك ومن السياسة العسكرية للامبريالية الامريكية .

٣ نحو انضاج الازمة الاقتصادية الامبريالية .

في هذا النظام الرأسمالية العالمي الذي يتزايد ترابطه ، تتخذ الامراض الاساسية للاقتصاد الرأسمالي مدى دراميا .

لقد اثبت ماركس ان الربح الرأسمالي الناتج عن اختلاس جزء من قيمة العمل (فائض القيمة) ، وارتفاع الانتاجية يؤدي فينفس الوقت الى التزايد السريع **للحجم الاجمالي ، للتراكم الرأسمالي والى انخفاض** معدل الربح ، اي نسبة فائض القيمة الى حجم الرأسمال واذ يؤدي نمو الرأسمالية والانتاجية الى استثمان رساميل ضخمة متزايدة الحجم ، فان الرأسمالية تجد نفسها في حاجة الى وسائل التمويل التي تتناقض بفعل ميل معدل الربح للانخفاض (١٦).

في رأسمالية التنافس الحر ، كان هذا القانون يجد ترجمته في ازمان دورية تفلس خلالها اضعف القطاعات في الاقتصاد الرأسمالي ، مما يسمح لاقوى القطاعات بتوسيع نفوذها وبالتلي اعادة تجميع وسائل التمويل على ظهر الرأسماليين المتوسطين المفلسين والعناصر ذات بعض التوفيرات من الطبقات الوسطى **حيث تنخفض قيمة رسومهم في البورصة ، وعلى حساب** العمال الذين يفرض عليهم البطالة المتوسعة والاجور المنخفضة .

وقد ادى هذا التطور الى رأسمالية الاحتكار والى الامبريالية. وقد ترجم ذلك القانون نفسه بهزةاكثر خطورة زعزعت اسس الرأسمالية العالمية وهي ازمة ١٩٢٩ .

وقد تصور الاقتصاديون الرأسماليون منذئذ ان بمقدورهم مراقبة هذه الحركة والتحكم فيها بواسطه تطبيق افكار الاقتصادي الانجليزي كينز keynes في وقت التوسع والنمو يجب حصر الاقتصاد ، في وقت التراجع يجب تحريك الاقتصاد . والوسائل الرئيسية لذلك هي النظم النقدية لحصر وسائل التمويل **(تقلص** Déflation) ولتنشيطها (التضخم Inflation

والى حدود سنوات ٦٠ ظهرت هذه الوصفات وكأنها فعالة مما جعل الاقتصاديين البورجوازيين يبهرون بها وجعل بورجوازيينا الصغار يكنون لها الاعجاب،

والواقع ان الدمار الناتج عن الحرب العالمية **فسح** مجالا واسعا لكسب معدلاتربح عالية وتراكم وسائل التمويل . وساهمت في ذلك حرب كوريا ، واستمرار السياسة العدوانية العسكرية للامبريالية عبر العالم .

لكن تلك الوصفات انكشف عجزها اكثر فاكثر ، **ولذا شهدت العشر سنوات الماضية تصعيد السياسة** العدوانية للامبريالية. ولذا ايضا تزيد سرعة التضخم المالي على الصعيد العالمي ، كطريقة لاختلاف وسائل التمويل الغير المعتمدة على انتاج فعلي ، وقد اظهرنا بعض ملامحه .

ولا تزيد سرعة توسع الاحتكارات هذه الظاهرة الا تعميقا. ومن المظاهر المالية لهذا التوسيع نظام «الاورو ـ دولار» ودون الدخول في التفصيلات المعقدة فان الابناك الخصوصية في الواقع ، بواسطة رصيد يقوم في الاصل على ديون بالدولار ، بامكانها مضاعفة الرصيد المالي مرة او مرتين ، هكذا استطاعت هذه الابناك في سنة ٦٩ ان توفر لها رصيدا يبلغ ٥ مليارات دولار اضافية في الولايات المتحدة في وقت كان البنك المركزي الامريكي يحاول تقليص الرصيد المالي . وفي سنة ١٩٧٠ ، استطاعت الابناك على العكس اخراج حوالي ٨ ملايارات دولار من الولايات المتحدة باتجاه ايداعات اكثر مردودية مما ساهم في تفاقم الازمة النقدية الدولية .

ان من نتائج تخبط الرأسمالية هذا ، حيث المال ينتج المال باستقلال عن الانتاج، بل وعن طريق تدمير الانتاج والحرب ، هي ان الركود يستقر الان في وقت بلغ التضخم المالي اوجه .

ان معدل استخدام الطاقات الصناعية سجل منذ ١٩٦٨ التدحرج الاتي ، بعد ان كان يدور حول ٨٠٪ و **٩٠٪**

١٩٦٨ : ٨٤،٥ ٪

١٩٦٩ : (الثلاثة اشهر الاخيرة) : ٨١،٧٪

١٩٧٠ : الثلاثة اشهر الاولى : ٧٩،٨٪

الثلاثة اشهر الثانية ٧٨،٠٪

الثلاثة اشهر الثالثة ٧٦،٢ ٪

الثلاثة اشهر الاخيرة : ٧٢،٣٪

في سنة ١٩٧٠ ، لم يحصل على عمل الا ٧٥٠٠٠٠ شابا من بين مليونين من الشباب المرشحين للشغل .

وبينما كانت نسبة البطالة الرسمية ثابتة بين ٣٪ و ٤٪ الى حدود سنة ١٩٦٩ ، ارتفعت في اواخر عام ١٩٧٠ **الى ٦٪**

وتتناقص قدرة الصناعة الامريكية على منافسة الصناعات التي ساهمت بنفسها في بنائها في المانيا واليابان وكندا ، ومجمل هذا الوضع هو الذي ادى بالعجزفى الميزان الارميكي للاداءاتِ الى بلوغ ١٠،٧مليار دولار سنة ١٩٧٠ و ١١،٦ مليار دولار في النصف الاول من سنة ١٩٧١ وحده .

ان تصرفات الاحتكارات الامريكية على الصعيدين الاقتصادى والمالي تدفع بنفسهابالاقتصاد الامريكي الى الافلاس . وقد اعترف بذلك كاتب الدولة الامريكي في الخزينة نفسه عندما اعلن ''U.S. is Broke'' «اي» افلست الولايات المتحدة ، وهذا لا يمعنه بالطبع من وضع ثقته في «القوانين الموضوعية واللاشخصية للسوق» لتعود بالوضعية الى الاستقرار . لكن تلك القوي الموضوعية ما هي الا الاحتكارات ذاتها التي ادت الى الافلاس .

٤ ـ تدابيـر نكسن

مذا تعني التدابير التي اعلن عنها نكسن في ١٥ غشت وسط هذه الاوضاع ؟ انها اعتراف بعجز الولايات المتحدة عن اداء ديونها من جهة ، ومجهود يائس من اجل الحد من استفحال هذين المشكلين بواسطة شبكة تدابير ترمي الى النقص من الواردات والزيادة في الصادرات.

ولهذه التدابير اذن هدف خارجي وهدف داخلي مزدوجان . ولابد من التأكيد اولا ان نيكسن اتخذ هذه التدابير رغم انفه كما سبق ان قيل .لقد كانت هناك موجة اضراب واسعة في الولايات المتحدة وكانت الطبقة العاملة في قطاعات حيوية من الاقتصاد الامريكي قد فرضت من يوليوز وغشت بالذات رفع اجورها بزيادات هامة لللحاق بارتفاع الاثمان . هكذا كان الامر بالنسبة للسكك الحديدية ، والبريد وصناعات الصلب ، بينما كان عمال موانيء المحيط الهادي قد دخلوا في اضراب منذ ازيد من شهر .

ولذا كان الاجراء الرئيسي يكتسي صبغة اقتصادية اكثر منها مالية ، وتقضي بحصر الاجور والاثمان معا . غير ان مثل هذا الاجراء لا يطبق فعلا الا على الاجور كما يعلم الجميع . وفي نفس الوقت قدم نيكسن مجموعة من الهدايا في شكل اعفاءات وتخفيضات من الضرائب ترمي الى تشجيع الاستثمار. وكان الهدف الرسمي من ذلك هو ضمان التشغيل . لكن النسبة الشديدة الانخفاض في استخدام الطاقات الصناعية الامريكية ، بالاضافة الى اتجاه الصناعيين الى الاتمتة auro atisation تسمح بالاعتقاد بان ازمة الشغل لن يتم حلها بتلك الطريقة .. اما بالنسبة لارباح الاحتكارات فلا شك انها ستزداد .

وفي نفس الوقت يعطي نكسن اشارته للعالم الرأسمالي وخدامه : توقيف صعود الاجور (ويضيفون الاثمان كذلك بالطبع). ذلك هو الشعار ومرة اخرى لا يجد ارباب الاملاك الرأسماليون حلا اخر غير تصعيد استغلال الشغيلة . ويستمرون مع ذلك في اختلاس مزيد من المال الناتج عن ارتفاع الاثمان الذي اكتسبوه ان تركهم العمال يفعلون .

لكن التدابير التي تحدث اكثر المناوشات في الدوائر الرأسمالية هي االتدابير الاقتصادية والمالية الرامية الى تحسين وضعية الميزان التجاري للولايات المتحدة على حساب البلدان الاخرى .ولهذا الغرض ، تسعى الامبريالية الامريكية الى حمل البلدان الرأسمالية على الرفع من قيمة عملاتها بصفة ملموسة بالنسبة للدولار . بل الادهى ان الحل الذي تم فرضه هو ترك قيمة العملات الاخرى «عائمة» اي تركها تتماوج حسب تماوجات حركة الرساميل ، ويتعلق الامر في نهاية المطاف بترك السوق الرأسمالية العالمية في قبضة الاحتكارات الصناعية والابناك العالمية التي تطغى عليها كبريات الشركات الامريكية .

لا غرابة اذن في ان يتوصل نكسن ببرقيات التهاني من الاحتكارات الامريكية : ونذكر من بينها برقية من دو كيميكال Dow Chemical صانع النبالم يقول فيها له «نحن فخورين بك» . والواقع ان الشركات الصناعية الكبرى والابناك بلغت من التوسع الاقتصادي والمالي العالمي مستوى صارت معه تتطلع الى التسيير المباشر للسوق المالية العالمية . فمنذ ٢٥ يوليوز اعلن مسؤولان كبيران عن البنك الامريكي First National City Bank ما يلي : «ان البنك الفدرالي للاحتياطي غير قادرة على القيام بدور بنك مركزي على الصعيد العالمي،

وليست هناك اية حاجة الى مثل هذا البنك »

وهنا يجب ان نفهم ان ثقل هذه القوى على مجمل الاقتصاد الرأسمالي الاوربي بلغ درجة لم يعد معها امام اوربا الرأسمالية اختيار غير الرضوخ لماتمليه امريكا .

وقد سار على هذا المنوال منذ ماي قادة اكبر قوة اقتصادية في اوربا الغربية ، الاقتصاد الالماني الغربي الذي ترتبط كبريات شركاته باوثق العلاقات مع الاحتكارات الامريكية وتسعى ايضا الى السيادة على الاقتصاد الاوربي الغربي .

والواقع ان هذه الاحتكارات العالميةفي حاجة الى الدفع باضعف القطاعات الاقتصادية الاروبية الى الافلاس قصد مد نفوذها على مجموع تلك القطاعات ، كما هو الحال في قطاع السيارات وقطاع صناعة الصلب ، وقطاع الكيمياء وغيرها ولا يعني هذا انعدام الشجارات الشديدة فيما بين الاحتكارات ، بل ان تلك الصراعات ستحتد حول امتلاك الفرائس لكن المصلحة واحدة في .الهجوم على هذه القطاعات .

وقد تسرب نفوذ الاحتكارات الى كبار الرأسماليين في بلدان اضعف اقتصاديا مثل فرنسا وايطاليا . ومن الامثلة العديدة على ذلك ان اكبر شركة صناعية فرنسية وهي شنيدر Schneider صارت فرعا للاحتكار الامريكي الكبير وستنغهاوس « Westinghouse حقا ان ممثليها السياسيين مثل بومبيدو لا يسعهم ولو لاعتبارات انتاخبية محضة قبول مناقشة تذابير من شأنها توسيع البطالة والحكم بافلاس على قطاع واسع من الشغيلة والمنتجين الصغار الفرنسيين. لكن الكل يعلم في الاوساط المالية ان خطابة السياسيين البورجوازيين لا تبطل قانون الاحتكارات .

لكن القوى الثورية المتصاعدة في ايطاليا وفرنسا واسبانيا وايرلندا وبلجيكا ستكون قادرة عبر نضال طبقي يتخذ الان طابعا وطنيا على عزل ارباب الرساميل الكبرى والاحتكارات العالمية .

ولا شك ان تصالح مصالح الاحتكارات الامريكية واليابانية سيكون اكثر تعقيدا. غير ان الاقتصاد الياباني مرتبط على الصعيد التجاري بالسوق الرأسمالية العالمية الى حد صار صعبا عليه ان يمشي فريدا، وقد تلجؤ الرأسمالية اليابانية الى محاولة تجاوز هذه الصعوبات بان تصير متسلطة اكثر فاكثر في السوق العالمية ، ومهما يكن من امر فان الايام الجميلة من عمر «المعجزة اليابانية» صارت معدودات ، ولا شك ايضا ان تعميق هذه التناقضات الداخلية سيؤدي بالامبريالية اليابانية الى القيام من جديد بدور عدواني مباشر على الصعيد السياسي والعسكري .

٥ ـ النتائج بالنسبة للشعوب المضطهدة

تظهر هذه النتائج وكأنها بعيدة ، واذا كانت البيانات الرسمية تتخذ في تقنيتها مظهر الاستقلال ، فهي لا تغير شيءا من الوضع الذي يحكم علينا بتحمله واقع تبعيتنا . ليس هناك اي علاج لهذه الاوضاع غير الخروج من التبعية ، وذلك ما لا يمكن لحكامنا ان يفكروا فيه .

ان تقلص نشاط الاقتصاد الرأسمالي العالمي سيكون

له مفعلوه مباشرة في القطاعات الاكثر ارتباطابها في اقتصادنا .وينتج عن ذلك بالضرورة استفحال الركود الاقتصادي القائم الان . كما يتضح من ذلك مرة اخرى الطابع المزيف لموضوعة الرأسمال الاجبني والحلــول الرأسمالية .

وهناك نتائج اخرى ستشكو منها اليد العاملــة المهاجرة الى اوربا. واذ تمثل حوج الفئات العاملة هناك الى وسائل الدفاع في وجه الرأسمال الاوربي ، فمـن الواضح انها ستكون اول من سيمسه توسع البطالة في اوربا .

ولا يعتقدن احد ان الصعوبات الاقتصادية ستحد باعجوبة مـن الطبيعة العدوانية للامبريالية ، بــل ان الوحش المفزوع اكثر خطورة ، لكن عـلى الشعـوب ان تعلم ان الوحش سيعدم حتما .

وبنــضالات الشعوب يتعلق الاسراع بتبديد هــذا النظام الوحشي القائم لاستغلال العالم والانسان .

١) ازمة نقديــة — Crise monétaire

٢) النظام النقدى الدولي — Système monétaire international

٣) العمل الاجتماعي — Travail social

٤) نظام تبادل البضائع — Système d'échange des marchandises

٥) قانون القيمة — Loi de la valeur

٦) القيمة ـ العمل — Valeur - Travail

٧) الوسيط النقدي — Intermédiaire monétaire

٨) ميزان الاداءات — Balance des paiements

٩) حركة الرساميل — Mouvement des capitaux

١٠) الاحتياطي او الاحتياط (النقدي) — Réserve

١١) القيمة الحسابية — Valeur comptable

١٢) التمويل الذاتي — Auto - financement

١٣) الشركات الفرعية — Filiale

١٤) احتكارات — Monopoles

١٥) وسائل التمويل — Moyens de payements

١٦) ميل معدل الربح الانخفاض — Baisse tendancielle du taux de profit



تحقيق حول الوضع الاجتماعي في ناحية الحوز

عبد السلام العمارتي

يعيش اكثر من ١٦٠٠٠٠٠ من سكان المغرب في ناحية مراكش (اكثر من ١١٪ من السكان) وفي مراكش ذاتها فوق مساحة لا تتجاوز ٦٪ من مساحة المغرب ، تعد نسبة السكان في الكلمتر المربع باكثر من ٦٠ ، وهذه النسبة عالية جدا اذا عتبرنا المعطيات الطبيعية ، خصوصا الجفاف ومستوى التربة وقلة المساحة المزروعة (اقل من ٣٥ من جموع المساحة) وعدم التحكم في المياه التي تنتهي اغلبيتها الى البحر دون اي تجهيز يعطي للفلاح فرصة استعمالها .

لقد استغل السكان ما استطاعوا استغلاله حسب امكانياتهم فتركز البعض فوق الاراضي المسقية وفي اودية الاطلس ، وحاول البعض الاخر الاستفادة من الاراضي الغير المسقية ومن تربية الماشية .

اما مدينة مراكش فقد دأبت على احتضان الفلاحين العاطلين الذين قدموا لخدمة المحظوظين من اقارب الحكم وكبار الملاكين والتجار ، ويوجد اليوم اكثر من ٣١٠٠٠٠ ساكن في المدينة اغلبيتهم يعيش من التجارة والصناعة التقليدية ، التي تواجه منافسة التجارة العصرية ورساميل الصناعة التي لا توظف اكثر من ١٠٪ من سكان المدينة .

اقليم مراكش بشكل عاما لازال يعيش في الميدانين الصناعي والفلاحي على التجديدات التي قام بها الاستعمار في هذين الميدانين ، والكل يعلم ان هذه التجديدات ـ وهذه هي ميزة الاستعمار جاءت لفائدة المعمرين سواء القدامي او الجدد ، اما المعمرين الجدد فكل ما اضافوه الى الوضعية القديمة هو المزيد من الاستغلال والتلهف على الربح السريع .

هذا ما يلاحظ بالنسبة للاراضي المسترجعة انها اولا لم توزع على الفلاحين الصغار والتي يستغل الثلث منها اقل من ١٠٠ عائلة ، كما يلاحظ في الميدان الصناعي بهذا الاقليم عجز الدولة عن تمويل مشاريع صناعية ، ان المعامل الموجودة في مراكش لا تستغل اكثر من ٣٠٪ من المنتوجات الغذائية . اضافة الى ان المعادن الموجودة بالناحية تسيطر عليها المصالح الامبريالية .

اما ميزانية الدولة فلا تغير شيئا في هذه الوضعية الا ما كان منها لفائدة الطبقات السائدة ، ولفائدة الامبريالية ، هذا ما يستنتج من مشاريع التصميم الخماسي .

الفلاحة

بناء سد ايت عادل	١١٢٠٠٠٠٠٠
تجهيز الناحية التي يسقيها **سد ايت عادل** (تساوت الجنوبية)	١١٥٠٤٤٠٠٠
النواحي البورية	٣٥٠٠٢٠٠٠
تربية المواشي	٤٠٣١٠٠٠
التجارة الفلاحية وعمليات المحافظة	٩٩٧٠٠٠٠ »
المجموع	٢٧٦٠٤٧٠٠٠ درهم
الصناعة التقليدية	٤٨٧٣١٠٠٠٠ درهم
المعادن	،
السياحة	٧٧٣٠٠٠٠٠ »
التجهيز العام وتجهيز المصالح الادارية والاجتماعية	١٢١٣٦٥٠٠٠ »
المجموع العام	٩٦٢٠٢٢٠٠٠ درهم

يلاحظ من مشاريع هذا التصميم ان اغلبية الاعتمادات في الفلاحة قررت لبناء سد ايت عادل وتجهيز ناحية تساوت التي يستغل فيها ٣٠٪ من الفلاحين ما يقرب من ٨٠٪ من الاراضي .

اما الصناعة والمشروع الاساسي فيها هو بناء معمل بمشرع بن عبو لاستغلال الفوسفاطوانتاج السماد الكيماوي ، ومن المقرر ان تشارك في بناء هذا المعمل شركات اجنبية سوف يكون لها النصيب الاكبر في الارباح

اما السياحة والتي تهتم بها الدولة اشد الاهتمام وتعطيها الاسبقية كاداة للنمو .. فانها بالنسبة لهذا الاقليم تعتبر مصدرا اساسيا لتمركز المصالح الامبريالية والمثلة على الخصوص في مجموعة الفنادق التي اقامتها الشركات الامبريالية .

في وضعية الاراضي وتوزيع الملكيات والارباح

يكتسي الميدان الفلاحي من الناحية الاجتماعية والسياسية والاقتصادية اهمية كبرى ، وخاصة اذا قورنت بالنسبة للميادين الاخرى الصناعة والتجارة والادارة ذلك ان الاغلبية الساحقة (٨٠٪ من السكان) تعيش من الفلاحة وتتكبد مشاكلها. ومما لا شك فيه ان تحليل هذه المشاكل يؤدي بنا الى لاتساؤل عن المستقبل وعما تحمله الجماهير الفلاحية من طاقات نضالية ،

فلندرس الوضعية الفلاحية ولنحاول استخلاص بعض الاستنتاجات :

١) وضعية الاراضي :

اذا امعنا النظر في السهول الواقعة بين الجبيلات والاطلس ، والتي تضم قسطاكبيرا من ثروة الناحية . نجد ان المساحة المستغلة لا تتعدى ٣٠٠،٠٠٠ هكتار يعيش عليها ما يقرب من ٤٠٠،٠٠٠ فلاح اي ما يعادله ٠،٧٥ هكتار لكل فرد ، ويظهر التوزيع الحقيقي لهذه الاراضي كما يلي :

- الاراضي المخزنية : اكثر من ٢٧،٠٠٠ هكتار يكتريها كبار الملاكين والتجار . واستغلالها في غالب الاحيان غير مباشر خلافا لما جاء به القانون في هذا الشأن. ويعطيها عادة المكترون شركة للفلاحين الصغار .

- الاراضي المسترجعة : ٢٥،٠٠٠هكتار تقريبا . استرجعتها الدولة طبقا لظهير ١٩٦٣ المتعلقة باسترجاع اراضي المعمرين . جل هذه الاراضي لازالت تتصرف به العمالة ، رغم ما جاءت به القوانين فيما يخص توزيع تلك الاراضي على الفلاحين الصغار . ولا يخفى علينا ان تصرف العمالة في تلك الاراضي يكتسي صبغة الاستغلال لمصالح شخصية معينة ، مما يؤدي الى عجز باهض في الدخل السنوي لتلك الاراضي .

- اراضي المعمرين : مايقرب من ١٠،٠٠٠ هكتار. ما زالت هذه الاراضي بين ايدي المعرين الاجانب ، والبعض منها بيع للمعمرين المغاربة الجدد .

- اراضي الاحباس : ٨٠٠٠ هكتار . يحتمل توزيعها ايضا حسب ما نص عليهقانون الاستثمارات الفلاحية ، ولكن ليس هذا الا احتمالا .

مجموع الاراضي السابقة يساوى ٧٠،٠٠٠ هكتار تقريبا ، من اغنى اراضي الحوز وتستغلها اقلية ميزتها انها تتعايش مع الاستعمار ، وتتهيأ لاكتساب هذه الاراضي ملكا لها بصفة نهائية .

اضف الى ذلك ما يقرب من ٩٠،٠٠٠ هكتار يملكها اقل ١٠٠ عائلة في ناحية مراكش ، كانت ركيزة في الماضي لحكم الكلاوي ، وصارت اليوم ركيزة للحكم القائم ، يعيش من ذلك الاراضي (١٦٠،٠٠٠ هكتار) ، وبجانب المنتفعين الكبار ، ١٠،٠٠٠ عامل زراعي وشراك تقريبا .

اما الباقي من اراضي الحوز ويعد بـ ١٥٠،٠٠٠ هكتار تقريبا ، والتي تتكون من اراضي جماعية واراضي الجيش واراضي الملك ، يستغلها ٣٥٠،٠٠٠ فلاح تقريبا اي هكتاران لكل عائلة. مع العلم ان تلك الاراضي نفسها موزعة بصفة غير متساوية بين الفلاحين (٧٠٪ من الاراضي الى ٣٠٪ من المستغلين)

١) توزيع الارباح :

نستنتج مما سبق ان اغلبية السكان تعيش في الحقيقة من نصف الاراضي المزروعة ، فالارباح السنوية تتوزع كما يلي :

ـ الاراضي المخزنية والمسترجعة واراضي المعمرين الخاصة واراضي الاحباس
(٧٠،٠٠٠ هـ) ١٥،٨٩٠،٠٠٠ درهم

ـ اراضي الملاكين الكبار
(٩٠،٠٠٠هـ) ٢٠،٤٣٠،٠٠٠ درهم
«٢٠٤٣٠٠ د.لكل عائلة»

ـ الباقي (١٥٠،٠٠٠هـ) ٣٤،٠٥٠،٠٠٠دهـ
لـ : ٣٥٠،٠٠٠ فلاح ـ «٤٨٦ د. لكل عائلة)

٢) اساليب الاستغلال

يبدو في اقوال الحكم ان شغله الشاغل هو مشكل الفلاحة : هيئت لها قوانين ، ودبرت قروض ، واعطيت لها الاسبقية في التصاميم والميزانيات .

والواقع الذي يعيشه الفلاحون الفقراء ، الذين يشكلون اغلبية السكان ، مناقض لما جاء في اقوال ووعود الحكم فلم يتجاوز عن الهكتارات الموزعة منذ الاستقلال ٥٠٠٠ هكتار ، رغم ان العدد الذي يلزم توزيعه حسب ما جاءت به القوانين نفسها ، وبغض النظر عن كل الاعتبارات الاخرى يساوي ٧٠،٠٠٠ هـ. تقريبا .

ليس في ذلك شيء غريب ، فالذين يستفيدون من كل السياسة الفلاحية هم الاحتكارات الاستعمارية الاجنبية والملاكون الكبار والتجار ومن لهم مصالح مشتركة مع كبار الموظفين والضباط .

نلاحظ في صعود هذه الفئات المسقلة (بكسر العين) نوعين :

ـ احداهما تستمد قوتها مما تفضل به عليها الاستعمار التقليدي وحكم الكلاوي . وهذه الفئة بقيت على ما كانت عليه من اسلوب اقطاعي محظ : توسيع ملكيتها والتقرب من السلطة بطريق الزواج من اصحاب النفوذ السياسي واعطاء الهدايا وباكتساب عطف الفلاحين الصغار وذلك بتنظيم الحفلات وبالاقتراب من لهم صلة مباشرة بالشرفاء .

ـ والفئة الثانية يمثلها عناصر رأسمالية تتخذ الاساليب العصرية في الفلاحة سلاحا لها في استغلال الاراضي ونيل القروض وفي التعامل مع الاوساط التجارية والصناعية كما لا يتهاونون في نفس الوقت فى ربط الاتصالات)المجدية) مع اصحاب الامر على صعيد العمالة والحكومة ، وكثيرا ما تكون لهم مصالح مشتركة مع الموظفين الكبار في شتى الادارات .ويعمل هؤلاء الرأسماليون لامتلاك الاراضي المخزنية او المسترجعة

او التي يبيعها المعمرون .

اما الفلاحون الصغار ، فان وضعيتهم تتميز بقلة ـ او انعدام ـ وسائل الانتاج ، مما يجعلهم تحت الضغط المباشر لكبار الملاكين .

وفي اراضي الجيش مثلا ، وان كانت وسائل الانتاج متوفرة . نجد صغار الفلاحين يكتفون باستثمار ناقص للاراضي نظرا لعدم تحديد قانون يضمن الملكية لمستغليها .

وفي الاراضي الجماعية ، اصبحت المساحات غير كافية نظرا للتزايد الديمغرافي ولامتلاك الغير الشرعي لها من طرف كبار الملاكين . فكثيرا ما يفضل الفلاح الصغير كراء نصيبه بثمن بخس لمن يتوفر على وسائل الانتاج . وفي حالات اخرى ، يقدم نفسه للعمل كشريك او عامل احتياطي في الممتلكات الكبرى .

اصبح اليوم جل الفلاحين الصغار ، لعدم توفرهم على وسائل الانتاج يستسلمون لشروط كبار الفلاحين ليضمنوا قوتهم في حدود الكفاف .

كما يلاحظ تزايد عدد الشراك الذين يقدمون كل وسائل الانتاج، ويخدمون ارض الملاك ، ولا يتقاضون اكثر من نصف الانتاج ، بينما كانوا يتقاضون في الماضي ٢/٣او ٤/٥ في اوائل الاستغلال ، ذلك بقطع النظر عما يصرفه الشريك على الاملاك منافسة منه لشراك الاخرين حتى يضمن استخدامه .

نفس الملاحظة فيما يخص الرباع «بالخبزة» حيث اصبح دخله يتراوح فيما بين ١/٥ و ١/١٦ من الانتاج فلم يبق اذن من معنى الرباع الا الكلمة .

هناك ايضا عمليات يستعملها الاقطاعيون لنيل اراضي صغار الفلاحين ، تبتديء بالقرض او «الرهينة» وتنتهي بالسيطرة على ملكية الفلاح الصغير لانه لم يتمكن بطبيعة الحال من تسديد ديونه .

نشهد اذن وبصفة اجمالية ، تفقيرا شاملا للفلاحين الصغار تحت ضغوط الاساليب الاقطاعية العتيقة او الرأسمالية ، هذا التفقير الذي يضطر معه الفلاح الى ترك ملكيته الصغيرة والهجرة الى المدينة حيث يضاف الى الرقم المتضخم باستمرار للبطالة .

٣) الوضعية في مدينة مراكش

احتفظت مدينة مراكش بطابعها التقليدي، كمدينة يعيش سكانها اساسا من التجارة مع البادية ومن الصناعة التقليدية .

اما في الميدان الصناعي ، فلا تساهم هذه المدينة الكبيرة الا ب٢،٥٪ من الانتاج الوطني . ولا يتعدى عدد العمال ٥٠٠٠ عاملا ، اغلبيتهم تعمل في الصناعة الغذائية وفي المعادن .

تتميز وضعية العمال في مراكش بانخفاض كبير للاجور حتى عن المعدل الوطني للاجر ، نظرا لاستغلال ارباب المعامل لسوق البطالة الضخم ، مما يسمح لهم بتخفيض وتجميد ، اجور العمال دون المستوى الوطني نفسه .

اما التجار الصغار والحرفيون ، فهم يرزخون تحت ثقل الضرائب المتعددة وغلاء المعيشة ، وتحت منافسة المواد الصناعية العصرية وارباب المتاجر الكبار الذين يفرضون عليهم اثمنة البضائع .

توجد فئة اخرى في مراكش تتكون من جماهير

عريضة من المهاجرين الى المدينة وعددهم يتزايد يوما عن يوم ، ويلاحظ ذلك في حي سيدي يوسف بن علي مثلا الذي يزيد عدد سكانه عن٣٠،٠٠٠ نسمة .

٤) بعض الاستنتاجات

يلزمنا وضع استنتاجاتنا في اطار التطور الموضوعي على ضوء المعطيات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وعلى ضوء الطرق التي تنهجها الطبقات الحاكمة في استلائها على ما بقي من ايدي الطبقات المحرومة ، وكذلك في اطار التناقضات التي تخلقها تلك الوضعية من روح نضالية وسط الاوساط الشعبية .

١) ان صفات الرأسمالية تنمو تدريجيا ، ولو ببطء في البنيات الاقطاعية الموجودة في البادية ، ووضعية الفلاح الصغير تتغير من فلاح لا يتعدى افقه ميدان العلاقات بالاقطاعي وبافراد القبيلة ، الى وضعية اخرى تشهد غلاء المعيشة ولها علاقات الاجرة مع انخفاض القدرة الشرائية والزيادة في الضرائب وانتشار الرشوة الى غير ذلك من مظاهر الاستغلال الرأسمالي المباشر، وهذه المظاهر التي تؤدي به في النهاية الى التدين والافلاس تطرح عليه بالحاح ضرورة النضال من اجل الاصلاح الزراعي .

ذلك هو الاتجاه العام الذي وصل اليه العمال الزراعيون وبعض الملاكين المتوسطين ، اما الفلاحون الاخرون ، خصوصا «الشراك» و «الرباعة» و «المكارون» فهم في الطريق ، لاسيما وان اتلاك الراضي المخزنية واراضي المعمرين الخاصة، من طرف الرأسماليين المغاربة سيحدث تغييرا هاما في البنيات الفلاحية يمهد الطريق الى نفوذ شامل للرأسمالية مع ما سيتبعها من عمال زراعيين جدد ومن غلاء المعيشة ومن تكاثر هجرة الفلاحين الى المدينة .

لن يستطيع الحكم الحالي في هذا النطاق تغيير التطور الموضوعي الذي نشهده ، رغم محاولاته لحصر لافلاحين بدون ارض في البادية ورغم كل اساليب القهر الاقتصادي والسياسي .

٢) اما في مدينة مراكش، وفي المعادن ، فان الطبقة العاملة رغم قلتها قد اظهرت مقدرتهافي تنظيم حملات من اجل رفع مستواها المعاشي وضمان الشغل والرعاية الاجتماعية . والعائق الاساسي في تنظيم صمود العمال يرجع الى موقف القيادات النقابية الانتهازية والى تقسيم الطبقة العاملة ما بين المنظمات النقابية

اما التجار الصغار والحرفيون ، وهم الذين يكونون الاغلبية العددية من القوى المناضلة في المدينة فقد خاضوا معاركا متعددة ضدالزيادة في الضرائب وغلاء المعيشة ولازالوايحتفظون بتقاليدهم المجيدة في محاربة الاستعمار التقليدي والدور الذي لعبه المقاومون منهم، ومع ذلك ينقصهم التنظيم الطلائعي والوعي الثوري .

٣) فئة اخرى سوف تلعب دورا نضاليا هاما، وهي من الشباب والعاطلين الذين يتكاثرون يوما عن يوم في مدينة مراكش. ان تضخم العاطلين لا يرجع الى السبب السطحي الذي يقدمه الحكم باسم الضغط الديمغرافي بل الى عجز الحكم الحالي عن تنمية الاقتصاد وتوفير التعليم للجميع ، وهذه الجماهير رغم ثقل الحاجة والتشرد فهي بحاجةالى توعية وتنظيم لكي ترافق العمال والفلاحين الصغار في انجاز مهامهم التاريخية .

بريد القراء

تحيات

نعلن لكم عن تضامننا في المسيرة النضالية التي تقطعها بعض الطلائع المثقفة والتي تتمثل في اسرة « انفاس »، وندين التصرفات التعسفية التي تواجه الثقافة من طرف السلطة .

جماعة من الاساتذة ـ ميدلت

الى الذين يناضلون من اجل اعلاء كلمة الحق والسمو بها الى اسباب العزة والرفعة .. الى الذين رفعوا سلاحهم للذود عن الروح التقدمية المتعطشة لكل حديث من شأنه خدمة الشعوب المقهورة ، اهدي هذه الكلمات المتواضعة .

الفراني محمد ـ جرسيف

لقد تتبعت بامعان اعداد « انفاس » ففهمت انها المجلة المغربية الوحيدة التي تعتنق دين الشعب ولهذا اكاتبكم وكل املي ان اجد الباب مفتوحا كما اتمنى ان لا تعود المجلة للتوقف مع العلم ان تضحياتكم جد عظيمة لاستمرار ظهور « انفاس » الغراء .

محمد علي الباوي ـ الرباط

وقد بعث الاخ الرباوي قصيدة ننشر منها هذا المقتطف .

ياعباد الله .. هذا الوقت قد حرم رسم الكلمات
عنتر العبسي في هذا الزمان

لا يساوي اي شيء
فلنغيره بفرسان .. فأمي لا تزال .
تلد الفرسان في كل زمان
آه على امي التي ضاعت وضعنا معها من غير ان نعلم شيئا عن مصير السهل والحقل الذى قد داسه الليل البهيم .

رسالة من ثانوية مولاى عبد الله بالدار البيضاء .

اضرابات .. اضرابات عن الاكل داخل ثانوية مولاي عبد الله .. الدار البيضاء . لقد اضرب داخليو هذه الثانوية عن الاكل مرتين في اسبوع واحد مما ادى الى حضور المسؤولين وظننا ان هذا المشكل سيحل بشكل مرضي لكن دون جدوى . اننا نطلب من جميع قراء « انفاس » المعتيدة، التي ما فتئت ان عبرت عن رفضها للرجعية وللاستعمار الجديد ان يتضامنوا معنا لان اغلبيتنا فهمت كل ما جاء في حكمة «انجلس» : اذا وضعت اناس في ظروف لا تناسب الا البهائم فما عليهم الا ان يثوروا او يخضعوا للحيوانية .

بعض الانتقادات :

نحن جماعة من طلبة كلية الحقوق بالدار البيضاء، سمعنا عن صدور مجلة «انفاس» فاشترينا عددا منها واستخلصنا اليكم الملاحظة التالية :

١) المجلة تقع في خطأ منهجي خطير حينما تصر على تحليل كل شيء وفق مقولة التصارع الطبقي . فلفظة الصراع الطبقي نعثر عليها كثيرا في تضاعيف كل مقالات المجلة وهذا راجع بالطبع الى تشددها

الماركسي .

٢) عشرة اقلام مركزة مختصرة يجب ان تكتب كحد ادنى في كل عدد ، حتى تنجح المجلة لدى كل الطبقات الفكرية وتملا فعلا الفراغ الثقافي بالمغرب .

٣) مقال عبد العزيز شرف حول البياتي كان بالغ الطول .

وان كنا نحن نحترم المصريين وكل ادباء العرب ، فليس لهم الحق ان يستبدوا بمجلة مغربية وحيدة .. فلنا كذلك مثقفين مغاربة لهم اهتماماتهم الوطنية يجب ان يعبروا عنها .

وتقبلوا اخواننا مشاعر النضال .

بالنيابة عن ثلاثة زملاء ـ جواد مشيش ـ

الدار البيضاء

وجهة نظر

رغم كل «المثبطات» تصمد « انفاس » وتبرز من جديد تذكي حس النضال في كل كاتب انقلابي ...

واذا كان لي ان ابدي رأيا في «انفاس »! فهو رغبتي في محاولة المجلة استقطاب اكبر عدد ممكن من الاقلام التقدمية الناضجة والتركيز الموضوعي ، والاكثف على قضايا الوطن والعروبة ، اما بسط روبورتاجات ايديولوجية عن ارتيريا وموزمبيق وغينيا بساو وتايلاندا وايران وتركيا الخ .. ، فحسب هذه المناطق ان تهتم بها زاوية «مراسلات» ، ذلك على الرغم من تعاطفنا الانساني والايديولوجي مع كل هذه المراكز الملتهبة من العالم المتفجر ، فان مشاكلنا الوطنية والقومية ، من التضخم والتورم لدرجة يصبح من الترف والانفعال الثوري ان نرسل اهتماماتنا النضالية الى ما وراء حدودنا المغربية ان وطننا هو ساحة النضال الاولى والمنطقة المباشرة لكل تحركات الاقلام التقدمية عندنا ، اذ همومنا المحلية التي هي في حد ذاتها مسؤولياتنا الاخلاقية والوطنية لا يمكن فهمها وتجاوزها الا اذا نزلنا بكل ثقلنا الى حيث الداء ، المغرب ، دون تناس لاوضاع الانسان العربي عموما .

مصطفى النهيري ـ الدار البيضاء .



تنبيــه للقــراء

توصلت المجلة بعدد من النصوص (دراسات ـ انتاج ادبي)من الاخوة : محمد الشعرة (طنجة) ، سالم يفوت (الدار البيضاء) ، عبد الله رائد (العرائش) ، ومن مجموعة من طلبة كلية الاداب بفاس . كما اجرت المجلة استجوابا مع الاخ عبد الله العروى حول بعض القضايا العربية والوطنية .

ونأمل نشر هذه المواد ، حسب المستطاع فــي اعدادنا القادمة .



الاشتــراكــات

اشتراك المساندة : ٥٠ درهــم سنويا

الاشتراك العادي :

المغرب العربي	٢٠درهم سنويا
باقي البلاد العربية :	٣٠درهم سنويا
اوربا وافريقيا :	٣٠ درهم سنويا
امريكا وغيرها :	٥٠ درهم سنويا

يبعث الاشتراك في حوالة بريدية باسم المسؤول : عبد اللطيف اللعبي ، ٤ شارع باستور الرباط ـ المغرب

● يجب ان يحدد المشترك رقم العدد الذي يريد ان يبدأ اشتراكه به .

ساندوا انفاس ، اشتركوا، ساهمــوا فــي حملــة الاشتراكات .



مطبعة النومي – الرباط



عدد مزدوج

مجلــة فكريــة عربيــة مغربــية

- بصــــدد الاصلاحات
- معركة عمال مناجم خريبــكة
- العلاقات والصرعات الطبقية الراهنة في قطـــاع النسيـــج
- موضوعات في الخط العام لنضال الطبقة العاملة
- دور الابناك الاجنبية في المغرب
- فلسطين جديدة في ارض الصحراء
- نقد الحركة الاصلاحية وافقها الايديلوجي
- مقابلة مع عبد الله العروي

درهــم 2

ـعـــدد : 7-8
ـسمبـــر 1971
ـنـايـر 1972



انفــــاس

مجلـــة فكريـــة عربيـــة مغربيـــة (تصدر شهريا)

المعنوان : ٤ شارع باستور ـ الرباط ـ المغرب
ح. ب ٧٩ ٩٨٩ الهاتف ٩٢ـ٢٣٥
المسؤول : عبد اللطيف اللعبي



بصدد الاصلاحات

تمر هذه المرحلة من تاريخ بلادنا رسميا تحت عنوان : الاصلاح !

وليست هذه أول مرة تضطر فيها الطبقة السائدة الى ذر بعض السماد من التنازلات في هياكلها الذابلة والقاحلة ، خصوصا كلما هدد النضال الجماهيري بالعصف بتلك الهياكل .

2

عاش الشعب تجربة عهد حكومة ائتلافية في الستينات، ثم عاش تجربة برلمان دام سنتين ، وهو الان يعيش فترة جديدة من نفس الطعم تقريبا ... لكن مجمل تطور أوضاعه لاتعرف غير الاستفحال . لماذا ؟ لان المصالح الاساسية للاحتكارات الامبريالية والطبقة السائدة ،تلك المصالح التي تعبر عنها التخطيطات والتشريعات ، والتي تطبقها أجهزة الدولة ، تلك المصالح لم تعرف عبر السنين غير التصاعد والتمركز والتكريس .

«فليأخذ العبرة اولي الالباب» .

١ ـ البطالة .

ان قوى الانتاج الاساسية أي اليد العاملة المؤهلة لبيع قوة عملها ، تعرف في بلادنا بحكم تبعية النظام بمجمله للامبريالية ، تشريدا لا انسانيا . العاطلون يقدرون بالملايين ، في البادية والمدن معا .

ان تطور الرأسمالية في البادية وما ينتج عنها من عوامل :

١ ـ تمركز ملكية الارض ووسائل الانتاج بشكل سريع في يد حفنة من كبار الرأسماليين ، أو من كبار المعمرين الجدد .

٢ ـ تدهور علاقات المبادلة بفعل الحجم المجحف للضرائب الغير المباشرة ، وبفعل عدم التكافؤ في السوق بين المواد الخام الزراعية وبين البضائع الاستهلاكية المستوردة في أغلبها ، ـ

٣ ـ تسلط فئة من السماسرة على شبكة التسويق في البادية .

٤ ـ تدخل الدولة بالتشريعات والقروض لفرض مقاييس انتاجية ساحقة بدعوى الانتاجية ٠

هذه العوامل تجعل أغلب سكان المغرب ، الفلاحين الفقراء والمتوسطين ، في السهول والجبال على السواء ، مهددين بالافلاس ، وتجعل اعدادا ضخمة من السواعد المبلترة ، أي التي فقدت وسائلها في الانتاج ، تتسكع في البادية أو تهاجر الى المدن أو الخارج بحثا عن العمل ٠٠ انها الملايين ! لكن أين العمل ؟

في المدن ، أو في القطاع الصناعي ، تسيطر الرساميل الكبيرة الاجنبية والكمبرادورية ، وتوجه الصناعة توجيها تحويليا خفيفا ، وتستورد وسائل الانتاج الباهضة من الامبريالية تمشيا مع «مقتضيات المنافسة» ٠

والنتيجة انعدام انتاج وسائل الانتاج في البلاد بذاتها وهذا يكرس التبعية ٠ وحصر الصناعة المحلية في حدود أعجز ما تكون عن استيعاب ولو عشر السواعد العاطلة ٠٠٠ والنتيجة النهائية المأزق !

لكن هنا تاتي «اللبرالية» التجارية ، لتلتحم مع تدهور القدرة الشرائية ، فتبني سدا منيعا في وجه استقرار الانتاج الصناعي البخس نفسه ٠ وأصل اللبرالية هو وجود الكمبرادوريين الكبار ، وسيطرة الابناك الاجنبية، وتوجه الانتاج الفلاحي نحو مقتضيات «تغذية» البلدان الاوروبية «الشبعانة» ، حتى ولو اسفر ذلك عن افتقارنا للقمح ٠

ومن نتائج ذلك :

3

- التبعية التجارية للامبريالية ، وبالتالي استحالة تطور الصناعة المحلية ٠
- عدم استقرار انتاج المعادن ، لانها تصدر بدون تحويل ، بالاضافة الى الازمة المعروفة في المواد الخام ٠
- ضغط منافسة النسيج المستورد على النسيج المحلي مثلا ٠

وفي النهاية عدم استقرار العمل ، وطرد العمال ٠

اذن ، الان توضع أولوية التصنيع ٠ لكن في الصيف ضاع اللبن ٠

ويستحيل وضع حد لازمة البطالة مادامت الهياكل الرأسمالية قائمة ، وتزايد النمو الديموغرافي ينتج عنهما في البادية عشرات الالاف من السواعد العاطلة ٠

وسيستحيل خلق معجزة صناعية خيالية مادامت الابناك مسيطرة هنا ، والطفيليون معها ٠ قد تستطيع الطبقة السائدة ايجاد بعض الصناعات التحويلية ، لرفع قيمة المواد الزراعية عند التصدير ٠ لكن ذلك يبقى في اطاره التبعي والتحويلي الضيق ٠

بورجوازية صغرى في البلدان العربية ديناميكية ، وطنية ، أممت أهم جزء من مصالح الاستعمار ، وأفلست مع ذلك في مسالة التشغيل والقضاء على البطالة ، فبالاحرى المعمرون الجدد ، المنضبطون بدقة لمصالح الامبريالية ، والمريضون بشره طفيلي عضال ٠

٢ ـ الاجور والاثمان ٠

يتعلق الامر بالعطف على الطبقة العاملة في هذه الايام ٠٠٠ بعد عشر سنوات من جمود الاجور ٠

الزيادة في الحد الادنى للاجور من ٨٥ر٠ في البيضاء الى ٩٦ر٠ درهم ، وتوحيد مناطق الاجور مع الدار البيضاء ، لافائدة منه ٠ لماذا ؟ من الناحية التطبيقية لان العمال (٨٠٪ في البيضاء مثلا) ، تجاوزوا بفضل نضالاتهم الحد الادنى الجديد ٠٠٠ ومكتسباتهم نفسها صارت في هذا المضمار محتاجة الى التجديد بحكم ارتفاع سعر المعيشة بمقدار الضعف تقريبا في عشر سنوات ٠

الصراع الطبقي ، بين العمال وأرباب العمل هو الحكم الاخير ٠ لذلك كان العمال أول من وعى هذه الحقيقة ٠٠٠ فكانت الاضرابات قبل الحد الادنى وبعده ٠٠٠ وكانت الحركة العمالية الاخيرة التي لاتزال مستمرة ٠

ان القوانين والتقنيات ، عجزت في اوربا الرأسمالية المتقدمة ذاتها عن ضبط العلاقة بين الاثمان والاجور ٠ لان الرأسماليين هم الذين يدفعون الاجور ، ويحددون الاثمان ٠ ولان دينهم هو الربح ، فهم يعملون دوما على اكتساب ما يخسرونه في حالة رفع الاجور باللجوء لرفع الاثمان ٠٠٠ ولا يفوت علماء الاقتصاد أن يزيلوا المسؤولية في هذا المضمار عن الرأسمالية ليضعوها على عاتق قانون ميتافزيقي يتجاوز الطبقات وهو قانون العرض والطلب ٠ ارتفاع الاثمان يؤدي الى ارتفاع الاجور والعكس صحيح ٠٠٠

وعندنا ، حيث يضاف الى ابليس الراسمالية ، شيطان السمسرة والمضاربة ، تزيد الاثمان باطراد ٠٠٠ حتى عندما تحاول الدولة الحد من صعودها ، تعجز عن التحكم في الطبقة التي تستند اليها ، فتلجأ في النهاية الى غض الطرف ٠ وحكاية الزبدة مثال ساطع ، اما الكراء فضلالة ٠

ان الاثمان تحتوي على جزء هام من الضرائب الغير مباشر التي تثقل كاهل المواطنين ٠ ويقال ان ذلك هو ثمن «التنمية» أي تنمية المعمرين الجدد ، والبيروقراطيين الطفيليين وتمويل البدخ والتبذير وتفقير الشعب ، وهذه حقائق ملموسة ومؤكدة ٠ الضرائب الغير مباشرة تذر على الدولة أضعاف الضرائب المباشرة ، لان المعمرين الجدد ، وكبار الرأسماليين لاتفرض عليهم ضرائب ، ولهم وسائل تفاديها حتى اذا فرضت عليهم ٠
اذن لامناص من تصاعد النضال الطبقي من أجل رفع الاستغلال ومن أجل التحرر الطبقي والسياسي ، لان مصالح الكادحين الاقتصادية والسياسية لاتمر بالمرة عن طريق «تنمية الراسماليين» ٠

4

٣ ـ الارض

٦٠٪ من الفلاحين لا أرض لهم أو يملكون أقل من هكتارين ٠٠٠ «والاصلاح الزراعي» بمفهومه الرسمي يحاول الاسراع في توزيع مساحات أوسع من أراضي الاستعمار القديم ٠ ومعروف أن الاستعمار سلب من الفلاحين أكثر من مليون هكتار ، وأن هذه الوضعية استمرت بعد «الاستقلال» وحتى الان ٠ ومعروف ايضا

أن المعمرين الجدد ، بفضل نفوذهم المادي والمعنوي استولوا على مساحات واسعة من هذه الاراضي • ولانهم ركيزة أساسية للحكم ، فلا«تحديد للملكية» مقبول في دوائرهم •

اذا فان توزيع بعض الهكتارات ، خصوصا في المناطق التي يتدمر فيها الفلاحون بشكل «خطير» ، مما يشكل فئة من الفلاحين المحظوظين المرتبطين سياسيا بحكم المعمرين الجدد في محاولة تعطيل الصراع الطبقي ولو مؤقتا • ثم ان هذه الفئة المحظوظة تساعد على توسيع علاقات الانتاج الرأسمالية ضمن مراقبة المكاتب الفلاحية ، والقرض الفلاحي ، ومكتب التسويق ، الخاضعة بأجمعها لمراقبة الامبريالية والمعمرين الجدد ماليا وتجاريا وتقنيا•

لكن هنا أيضا، المسألة الزراعية تهم ملايين الفلاحين، ولا حل لها داخل هياكل التبعية والمعمرين الجدد ، الا بالتجنيد النضالي والجماعي للفلاحين ، وبالقضاء على نظام المبادلات الرأسمالي المتورم بالسماسرة والطفيليين•

٤ ـ الامراض الاجتماعية

تدهور القيم ، انتشار «الفساد» من خصائص النظام الرأسمالي ، وتتخذ شكلا بشيعا في الرأسمالية التبعية• لكن المسألة ليست متعلقة بانعدام دروس الاخلاق ، أو نسيان القيم الروحية ، أو ضعف التشريعات الحازمة ، بل مرجعها الى طبيعة الهياكل السائدة ••• لان الواقع الاجتماعي للانسان هو الذي يحدد وعيه وسلوكه • عندما انتشر المال ، وصار الدرهم هو القيمة العليا عمليا في المجتمع، وصار المال هو قوة الاستيلاب رقم ٠١ صارت بالتالي مجموع القيم الاخرى مضطرة الى الاصطفاف وراء الضابط المالي • فالرشوة ، والاختلاس، وبيع الاجسام ، والمتاجرة بأخطر البضائع ، والربا ، الخ ••• كلها توابع لتوسع الرأسمالية ونظام المبادلات النقدي ، وسحر المال • ولا حل فعلي لهذه الامراض الاجتماعية ، الا اذا احتل العمل مركزه بمثابة القيمة العليا في المجتمع ، فوق المال ، والرأسمال •••وأول خطوة هي توفير العمل ، والقضاء على أسباب الاستيلاب والانحلال ، وبدون ذلك ، لن تنفع الرغبات الطوباوية حتى لو خلت من النفاق •

5

٥ ـ هياكل التعليم :

منذ «الاستقلال» كثرت الجعجعة حول تعميم التعليم ،وتعريبه ، ومغربته وتوحيده ••• لكنها جعجعة بلا طحين • والسبب الرئيسي ، ان المعمرين الجدد ،والكمبرادوريين ، لايرغبون في غير اقتناء مجموعة من الاطر ، الملحقة بالمساعدين الثقنيين الاجانب ، في خدمة المصالح الامبريالية والطبقية القائمة ، بيد أن عراقيل مادية ومعنوية تحرم الاغلبية الساحقة من الشباب من الاستفادة من التعليم ، بغض النظر عن مضمونه الرجعي • وأين منافذ التشغيل في ظل جمود الانتاج، ووصول دفعات متصاعدة من «المختصين» الاجانب لاصطياد الاجور الخيالية ، وترسيخ الفكر التبعي الامبريالي ؟ ان تعميم التعليم معناه في نفس الوقت ، العدالة الاجتماعية ، والتحرر من سيطرة الامبريالية والطبقة السائدة العميلة ، على أساس تحرر وتقدم اقتصادي يخدم الاغلبية الساحقة من المواطنين

وبعيدا عن هذه التغييرات الجذرية ، فان الاتجاه العام للتعليم ، حتى ولو فتحت مدارس جديدة ، سيبقى سائرا نحو التدهور ، وانعدام المنافذ ، وتعفن مضمون البرامج ·

وان الجامعة ، اذا لم تفتح أبوابها لمجموع أبناء الشعب ، واذا لم يضمن لخريجيها منافذ العمل ، واذا لم تتحرر من سيطرة التوجيه الامبريالي والرجعي ، واذا لم تصف فيها المفاهيم البورجوازية على صعيد البرامج والعلاقات بين الاستاذ والطالب ، فان ازمتها لن تحل رغم التلقيحات الجزئية ، التي لاتخلو طبعا من بعض الفائدة·

أما مسألة التعريب ، والتي توضع في مقدمة قضايانا الوطنية · فمهما كانت التبريرات المفتعلة ، والادعاءات المصطنعة ، من أجل الحفاظ على فرنسة التعليم ، وبالتالي الاقتصاد والادارة ، فان التعريب يعري حتى الجذور الهيكل التبعي للامبريالية ، ومعاداة بيروقراطية الدولة ، لكل ما هو وطني ، وقومي عربي ·

خلاصة :

في ظل السيطرة التامة ، والفعلية ، للاحتكارات الامبريالية ، والمعمرين الجدد والكمبرادوريين ، توضع مطامح الشعب الديمقراطية والوطنية جوهريا بصيغة نضالية · فالضمانة الوحيدة لانجازها ، بغض النظر عن كل الوعود ، هي ممارسة الكفاح الجماهيري السياسي ، والصراع الطبقي بكل أبعاده · قد تفرض هذه النضالات تنازلات من الطبقة السائدة ، وقد تضطر هذه الطبقة الى تطبيق بعض الترميمات ، لكن التناقض الجوهري بينها وبين الجماهير الكادحة والمحرومة يبقى على حاله ما لم يحسم ·

والترجمة العملية التي تعطيها الجماهير الشعبية لوعيها بهذا التناقض ، هو التشبث بخطها النضالي الملموس ، وليس انتظار الوعود ، أو انتظار سحابة صيف في جو الطبقة السائدة لتقطير بعض الاصلاحات ·

ان المناضل الوطني ، والتقدمي المخلص ، وان الجماهير الكادحة لاينبغي أن تلدغ من الجحر عدة مرات · ولذا فهي كلما انتهت من معركة ، وكلما فرضت مكسبا ، الا وتعمل على تهييء المعركة القادمة لفرض المزيد من المكاسب عن طريق التحرر الشامل ، والحسم النهائي لصراعها التاريخي مع الاحتكارات الامبريالية والمعمرين الجدد ، والكمبرادوريين ·

أنفاس



عـمال مناجم خريبكة في طليعة نضال الطبقة العاملة



معركة عمال مناجم خريبكة

١ ـ مدخل تاريخي

شن عمال مناجم خريبكة ، وعددهم ستة آلاف عامل ، أطول اضراب شهده تاريخ الطبقة العاملة المغربية ، وذلك منذ يوم ٢٠ سبتمبر لغاية ٥ دجنبر ١٩٧١ . وتعتبر تلك المعركة من أطول وأشق معارك الخريف الحافل بالنضالات العمالية ، وهي بالتأكيد في مستوى التقاليد البطولية لعمال المناجم المغاربة ، ولعمال مناجم خريبكة على وجه الخصوص . والسؤال الذي يمكن طرحه هو : ـ لماذا نجد عمال المناجم في المغرب ، وفي مجموع العالم الرازخ تحت ضغط الاستغلال الرأسمالي البشع ، يمثلون دوما طليعة النضال العمالي ؟

ان الجواب لايكمن في كونهم معرضون لاخطار فقط ، ولو أن هذا العنصر يدخل في التحليل ، ولكن ، فلان عمال المناجم يواجهون يوميا وباستمرار كل أشكال المحن وأبشع أنواع الاستغلال الانساني . وهم مع ذلك لايهتمون بأولائك «السادة الصغار» الذين يرفلون في (بدلاتهم الانيقة حسب أحدث نماذج الموضة بباريس ، كما لم يهتموا في الماضي القريب بالجيوش الاستعمارية .

ان مهنة عمال المناجم من المهن التي يفشل فيها النظام الرأسمالي ، حينما يحول البروليتاريا الى آلة بدون تفكير ، وذلك لان الواقع المر والقاسي الذي تعيشه العمال على بعد خمسمائة متر في كهوف المناجم تحت الارض ، تتجاوز كل تقدير واحتمال «السادة المهندسين» والخبراء الاجانب والرأسماليين القابعين في أنديتهم الخاصة ، ومكاتبهم الفخمة .

وهذا هو ما يفسر صعود البروليتاريا المغربية ، الذي بدأ بصعود عمال المناجم ، وبالخصوص عمال المنجمين الكبيرين : عمال فوسفاط خريبكة ، وعمال فحم جرادة .

ففي مارس وابريل من سنة ١٩٤٨ ، وقبل ذلك بحوالي سنة ، تعرضت الحركة الوطنية لحركة قمع على يد الجنرال جوان ، ومنذ ١٩٤٥ كانت الطبقة العاملة ، قد نظمت نفسها في نقابات ، ومن البديهي أن التأثير الاستعماري على اطارات تلك النقابات ، يهدف الى تضليل الطبقة العاملة ،وأبعادها عن مطامح مجموع الامة . ولكن الطبقة العاملة سرعان ما أطاحت بمحاولات أولائك المضللين والمشعوذين . ومن ثم فان الاضرابات التي شملت عشرات آلاف العمال ، خلال شهري مارس وأبريل ١٩٤٨ ، ضد أرباب العمل الاستعماريين ، في البيضاء ، واسفي ، كما في خريبكة وجرادة تلك الاضرابات التي كانت موجهة مباشرة ضد الجهاز الاستعماري .

منذ ذلك الوقت ، تحول مركز الثقل في النضال الوطني ضد الاستعمار الى «الكاريان سانترال» في البيضاء ، والى الاحياء العمالية في خريبكة وجرادة · وخلال اضرابات مارس ، ابريل ١٩٤٨ ، تعرض عمال خريبكة وجرادة ، لاشد صدام عنيف مع جيوش القمع الاستعماري ، فقدقام الجنرال (جوان) في مدينة خريبكة، بتطويق الاحياء العمالية بالجيوش ، وأمر بقطع الماء والمواد الغذائية عليها ، وانطلقت الطائرات الحربية الفرنسية تقصف وتدمر «براكات» العمال ، ورغم كل الاساليب الهمجية والوحشية ، صمد العمال مدة تزيد على ثلاثة أسابيع ·

واذا كان القمع قد نجح موقتا في تشتيت التنظيمات النقابية لعمال المناجم ابتداء من يونيو ١٩٤٨ ، فان ارادة العمال النضالية لم تتزعزع ، ومع ذلك فقد ساهم هؤلاء العمال ، بصورة مضطردة في النضال الوطني القاسي خلال سنوات ١٩٤٨ ـ ١٩٥٥ ، كما ساهموا ، وبقوة جبارة في تسديد الضربة القاضية للجهاز الاستعماري يوم ٢٠ غشت ١٩٥٥ ، ففي ذلك اليوم هبت جماهير عمال الفوسفاط بخريبكة ، وعمال منجم الحديد بآيت عمار قرب وادي زم ، واتلفت تجهيزات النهب الاستعماري ، وكبدتها خسائر تقدر بعدد من الملايير ، كما دمرت في وادي زم جهاز القمع الاستعماري ·

أما الجنرال (دوفال) قائد الجيوش الفرنسية في المغرب ، والذي سارع الى المنطقة على متن الطائرة ، فقد لقي حتفه على يد المقاومين في حينه · وسارع الاستعمار لانقاد ما يمكن انقاده ، ففتح مفاوضات (ايكس ليبان) مع الساسة البورجوازيين ، وقد تم تهيىء هذا التراجع التأكتيكي بواسطة جمعيات من نوع «جمعية الصداقة المغربية» ، التي أسسها أحد العملاء البارزين «لبنك باريس والاراضي المنخفضة» ، والتي يتواجد بها رجل الابناك (لوران كرون) ، وشخص آخر مشبوه يدعى (جاك ريتزر) · ورجال أعمال مغاربة شباب ، منهم من يحتل حاليا مناصب حكومية سامية ، وليس من قبيل الصدفة أن يوجد بعض من هؤلاء الاشخاص في واجهة أو كواليس الحكم ، وليتيقن هؤلاء أن الطبقة العاملة المغربية سوف تكون دوما في مواجهتهم ، كما حدث سنة ١٩٥٥ ، فاذا كانت الاحقاد الطبقية تتصاعد ، لتتبلور أكثر ، فلان لذلك ما يدعمه من أسس موضوعية ·

لقد استطاع عمال المناجم المغربية ، فرض بعض المكتسبات الاجتماعية في جو الغموض الذي عرفته السنوات الاولى من الاستعمار الجديد ، بعد الاستقلال ، وتحولت تلك المكتسبات ذاتها الى أسلحة جديدة لنضال العمال · وفي قمة تلك المكاسب ، قانون عمال المناجم ، الذي تحقق بفضل اضرابات العمال في دسمبر ١٩٦٠ ، وقد عرف ذلك القانون أوسع تطبيق له في المكتب الشريف للفوسفاط، ولكن هذا القانون بنفسه يحمل ضمن بنوده ما ينفي أو يعاكس محتواه ، ومن تلك البنود ما يتعلق بوضعية عمال داخل المناجم : les Abatteurs كعمال مختصين من الدرجة الثانية ، بينما وضعيتهم تقتضي ادماجهم في الدرجة الثالثة ، وكانت هذه النقطة من المطالب الاساسية التي رفعها العمال في اضرابهم الاخير لسنة ١٩٧١ ·

وان قوة وتماسك مجموع مستخدمي المكتب الشريف للفوسفاط ، قد تجلت بوضوح في الاضراب العام ، الذي استمر عشرة ايام ، في مجموع المراكز المنجمية في خريبكة ، واليوسفية وموانيء التصدير بالدار البيضاء وآسفي · وبفضل هذه القوة ، وهذا التماسك استطاع العمال انتزاع مكاسب هامة ، ففي ظرف عشر سنوات ، تمت الزيادة العامة في الاجور سنة ١٩٦١ ، كما أعيد تصنيف أجور العمال حسب اختصاصاتهم بمقتضى قانون عمال المناجم ، فارتفع حجم الاجور الموزعة على عمال ومستخدمي المكتب الشريف للفوسفاط بـ ٤٥٪ · ونتيجة لذلك ارتفع معدل الاجر الذي يتقاضاه «عمال الحفر داخل المناجم» Abatteurs ـ الى ٢٠ درهما في اليوم ، لكن المدير العام للمكتب يرى أن هذا الاجر جد باهض ، بينما لايعدو أن يسمح

للعامل بأجرة تعادل قيمة العشرة اطنان من الفوسفاط التي يستخرجها في اليوم الواحد ٠

وبفضل النضالات البطولية ، وما يتلوها من اتفاقيات توصل العمال الى فرض احترام عملهم ، وفرض تراجع القمع ، وتخفيف الاستفزاز اليومي ٠

غير أن الادارة العامة لمكتب الفوسفاط ، ومن ورائها الحكم ، كانا دوما واعيين بضرورة تصفية قاعدة الصمود العمالي ، وقد تمكنا بالمناورات من التقسيم ، ومن عزل المسؤولين النقابيين الرئيسيين عن جماهير العمال ، واستطاعت تلك المناورات ، في اطار الاتجاه الانتهازي لقيادة الاتحاد المغربي للشغل ، ارضاء المصالح لبيروقراطيي نقابة الفوسفاط ، بل وأدت المناورات الى التلاشي العملي لفيديرالية عمال المناجم التي امتطى بعض مسيريها صهوة الحكم ٠

وابتداء من سنة ١٩٦٧ ، بعد تولية كريم العمراني منصب المدير العام لمكتب الفوسفاط ، ظن كل من الحكم ، والرأسماليين الاحتكاريين الاجانب ، أن الوقت قد حان لتكسير وضرب صلابة وقوة الطبقة العاملة في مناجم الفوسفاط ، وهكذا ظهرت سلسلة من الاستفزازات اليومية من جديد ، وتصاعد القمع ضد العمال ، وصارت مكافئات الانتاج تحذف ، وأيام العمل تعد غيابا ، لاتفه الاسباب ٠ وقد أدت هذه الظروف الى اضراب نوفمبر ــ دسمبر ١٩٦٨ ، وهذه المرة أيضا ظنت الادارة العامة لمكتب الفوسفاط ان عمال مناجم خريبكة لن يصمدوا اكثر من أسبوعين أو ثلاثة على الاكثر ، لكن صمود العمال تجاوز الخمسين يوما ، وباعوا من أجل الصمود الغالي والنفيس ، وامتعتهم القليلة ، من دراجات نارية ، وملابس ، وآلات خياطة ٠٠٠ الخ» ٠

وفي اليوم الخمسين للاضراب ظن الحكم أنه يستطيع تكسير الاضراب بالقوة ، وباستدعاء وحبس العمال الذين يرفضون الرضوخ لاوامره ، لكن المظاهرات الصاخبة ، التي اندلعت أمام مقر الدرك ، أبانت للحكم مدى قوة وصمود العمال ، فأرغمته على اطلاق سراح العمال المحتجزين في السجن ، وأرغمته على التراجع ٠ واضطرت الادارة العامة لمكتب الفوسفاط منح تعويضات للعمال تبلغ ٦٠٠ درهم لكل عامل ٠

سنوات مرت ، والطبقة العاملة ترزخ تحت سطوة الكبت البيروقراطي النقابي ، فظن الحكم أنه طايق اليد، ولكن معركة عمال خريبكة في خريف سنة ١٩٦٨ ، كانت اللبنة الاولى لتصاعد النضالات العمالية التي شهد خريف ١٩٧١ انفجارها ٠ ثم جاء الدور النضالي لعمال جرادة،وأحولي مبيلادن، وجبل عوام، الذين شنوا اضرابات بطولية سنتي ٦٨ ــ ١٩٦٩

وفي سنتي ٧٠ ــ ١٩٧١ ، أكدت النضالات الهامة لعمال النسيج في الرباط وتمارة ، وعمال مناجم قطارة، وعمال باطا ، وشركة سافام ، هذه النضالات أكدت بجلاء نضج كفاحية الطبقة العاملة المغربية ٠

ويسجل خريف سنة ١٩٧١ تحرك الطبقة العاملة في مسلسل نضالي لم يسبق له مثيل منذ الاستقلال ، وكان في مقدمة هذا النضال اضراب عمال مناجم خريبكة وصمودهم الذي سيبقى تاريخ ٢٠ سبتمبر يخلد ذكراه ٠

٢ ـ الوضعية الاقتصادية والاجتماعية للعمال · الاضراب الاخير

ان الدعاية الرجعية تسعى بكل وسائلها الى تقسيم الطبقة العاملة المغربية · وفي هذا الاطار يدخل مخططها الرامي الى خلق التفرقة بين عمال الفوسفاط ومجموع الطبقة العاملة · تروج هذه الدعاية أن عمال الفوسفاط محظوظون بالنسبة لعمال القطاعات الصناعية الاخرى ·

والهدف الاسأسي من ذلك هو عزل نضالات عمال خريبكة على الخصوص · وغير خاف على أحد مدى أهمية هذه الضالات سواء من حيث العنف أو طول النفس · وكذلك مدى تاثيرها على الطبقة العاملة · وتزيد هذه الاهمية اذا ربطناها بأهمية مناجم الفوسفاط القصوى بالنسبة لاقتصاد البلاد

يكفينا أن نلقي نظرة ولو عامة على مدينة خريبكة وعلى وضعية العمال الاجتماعية هناك لنبين فداحة الدعاية الرجعية ونفهم نضالات عمال المدينة المتوالية والطويلة ·

(١) مدينة خريبكة

نشات هذه المدينة على هضبة قاحلة مع بداية استغلال مناجم الفوسفاط · وتطورت بتطور الانتاج الى أن أصبح هذا المعدن محركها الاساسي · ويتجلى وبكل سهولة أن عرق القوى المنتجة (بكسر الياء) أي العمال يكون الوقود الضروري لتحريك كل ما بالمدينة · هذه الوضعية جعلت اقتصاد خريبكة يرتبط ارتباطا وثيقا بالعمال ، مما يوضح ضغوط المصالح الاحتكارية عليهم كلما قاموا باضراب ···

(٢) الوضعية المادية والاجتماعية للعمال

أ ـ) طبيعة العمل

يكتسي العمل في باطن الارض في المناجم بخريبكة صبغة خاصة · فكون وسائل الانتاج متأخرة ، يعرض العامل لكثير من الاخطار كثيرا ما تكون قاتلة ، مثل ذلك سقوط قطع من السقف أو هبوط السقف كله · ويتطلب العمل في هذه الظروف مجهودا جسميا جبارا ، هذا لا يعني ان انسانا بمجرد دخوله المنجم ، مع كفاءة جسمية يمكنه القيام بعمل عامل الفوسفاط · ان عملا كهذا يتطلب تجربة طويلة · ويمكن اعتبار عمال مناجم الفوسفاط متخصصين · ذلك أن فرقة مكونة من أربعة أفراد تتكلف بابداع وسائل نقل المعدن ، بوضع الخشب في الاماكن التي تتطلب الخشب ، واخراج المعدن الذي تنتجه بسواعدها ·

ان الرجعية المغربية اعتبارا لتكاثر اليد العاملة وللاجور المنخفضة ، واعتبارا كذلك لتبعيتها للرأسمال الاجنبي والامبريالية العالمية قد خلقت كل العراقل أمام ادخال «المكننة» في الانتاج · فالمكننة قد تسهل على العامل سيطرته على الطبيعة التي يواجهها وعلى الادوات التي يستعملها ·

ان انتاج العامل المتوسط ، في ظرف ٨ ساعات في العمل ، بالوسائل المشار اليها سابقا ، يتجاوز ١٨ طن من الفوسفاط · وأن هذا القدر ، ان نحن اعتبرنا كيفية

استخراجه يتطلب قوة عضلية هائلة ، الشرط الذي يفرض وضعية مادية حسنة نسبيا ٠

ذ ـ) الاجــور

تختـلف أجـور العمال حسب عدد الاطنان التـي ينتجونها ، حسب أقدميتهم حسب «نـوعية» علاقتهـم بالمهندسين ، حسب عدد ساعات العمل وحسب الدرجات ٠

٠ عـدد الاطنـان

لكـي يتمكـن الرأسمال من استغـلال أكبر ما يمكن أن تعطيـه طاقات العمال ولخلـق مصالـح متفاوتـة الاهمية حسب المستويات والدرجات ، فانه يعطي مكافأة لكل طن مستخرج ٠ وتتصاعد المكافآت بالصعود فـي السلم وفي الوضعية الادارية ٠

فلرئيس فرقة ما مكافأة على الاطنان الـتي انتجتهـا الفرقة ٠ وللمهندس مكافأة علـى كل الاطنـان التـي أخرجتها كل الفرق الخاضعة لمسؤوليته ٠ ان الطبقـة العاملة التي هي الاساس في كل هذا الانتاج محرومـة من حق الامتيازات والمكافآت التي ينالها من ليسـت لهم علاقة مباشرة بالعمل اليدوي ٠

٠ العلاقة مع المهندسين والتقنيين

ان علاقـات العمال بالمهندسين ، في مجـرى الانتاج ، غالبا ما تكون علاقـة ضغوط وتسعـى ادارة مكتـب الفوسفاط لعزل كوادرها ما أمكن على العمال والتقنيين ؛ فلا يسمح لهذه الكوادر أن تربط علاقة خاصة بالعمال في المحلات العمومية التـي يتواجدون فيهـا ٠ لقـد خصصت لها أندية محروسة ومجهزة بكل أنواع اللهو والتخديـر الفكري ٠ وجاءت وصولية وأنانية هذه الكوادر لتزكي أهداف الادارة ٠ وكنتيجة لهذه العوامل ، أصبح العامل في أعين المهندس انسانا لايصلح الا لتطبيق أوامـره السامية المنسقة بواسطة رؤساء الفرق ٠ كيف يمكنـه أن يتصور أن العامل قادر على التفكير في وسائل الانتاج وابتكار الحلول لها باعتباره يواجهها ويلابسها يوميا ٠

أما اعتبار لزومية مشاركته في هذه الحلول فيصبـح مجرد خيال بينـما المهندسون أنفسهـم ، لايسعهـم الا الخضوع للمخططات الرجعية والامبريالية التيتعدم روح الابتكـار والخلـق ٠

من خلال هذه العلاقات يمكن فهم تعسف المهندسيـن (الطرد والتوقيف المؤقت) تجاه العمال كلما أراد هؤلاء أن يعبروا عن آرائهم ٠ ومن خلال نفس العقلية ، نفهـم السرقة التي يتعرض لها العمال من طرف المهندسين بصفة عامة ، وخاصة بالنسبة لعدد الاطنان المستخرجة ٠

الا أن علاقة العمال برؤساء الفرق ، وان كانت قوية ، لاتتسم بنفس الشراسة لان هؤلاء يساهمون جماعيا فـي حل مشاكلهم مما يخلق بينهم احتراما وتعاونا نسبيا ٠

والجدير بالذكر ، أن المهندسين يستعملون وشـاة لهم من بين فئة متذبذبة من العمال ، لتسهل عليهم مراقبة العاملين عمالا كانوا أم رؤساء فرق ٠ وهذه ظاهـرة خاصة يتسم بها مكتب الفوسفاط ، اذ يتعدى عمل أجهزة الوشاة تلك مستوى المنجم ليعم القرى المخيمة والحيـاة العامـة للعـمال ٠ وان هـذا ليشـرح كـذلك سبـب الاجور المرتفعة لعدد من العمال ٠

وحتى نتعرف على ضعف أجور العمال نقدم ثلاثة أمثلة مفصلة :

العامل رقم	تاريخ الشروع في العمل	تاريخ الحصول على الاجرة	عدد الابناء المناسب لهذا التاريخ	عدد الاشخاص المكلف بهم	الدرجة	عدد ساعات العمل في اليوم	عدد أيام العمل
١	٧ـ١٩٥٩	١ـ١٠ـ٧٠	٤	٨	٢	٨	١٢
٢	١ـ١٩٦٧	١ـ١ـ٧١	٢	٦	٢	٨ر٥	١٢
٣	٦ـ١٩٦٩	١ـ١٠ـ٧١	٠	٥	٢	٨ر٥	١٢

العامل رقم	السلم	الاجرة المناسبة لساعات العمل	تعويض السكنى	الخصم من الاجرة	التعويض العائلي	تعويض النقل	ما يحصل عليه العامل كل ١٥ يوما
١	١٢	٢١١ر٦٢ د	٠ر٨٠ د	٠ر٨٠ د	٤٨ د	١١ر٤١ د	١٥ر٨٩ د
٣	٤	٢١٥ر٦١ د	٦ د	٨٨ر٣٩ د	١٢ د	٦ر٦٩ د	١٦٧ر٣٦د
٢	٣	١٤١ر٨٠ د	٩ د	٩ د		١١ر٤٧ د	١٥٦ر٣١د

نرى من خلال هذه الارقام أن العامل بعد ١١ سنة من العمل يحصل على الدرجة الثالثة المناسبة للعامل المتخصص الشيء الذي يتناقض مع القانون الحالي الذي يضمن هذه الدرجة بعد ١٠ سنوات في العمل ·

ـ ان العامل الذي لايسكن منزلا من القرى المنجمية له تعويض بمبلغ ٩ دراهم كل ١٥ يوما · (وسنتطرق لمشكل السكنى فيما بعد) ·

ـ ان التعويض الخاص بالنقل لايكفي ولو لاداء ثمن الوقود المستعمل لدراجات النارية ·

لكي نتمكن من اعطاء هذه الاجور معناها الحقيقي سنتطرق لميزانية عامل مكلف بأسرة تتركب من ٥ أشخاص · سنكتفي بالميزانية الغذائية المناسبة لـ ١٥ يوما :

نوع الاغذية	الاثمان
الخضر	٢٠ر٢٢
اللحم	٠٠ر٤٢
الزيت ـ السمن ـ الحليب	٩٠ر١٩
الدقيق	٠٠ر٣٠
السكر والشاي	٧٠ر٢٤
«الغسيل»	٦٠ر٤
تكاليف الطبخ	٠٠ر٨
السجائر	٢٥ر٢٠
المجموع	٦٥ر١٥١ درهم

ان العامل الثاني في اللوحة والذي يتقاضى ٣٦ر١٦٧ درهم كل ١٥ يوما يدفع ما يقارب ٩٠٪ من أجرته في المواد الغذائية · معناه أن اللباس والكهرباء والتنقل وما تقتضيه دراسة الابناء وغيرها من الحاجيات يخصص لها ١٦ درهم كل ١٥ يوما · ان هذه الوضعية تؤدي حتما الى تراكم الديون على العامل وغالبا ما يدفع أجرته كاملة الى المحتكرين وأصحاب السلع عند تقاضيه لها ·

ان عدد هؤلاء عند صندوق الاداء ليتجاوز عدد العمال

هذا اذن هو واقع «المحظوظين» بالنسبة لمجموع الطبقة العاملة !

جـ ـ) التقاعد ـ الارامل

· أن العامل لايطلب التقاعد أو يحال عليه الا اذا انطفأت قوته الجسمية · وان احالة عامل ما على التقاعد تعني في أغلب الحالات دفع أسرته الى التشرد ، والمبلغ الذي يتقاضاه المتقاعد كافي لتوضيح هذه النتيجة : عامل تقاضي مبلغ ٥٠ر٣٦٩ درهم للثلاثة أشهر الاخيرة من سنة ١٩٧٠ له ٤ أبناء اثنان منهم يدرسان ، ولقد تتعدد الارامل مع تعدد حوادث الشغل والتنقل ، هذه الحوادث التي تكون في أغلب الاحيان خطيرة ان لم نقل قاتلة ·

(٣) الحوادث

أ ـ) حوادث الشغل

ان الاحصائيات الرسمية المختصة بحوادث الشغل وان كانت لاتعطي كل الحقيقة تبين أن هذه الحوادث تكون السبب في مقتل عامل كل سنة على الاقل · السبب الاساسي في هذه الحوادث هو طبيعة وسائل الانتاج التي تطرقنا لها من قبل ، غالبا ما يذهب العمال الساهرون على اخراج الخشب من «الحشة» ضحيتها · الا أن المسيرين يعتبرون هذه الحوادث طبيعية · وقد يقتنع بعض العمال بهذا · ونلاحظ من جهة أخرى ضعف تنظيم · وله علاقة بالحوادث · ان المثال الحي التالي يفرض هذه العلاقة · فريق يبدأ العمل في الورش ، بعد

ساعة منهكة من الاعداد الاولـي ، يتبين أن المحـــرك الكهربائي المستعمل في نقل المعدن محروق · يبقى على الفرقة التوجه الى ورش آخر ، ويعتبر حينئذ عمل الفرقة ضائعـا · يسرع الفريق الى المحل الثاني للبداية مـن الصفر في حالة غضب · مما يجعله يفقـد الانتبـاه · (يطأ العامل حجرة فيرتمي على قطعة من حديد ، فينتج عن هذا جرح خطير) ·

ب ـ) حوادث التنقــل

ان بعـد المناجم عن القرى المعدنية ورفـض الادارة استعمال وسائل التنقل الجماعية للعمــال فرضت علـى هؤلاء استعمال الدراجات النارية للتردد على المناجم · الا أن هذه الدراجات تتسبب في جرح وقتل عدد مــن العمال · ذلك أن العامل وخاصة في الليل يغادر عملـه وهو في حالة توتر عصبي وعياء كبير ، الشيء الــذي يكثر الحوادث · وغالبا ما يبقى المصاب ملقى على حافة الطريق حتـى الصبـاح ·

ـ ومن الملاحظ أن مصلحة الصحة جد متهاونة فــي عملها كما هـو الحال في مجموع البلاد · وان تصرف موظفيها مع العمال غالبا ما يثيـر غـضب وسخـــط الحاضرين · أما الادوية اللازم اعطاؤها مجانا للعمال فتتعرض بدورها الى مقاييس الرشوة · ان هذا الاضطهاد الدائـم واليومي جعل العمال يلجأون الى ما لديهم مــن نقود قصد العــلاج ·

ـ أمـا «التامين الاجتماعي» ، فان كان لـه وجـــود فلمجرد المغالطة · والامثلة المتعددة والمختلفة تبيــن أن العمال المصابين في حوادث الشغل يقضون مدة العلاج دون أي تـعويض · فالساهرون علـى مـا يسمـى بـــ «التامين الاجتماعي» يبذلون كـل مجهوداتهم لتحميـل الـعامل مسؤوليـة الحادثـة ، ويقومـون بالمستحيـل لحرمانه من حقوقه الشرعية · واذا قبلوا البراهين لكثرة وضوحها ، فان القدر المالي الخاص لمدة العلاج والشفاء لايدفع لصاحبه الا بعد زمن طويل · ونرى أن في كلتــا الحالتين ، يفرض على العامل استئناف العمل قبل انتهاء مدة الشفاء حتى لايبقى هو وأبناؤه عرضة للجــوع ·

(٤) السكـان والسكنـى

لاتخفى على أحـد الصعوبات الكثيرة التي يخلفهـا مشكل السكنى للطبقات المحرومة والمستغلة (بفتح الغين) ولا يخفى كذلك على أحد تعقد هذا المشكل بالمدن العمالية ومدينة خريبكة كمدينة عمالية تعتـبر نموذجية · لـــن نتطرق بالطبع للكوادر والموظفين الحكوميين وقصورهم الفخمة ذات الحدائق الكبيـرة ، ولا للتقنييــن الذيـــن يتمتعون بمنازل جيدة ولا للمحتكرين كيفما كان نوعهم ، وانما تهتم خاصــة بجماهير البروليتاريا ، بجماهيـــر التلاميذ بالعاطلين والجماهير المبلترة · ان احتكاك هذه الجماهير والعلاقات التي تربطها مع بعضها من جهة ومع جماهير الفلاحين من جهة أخرى لجد مهم على المستوى الاستراتيجي (علاقة العمال بالفلاحين) ·

أ ـ) جماهير البروليتاريا ·

يبلـغ عـدد عمال المناجم بخريبكة تقريبا ١٣ ٠٠٠ عامل ، ١٣٠٠ منهم يعملون في باطن الارض والباقـــي على سطح الارض · منهم من يسكن القـرى المنجمية ، ويوزعون على خمسة قرى في أماكن مختلفة : قريـــة التجفيف بالمدينة ، قرية بوجنيبة (تبعد بـ ١٢ كلم عـن خريبكة) قرية أبو الانوار ، قرية حطان وقرية وادي زم (بوادي زم) ، ومنهم من لايسكن هذه القرى فينزل بالمدينة أو بالقرى المجاورة · ومن القرى المنجمية المذكورة من يرجع تاريخ بنائها الى ١٩٣٨ ومنها التي بقيت بعــد ١٩٦٠ ، فغالبا ما تكون هذه القرى القديمة مسكونـة

من طرف عمال باطن الارض الذين يعانون من الاستغلال والقرى القديمة هذه معروفة بحالتها المزرية لا من حيث البناء ولا من وسائل التنظيف ٠

السؤال الذي يطرح نفسه هو التالي : من يستفيد من المنازل المنجمية ؟

تلعب الرشوة دورا كبيرا فيهذا الاطار ٠ هناك مذكرة صادرة عن الادارة العامة لـ (م٠ش٠ف) موضوعها ملكية السكنى ، تحمل هذه المذكرة رقم ٧٢٤ ويمكن بمقتضاها لعامل مزاول لنشاطه ، مرسم رب عائلة أن يستفيد من ملكية السكنى ٠ الا أننا نجد عمالا كثيرين يستجيبون لهذه الشروط يرسلون طلباتهم المتوالية فتهمل ، وآخرين يحصلون على مطالبهم بمجرد دفع قدر معين من المال ٠ فغير خاف اليوم على أحد ما يرتكبه الساهرون على الشؤون الاجتماعية من سرقة واستغلال٠ أما الشروط التي يتطلبها الحصول على ملكية السكنى فهي كالتالي دفع ٩٠٪ من قيمة البناء مقدرة وقت انشاء العقد ، ١٠ منها وقت انشائه و ٨٠ مقسمة على زمن لايتجاوز ١٠ سنوات وهذه المدة لايمكنها كذلك أن تتجاوز ما تبقى للعامل من زمن قبل احالته على التقاعد٠ الغرض من هذه المذكرة اذن هو بناء منازل للعمال ليتم استغلالهم بصفة منظمة في انتاج الفوسفاط وفي نفس الوقت ارجاع ما قدم لهم من مال مقابل سواعدهم ٠ وكاستنتاج ، تلعب ادارة المكتب ش٠ف دور سمسار لمصالح عقارية معينة ٠

الهدف الاساسي الثاني هو حرمان من اقترب وقت تقاعدهم من امتلاك منازل المكتب ش٠ف لانهم غير صالحين للاستغلال في المناجم وغير قادرين على أداء ثمن المنازل ٠

فانطلاقا من العراقل السالفة الذكر ومرورا بأجرة العامل وميزانيته يتبين أن العامل الذي لم يتمكن من شراء منزل من منازل م٠ش٠ف أثناء عمله يذهب وأبناءه عرضة للضياع والتشرد بمجرد احالته على التقاعد ٠

أما فيما يخص القدر الذي تدفعه ادارة الفوسفاط كتعويض للمسكنى ، والذي يحصل عليه العمال الذين لايسكنون الدور المنجمية فانه يبلغ ١٨ درهما في الشهر٠ الا أن هذا المبلغ لايمثل ثمن كراء بيت صغير اعتبارا لغلاء الكراء ٠ ويتضح ذلك بالمثال الملموس التالي : ان قطعة مساحتها ٢٫٥ مترا مربعا جدرانها من قطع الاسمنت وعلوها متر واحد سقفها من قصدير يبلغ ثمن كرائها الشهري ١٥ درهما ٠

يبقى اذن ما يسمى بتعويض السكنى مجرد مغالطة ومراوغة للعمال وللرأي العام في الوقت الذي تستلزم وضعية خريبكة بناء منازل لمجموع العمال واعطائهم كل الامكانيات لامتلاكها ٠

ب ـ الجماهير المبلترة والعاطلة

ان سياسة التوسع لشبه الاقطاع وسياسة التفقير في البادية وسياسة التعليم الطبقية جعلت جماهير الفلاحين الفقراء والعمال الفلاحين والشبان تغادر البادية بحثا عن العمل ، وزادت طبيعة خريبكة وفقر أراضيها في تمركز هذه الجماهير بالمدينة مما أعطى المدينة صورة بيوت محاصرة بدروب من القصدير وتقوت هذه الظاهرة بقلة دور الكراء وشدة غلاء الموجود منها ٠

ـ وان سياسة التعليم النخبوية المبنية على التسقيط دفعت بأفواج متعددة من التلاميذ الى مغادرة دراستهم ودخول صفوف العاطلين ٠

ـ لقد عانت هذه الجماهير وتعاني أبشع مستويات البؤس والتشريد والضياع مما جعلها تتعاطى كل أنواع البغاء والسرقة والتخدير الشيء الذي زاد الحالة

استياء • وان انعدام أي تأطير وانعدام وعي سياسي جعل هذه الجماهير المحرومة في موقف اللامبالاة من نضالات الجماهير العمالية رغم الاحتكاك الموجود بين هذه القوى •

ج -) جماهير التلاميذ

ان وضعية التلاميذ بخريبكة ناتجة عن عاملين أساسيين : سياسة التعليم الحالية الشبه اقطاعية واللاشعبية ، ووضعية الآباء الاجتماعية والمادية •

سنكتفي بتسليط الاضواء على هذه الوضعية •

يشكل تمركز مؤسسات التعليم بأستثناء الابتدائي بالمدينة ، عائقا في وجه التلاميذ القادمين من القرى المنجمية والقرى (القروية) مما يجعل من الضروري بالنسبة لهؤلاء ، ان هم أرادوا متابعة دراستهم ، أن يستعملوا وسائل النقل العمومية القايلة أو يسكنوا بالمدينة ويتضاءل عدد المستعملين لوسائل النقل كل سنة نظرا للمشكل المادي الذي تطرحه هذه الوسائل ، نظرا للحوادث المتعددة ، ونظرا لاستحالة متابعة الدراسة بصفة منظمة في حالة كهذه •

أما التلاميذ القاطنون بالمدينة ، فوضعيتهم من حيث السكنى واللباس والطعام وحتى قضاء أوقات الفراغ ، لاتختلف عن وضعية الجماهير المبلترة والعاطلة •

هذه الوضعية تطرح سياسة المنح التي يحظى بها أبناء المحظوظين المحليين ، أبناء موظفي الحكومة والمكتب ش•ف• وبعض العمال القليلي العدد • وتعطى المنح لهؤلاء العمال قصد تغطية الخط العام لهذه السياسة •

وعلى مستوى التعليم والتأطير والبنية التحتية فحدث ولا حرج •فالبرامج المدرسية جلها تنطلق من مفاهيم استعمارية وتقدم من طرف مستعمرين (مساعدين تقنيين) أو عملائهم المغاربة المغروسة فيهم شوكة التبعية •

لقد عبر تلاميذ خريبكة عن وضعيتهم في اضرابات متتالية عنيفة وعفوية • ان عنف هذه الاضرابات تعبير صادق عن سخط طبقي مفهومه تحطيم الهياكل القائمة • الا أن هذه الحركات تبقى عفوية لانعدام أي اطار تنظيمي نقابي • وكنتيجة لانعدام هذا الاطار ذهب التلاميذ ضحية يأس قاتل • ويزيد في تعميم هذا اليأس عاملان مهمان وهما :

(١) رغبة الآباء النبيلة المتشبثة بتعليم أبنائها ، دافعة بكل ما تملك من أجل هذه الرغبة •

(٢) استحالة ارضاء هذه الرغبة بالنسبة للتلاميذ نظرا لوضعيتهم المتفاقمة ونتيجتها الحتمية السقوط والطرد الجماعيين •

من الملاحظ أن الفتيات يواجهن نفس الوضعية مما يدفعهن غالبا الى الفساد قصد توفير قدر مالي يسهل عليهن دراستهن• وهذه الظاهرة تعم جميع المدن العمالية بدون استثناء (آسفي •••)

الاضراب الحالي

جاءت نضالات عمال خريبكة الاخيرة كنتيجة للعوامل الآتية :

• نضالات عمال المناجم المتوالية (قطاره ، مبيلان ، وأحولي) ، خاصة بعد تجربة عمال قطاره الناجحة •

• وضعية العمال المزرية مع ارتفاع مستوى المعيشة وركود الاجور التي لم تساير الزيادة في الانتاج •

• عدم اهتمام الادارة بمطالبهم زيادة على المساومات التي تقوم بها البيروقراطية النقابية على حساب العمال•

• تراجع الادارة التي اصبحت تدوس حقوق العمال المشروعة بما فيهـا :

ـ الحق النقابي والمداومين النقابيين Détachements

ـ الترقية الى الدرجة الثالثـة •

ـ ١٥٪ للمكافأة السنويـة •

والجدير بالذكر أن العمال (العطاش Tacheron) يحصلون على الدرجة الثالثة بعد ١٠ سنوات من العمل الا أن الادارة تلجأ الى عدة وسائل لابقائهم على الدرجة الثانية • والامثلة متعددة منها احالة العامل بعد ٨ أو ٩ سنوات من العمل على عمل من نوع آخر (مـيكانيك ـ كهرباء) ليبدأ من الصفر بالدرجة الثـانية • وتبـدو الادارة وكأنها كافئته على ما قام به من خدمات الا أن أجرة العامل بعد احالته على العمل الجديد تختلـف تماما مع الاجرة المطابقة للدرجة الثالثـة •

ولقد رفع عمال مناجم خريبكة مطالب أهمها ما يلي :

١ ـ احترام الادارة لحقوق العمال المشروعة •

٢ ـ الزيادة في الاجور بنسبة ١٥٪ على غرار القطاع العمومـي •

٣ ـ منح الدرجة الثالثة للعمال باعتبارهم عمـالا متخصصيـن •

٤ ـ انشاء الاعمال الاجتماعية الكفيلة بحل مشكـل نقل العمـال •

٥ ـ حل مشكل نقل أبناء العمال الى محلات الدراسة

ان عمال مناجم الفوسفاط يعتبرون عمالا متخصصين يمارسون عملهم في غير حاجة الى المهندسين أو رؤساء الاوراش • وتؤكد تجربة النضالات الاخيرة صحة مـا نقول وسنتطرق لذلك في موقف الادارة •

موقـف الادارة

أمام صلابة موقف العمال ، وأمام عزمهم على متابعة النضال حتى الحصول على مطالبهم ، وكالعادة كان رد السلطات والادارة هو حملة من الاستفزازات والتعسفات والتضليل والمناورة • فقامت السلطات باغلاق البرصـة لكي لايتمكن العمال من الاجتماع • وأرسلت المقدميـن محفوفين بجماعات من الجيش الى القرى المعدنية قصـد زرع الخوف بين السكان • وفي نفس الوقت قام النظـام بحملة دعائية واسعة لخلق البلبلة في صفوف الطبقـة العاملة ، ثم بعدها أقيم حصار اعلامي زكته الصحافـة البورجوازية •

كما عبأت الادارة والسلطات بيادقها ازرع موجة من الانهزامية حتى تكون الحملة متكاملة

على مستوى الانتاج استدعت الادارة متطوعين مـن الشباب العاطل لاستخدامهم في اخراج الفوسفاط ونتج عن هذا الموقف هبوط الانتاج من ٨ أو ٩ شاحنات فـي اليوم الى ٣ شاحنات ، ظـنا منها أن مجـرد أوامـر المهندسين والتقنيين كفيلة بتخريج المعدن ـ التجربـة باءت طبعا بالفشل ـ وتابعت الادارة مناوراتها فأدخلت الالات المستعملة من طرف الاشغال العمومية للعمل فـي الاماكن التي يوجد فيها الفوسفاط قريبا على سطـح الارض • وبهذه الكيفية توصلت الـى انتاج ٤ الـى ٥ شاحنات في اليوم • وبالرغم من ذلك فان كثيرا مـن البواخر التي انتظرت أياما متعددة في الميناء رجعـت على أعقابهـا •

ان تعنـت الادارة الـذي يعتبـر فـي الواقع موقفـا سياسيا أفتته الامبريالية العالمية والرساميل الاجنبية • وقد كان ضربة كبيرة لاقتصادنا (ضياع أكثر مـن ١٢

مليار فرنك) ويشكل تزكية لاهداف الامبريالية الساعية الى توجيه نظر الاسواق العالمية نحو مناجم الفوسفاط بالصحراء المغربية وهي اذن مساهمة في ضرب الانتاج والاقتصاد الوطني • فلو اعتبرنا الضياع المادي فقط ، لوجدنا أنه يتجاوز بكثير القدر الذي تدفعه الادارة للعمال كزيادة نسبتها ١٥٪ في العشر سنوات المقبلة • هذا يزيد في توضيح تبعية الحكم للامبريالية وتلاعبه بالمصالح الوطنية •

موقف البيروقراطية النقابية

لم يبق خافيا على أحد تخوف البيروقراطية النقابية من النضالات العمالية الكبيرة وتشبثها ببعض المطالب «الخبزية» فقط ، وانطلاقا منهذا يتضح موقفها من نضالات عمال خريبكة • ان العمال شنوا اضرابهم منذ ٢٠ شتنبر رغم معارضة هذه البيروقراطية • ووعيا منها بصمود العمال وشدة عزيمتهم وبعد ١٣ يوما من الاضراب أخرجت بلاغا مترددا للمساندة •

وقد ظنت أن تغيير الاشخاص كفيل باعادة ثقة الجماهير العمالية • فقامت بتجديد المكتب النقابي مرتين متواليتين بصفة فوقية ، الا أن العمال نظرا لتجربتهم النضالية الطويلة ونظرا للممارسات الانتهازية البيروقراطية المتكاثرة أصبحوا يعون الحقيقة التالية : ان البيروقراطية النقابية غير قادرة على قيادة نضالاتهم لذا رفضوا أي نقاش مع أفراد المكاتب النقابية المتتالية • ان هذه البيروقراطية في الواقع أصبحت تحتل منصبا مضادا بالنسبة للطبقة العاملة •

فعندما قرر عمال ميناء الدار البيضاء الدخول في اضراب لمساندة رفاقهم عمال مناجم خريبكة وأمام اندلاع الاضراب في جميع القطاعات الصناعية أسرع مؤيدوا النضالات الخبزية الى الادارة العامة للفوسفاط قصد المناورة ، بعد هذا أصدروا بلاغا نشرته الجرائد البورجوازية يعلن توقف اضراب عمال خريبكة • وعندما اتضح لهؤلاء العمال مدى تواطؤ البيروقراطية مع الحكم تابعوا نضالهم في عزلة عن فصائل هامة من الطبقة العاملة ، هذه الفصائل التي ظنت أن اضراب خريبكة قد انتهى •

والجدير بالذكر أن نضالات طويلة كهذه وفي مدينة كخريبكة ، تكون معرضة لكثير من الضغوط من طرف المصالح الاحتكارية • ولهذه الضغوط ثقلها في مواجهة نضالات العمال • وفي حالة استمرار مستميت لهذه الاضرابات يتعرض العمال للتعرية لانهم يبيعون كل ما لديهم قصد الاستمرار • وان بعض المصالح التي تهتم بالسمسرة تستفيد جيدا من هذه الوضعية •

خلاصة :

ان نضالات عمال مناجم خريبكة ، رغم طول نفسها ، تفتقر للوسائل التنظيمية (لجان الاضراب) الكفيلة بتقوية هذه النضالات وطرحها على المستوى الوطني • فهذا الافتقار يجعل العمال يرتكزون في نضالهم على أشخاص قليلين كثيرا ما يقعون في فخ الادارة أو البيروقراطية النقابية هؤلاء الاشخاص أنفسهم مهما كانت حسن نيتهم في الدفاع عن حقوق العمال يعانون من بقايا الممارسة الانتهازية والاصلاحية الشيء الذي لايؤهلهم لقيادة النضالات في جميع مراحلها وهذا يشرح النتائج الضعيفة التي تؤدي اليها هذه النضالات المستميتة •

ان هذه الوسائل التنظيمة الى جانب فكر متقدم يتجاوز النقابية الضيقة لمن شأنها رفع الوعي الطبقي للعمال وتطوير نضالاتهم من مجرد نضالات اقتصادية الى نضالات تهتم بالهيكل السياسي العام • الشيء الذي يسهل انفتاح الطبقة العاملة على مجموع الطبقات المحرومة لتوحيد نضالاتها •

وان احتكاك عمال مناجم خريبكة بالفلاحين الفقراء ، بالجماهير المعرضة للتفقير والبطالة ، وبالشباب ليكتسي أهمية قصوى في هذا الاطار •

٢١ ـ ١٢ ـ ٧١



خريبكة : مظهر من مظاهر التمايز الطبقي

20

٣ ـ كفاح عمال الفوسفاط في مواجهة المصالح الامبريالية

احمد طارق

في الحفل الذي اقيم بخريبكة ، تاريخ ١٧ـ١٢ـ٧١ ، والذي كان القصد منه بالدرجة الاولى «الحفاظ على ماء وجه» الادارة العامة للمكتب الشريف للفوسفاط ، وصف المدير العام للمكتب اضراب العمال الذي دام شهرين ونصف ، بأنه «اضراب لافائدة منه» !

ربما قد ترى الادارة العامة لمكتب الفوسفاط أن «لافائدة منه» • لكن العمال بفضل هذا الشكل النضالي ، وما عبروا عنه من صمود ، استطاعوا أن يفرضوا الزيادة العامة في الاجور •

وكان لابد من شهرين ونصف من الاضراب ، ومن ضياع ٢٠٠ الف طن من الفوسفاط ، تبلغ قيمتها ٨٠ مليون درهما ، والخسارة المترتبة عن توقف التجهيزات الالية المستعملة في باطن الارض لمدة طويلة ، وما نتج عن ذلك من ضياع للمعدن ، وفقدان الثقة التجارية ، نقول كان لابد من هذا كله كي «تنتبه» الادارة في النهاية الى ضرورة الزيادة في الاجور ، وتعلق من جانبها بأن هذه الزيادة «لاعلاقة لها بالاضراب» !

لماذا يا ترى لم تأت هذه الزيادة في سبتمبر ، بل وفي يونيو ، حيث رفع العمال هذه المطالب ؟

ان تصلبا من جانب الادارة العامة لمكتب •ش•ف ، وأن عنادا كهذا ، والمتناقض مع المصالح الصرفة لتسيير المكتب ، لايمكن أن يجدا تفسيرهما في مجرد ضعف ذكاء المسؤولين ، بل لابد أيضا من تحديد محيطهم الاجتماعي والفكري والايديولوجي ، والذي يؤدي بهم الى الوقوع في مثل هذه الاخطاء الفادحة ، ذلك المحيط الذي تسبح فيه الاوليغارشيا الكمبرادورية المغربية ، محيط أمثال «جاك ريتزر ، ولوران كروز» وجمعية «الصداقة المغربية» لسنة ١٩٥٥ ، محيط الدوائر المالية الدوابة العليا ، وخاصة منها الابناك الفرنسية الكبرى •

اذا كان المسؤولون عندنا يكتفون بالافكار الساذجة ، التي يتبادلونها في صالونات الفنادق الفخمة» مثل : الزيادة في الاجور = تضخم نقدي = افلاس ، فان المسيرين البارزين لتلك الابناك يتقنون وضع استراتيجيات تصبح هذه الافكار البسيطة الساذجة في خدمتها ، سواء وعت ذلك «نخبتنا» القابعة في «صالونات» البيضاء أم لم تعه•

لهذا نرى من الضروري توضيح هذه الاستراتيجية ، استراتيجية الاحتكارات الدولية في ميدان مصادر المواد الاولية •

استراتيجية الاحتكارات :

لقد اوجزها الاقتصادي الماركسي الامريكي «هاري ماجدوف» Harry Magdof في العبارة الاتية :

«ان تمركز القوة الاقتصادية في يد مجموعة محدودة من الشركات الضخمة ، قد صار ممكنا في عدد لايستهان به من الصناعات بفعل المراقبة التي تمارسها تلك الشركات على مصادر المواد الاولية ، ان حدة يقظة الاحتكارات ، وأساليبها العدوانية ، في اكتساب ومراقبة المصادر الاساسية للتزويد بالمواد الاولية ـ على الصعيد العالمي ـ قد مكنتها من الحفاظ على التمركز

الاقتصادي ومن أبعاد المنافسين الاجانب والمحليين ، ومن اضعاف القوى الاقتصادية الناشئة ، ومن تسيير أعمالها ومصالحها ضمن سياسة احتكارية monopolistique في الاثمان والانتاج ، وذلك على أساس «العقلانية» الجشعة التي اكتسبتها الاستثمارات الاجنبية في صناعة استخراج المعادن طوال مرحلة الامبريالية العصرية ، ليس فقط في ميدان البترول ، وانما أيضا في مجموعة واسعة من المنتوجات وخاصة منها المعادن» ٠

ولكي نفهم هذه الاستراتيجية في ميدان الفوسفاط ، يجب أن نعلم بأن المغرب يمثل بالنسبة للاحتياطي العالمي، ما يمثله الشرق العربي بالنسبة لاحتياطي البترول ٠ ان احتياطي المغرب من الفوسفاط يقدر بعشرات ملايير الاطنان ، أي أكثر من نصف مجموع الاحتياطي العالمي ٠ ومعنى ذلك أن أوربا الرأسمالية ، بقدر ما هي بحاجة الى البترول كمصدر للطاقة ، فهي بحاجة كذلك الى الفوسفاط كمصدر للسماد ٠

والفوسفاط مادة حيوية بالنسبة لشركات الصناعة الكيماوية الكبرى المسيطرة على انتاج الاسمدة ، لانه مكمل ضروري للسماد المستخرج من الازوت والبوتاس٠ ولذا ، فان مراقبة مصادر التزويد بالفوسفاط عنصر هام وحيوي لضمان سيطرة الاحتكارات على مجموع صناعة السماد الكيماوي ٠

ان الشركات الفرنسية الكبرى للسماد الكيماوي ، تعتمد بصفة مباشرة على الابناك الضخمة ، كالشركة المالية لباريز والبلاد المنخفضة ، والشركة المالية السويسرية ٠ وقد استطاعت هذه الشركات المالية أن تضمن لنفسها وضعية ممتازة كأكبر محتكر في فرنسا وبلجيكا ، ووضعية من الدرجة الاولى على صعيد اوربا الغربية ، وذلك بفضل استغلال مصادر الفوسفاط في المستعمرات الفرنسية ، في كل من الجزائر والمغرب وتونس ٠

والمغرب الذي كان آخر بلد من تلك البلدان الثلاث الذي اكتشف فيه الفوسفاط، استطاع الاستعمار الفرنسي ضمان مصالحه عن طريق القاء استغلال الفوسفاط على عاتق الدولة في المغرب ، وذلك بمقتضى معاهدة «الجزيرة الخضراء» والتي كانت شكليا تمنع على الاستعمار الفرنسي نهج سياسة احتكارية مباشرة على الثروات المعدنية المغربية ، ولان الدولة كانت آنذاك تحت الحماية، فقد استطاع الاحتكار الفرنسي أن يقوي مركزه ، متعاونا في ذلك مع «مصرف شمال افريقيا للفوسفاط» وهو شركة للبيع تسيطر عليها المصالح الخصوصية الفرنسية ٠

وبعد الاستقلال ، كاد احتكار الفوسفاط أن يتزعزع بفعل فضح الاتفاقيات التي تربطه «بمصرف الفوسفاط»، وبفعل سياسة التنمية الصناعية لمصادر الفوسفاط ، وفي مقدمتها المشروع الكيماوي بآسفي ٠

ولم يبق أمام الاحتكارات الفرنسية الا محاولة حصر النمو المعدني للمكتب الشريف للفوسفاط ، وقد كان ذلك ممكنا ، لان الاطارات القيادية في المكتب ظلت فرنسية وكذلك لان المصالح المكلفة بالتنقيب على الفوسفاط ، كانت هي نفس المصالح التي كانتتابعة لمصرف الفوسفاط الفرنسي ٠ تزوال بهذه الوسائل تأثيرا قويا تمارسة الاحتكارات على الاوليغارشيا الكمبرادورية في المغرب ٠ لكن هذه الوسائل تبقى هزيلة وعاجزة في حالة وقوع تعبير سياسي بالمغرب ، وفي حالة تصاعد نفوذ الاحتكارات الامريكية ٠ وهناك تأتي «عملية» الصحراء الغربية ٠

«عملية» الصحراء الغربية :

اكتشف فوسفاط الصحراء الغربية في بداية الستينات (ان كان تعبير «الاكتشاف» صحيحاً بالنسبة لمعدن مدفون على مستوى السطح» • ورغم أهمية هذا المعدن (٧ر١ مليار طن ، فهو ذو قيمة متوسطة) ، ولا يعدو أن يماثل احدى المناجم المغربية الغير مستعملة لحد للان «كابن جرير ، وامين تانوت ، وشيشاوة والبروج • وهو أقل كما ونوعا من مناجم خريبكة ووادي زم ، واليوسفية» • لكن أهميته بالنسبة للاحتكارات الرأسمالية العالمية ، تكمن في وجوده في منطقة «صحراوية خالية» ، حيث يظهر لاول وهلة أن الثقل السياسي للسكان يمكن «احتقاره» • ومن هنا يفهم ، لماذا تتحدث الامبريالية عن «كويت الفوسفاط» •

كما أن الطبقة الحاكمة في اسبانيا ، ادركت الفائدة التي يمكن أن تجنيها من هذا المعدن ليس فقط كاستغلال اقتصادي مباشر ، ولكن كوسيلة تمكنها من توطيد علاقاتها بالرأسمالية العالمية ، في وقت بدأت تحس فيه أن نظامها قد بدأ يسير بسرعة نحو التفسخ والتدهور • وهكذا بدأت تبحث عن طريق للتحالف مع الرساميل الامريكية ، ولكنها واجهت سلسلة من الصعوبات ، يرجع أساسها الى قلة انتاجية العملية بالنسبة لكبريات الشركات الامريكية التي تفضل التركيز على البترول وعلى تطويق ومراقبة كبريات الشركات الصناعية الاوربية •

ومن جهة أخرى ، فان كبريات الشركات الامريكية كانت لديها استراتيجيتها الخاصة بالنسبة للصحراء الغربية ، التي لاحظت فيها ثروة بترولية ، ولم ترد أن تدخل في عملية استعمارية مباشرة ومفضوحة •

وبعدما فشلت الطبقة الحاكمة في اسبانيا ، في محاولاتها مع شركات من الدرجة الثانية لم تحصل على القرض العالمي (وهو ضروري في عملية تتطلب ٢٠٠ مليون دولار ، أو مليارا من الدراهم) • وبعد ذلك ، اتجهت الى التعاون مع الابناك الفرنسية في بداية سنة ١٩٦٨ •

وفي مستوى أعلى للاستراتيجية السياسية للدول الكبرى ، والاستراتيجية الاقتصادية للاحتكارات ، تعتقد الامبريالية الامريكية أن الامبريالية الفرنسية يمكن أن توفر لها تغطية مفيدة ، في بعض عملياتها في البلدان العربية ، وخاصة في المغرب العربي • ومن شيم هذه الابناك طبعا ، أن تعقد الصفقات على ظهر الشعوب • ولا يجهل أحد في تلك الاوساط أهمية الثروة البترولية في الصحراء • لكن الابناك الفرنسية ، تعلمت منذ القديم ، أنه لاجدوى من التسابق في ميدان البترول ، مع الشركات الامريكية والانجليزية التي كونت منذ زمان الاحتكار العالمي للبترول • واذا فان تلك الشركات تكتفي بالمقاعد الجانبية كما هو حالها في ايران والعراق والخليج العربي • ومن ثم ، سرعان ما احتلت الشركة الامريكية «اسو» وهي احتكار كبير ، مكان الصدارة في الصحراء ، بفضل ظهير خاص منح لها سنة ١٩٦٥ ، على المنطقة الشاطئية في طرفاية ، وهي تنتظر الان مجيء «أمير» جديد على الصحراء الغربية ليمنحها الصلاحية في الجنوب

العملية السياسية اذن منوطة بأبناك الاعمال الفرنسية، ومقابل ذلك فهي ستحصل على صلاحية استغلال الفوسفاط، الى جانب مساهمتها الجزئية المعتادة في البترول ، بدون شك •

ان مـا تستفيده أبناك الاعمال الفرنسية من عمليـة الفوسفاط هذه قبل كل شيء ، هو اعادة فرض احتكارها على سوق الفوسفاط في اوربا الغربية ، ومن ثم ، كسب عنصر هام يساعدها على مواجهة التنافس الشديد الذي تتهيأ له الشركات الكبيرة الاوربية في مجال الصناعـة الكيماويـــة ·

العملية الـتي تبادر بهـا المجموعة المالية الفرنسيـة «كوفيمير» منذ أوائل ١٩٦٨ هي اذن كالتالي :

تشكلت في البداية شركة عالمية لاستغلال فوسفـــاط الصحراء الغربية ، وكانت مجموع رساميلها فـي أول الامر اسبانية ، ثم انحصرت تلـك الرساميل في نسـبة ٥٠٪ أما النصف الباقي من الرساميل فيترك الجزء الاكبر منه للابناك الفرنسية المشكلة لمجموعة «كوفيمير» والجزء الباقي للمكتب الشريف للفوسفاط ·

وقد مرت الدولة الاسبانية الى مرحلة التنفيذ الفعلي لهذا المخطط منذ شهر ماي ١٩٦٩ ، أي مباشرة بعـــد المفاوضات التي جرت في باريس ، بين اسبانيا وفرنسا في ابريل ١٩٦٩ · وبدأت الطلبات التجارية تقدم فعـلا منذ هذا التاريخ · وفي غشت ١٩٦٩ ، تشكلت الشركة «فوسفاطوس بوكراع» ، واعطيت لميسيريها مهمة البدء بأستغلال الفوسفاط في سنة ١٩٧٢ كأجل أقصى ، وكذلك عقد اتفاقيات التعاون مع المصالح الاجنبية الاخـرى ·

ولابـد من الاعتقـاد ، بأن المسؤوليـن الفرنسييـــن والاسبانيين كانوا يعلمون منذ البداية ، انهم لن يتعرضوا للحواجز من الجانب المغربي ·

وأعلنت الصحافة المتخصصة ، منذ يونيو ١٩٧٠ ، أن هناك مداولات في الدوائـر العليا ، بين اسبانيـــا والمغرب ، تهدف الى تنسيق الاثمان وسياسة البيع لكل من شركة «فوسفاطوس بوكـراع» والمكـتب الشريـــف للفوسفاط · وهكذا يعـاد تشكيل «المصرف» القديـــم للفوسفاط ، تحـت الوصاية الفعلية لابنـاك الاعمـال الفرنسية ، المؤهلة للقيام بدور الحكم في الموضوع ·

فمن هي هذه الابناك ؟ يوجد من بين المساهمين فـي المجموعة المالية «كوفيمير» ،)بنك باريز ، وبنك روتشيلد ، وكريدي ليوني) ومن الواضح أن مساهمين من هــــذا النوع ، قادرين على انجاح المخطط ، والبدء باستغـلال فوسفاط الصحراء ·

يبقى أن نتساءل ، **هل الافتراض الاول** ، لهذا المنطلق صحيح ؟ هل الصحراء أرض بدون سكان ؟ ويجـــب التذكير أن نفس النوع من الافتراض ، هو الذي انطلقت منه الصهيونية العالمية منذ ٧٥ سنة ، بصــــدد أرض فلسطين · وليس من غريب الصدف ، أن نجد روتشيلد من جديد ، في طليعة المخطط ·

ان هذا كله يؤكد أن كفاح عمال مناجم خريبكة كفاح ، ذو ابعاد وطنية · وهذا كله يوضح ان كفـاح عمـــال خريبكة يلتقي مع كفاح اخواننا في «العيون» في الصحراء ويلتقي في النهاية مع كفاح الثورة العربيـة ·

من هنا نفهم ، ان كفاح الطبقة العاملة ، ان كان في نضالات ١٩٤٨ مرحلة هامة من الكفاح ضد الاستعمار السياسي والعسكري المباشر في المغرب ، فانـه فـي نضالات خريف ١٩٧١ يشكل مرحلة هامة في الكفـاح من أجل التحرر الوطني في الصحراء العربية الغربية ، في الكفاح من أجل طرد الامبريالية ، والصهيونية ، وكل عملائهم ، من مجموع الوطن العربـي ·

العلاقات والصراعات الطبقية الراهنة في قطاع النسيج

محسن الكبيري

الظروف التاريخية :

ان مصانع النسيج في بلادنا ، وكذلك في غيرها من البلاد التي تسيطر عليها الصناعة والاقتصاد الاجنبيين ، تشكل القطاع الصناعي الخالص بمعنى أنها أكثر القطاعات حيوية وتوسعا ، وتطورها أكثر سرعة ، والاكثر أهمية منذ الاستقلال ٠

هذا يفسر تاريخيا ، فقبل المحاولات المظفرة للتسلل الاجنبي لبلادنا ، كان انتاج النسيج صناعة ونشاطا وطنيا يشمل مجموع البلاد ، وفي بعض المدن بصفة خاصة ، كان النسيج هو القطاع أو الوحدة الرئيسية للانتاج ، وكان المعمل في طريق الدخول الى المرحلة النصف ـ صناعية ٠

ثم بعد ذاك ، وخلال فترة الاحتلال الاجنبي ، كان مجمل التجار الاغنياء من أصحاب النسيج ، وأخيرا ، ومنذ سنة١٩٥٦ ، انتقلت نفس هذه العائلات البورجوازية من التجارة الى صناعة النسيج ، لان النسيج كان هو النتاج الذي كانت مشاكل البيع فيه محلولة بطريقة أكثر نجاحا من طرف هذه البورجوازية ٠

واليوم ، أصبح هذا القطاع هو الاول الذي ادخلت اليه البورجوازية التعليم الصناعي ، وذلك بفضل المعونة الضخمة من طرف الدولة ، ولكن ، بصفة خاصة ، أصبح هذا القطاع هو الاول الذي اصبحت فيه البورجوازية المغربية تجابه الطبقة العاملة وجها لوجه وتواجهها ٠ فالاولى ـ أي البورجوازية ـ تتعلم استغلال الثانية ، وهذه بدورها ـ أي الطبقة العاملة ـ تتعلم مجاوزة الابوية ، وهذا نتاج للحماية التي يتمتع بها هذا القطاع من طرف الحكم ، لمحالفة قوى الطبقة البورجوازية المغربية ٠

ان هذا الانبعاث الضخم لهذا القطاع هو الذي جعل العقائديين البورجوازيين الصغار ، من أعضاء النقابة العمالية ، الاتحاد المغربي للشغل ، يقولون سنة ٦٥ وبعدها ، أن الصراع الطبقي يوقف النمو الاقتصادي للبلاد ٠ وفي هذه السنة كذلك ـ ١٩٧١ ـ وكذلك باسم الدفاع عن النمو الاقتصادي للبلاد وباسم الليبرالية ، تساند الجريدة اليومية «مغرب انفورماسيون» القريبة من قيادة ا٠م٠ش ، الجناح الحيوي من بورجوازية النسيج الاقلية المسيطرة والاكثر دخلا من هذه البورجوازية المحمية من طرف الدولة ٠

احتلت قضية صفدي ـ ولعدة أيام ـ الصفحة الاولى من الجريدة المذكورة ، في نفس الوقت الذي كان فيه عمال المناجم في خريبكة يشنون معركة لاهوادة فيها ضد الدولة ، وضد ممثلي رأس المال الفرنسي الضخم ، وذلك وسط الصمت المتواطيء للمنظمات السياسية والنقابية ، بل في نفس الوقت الذي ذكرت فيه نفس الجريدة ، نضالات عمال النسيج بصفة خجولة ، تحت عنوان «الحياة الاجتماعية» ٠

بعد أن رأينا الظروف التاريخية لظهور بورجوازية صناعية في قطاع النسيج ، والمشاكل المطروحة من خلال هذا التطور في العلاقات الطبقية ، يبقى السؤال مطروحا أمام قيادة المنظمة الوحيدة الممثلة للعمال ا٠م٠ش : كيف

أخذ قطاع النسيج شكله الحالي ، وبصفة ملموسة ، باثارة اهتمام أشد البورجوازيين المغاربة مساومة

قطاع النسيج ، مصدر للارباح الضخمة :

الى غاية سنة ١٩٦٥ (وهو تاريخ نهاية مرحلة التحولات التي بدأها الحكم ، والتي حاول فيها أن يزيل من الاذهان ، ذكرى «اجراءات الدولة» في الميدان الاقتصادي ، لحكومة عبد الله ابراهيم كان قطاع النسيج متسما بانتاج محلي منخفض نسبيا ، وبحركة استيراد متزايدة ، وهكذا ، ومنذ الاستقلال والى غاية ٦٥ ، اصطدمت بدايات التصنيع ، بمنافسة المستوردات من منتوجات النسيج ، وطوال هذه الفترة ، بدأ تحول البورجوازية المغربية ، التي انتقلت من طبقة للتجار الى طبقة صناعية في طريق الصيرورة ·

ان البورجوازيين المغاربة ، أولا كتجار ومستوردين ، ثم تجارا وصناعا ، استطاعوا جمع كل الارباح الممكنة من هذين النشاطين : الربح الحاصل من الاستيراد من جهة ، والربح المحقق من سعر بيع الانتاج المحلي من النسيج بسعر المنتوجات المستوردة ، وتراكم الارباح هذا خلق اتجاها متزايدا نحو الصناعة عند تجار النسيج ، وقد توسعت هذه الظاهرة الى غاية سنة ٦٧ـ ١٩٦٨ وأصبح كل صناعي يريد بيع انتاجه من النسيج المحلي بسعر المنتوجات المستوردة ، محققا بذلك أرباحا ضخمة ، وهكذا تعددت المصانع الصغيرة ، ثم أتى بعد ذلك دور المعامل الضخمة ، وقد أدت هذه الوضعية الى انهاك قطاع النسيج · اذ أنه أصبح متوفرا على قدرة انتاجية ، تفوق القدرة الشرائية لمن في استطاعته ـ ماديا ـ الشراء ، بل وأكثر من ذلك ، ظلت الاثمان مرتفعة ، وفي مستوى أسعار المستوردات ، على الرغم من الاجراءات المتخذة سنة ١٩٦٧ بمنع استيراد المنتجات النسيجية ، لانه كأن من اللازم الحفاظ على الارباح في نفس المستوى ·

ـ طوال فترة التصنيع هذه ، لم تظهر التناقضات بصفة واضحة بين الطبقة العاملة والبورجوازية ، فلانه كان بامكان البورجوازية تحقيق أرباح مرتفعة مكنتها من ارضاء المطالب القليلة للعمال ، وفي نفس الوقت الذي بدأ فيه عمال النسيج في الانتظام (أو التنظيم) ·

ان الاجراءات المتعلقة بمنع الاستيراد المتخذة سنة ٦٧ ، سهلت انفجار المنافسة بين الشركات الصناعية للنسيج ، والذي صعدت تناقضاته نضالية ومطالب عمال النسيج ·

تناقضات قطاع النسيج ، هي تناقضات البورجوازية المغربية :

بعد مرحلة الولادة والنمو والتخوفات ـ بالنسبة للبورجوازية ـ تتجلى التناقضات من الان فصاعدا في جبهتين :

الاولى : التناقض في حضيرة رأس المال ، في حضيرة البورجوازية والذي يتجلى في شكلين (ا و ب)
والثانية : التناقض بين البورجوازية والطبقة العاملة بصورة حاسمة ، والذي يظهر أمام أعيننا أضخم مما مضى ، وهذا التناقض يأخذ ملامحه من خلال التناقضات في حضيرة البورجوازية ·

فالجبهة الاولى للتناقض تتجلي في :

ا ـ بين البورجوازية الصناعية والبورجوازية المتوسطة ·

ب ـ بين الرأسمال الوطني والرأسمال الاجنبي في حضيرة قطاع النسيج ٠

ان دينامية هذين المستويين من هذا التناقض الثانوي ـ لكن الذي أصبح اليوم محددا لمصير هذه البورجوازية ـ تبين تداخل هذين الشكلين أحدهما في الاخر ٠

١ ـ الصورة الاولى للتناقض في حضيرة «رأسمال» Capital النسيج هي حركة التركيز والتجميع للشركات ذات الاهمية الكبرى ، وما ينتج عن ذلك من تصفية للشركات ذات الطاقات الصغيرة أو المحدودة ، والحل المؤقت لتأجيل هذه التصفية هو الزيادة الاخيرة في اسعار النسيج (١) ٠

وبما أن هذه التصفية قد بدأت بمعارض يقف في وجهها (٢) فيجب أن تستمر بسلسلة من الاغلاق للمعامل الصغيرة والمتوسطة ، مطورة بذلك نضالية العمال الذين دفعتهم هذه التصفية الى البطالة ، ومطورة التعارض بين الطبقة العاملة والبورجوازية ٠

ـ لماذا هذه التصفية لجزء من البورجوازية المتوسطة، والتي يجب عليها أن تبحث تبعا لذاك عن أرباح أخرى في قطاعات أخرى ؟

مستوى الربح الذي حقق الى الان ٠

ـ الجواب البديهي هو أنه ليس هناك مكان للكل على مستوى الربح الذي حقق الى الان ٠

ـ ليس هناك عدد كاف من المشترين بالنسبة للجميع، وفي مستوى سعر بيع متماثل ٠

ـ ليس هناك مكان لكل الصناعيين في السوق الاوربي ففي مقدرة كبار البورجوازيين وحدهم اقامة علاقات تجارية مع شبكات المبادلات الاجنبية (٣) ٠

١ ـ ارتفع سعر ثلاثة أنواع من المنتوجات بـ ١٧٪ و ٢٤٪ و ٦٠٪ (المصدر : مغرب انفورماسيون بتايخ ١٤ ـ ١٢ ـ ١٩٧١ ـ الصفحة الثانية) ٠

٢ ـ ان قضية صفدي حلقة ذليلة لبورجوازية تريد النضال في نفس الوقت ضد المقاولات الضخمة الجشعة وضد الراسمال الاجنبي

٣ ـ توجد شركة مغربية تصدر الاثواب الى انجلترا، وعدة شركات أخرى تصدر الالبسة الجاهزة (أقمصة ، سراويل ، بذلات ٠٠٠ الخ) ٠

الجدول رقم ١ ـ يبين أهمية البورجوازية الكبرى والمتوسطة في الانتاج :

نوع الانتاج داخل القطاع	مجموع عدد الشركات	درجة التركيز
غزل القطن والخيوط	١٤	٤ شركات تراقب ٥٠٪ من الانتاج
النسيج	٢٢	٥ شركات تراقب ٥٠٪ من الانتاج
الالبسة الجاهزة	٣٠٠	٢٠ شركة تراقب ٣٠٪ من الانتاج
نسج الاثواب الخفيفة	١١	٣ شركات تراقب ٥٠٪ من الانتاج
نسيج الاثواب الثقيلة	٧	٢ شركات تراقب ٧٠٪ من الانتاج
المنسوجات الحريرية	٣٨	٦ شركات تراقب ٥٠٪ من الانتاج
الملابس الخفيفة والداخلية	١١٢	٧ شركات تراقب ٥٠٪ من الانتاج
٥٠٤ شركة ، منها ٤٧ شركة تراقب ما بين ٥٠ و ٧٠من الانتاج		

ان هذا الجدول ، يمكننا من تقييم علاقات القوى بين البورجوازية الكبيرة والمتوسطة ، اذ أن أقل من ١٠٪ من الشركات تتحكم فيما بين ٥٠ ـ ٧٠٪ ، وهذه النسبة من التركيز لتزداد مطورة بذلك التناقض في حظيرة البورجوازية نفسها، وبينها وبين الطبقة العاملة (نتيجة لاغلاق المعامل وازدياد البطالة) ٠

ان حل هذا التناقض بين البورجوازية الكبرى والمتوسطة ، يتم على حساب الطبقة العاملة ، والتي يتجلى تناقضها مع البورجوازية بصفة أوضح من خلال الاضرابات الاخيرة ، وهذا يعجل بدوره توضيح التناقض بين الرأسمال الوطني ، والرأسمال الاجنبي ، والذي سيكون «جولة ثانية» ستخوضها البورجوازية تحت شعار المغربة لمحاولة حل هذا التناقض الثاني وذلك بالتجميع للتغلب عن عجزها في تصريف انتاجها بالاضافة الى ضيق السوق الداخلي ٠

٢ ـ الشكل الثاني للتناقض يتعلق بالعلاقة بين الرأسمال الوطني والرأسمال الاجنبي فيقطاع النسيج، والذي كان صفدي ضحية لـه ٠

ـ ان الاستراتيجية الاصلاحية ، مبنية على الرغبة في تطوير الرأسمالية في المغرب ، هذا التطور تكون قاعدتهالطبقية هيالاقوى وهذا هومايسمى بالبورجوازية الوطنية ٠

ان التحليل التقليدي للاصلاحية يجعل من هـذه البورجوازية الوطنية الوريث المستحق للقيم الدينامية للبورجوازية الاوربية ، ويعطيها فضائل قتالية تجعلها تهاجم الرأسمال الاجنبي . ان نفس هذا التحليل يطبق في القطاعات الاقتصادية الاخرى التي طورت البورجوازية المغربية نشاطها فيها (النسيج ، البلاستيك البناء ، الاشغال العمومية) مثبتا بذلك الطابع الوطني الخالص لهذه القطاعات ، لكي يعطى للمفهوم السياسي للبورجوازية الوطنية - الصحيح سياسيا - بعـدا اقتصاديا لاتملكه هذه الطبقة ، وذلك حتى ينسب لهـا دورا سياسيا يناسب السمة الاصلاحية لمرحلـة الديمقراطية الوطنية ، والذي تقوم فيه نفس هـذه البورجوازية بالوظيفة القيادية .

ما هي في الواقع هذه البورجوازية الوطنية ؟ وما هي أهمية الرأسمال الاجنبي في قطاع النسيج ، القطاع الممثل للمصالح والميول الصناعية لبورجوازيتنا .

لقد أخذنا ٢٨ شركة كعينة مجموع انتاجها السنوي ٣١٠ ٢٨ طن و٤٢٠ ٢٩ Broches وتستخدم ٩١٦٩ عاملا ، وتتوفر على رأسمال اجتماعي Capital Social يعادل ٩١٦٢٥٠٠ درهم (انظر قائمة هذه الشركات الثماني والعشرون ٢٨ مرتبة ترتيبا تنازليا حسب أهمية العدد الذي تشغله من العمال - جدول ٢).

اننا لانعطي للارقام قيمة سحرية ، كما أننا لسنـا بغافلين عن جزئيتها ونسبتها . الراجعة لعدة عوامل ، ولكننا نأخذها كقيمة استدلالية فقط . ان هذه الارقام توضح الخطوط العريضة للعلاقات الطبقية بيـن الرأسمال الوطني والرأسمال الاجنبي ، دون أن تعطي النسبة الصحيحة لكل منهما أو الصورة الحقيقية ، بعد

هذا التوضيح ، واذا انتقلنا الى الجدول الثاني ، يتبين لنا أن ١٠ من ٢٨ شركة ، هي شركات أجنبية ، وتشغل ٤٠٢٩ عامل ، ومجموع رأسمالها الاجتماعي يعـادل ٤٠٢٨٤٥٠٠ درهـم .

والجدول رقم ٣ يبين لنا أن :

- أكثر من ثلث هـذه الشركات مراقب من طـرف الاجانـب .

- أكثر من ٤٠٪ من العمال يشتغلون في هـذه الشركات «الاجنبية» .

- يظهـر أن Broches النسيج تبـدو احتكارا لهذه الشركات .

- حاولي ٤٥٪ من الرأسمال الاجتماعي مستثمرة في هذه الشركات .

- ٣٥٪ من انتاج الغزل من نتاج هذه الشركـات العشـر .

فماذا يحدث أمام هذا التناقض بين البورجوازيـة المغربية والرأسمال الاجنبي ، أو على الاقل ما يسمـح لنا التنبأ به بمراقبة التطور في النشاطات الاخرى ، أي المغربـة .

ان الوفاق الودي على حماية المصالح المتبادلـة ، بواسطة سلسلة من الاجراءات التقنية الماليـة لايؤدي الا الى تأخير انهيار البورجوازية المغربـية ، وذلـك بارتباطها الوثيق والمتصاعد بالرأسمال الاجنبي .

فهـل هـذا الاشتراك والاتحاد مخالـف لطبيعـة البورجوازية المغربيـة ؟

لا ! انـه هـو ما يؤدي اليـه الضعف السياسـي والاقتصادي للبورجوازية ، وفي نفس الـوقت التطور الضروري للحكم ، وللاستعمار الجديد .

وهكذا ، فان التناقض المزدوج (بين البورجوازية الكبرى والمتوسطة ، وبين البورجوازية الوطنية والرأسمال الاجنبي) يؤدي الى حل لهذه التناقضات على حساب الطبقة العاملة ، وذلك بتجميع الشركات الصناعية الكبرى (مما يؤدي حتميا الى تصفية المزيد من الشركات الصغرى وبالتالي الى المزيد من تسريح العمال لفائدة البورجوازية الكبرى ٠

ـ نستطيع اذا أن نتاكد من أن البورجوازية المغربية لم تستطع فرض نفسها والقضاء على الرأسمال الاجنبي ، في قطاع تتمتع فيه بمساندة الدولة وبالظروف الملائمة ، اذ ليست لها قاعدة اقتصادية خاصة ، وسلطة سياسية تسمح لها بالقيام بعمل من هذا النوع ٠ وهكذا ، وحتى في قطاع تعتبر فيه هي الاقوى نسبيا ، لم تقم بشن معركة الاسترجاع الرأسمالي الاجنبي ، لقد كان موقفها دائما هو الاستجداء لحماية الدولة للتخلص من المضايقين ، ان معاركها هي الدسائس التي تحاك في دهاليز الوزارات، فمتى تصل هذه البورجوازية الى سن الرشد ؟ هل يجب الانتظار بصبر ، حتى تصل الى سن الرشد ، بقواها الخاصة الوطنية الاصيلة ، في نفس الوقت الذي بدأت التناقضات تظهر بصورة أوضح بين البورجوازية والطبقة العاملة ؟

لقد برز هذا التناقض للوجود ، وأصبح ممكنا ، بانفجار التناقضات الداخلية للرأسمال في هذا القطاع، وهي تناقضات لايمكن تجنبها في اقتصاد وشركات كاقتصادنا وشركاتنا ، وهذا التعارض يتطور لان الطبقة العاملة ـ وكنتيجة لذلك ـ تشن المعركة ضد الاستغلال ٠

البورجوازية الوطنية والطبقة العاملة : التطور الحالي للاضرابات ودلالته :

بدأت الاضرابات في هذا القطاع ، مع بداية المصاعب التي واجهها أرباب العمل في تأمين أرباح معادلة للارباح المعتاد تحقيقها ٠

ـ في سنوات ٦٧ ـ ٦٨ و ٧٠ و ١٩٧١ ، طالبت الطبقة العاملة بحقها في العدالة والانصاف ، وبظروف عمل لائقة ، ففي الدار البيضاء والرباط ، استطاع العمال على مر السنوات ، احباط مناورات الابوية والارهاب (ايطكس ، غيلروك) ٠ واليوم ، فان هذه السلسلة الفريدة من نوعها من الاضرابات في تاريخ بلادنا ـ والتي لانجد مثيلا لها الا أيام النضالات الكبرى للطبقة العاملة المغربية ضد المستعمر الفرنسي سنوات ٤٨ و ٥١ ـ ١٩٥٢ ـ اذا كان لها طابع اقتصادي واضح ، فانها تبرهن كذلك عن نضالية الطبقة العاملة ، وتبين ما يمكن أن تصل اليه هذه القوة الطبقية ، في خدمة مصالحها الخاصة ٠

ان أي قطاع اقتصادي لايعتبر معفى من هذا النضال، ان الطبقة العاملة برفضها وعدم رضاها عن ظروفها المعاشية ، ترفض هذه السنوات العشر الماضية ٠

وهكذا ، ومنذ ١٥ اكتوبر ١٩٧١ ، نجد أن ١١معمل في حالة اضراب ، أي ٥١٥٠ عامل متوقفون عن العمل، وأن مجموع أيام الاضراب في قطاع النسيج يصل الى ٥٥ يوما ، كما أن عدد أيام العمل بدون أجرة للعمال (ليس دائما) وبدون انتاج بالنسبة لارباب العمل يساوي ٠٠٠ ٢٥٧ يوم ٠

ان هذه الضراوة لنضال العمال لاتبرهن فقط على الوعي الطبقي ، ولكن كذلك على اكتساب الحس

التنظيمي النقابي ، وضرورته ، وجدواه · وهكذا ، ففي ثلاثة معامل شنت الاضرابات ، اما لان رب العمل طرد مندوبي العمال ، أو رفض استقبال المكتب النقابي · ان الدلالة السياسية للاضرابات الحالية واضحة ، وستتضح أكثر في النضالات المقبلة : فالوعي الطبقي والشعور بضرورة التنظيم الطبقي هما السلاح الجماعي الذي تسلح به العمال لرفض الاجور ، ورفض ظروف المعيشة المفروضة عليهم ، وكذلك القدرة على التمييز السياسي لمن هم وراء أرباب العمل (رب المعمل الذي يقع فيه اضراب معين) والمسؤولين عن هذه الوضعية الموروثة من أحد عشر عاما من احتقار الشعب ، وفي نفس الوقت تميز عدوها الطبقي : البورجوازية ، ان البورجوازية بتحالفها مع جهاز الدولة تفصح عن هويتها الحقيقية : عن ضعفها أمام الاوليغارشية وأمام الاجنبي ·

ان النضالات العمالية ، بتطورها الكيفي ، تعمق التناقضات العامة للصراع الطبقي ، داعية بذلك كل واحدة من الطبقات الوطنية الى أن تحدد نفسها تجاه الاستعمار الجديد وتجاه الطبقة العاملة ·

اذ أن الطبقة العاملة ، على رأس الطبقات الكادحة، هي وحدها القادرة على تصفية الوجود الاجنبي لاسترجاع ميراثنا الوطني ، وثرواتنا الوطنية ، وأن تعمل من أجل مغرب عربي ، ومن أجل الثورة العربية ·

جـدول رقــم ٢

جدول ٢٧ من بين أهم الشركات الصناعية في النسيج مرتبة ترتيبا تنازليا حسب عدد العمال الذين تشغلهم :

الشركات	المستخدمون	الانتاج	الرأسمال
ساطفيلاج	١١٠٠	٢٠ ٠٠٠ قضيب Broches ١٣ طن/اليوم ١١٠٠ متر/الشهر	٢٠ ٠٠٠
اكوما	٨٣٠	١٢٠٠ طن/السنة	١٢ ٠٠٠ ٠٠٠
صافط	٨٠٠	٢٢٤٠ قضيب	٦ ٩٧٥ ٠٠٠
داناطكس	٦٢٥	٢٠٠٠ متر/السنة	٩ ٠٠٠ ٠٠٠
كوفطكس	٦٠٠	٥٠٠٠ طن/السنة	٨ ٠٠٠ ٠٠٠
اياطكس	٥٦٠	١٢٠٠ طن/السنة	
انجطيكس	٥٥٠	٤٤٠ طن/السنة	٥ ٠٠٠ ٠٠٠
مافاكو	٤٨٩	١٣٠٠ طن/السنة	٧ ٤٧٧ ٠٠٠
تيسبورد	٤٧٥	١٥٠ ألف متر/الشهر	٦ ٠٠٠ ٠٠٠
صيفيطا	٤٥٠		٤ ٠٠٠ ٠٠٠
نسيج المغر.	٣٥٠	٢٦٠٠ طن/السنة	٩ ٦٠٠ ٠٠٠
ابوما	٣٢٠	٣ طن/اليوم	٢ ٠٠٠ ٠٠٠
فيلاطيس	٣٠٠	١٦٥٠٠ قضيب	
فلروك	٣٠٠		
بايدافيل	٣٠٠	١٦٥٠ طن/السنة	٢ ٤٠٠ ٠٠٠
فلايين	٣٠٠	٣٢٠٠ طن/السنة	٤ ٠٠٠ ٠٠٠
معمل فاس	٢٥٠	١١٠ طن/الشهر	٢ ٠٠٠ ٠٠٠
ماكينا	٢٠٠		٢١٧ ٠٠٠
أوتيكس	١٨٠	٧٠٠٠ قضيب	٥ ٠٠٠ ٠٠٠
فلاسري	١٥٠	١٠٠٠ طن/السنة	٤ ٣٠٠ ٠٠٠
لوكساتيكس	١٠٠	٢١٠٠ طن/السنة	١ ٠٠٠ ٠٠٠
مافتيس	٩٠	٤ أطنان/اليوم	٦٠٠ ٠٠٠
امـاط	٧٠	٢٥٠ ٠٠٠ متر/الشهر	٢ ٠٠٠ ٠٠٠
نسيج الشمال	٥٠		٥٠٠ ٠٠٠
ماطسو	٤٥	٧٠ ٠٠٠ متر/الشهر	١ ٢٥٠ ٠٠٠
نسيج المغرب	٣٥	١٠٠ طن/السنة	
فلارما	٢٥	٥٠٠ طن/السنة	
٢٧ شركة	٩٦١٩ عامل	٢٨ ٣١٠ طن/السنة ٢٩ ٤٢٠ قضيب	٩١ ٦٣٥ ٠٠٠ درهم

الجدول رقم ٣ ـ الشركات الصناعية الاجنبية في قطاع النسيج

الترتيب حسب عدد العمال	الشركات	عدد العمال	الجنسية	الانتاج السنوي	رأس المال
١	ساطفيلاج	١١٠٠	سورية	طن ٤٢٩٠ قضيب ٢٠ر٠٠٠	٢٠ر٠٠٠
٢	ايكوما	٨٣٠	فرنسية	طن ١٢٠٠	مليون ١٢
٣	صافت	٨٠٠	فرنسية	قضيب ٢٢٤٠	٦ر٩٧٥ر٠٠٠
٨	مافاكو	٤٨٩	فرنسية	طن ١٣٠٠	٧ر٤٤٧ر٠٠٠
١٣	فيلروك	٣٠٠	فرنسية	« « «	مليون ٣
١٥	ماكينا	٢٠٠	فرنسية	« « «	٢١٧ر٥٠٠
١٦	ايطكس	١٨٠	فرنسية	قضيب ٧٠٠٠	مليون ٥
١٧	فيلاسري	١٥٠	فرنسية	طن ١٠٠٠	٤ر٣٠٠ر٠٠٠
٢٣	ماتيسوا	٤٥	لبنان	متر ٧٠ر٠٠٠	١ر٢٥٠٠ر٠٠٠
٢٣	نسيج المغرب	٣٥	جزائري	طن ١٠٠	٤٥ر٠٠٠
	١٠ شركات	٤ر٠٢٩	٧ فرنسيون ٣ عرب	متر ٢٥٠٠ طن ١٠ر٤٥٠ قضيب ٢٩ر٢٤٠	٤٠ر٢٨٤ر٥٠٠
	٢٨ شركة	٩ر٦١٩	« « «	طن ٢٨ر٣١٠ قضيب ٢٩ر٢٤٠	٩١ر٦٣٥ر٠٠٠
أكثر من ثلث شركات النسيج مراقبة من طرف الاجانب		أكثر من ٤٠٪ عمال النسيج يعملون في هذه الـ١٠ شركات أجنبية		ان المنسوجات هي احتكار لهذه الشركات الاجنبية العشر أكثر من ٣٥٪ من انتاج الغزل من انتاج هذه الشركات العشر	ما يقرب من ٤٥٪ من رأس المال محتكر من طرف هذه الشركات العشر

ملاحظة : انه من الصعب حساب الانتاج الكلي بالمتر، وذلك نظرا للصعوبات في الحصول على معلومات دقيقة حول هذا النشاط في النسيج .

الجدول رقم ٤ ـ يلخص الاضرابات في قطاع النسيـج منذ ١٥ اكتوبر ١٩٧١

التاريخ	المعمـل	المدينـة	عدد العمال المضربين	طول مدة الاضراب	مطالب العمال
١٥ اكتوبر	فيلروك صافط	الرباط الرباط	١٠٠٠	٧٢ ساعة	
١٥ اكتوبر	بريطكس	بنسليمان	١٧٠	٤ أيـام	ضد طرد ممثلين للعمال
١٧ اكتوبر	نورافريكا	تطوان	١٥٠	٤٨ ساعـة	
٢٥ اكتوبر	كوفيتطكس	فـاس	٦٠٠	٧ أيـام	الزيادة في الاجـور
١ دجنبر	نسيج المغرب	فـاس	٣٠٠	أول يوم للاضراب	
٥ دجنبر	منياطكستيل ساطفيلاج	طنجـة	١٥٠٠ ٣٠٠	أربعة أيام	رفع الاجور ، تحسين ظروف العمل تدخل الشرطة واعتقال ١٩ عاملا
	سيـف		٣٠٠		
	نورطيكس	البيضاء		١٥ أيام	
١٠ دجنبر	ايكومـا	المحمدية	٨٣٠	٢٤ ساعة	مساندة المكتب النقابي الذي رفض المدير استقباله
١٥ دجنبر	منياطكستيل	طنجـة	٣٠٠	٦ أيـام	لازال الاضراب مستمرا ولنفـس المطالـب
١٦ دجنبر	نسيج المغرب	فـاس	٣٠٠	١٦ يوما	لازال الاضراب مستمرا
	١١ معملا	٧ مـدن	٥١٥٠ عامل في حالة اضراب	٥٠ يوما	٥٠٠ ٢٥٧ يومـا من العمل بـدون انتاج في قطاع النسيج وبدون أجرة بالنسبة للعمـال ٠

المصدر : مغرب انفورماسيون من ١٦ ـ ١٠ ـ ٧١ الى ١٦ ـ ١٢ ـ ٧١ ٠

ملاحظة حول مصادر الجداول رقم ١ ، ٢ ، ٣ : أخذت مصادر هذه الجداول حسـب النشرتيـن التـجاريتين الصادرتين في البيضاء كومباس

هــل يجــب تغييــر «صوماكــا»

احمـد طـارق

للسيد أحمد العلوي سمعة ثابتة لانه يحشر أنفه في كـل شـــيء ٠

ففي الوقت الذي يبذل فيه نقابي قديم ، أصبح مؤخرا وزيرا للشغل قصارى جهده لينسي الطبـقة الكادحـة ، واقع أوراق الاداء ، واثمان المنتوجات صارخا علـى رؤوس الاشهاد بأن الزيادة في الحد الادنى للاجـور تشمل الغالبية العظمى لعمال البلاد٠ نجد السيد العلوي يؤكد عكس ذلك ٠ بل أكثر من ذلك فانه يؤكد هذا كمذهب: العمال يربحون أكثر من اللازم ! ٥٠٠ درهم في الشهر ؟ يا لها من فضيحة ! ونفس هؤلاء العمال يجرؤون علـى طلب الزيادة في الاجور ٠ الـى أين نحـن نسيـر ؟ اذا استمر هذا الامر ، اذا امتدت هذه «العدوى» سيكـون كل اقتصاد البلاد معرضا للخطر ، ألا يكون مـ نالافضل اذن اقفال صوماكا (!)

يجب علينا أن نشكر السيد أحمد العلوي لكونه قـال بصوت مرتفع ما يقوله مسيرو هذه البلاد كل يوم فـي هذه السهرات التي يلتقون فيها بأصدقائهم من أربـاب العمل الاجانب ، وفي الاوساط الديبلوماسية ٠ المسيرون الحقيقيون يتفاهمون : البنكيون القدماء أصبحوا وزراء ، والوزراء القدامى أصبحوا رجال أبنـاك ٠

وهكـذا يسمح لنـا السيد أحمد العـلوي بتحديـد المسؤوليات بواسطة هذا المقال

ان تاريخ صوماكا يسجل مرحلتين : مرحلة الاوهام البورجوازية الصغيرة ، والتي أعقبتها مرحلة تواطـؤ البورجوازية الكبيرة والفيودالية الجديدة مع رأس المال الاجنبـــي ٠

مرحلة أوهام البورجوازية الصغيرة :

غـداة الاستقلال ، حصلت الشركة الفرنسية سيمكـا والايطالية فياط بموجب بروتوكل على الاذن بتركيـب سياراتهم بالمغرب في الاطار الاتـي :

تكوين شركة تحت اسم صوماكا تضم كرأسمال ٤٠٪ من عند الشركتين المذكورتين و ٤٠٪ من رأسمال الدولة المغربية ، و ٢٠٪ من الرأسمال المغربي الخاص ، وتركب هذه الشركة بصفة خاصة ووحيدة نمـاذج سياراتها ، وتتمتع بامتياز تخفيض الضرائـب الجـمركية علـى العناصر المستوردة الضرورية للتركيب وحماية السوق المغربي من استراد السيارات المـنافسة من الانـواع الاخـــرى ٠

ان الاطروحـة الاساسية للبورجـوازيين الصغـار المسؤولين عن اقتصادنا في ذلك الوقت كانت هي : انـه انطلاقا من تركيب السيارات ، سيكون من الممكن حدوث تطـور تدريجـي فـي الصناعة الميكانيكيـة المغربيـة ، وبالاضافة الى هذا ، فان تركيب الرأسمال الاجتماعـي لصوماكا (٦٠٪ من الرأسمال الوطني) يؤمن نظريـا الاغلبية للمصالح الوطنيـة ٠

---

١ ـ انظر افتتاحية جريدة Le Matin **بتاريخ ٣ ـ ١٢ ـ ٧١ المعنونة : هل ينبغي اقفـال صوماكـا ، والمضاة باسم احمد العلوي**

لكن سرعان مازال هذان الوهمان ٠

أولا ٠ لان السادة الحقيقيين ليسوا شركة صوماكا ولكن الشركتين الاجنبيتين اللتين تخضع لهما ، بيد أن البورجوازيين الكبار المغاربة ، سرعان ما فهموا هذه الحقيقة ووجب عليهم أن يسايروا الرأسمال الاجنبي ٠

لم تكن لهاتين الشركتين أية مصلحة في تجزيء الانتاج بالمغرب ، بل على العكس ، عناصر السيارات كلها مستوردة ، وقد انجزت كليا ولا يبقى عمليا الا جمع القطع وتركيب العجلات والبطاريات ، وهذا هو ما يفسر كيف أن صوماكا لاتشغل الا ١٠٠٠ عامل لتغطية انتاج يبلغ ٢٠ ٠٠٠ سيارة في السنة ! بينما عملية الصنع الحقيقية لنفس هذا العدد من السيارات تتطلب عددا من العمال يفوق العدد الحالي بـ ٢٠ الى ٣٠ مرة ٠

وبهذا فاننا نقدم هدية ضخمة لهذه الشركات الاجنبية فهي تتوفر على سوق محمي ومضمون بتسليمها للعناصر المركبة بالسعر الرسمي ، في حين أن هذه الفائدة يجلبها سوق مماثل يعوض عادة بتخفيض جوهري يمكن أن يبلغ ٢٥٪ من سعر هذه العناصر ، هذه الهدية تمثل حاليا قيمة تعادل ٥٠ مليون درهم سنويا أي خمس مرات (٥) أكثر من كل قاعدة أجور صوماكا ٠

وعندما أخذ المسؤولون البورجوازيون الصغار عن اقتصادنا سنوات ٥٧ ـ ١٩٦٠ يكتشفون فداحة سوق المغفلين هذا حاولوا أن يتداركوا ولو جزءا من فداحة هذه الخسارة بواسط مفاوضات مع مسيري سيمكا وفياط ٠

وقد عرف الرأسمال الاجنبي من جهته أن البورجوازيين ـ الصغار المسؤولين ، قد أخذوا الوقت الضروري لتحريك الجماهير بعد الاستقلال وقد أخذ هذا الوقت في الانتهاء ، لهذا يجب أن يبحث وينتقل الى فرق أكثر مهادنة ، وهكذا استمرت المفاوضات متعثرة ، آخذة بذلك الوقت الضروري للتهيىء لتغيير سياسي من هذا النوع ٠

لقد كان المسؤولون عن اقتصادنا في ذلك الوقت ضحايا أوهام المثقفين البورجوازيين الصغار في مناقشتهم للتقنية والاقتصاد مع الرأسمال الاجنبي عوض تحريك الجماهير ٠

مرحلة التواطؤات :

تبتديء هذه المرحلة في ماي ١٩٦٠ ،تحت رعاية وزير الاقتصاد الوطني لسنوات ٦٠ ـ ٦٢ ، وعضو المجلس الاداري للكتلة الوطنية اليوم ، فانفتح الباب على مصراعيه أمام مطالب الرأسمال الاجنبي ، وهكذا اقتصرت صوماكا على التركيب ٠

لكن هذه التقوية لمصالح الرأسمال الاجنبي لم تكن الا البداية ٠

والسيد احمد العلوي نفسه يعرف «شيئا» عن هذا الموضوع ففي الوقت الذي كان فيه وزيرا للصناعة امتد نظام التركيب ليشمل رونو بالنسبة للسيارات ، وفورد بالنسبة للشاحنات ، ولاندروفر بالنسبة لسيارات الاراضي الوعرة ، وعدة أنواع من الدراجات النارية !

واليوم يدعي أحمد العلوي التكلم عن مصالح الاقتصاد الوطني !

اننا نعلم أنه من غير المجدي أن نطلب من السيد العلوي ان يتحلى «بقليل من المرزانة في نفس الوقت الذي يشغل فيه منصب المدير العام لجريدة الصباح Le Matin الخلف الجديد لبوتي ماروكان Le Petit Marocain

لكن الطبقة العاملة ، والجماهير الشعبية يجب أن تعرف وهي متسلحة بالارقام أين هي مصالح الاقتصاد الوطني :

ـ فمن جهة ، تقدر زيادة ٣٠٪ في الاجور ، التي يطالب بها العمال على أساس معدل للاجور يبلغ ٥٠٠ درهم شهريا أي مجموع سنوي يقدر بـ ١ ٨٠٠ ٠٠٠ درهم (عدد العمال : ١٠٠٠ عامل !)

ـ ومن جهة أخرى ، فان الهدايا الممنوحة للشركات الاجنبية : سيمكا (والتي أصبحت شركة امريكية تحت اسم كريزلر) وفياط الايطالية وروبو الفرنسية تمثل ٥٠ مليون درهم في السنة والمؤداة بالعملات الاجنبية ٠

فالسؤال الذي يجب طرحه اذن ، والذي لايستطيع السيد أحمد العلوي طرحه طبعا ، يجب ألايكون «هل يجب اغلاق صوماكا ؟» ولكن «هل يجب تغيير صوماكا ؟» ٠ ولتغيرها ، يجب تغيير الثقل الكبير للمصالح والتواطؤات التي تجثم على كاهل صوماكا كما تجثم على كل اقتصادنا وبصفة نهائية ألا يجب في الاخير طرح هذا السؤال : «هل يجب تغيير البلاد ؟» ٠

حول اضراب عمال السكر ببني ملال والنضالات العمالية في الاقليم

محمد د .

شن عمال معمل السكر ببني ملال اضرابا عاما غير محدود ابتداء من يوم الخميس ٢٦ـ١١ـ٧١ . وقد أصدر العمال في اليوم المذكور بلاغا يتضمن مطالبهم النقابية التي تتلخص في الزيادة في الاجور بنسبة ٣٠٪ وفي التعويض عن السكنى والترسيم . وقد شن العمال البالغ عددهم ٤٠٠ عامل اضرابا يوم الخميس لمدة ٢٤ ساعة ، ولما التزمت الادارة الصمت جددوه بـ ٧٢ ساعة ثم أعلنوا بعد ذلك اضرابا غير محدود . وقد حاولت السلطات كما حاول مدير المعمل أن يفتوا من عزيمة العمال بتحقيق بعض المطالب الثانوية بينما أصروا على أن المطالب الاساسية الاخرى لايمكن حلها الا على الصعيد الوطني . ولكن وحدة العمال الخارقة جعلتهم يرفضون كل حوار لايلبي مطالبهم الاساسية .

نضالات اقليم بني ملال :

في الايام الاخيرة (أواخر نوفمبر ـ أوائل ديسمبر) اجتاحت موجة الاضرابات اقليم بني ملال ، فقد تحولت بورصة الشغل الى خلية حية . وقد اعلنت معامل الاقليم (معمل السكر ببني ملال ، معمل السكر بتادلة ، معمل القطن ببني ملال ، العمال الزراعيون في الاراضي المسترجعة بتادلة ، العمال الزراعيون بمزارع بني ملال) أنها ستخوض نضالا مشتركا اذا لم تلب المصالح المسؤولة مطالبها . واصدر المكتب المحلي للاتحاد المغربي للشغل بلاغا يتضمن مطالب العمال ، كما أعلن البلاغ شن اضراب انذاري ابتداء من يوم ٢٥ـ١١ـ٧١ . ولكن حدث أن استدعت السلطات المحلية جميع ممثلي العمال وناقشت معهم الوضعية . وخلال هذا الاجتماع ظهر تراجع الكاتب العام الجهوي للاتحاد المغربي للشغل ببني ملال ، ولم يقتصر الامر على ذلك بل تراجعت أغلب المؤسسات في انتظار ما سيسفر عنه الحوار . الا أن معمل السكر ببني ملال أصر على موقفه وشن الاضراب ، وفي نفس الوقت ، شن العمال الزراعيون الاضراب .

ان مايميز وضعية اقليم بني ملال هو :

١) وحدة العمال الصناعيين والعمال الزراعيين (الفلاحين الفقراء)

٢) القيادة الطليعية لنضالات العمال .

٣) الوعي السياسي للطبقة العاملة

ان للمنطقة ماض في النضالات التحررية ضد الاستعمار . كما أن الصناعة هنا حديثة العهد والعمال جلهم من الشباب (أكثر من ٩٠٪) وجلهم يتمتعون بمستوى دراسي متوسط الى جانب فقرهم .

موقف البيروقراطية النقابية :

فور علم القيادة المركزية للاتحاد المغربي للشغل بالاضراب اللامحدود الذي تم دون موافقتها (موقف المسؤول الجهوي التراجعي) ، أرسلت لجنة تتكون من

اربعـة أفراد الى بني ملال · وقد حاولوا خلال هـذه الفترة أن يقنعوا العمال عن طريق الحوار مع الادارة بالتراجع ، وكانت جل تدخلاتهم ترتكز على نقطتيـن :

١) الامتثال داخل المنظمـة

٢) مهاجمة «الفوضوية»

ولقد أدهشتهم بالفعل عزيمة العمال ووحدتهم ثـم تضامن العمال الفلاحيين وأخيرا وعي العمال السياسي المرتفع · وكانت تدخلات العمال تدخلات ثورية ، فقـد حاول أحد أعضاء اللجنة الحديث عن ماركس ولينيـن وستالين الا أنهم أوقفوه بقولهم : أمامنا مشكل واقعي ، أمامنا واقع · فلنحلله اذن · كما هاجم أحد العمال أحد أعضاء اللجنة الذي ارتكب خطأ فادحا حين قـال : ان الفلاح حين يعود الى منزله ويشاهد التلفزيون ··· ولم يتركوه يكمل حديثه فقد قهقه الجمـيع وكانت قهقهـة الفلاحين مؤثرة جدا · واثر تهجم هذه اللجنة بطريقـة غير مباشرة على ممثل العمال الحقيقي قاطعوه : ان ما يصيب ممثلنا يصيبنا جميعا ، اننـا مستعدون لبيـع كل ما نملك من أجلـه ·

خـلاصـة :

ان عمـال معمل السكـر ببنـي مـلال خاضـوا نضالا طليعيا · وان صمودهم أمام مناورات المسؤولين وتخادل البيروقراطيين لاكبر دليل على أن الطبقة العاملة هنا وكما هو الشأن بالنسبة للقطاعات العمالية الطليعية في المناطق الاخرى قد وعت وعيا هاما بقوتها وبجميـع أنواع الاستغلال التي تعاني منها وبضـرورة النضال من أجل ازالة هذا الاستغلال ومواجهة البيروقراطية التي استولت على قيادة منظمة الـطبقة العاملة الوحيـدة والعتيدة : الاتحاد المغربي للشغل ·





موضوعات في الخط العـام لنضال الطبقة العاملـة

نـاوري حسـن

في هذا العرض الذي حاولنا فيه اعطاء وجهة نظر في القضايا التي تهم الخط العام لنضال البروليتاريا ، والتي يدور حولها نقاش عريض وسط كل المثقفين الطليعيين ، وهم يواجهون مهام المستقبل ، بعدما اتضح لهم هزيمة التجربة الماضية الاصلاحية · قسمنا هذا العرض الـى المواضيع التالية ، على أمل أن نستكمل النقاش فيهـا بتفصيل أوسع :

أ) النضال التحرري والديمقراطي
ب) النضال القومي الوحدوي ·
ج) الطبقة العاملة هي الطليعة
د) الجبهة الثورية ·
هـ) النضال الاصلاحي والنضال الثوري ·
و) النضال النقابي والسياسي

ولقـد قسمنا هـذه المواضيـع الى عـدة موضوعات مـرتبة ومسلسلة ، تاخـد كـل مـنها أهميتها الخاصة والمستلقة ضمن المفهوم العـام ·

أ ـ النضال التحرري والديمقراطي

1

كـل العمـال يدركـون بالملمـوس فشل الاستقـلال الشكلي الذي أحرز عليه المغرب في سنة ١٩٥٦ ·

لان الثـورة التي أطلقت شرارتها المقـاومة وجيش التحرير ، لم تستمر حتى الاطاحة بكل مقومات السيطرة الامبريالية والاقطاعية أو بعبارة أخـرى ، لـم تندمـج الـثورة التحريرية السياسيـة بالثورة الاجتماعية فـي استراتيجية واحدة ، كما هو الشأن في الثورة الصينية أو الفيتنامية أو الكوريـة ·

لقـد اجهضت الثورة اذن ، وهي لازالت فـي المهد ، بمساومات ايكس ـ ليبان السيئة الذكر ، في وقت بدأت فيه الحركة الوطنية التحررية تطل على هـذه الافـاق الجذرية ، بعد النهوض القوي للطبقة العاملة والفلاحين الفقراء والمعدمين وجماهير البورجوازية الـصغرى ، والتي انتظمت جميعها فـي القوى الجـذرية المتمثلـة

في المقاومة وجيش التحرير ، أو في المنظمات الجماهيرية كالاتحاد المغربي للشغل وجمعية طلبة شمال افريقيا ٠ وفي الوقت الذي انتقلت فيه الثورة من الاسلوب السياسي البورجوازي السلمي الى أسلوب الكفاح المسلح ضد الاستعمار الدخيل ، وهي تعانق آنئذ ، امتداد الثورة في جميع بلدان المغرب العربي ، وفي الوقت بالذات ، الذي بدأت فيه البورجوازية المتوسطة والعليا والجزء الوطني من الاقطاع ، يفقدون سيطرتهم على الوضع بسبب هذه التحولات الطبقية والسياسية التي سبق ذكرها ٠

بيد أن الاستعمار أدرك بعمق عاقبة هذه التحولات ونتائجها المحتملة على سيطرة الامبريالية ، فعجل بالاستقلال الشكلي قبل أن ينضج التيار المقاوم الوليد ، وقبل أن تفقد الطبقات التقليدية والمستعدة للتعاون مع الاستعمار الجديد كل تمثيليتها الوطنية وزعامتها على الحركة التحريرية ٠

- 2 -

لقد كان من المفروض أن يأخذ الحزب الشيوعي المغربي دوره الطليعي في الحركة الوطنية الثورية ، بحكم أنه الممثل النظري ، على الاقل ، للطبقة العاملة ، الاكثر جذرية وطموحا في الثورة الى النهاية ، الا أن تخلف الحزب الشيوعي عن ادراك القيمة الثورية للمسألة الوطنية ، واهتمامه أساسا بتراكم الاصلاحات في ظل الاستعمار ، تعلقا بآمال يعقدها على نهوض البروليتاريا الاوروبية ، واهماله الكامل لدور الفلاحين المغاربة كقاعدة واسعة للثورة ٠ كل هذه العوامل ، وغيرها ، فسحت المجال واسعا لانفراد البورجوازية الوطنية بقيادة الحركة التحررية ، وبالتالي لمساومتها على ظهر هذه الحركة ، حفاظا على مصالحها للانانية الضيقة ٠ فأمسى الحزب الشيوعي غير قادر على تجاوز معضلة تركيبه البورجوازي الصغير القليل الاهمية والمعزول بصفة واضحة عن الحركة الجماهيرية الواسعة ، والذيلي سياسيا وايديولوجيا للحركة الوطنية البورجوازية ٠

ليس من الصحيح أن نقوم بمفاضلة مصطنعة وخارجة عن الاطار التاريخي نفسه ، بين العوامل الموضوعية لتخلف الحزب الشيوعي المغربي والعامل الذاتي الناتج عن خطه وممارسته ٠ ليس من الصحيح أن نبرر عجزه عن قيادة الحركة الوطنية في وقتها بل وفيما بعد ، وانعزاله عنها بحداثة الطبقة العاملة ، وضعفها الكمي والكيفي ، أو بسيطرة أساليب انتاج ما قبل الرأسمالية ، بكل ما تحمله هذه الاساليب من مخلفات ايديولوجية وسياسية ترشح قيادة الاقطاع في هذين المجالين ، لان مثل هذا التبرير يسقط من حسابه الدور الذاتي للحزب الشيوعي، ويغفل عن اخطاءه السياسية والكفاحية ٠ وانما النقد الصحيح والواقعي هو بالتحديد ، كون الحزب الشيوعي لم يستعمل الماركسية ـ اللينينية كمرشد للعمل حتى يتسنى له فهم وهضم كل الابعاد الثورية للمسألة الوطنية ، وخصائصها الفريدة التي تميزها عن التجارب الاخرى ، ومن ثم المشاركة ، ان لم تكن القيادة ، كما فعلت الاحزاب الشيوعية الاخرى ، وفي أوضاع شبيهة الى حد كبير بأوضاعنا الوطنية ٠

– 3 –

من استفاد من الاستقلال الشكلي ؟ وهل تغيرت الوضعية جوهريا عما كانت عليه في عهد الاستعمار التقليدي المباشر ؟ قد نكون بغير حاجة الى القول بأن الامبريالية هي التي لازالت مسيطرة بشكل مباشر أو غير مباشر على كل مقدراتنا الاقتصادية الوطنية ، فمن الابناك الى المناجم والتجارة الخارجية وجزء من التجارة الداخلية ، الى المساعدات التقنية الباهضة التكاليف والقروض المشروطة والمثقلة ٠٠٠ الخ ٠ أما

الوجه الغير مباشر لهذه السيطرة ، فهو الحفاظ على المغرب في دائرة منطقة التخلف ، أي بالذات في ظل علاقات الانتاج الامبريالية الدولية ، التي تبقى على البلد التابع كمنتج للمواد الخام وبعض المواد الاستهلاكية ، ومستورد كبير للمواد المصنوعة من الدول الامبريالية ، حيث تنخفض أثمان المواد الاساسية الخام والمواد الزراعية ، وترتفع باستمرار أثمان المواد المصنعة وآلات التجهيز الامبريالية ·

والتغيير الوحيد الذي له قيمته السياسية هو أن الوجود الاستعماري أصبح يعتمد أساسا على طبقات محلية وجهاز دولة «وطني» بدل ما كان يعتمد عليه في الماضي من وجود عسكري مباشر واحتكار شبه تام لخيرات الوطن · ولهذا التغيير أهمية سياسية كبرى ، هي أن الصراع ضد الامبريالية ، أمسى صراعا طبقيا بين الجماهير الكادحة من جهة ، والطبقات العميلة من جهة أخرى ، وبهذا القدر تأخر النضال الوطني بالمعنى السافر للكلمة ، خلف النضال الطبقي ، بمعناه المطلق ·

ان هذا الوضع الجديد غير من أدوار كل الطبقات ، ونسبة العلاقة فيما بينها ، عما كانت عليه قبل الاستقلال الشكلي ، فلقد كسبت الامبريالية بجانبها فئات وطبقات كانت الى عشية الاستقلال تواجه الاستعمار المباشر · كما أن الامبريالية ضمنت حياد فئا توطبقات أخرى ، استفادت أو تستفيد جزئيا من النظام القائم ومن ثمرات الاستقلال السياسي الشكلي

أما الطبقات التي هي بجانب الاستعمار الجديد ، والحليف الدائم له ، فهي طبقة الملاكين الكبار ، الرأسماليون الجدد أو الاقطاعيون القدامى ، والبورجوازية العليا الكمبرادورية والبيروقراطية الادارية والعسكرية ، والوسطاء المحليون للرأسمال الاجنبي ·

اذا كان هذا هو العدو الرئيسي الذي يواجه الطبقة العاملة ومجموع الشعب ، فمعناه أن القضايا التي كانت تناضل من أجلها الطبقة العاملة لم تتغير في الجوهر ، بل ان استمرار السيطرة الامبريالية لم يزدها الا تعقدا وتأزما مع تقدم الزمن ·

أما الطبقات التي استفادت جزئيا من الاستقلال السياسي الشكلي ، فهي بالدرجة الاولى البورجوازية الوسطى التي وسعت نفوذها الاقتصادي بما يسمح لها به النظام والامبريالية ، وخاصة في المرحلة الاولى من الاستقلال ، وذلك في قطاع الخدمات وبعض الصناعات التحويلية والفلاحة ، بينما استفادت البورجوازية الصغرى ، هي الاخرى ، من الاستقلال السياسي الشكلي، بتوسيع قاعدتها الاجتماعية على اثر مغربة الادارة والدولة خاصة ، الا أن فئاتها المنتجة تضررت «الصناع التقليديون ، والتجار الصغار ، والفلاحون المتوسطون»· تلك هي الطبقات المستفيدة الى حد ما من النظام في مراحل سابقة والتي قادت حركة المعارضة ، ولعبت دورا اصلاحيا معرقلا لنمو الصراع الطبقي في اتجاه ثوري ·

البعض يبتهج للدور الذي سلكته الدولة فيما بعد ١٩٦٤ ، وهذا الابتهاج الموضوع تحت تاثيرات مفاهيم ايديولوجية تحريفية ، يقوم على أن توسيع العلاقات الرأسمالية في البادية خاصة والاتجاه في حسن الاحوال نحو احداث صناعات «وطنية» خفيفة ، أما في ميدان الصناعة التحويلية الزراعية أو في ميدان بعض الصناعات التركيبية ·· أو باختصار توسيع العلاقات الرأسمالية على حساب الاقطاعية القديمة التقليدية والفروع المرتبطة بها تجاريا وصناعيا ، هو تقدم ايجابي، يجب الدفع به الى الامام ، لانه يعطي أساسا موضوعيا لنمو راسمالية وطنية مغربية ، وطبقة عاملة موسعة ،

حالما تجد هذه الرأسمالية المغربية نفسها في تناقض مع المصالح الامبريالية بعد أن تنمو وتتوسع الى الحد الكافي . ويستخلص هذا الاتجاه الاهمية القصوى لغلبة النضال السياسي الاصلاحي في هذه المرحلة على النضال الثوري الجذري مادامت المرحلة لم تستكمل أو تستنفذ كل طاقاتها التقدمية الايجابية . ان هذا الاتجاه التنظيري ـ السياسي ، لايضع في منطلقاته «الرأسمالية» مادامت فيغير مصلحةالشعب، حتى ندفع للامبريالية ، وأشكالها الجديدة ، ولا المميزات الخاصة بالنظام التبعي الرأسمالي التي لاتشبه مطلقاً النظام الرأسمالي البورجوازي الاوروبي ، وبالتالي لايدرك حدود هذه الاصلاحات ، ولا يجهد نفسه في الجواب عن الاسئلة التالية :

لمصلحة من تقع او ستقع هذه التحولات الرأسمالية ، وعلى حساب من ستتطور ؟

وهل من الضروري تاريخيا اجتياز هذه المرحلة «الرأسمالية» مادامت في غير مصلحة الشعب، حتى ندفع بها الى الامام ، أو نغلب النضال الاصلاحي على النضال الثوري بسببها ؟ أليس بمقدور البروليتاريا ومجموع الشعب الكادح ، أن يقطع الطريق على هذا التحول الذي سيرسخ التبعية للامبريالية ، ويعطي بدله نموذجا ثوريا متقدما وضروري تاريخيا ؟

لايعني ذلك أن علينا اغفال هذه التحولات والتدقيق في العلاقات الطبقية الجديدة التي تخلقها ، والظروف السياسية الناشئة عنها ، ولكن ما نحن ضده هو تبرير هذه المرحلة كضرورة تاريخية ، واستخلاص خط سياسي يميني ، يخدم موضوعيا المصالح الامبريالية والبورجوازية الحاكمة ، بدل أن يعتمد وينطلق من الاسس الموضوعية التي سيفجرها لاستنهاض الطبقة العاملة وحلفائها نحو التغيير الجذري الديمقراطي ـ الوطني ، الذي من شأنه قطع كل الصلات مع الامبريالية، وينهي كل ألوان التبعية لها سواء المباشرة أو غير المباشرة .

- 4 -

فما هو الحظ العام الذي تناضل من أجله البروليتاريا؟

أ ـ ان كل المجهود النضالي للطبقة العاملة ينصب في مجرى هدفها التاريخي الاقصى الذي هو بناء الاشتراكية بكأمل خصائصها ونوعيتها ، حيث ينعدم استغلال الانسان لاخيه الانسان ، بانعدام الطبقات وزوال أساسها الموضوعي في امتلاك وسائل الانتاج التي ستعود في ملكية المجتمع بأسره .

نظام تنمحي فيه الفروقات بين المدينة والبادية ، وبين العمل الفكري والعمل اليدوي ، وتزول فيه الحاجة الى الدولة كضابط طبقي لفرض نظام الطبقة الحاكمة ، ويستعاض عنها بالتسيير المباشر والذاتي للكومونات الانتاجية الشعبية .

وفي النهاية يتحرر الانسان من العبودية الاقتصادية وضغوطها ، بتحقيق وفرة الانتاج واستخدام منجزات العلم على أوسع نطاق ، كما يتحرر فيه الانسان من كل أنواع الاستيلابات الفكرية التي تبتز حريته وشخصيته الانسانية .. وبكلمة ، نظام يكف فيه الصراع الطبقي بكل أنواع اضطهاداته واستيلاباته ، أن يكون هو المحرك للتاريخ الانساني .

وهذا المشروع التاريخي العظيم يخرج عن اختصاصات البروليتاريا المغربية وحدها ، لان امكانياته الموضوعية والذاتية لن تتحقق الا بنضال البروليتاريا العالمية ، وبنفس النطاق العالمي ، عبر تحالفها المتين في جبهة ثورية ضد الامبريالية والاشتراكيات المزيفة والانظمة الوسطية أو التبعية المتخلفة .

هــذا المشروع التاريخــي العظيم اذن ، يدخل ضمن التناقض العالمي بين الرأسمال والعمل ، وضمن جدلية التضامن الاممي البروليتاري بين كل أنــواع نضــالات البروليتاريا ، وبمختلف أوطانها المحــدودة ، ومراحلها التاريخية المعينــة ٠

ب ـ ان البروليتاريا تضـع أمامها هدفا استراتيجيا واحــدا وهـو تحقيـق الاشتراكيـة فـــي مرحلتهـــا الدنيا ، أي كمرحلــة انتقالية نحو هدفهــا التاريخـــي العظيم لتثبيت النظام الاشتراكي الكامل مـع مجمــوع البروليتاريا العالميــة ٠

وحتى تصل البروليتاريا الى هذا الهدف الاستراتيجي، لابد لها أن تحقق بضربات جذرية ، جملة خطوات حاسمة ذات مضمون ديمقراطي وطني ، تنطلق منها البروليتاريا نحو تحقيق الاشتراكية الدنيا ٠٠٠

ولابد للبروليتاريا المغربية ، حتى تضمن النجاح في نظامها الاشتراكي المقبل ، أن تضعه ضمن الافاق الرحبة والثورية للوحدة العربية ، التي تعطيها الامكانيـــات الاقتصادية والسياسية ، كأساس متين للافلات مـــن الحصار الامبريالي الاقتصادي والسياسي ، والاعتماد على النفس ، أي على طاقة الامــة العربيــة ، لبنـــاء المجتمع الاشتراكي ٠

مــن خصائص هذا النضال الديمقراطي الــوطني ذي الآفاق الاشتراكية ، أنه يتضمن ما يلــي :

ـ جهاز دولة جديد ، مبني عــلى أنقاض الجهـــاز الاستعماري الاقطاعي البيروقراطي القديم ، وعلـــى أساس تحالف الطبقات الوطنية تحت قيادة البروليتاريا ٠

ـ قطاع عام قوي يشمل كل القطاعات التي كانــت تحتكرها الامبريالية وحلفاؤها المحليون ، ومتجه نحــو التصنيع الثقيل والخروج من حلبة التخلف ٠

ـ اصلاح زراعي جذري متفتح على اقامة نظام تعاوني في جميع القطاعات المتصلة بالانتاج الفلاحي ٠

ـ تعميم القطاع التعاوني في التجارة والاستهلاك ٠

ـ ثــورة ثقافية ، تهـدم كـل الكيان الايديولوجــي والثقافي للفكر الاقطاعي والبورجوازي والاستعماري ، ومحورها تعليم علمي وعلماني ، مرتبط بالانتاج والتطور الاشتراكي ، مع تثقيف مجموع الجماهير الشعبية بهذا المضمون التحرري ـ الاشتراكي ٠

ـ طبقة عاملة منظمة وطليعية وبتحالف قــوي مــع الفــلاحين الفــقراء لضمــان الاستمرار نحــو الثــورة الاشتراكيـــة ٠

حـ ـ من هنا يجب فضح الزيف الاشتراكي في برامج الحركات الاصلاحية والتي تدعي أن برامجها ، أما أنها **الاشتراكية الحــقة التي تنسـجم والواقع الوطنــي ،** أو أنها **التعادلية التي** قال عنها أصحابها «انها فــوق الاشتراكية»، وتستمد أصالتها من التراث الاسلامي ٠

وبغض النظر عن المنطلقات الايديولوجية ، التي هي في البرنامج «التقدمي» تنبع من تجريبية ذات أســاس اقتصادي اصلاحي بورجوازي ؛ أو كما هي في البرنامج «التعادلي» تنطلق من الاخلاق في الاقتصاد والغيبيات في الايديولوجيــة ٠

وبغض النظر عن الخط السياسي الذي يمسك بنـود البرنامج الاقتصادي والذي هــو فــي الحالتين خــط اصلاحي ، يضع كل هذه البرامج على الرف أو في أحسن الاحوال ، يفرض عليها أن تنكمش في الحدود التـــي يسمح بها النظام القائـــم ٠

ـ فبــغض النظر عن هذه أو تلك ، فان البرنامج الذي تقدمه الاصلاحية لايعدو اصلاح النظام الرأسمالي دون أن يهدم أساسه التبعي ٠ أو هو لايرمي الى أكثر مـــن

تحسينه بالقدر الذي يفيد البورجوازية المتوسطة وجـزء من البورجوازية الصغرى ، فعلا ، تلتقي أجزاء مـن البرنامج البروليتاري ، مع أجزاء مقابلة له في البرنامج الاصلاحي ، من الوجهة الاقتصادية ، وبالذات فـي «المطالب» أو الحلول التي يقدمـها الطرفان ، لمحاربـة الاستعمار والاقطاع ، «رغم غموض البرنامج الاصلاحي حتى في هذا المجال» الا أن الخلاف بين البرنامجيين ، خلاف سياسي أساسا · وحتى نوضح علينا أن نحـدد المباديء التي يقوم عليها البرنامج البروليتاري :

- ان المباديء المتفق عليها في البرنامجين (الاصلاح الزراعي + تاميم كل المرافق الاقتصادية للامبريالية··) هي اصلاحات تهم كا الطبقات الوطنية ، وهـي عنـد البروليتاريا خطوة أولى وحسب نحو الانتقال أو تعميق السمة الاشتراكية للنظام الجديد ·

وحتـى يتحقق ذلك لابد أن يتم تحويل جهاز الدولـة لصالح قيادة البروليتاريا · فهو اذن برنامج غير مطلبي، بل برنامج كفاحي مربوط بدرجة نضالية كفاح الجماهير، ويهتم بذكاء كفاحيتها الى نهايته القصوى ·

كما أن البروليتاريا تحرص أن يتم هذا التحول بجذرية كاملة وبدون أدنى تنازل للامبريالية أو الطبقات المرتبطة بهـا ·

- وحالمـا تحقـق البروليتاريا هـذه الخطـوات الديمقراطية ، فانها لن تنفض يدها من الصراع الطبقي، بدعوى أن تلك هي «العدالة الاجتماعية» بـل ستستمـر في حل التناقضات الجديدة عملا بمبدأ الثورة المتصلة ، وبتحالف مع الفلاحين الفقـراء لتحقـيق الاشتراكيـة والقضاء على الرأسماليـة ·

وبعبارة أدق ، وأقرب الى فهـم البورجـوازيين ، أن البروليتاريا بتحالفها مع الفلاحين الفقراء ، ستضع أمام عينيها تكسير الحلقة المفرغة ، التي تبتغي البورجوازية أن تضع فيه الدولة من وراء تصفية الاقطاع والوجـود الاستعماري ، بأن يخدم القطاع العام نمـو الرأسمال الوطني في تناسق وانسجام معه ، كما هو الحال فـي عـدة تجارب عربيـة ·

وعلى هذا الاساس تميز البروليتاريا بين النضـال الديمقراطي الوطني والنضـال الاشتراكي ، وتضـع الاول في المقدمة مادام العـدو الرئيسي هو الامبرياليـة والطبقات الحليفة الحاكمة ، الا أنها لاتضع سورا بينـه وبين هدفها الاستراتيجي ألا وهو تحقيق الاشتراكيـة في جميع مرافق الحياة الاقتصادية والفكرية ·

ب ـ النضال القومي الوحدوي

5

في الماضي كانت الكيانات الاقليمية الثابتة ، حتى في ظل بعض الامبراطوريات التي حكمت البلاد العربيـة أو أجزاء منها ، يندمج أساسها ضمن أسلوب الانتـاج الاقطاعي الشرقي ، حيث ينعدم التفاعل الاقتصادي بين الاطراف العربية ، ويسيطر عليها الاقتصاد المغلق · بينما التجزئة العربية اليوم ، القديمة والمصطنعة مـن طرف الاستعمار تدخل مباشرة في مقومات التبعيـة للامبريالية ، وقاعدتها الاساسية لاستنزاف طاقات الامة العربية ، الاقتصادية والسياسية · ولهذا ، فان الثورة العربيـة القومـية ، هـي ثـورة بكـل معنى الكلمـة العلمي ، موجهة ضد الامبريالية وكل الطبقات الاجتماعية الملتصقة مصالحها بالتجزئة الاقليمية ·

ومن الخطأ أن نقف عند حدود مواقف البورجوازيين الصغار القوميين والمتمركسين ، الذين أكدوا ، بحـق ،

على أن الثورة العربية ، أو معضلة التجزئة هي أساس موضوعي لاقتصاديات التبعية للامبريالية ، وبالتالي فان القومية العربية هي ثورة تحررية ضد الامبريالية ٠ الا أنهم بحكم ايديولوجيتهم السابقة وانتماءاتهم السياسية لم يستطيعوا أن يستوعبوا هذا القانون العام، والصحيح في حد ذاته ، ضمن جدلية الصراع الطبقي الملموس على امتداد الوطن العربي ٠ ولهذا ، عجزوا بعدما استنفدت بورجوازية الدولة طاقتها التقدمية أن يستوعبوا القيادة الجديدة للثورة العربية التي هي قيادة البروليتاريا ٠ وهكذا ، كرروا من جديد كل المفاهيم السابقة المثالية عن القومية المجردة ، ولو بصيغة ماركسية ، لكن بمضامين بورجوازية قديمة ٠ فلئن كان هذا القانون العام صحيحاً ، وهو أن التجزئة أساس موضوعي للتبعية الامبريالية ، فان قيادات طبقية وانظمة عربية مختلفة نمت على نفس أرضية هذا القانون العام ، ولكن سماتها العامة ، أنها كانت عاجزة في الواقع عن تحقيق الوحدة العربية المنشودة ، ويجد هذا العجز انعكاسه الحسابي أو المادي في ضعف المصالح الاقتصادية المتبادلة بين مختلف الانظمة العربية ، وفشل السوق العربية الموحدة ، بل وفشل الهيكل السياسي الوحيد الذي هو الجامعة العربية ٠

وقد كان يبدو أن البورجوازية الصغرى التي حملت الشعار بحماس ، وقامت فئاتها العسكرية بثورات متعددة ، أنها قادرة على تحقيق هذا الحلم العربي ٠ الا أنها عجزت هي الاخرى ، وكسابقاتها ، عن تحقيق هذا المطلب الشعبي الجماهيري ، والذي ركزت على أساسه حكمها ٠ وذلك بسبب تبعية بورجوازية الدولة للسوق الامبريالية ، ونمو مصالح جديدة على ظهر الدولة لفئاتها البيروقراطية ٠ ولهذا لم يعد تاريخيا ، أمام فشل بورجوازية الدولة الا قيادة البروليتاريا ، التي لا مصلحة لها مطلقا في الدولة الاقليمية ، والقادرة فعلا على الانفلات من قبضة الامبريالية ٠٠ ذلك هو المضمون الجديد للثورة العربية والذي زكته خاصة هزيمة ٦٧ ٠

ويمكن أن نستخلص مما سبق ، أن تلازم النضال التقدمي الديمقراطي - الوطني - الاشتراكي بالنضال القومي ، هو الاساس الموضوعي لتقدمية النضال القومي ، وأن انفصالهما ، يسقط النضال القومي لامحالة في مستنقع الرجعية ، بالهاء الجماهير ، وتكبيل طاقتها الثورية ٠٠ هكذا الحال مثلا مع الاتحاد الثلاثي أو الرباعي الجديد ، الذي تحول الى أداة لضرب القوى الثورية وتكريس الهزيمة، وتكبيل نمو الصراع في المنطقة العربية ٠ وفي مثل هذه الحال ، على القوى الثورية أن تشق طريقها الثوري الخاص نحو الوحدة الثورية والثورة الاجتماعية معا ،ذلك وكما أوضحنا ، بأن تلازم النضالين هو المعيار الوحيد والاساسي لتقدمية النضال القومي وثوريته ٠ اذن فالقومية العربية، هي تشكيلة عليا للصراع الطبقي ، وتركيب جدلي أوسع لصراع الانظمة والطبقات ٠ ولئن كانت الثورة القومية ثورة تحررية من الامبريالية ، وأن التجزئة العربية أساسها الموضوعي وقاعدتها المثلى للتبعية الاقتصادية والسياسية ، فان الثورة العربية تأخذ مضمونها الطبقي مع تطور الثورة ، أي أن قيادتها تتجدد باستمرار مع نمو الثورة ، أي مع تلازم النضال الطبقي والنضال القومي ، لان العلاقات الامبريالية أوسع وأشمل من البنيات التقليدية ، بل وفي مقدرتها استيعاب حتى البنيات الجديدة الوسطية التي لها صبغة تقدمية في مرحلة ما من مراحل النضال ضد الامبريالية ٠

6

أما بورجوازيتنا الاصلاحية ، الاقليمية في العمق ، فانها أكدت في آخر مبتكراتها التقدمية على ما يسمى باقتصاد الابعاد الكبرى ، حيث أن حل مشكل التخلف ـ الذي هو في نظرها مشكل حسابي عن الدخل الفردي و .. و .. الخ ـ ، وبناء الاشتراكية «في نظر الجناح المتقدم من الاصلاحية» لايمكن أن يتم بالسرعة المطلوبة الا في اطار الاقتصاد الموسع للامة العربية . وخاصة كما تشهد الاصلاحية نفسها ، بأن اتجاه الدول الاوروبية يسير في طريق التوحيد «الما فوق قومي» .

ولئن كان هذا الجانب من الاقتصاد الابعاد الكبرى صحيحا كل الصحة ، فان عزله عن الاوضاع التاريخية والنمط الاجتماعي لمختلف الانظمة العربية ، يؤدي في الواقع الى سياسة مطلبية محافظة ، تناشد الدول العربية في نهاية الامر بالتنسيق الاقتصادي المتدرج وصولا الى الوحدة السياسية .. هذه المناشدة التي أثبتت فشلها في الواقع العملي بعد عدة تجارب من هذا القبيل ، لتناقض المصالح بين الانظمة العربية وارتباطها جميعا بالسوق الرأسمالية .

أما الموقف السياسي الحقيقي لاحزاب الاصلاح ، فهو اما يعارض القومية العربية باتجاه وحدوي اسلامي أو هو اتجاه براغماتي ضيق ، لاتحكم مواقفه السياسية استراتيجية مبدئية ومتماسكة من الثورة العربية ؛ فهو مثلا يعارض حكم بومدين لمصلحة بنبلة ، لكنه في نفس الوقت يتحالف ولو لفترة قصيرة مع النظام البورقيبي ، ثم يمد يده بعدها الى النظام البعثي السوري اليساري ، لينتقل مرة أخرى الى البعث العراقي اليميني ، وليبيا «الناصرية» ... كل هذه التنقلات العربية لايربطها أي منطق ثوري منسجم الا المصلحة السياسية النفعية المباشرة .

7

في هذه المرحلة يطرح على البروليتاريا العربية قيادة النضال الطبقي والقومي معا . وفي هذا الطريق النضالي ، على البروليتاريا العربية أن تتحالف مع القوى الثورية والوطنية الاخرى ، وفي مقدمتها الفلاحون الفقراء ، وكل القوى التي لم تمتصها اصلاحات بورجوازية الدولة أو أنظمة التبعية للامبريالية وهي الجماهير الغفيرة للبورجوازية الصغرى أساسا والفئات الثورية من البورجوازية الوطنية ، ضمن استراتيجية ثورية تدمج بين النضال القومي والنضال الاشتراكي ، وضمن انخراط كل القوى الثورية في جبهة ثورية على امتداد الوطن العربي ، وفي طليعتها الثورة الفلسطينية .

وعلى القوى البروليتارية المغربية بالاخص أن تعيد صياغتها للمسألة القومية العربية بمنهجية علمية ورؤية طبقية . وأن تضع في تحريضها السياسي وتربيتها الايديولوجية المنطلق القومي ـ الطبقي لثورتها الوطنية والقومية العربية . وبذلك ستتجاوز المنطق الاقليمي الصرف للقوى الاصلاحية ، وتتحرر من قوميتها اللفظية العمومية . على أن يكون شعارها الاساسي هو «وحدة القوى الثورية العربية أولا» بدل الفصل المصطنع من طرف الاصلاحية ، أو التأجيل المصطنع في ربط قضايا الثورة في المغرب العربي عن المشرق العربي .

جـ ـ النضال الاصلاحي والنضال الثوري

8

البروليتاريا لاتعادي كل اصلاح ، بل هي ترغب فيه أحيانا ، الا أن الفرق بين الاصلاح الاصلاحي ، والاصلاح الثوري ، هو أن الاول ينفس أزمات النظام ، ويجهض

الحركة الجماهيرية الثورية ، ويشكل هدفا في حد ذاته، أو هو موضوع ضمن خط اصلاحي عام لايرمي الى أكثر من تحسين ظروف النظام وتلطيف حدة الصراع والاستغلال ، أما الثاني ، فهو ، اصلاح ثوري ، لانه يزيد من تفسخ النظام ، ويعمق تنقاضاته ، وينمي الحركة الجماهيرية ؛ فهو وسيلة ، لا أكثر ، يوظف لمصلحة التغيير الجذري ·

وقد يشكل الاصلاح كخط عام مرحلة أولية من مراحل تطور الصراع الطبقي ·

وفعلا ، نهضت الحركة الاصلاحية فيما بين ٥٩ ـ ٦٥ بدور تقدمي جماهيري كاسح ، حينما لم تنضج بعد الشروط السياسية (الذاتية والموضوعية) لوعي طبقي سافر · بيد أن استقلال الدولة في سنة ٦٠ ثم في سنة ٦٢ عن مجموع الحركات الوطنية الاصلاحية ، وما نتج عن هذا الاستقلال من أوضاع طبقية وسياسية جديدة ، تجلت بالاخص فيحركة مارس الجماهيرية التي تجاوزت الشعارات الاصلاحية نفسها ، صار بعدها الاصلاح معرقلا ومجهضا لنمو الحركة الجماهيرية في اتجاه جذري ·

المسألة الرئيسية في موضوع الفرق بين النضال الاصلاحي والثوري هي الموقف من السلطة ؟

ان النضال البرلماني عند البروليتاريا جزء فقط من نضالها السياسي الثوري ·· لان البروليتاريا تدرك أن القانون العام لانظمة التبعية للامبريالية هو الدكتاتورية لا الديمقراطية الليبرالية ·

فاذا كانت البرلمانات في اوربا استعملتها البورجوازيات الاوروبية الصاعدة في نضالها ضد الاقطاع من جهة، ولتنظيم السلطة فيما بينها في نظام رأسمالي حر ؛ فلانها كانت تقومبدور تقدمي تاريخيا على صعيد تطوير وسائل الانتاج باستمرار ، مهما كانت العواصف الوقتية التي كانت تذهب بهذه البرلمانات في مرحلة ما من مراحل التاريخ البورجوازي ·

الا أن البرلمانات البورجوازية كانت تتمتع بالرسوخ والاستقرار والدوام ، بالقياس الى كل المرحلة التاريخية لسيطرة البورجوازية الرأسمالية ، وقد تعصف نهائيا أزمات جديدة بالنظام البرلماني في أوربا وأمريكا في مرحلة تفسخ الامبريالية حالما تنهض الثورة البروليتارية وتتخلص من أوهامها الاصلاحية ·

أما في البلدان التابعة للامبريالية ، فطبيعة النظام الاقتصادي التبعي ، وعجز الطبقات الحاكمة عن تطوير القوى المنتجة ، بل لكونها طفيلية وهامشية اقتصاديا ، فان النظام البرلماني ليس هو القانون العام في تنظيم السلطة ، بل الاوتوقراطية أو العسكرية · ولهذا لايصلح البرلمان كمنبر دائم للبروليتاريا للدعاية الثورية ، بله كخط استراتيجي ثابت للنضال البروليتاري ·

9

النضال البروليتاري لايهدف الى اقامة برلمان كشكل لتنظيم السلطة ، لان البروليتاريا تدرك أن هذا النظام ، رغم شكليته الديمقراطية حتى على الصعيد السياسي ، فانه مهزوز الجدور مادام لم يستند على ديمقراطية اجتماعية اقتصادية بالاساس · فالنظام الديمقراطي الذي تسعى اليه البروليتاريا هو ما يمكن أن نسميه بالمجالس الشعبية ؛ حيث تنظم السلطة من القاعدة الى القمة ، أفقيا وعموديا ، سياسيا واقتصاديا ، لمصلحة الجماهير الشعبية وتحت قيادة البروليتاريا وحزبها القائد · ونظام المجالس الشعبية المبني على قاعدة المركزية الديمقراطية ، والذي له كل السلطات الاقتصادية

والسياسية والتشريعية ، والمفتوح لكل الطبقات الديمقراطية والوطنية ، حسب وضعها في الانتاج ، ونسبة دورها السياسي في الحكم ، والذي يحرم من المشاركة فيه كل الطبقات المستغلة سابقا من اقطاع وملاكين ورأسمالية عليا وغيرهم من الفئات التي اضطهدت الشعب طوال قرون ، هو الشكل الديمقراطي لتنظيم السلطة السياسية والاقتصادية بيد الجماهير الكادحة ٠

ان المجالس الشعبية هي الطريق الوحيد لممارسة الديمقراطية الثورية ، طريق الديمقراطية المباشرة للجماهير بدون وسائط ، وبدون تناقض بين السلطة السياسية والاقتصادية ، وهي الطريق لفرض دكتاتورية البروليتاريا مستقبلا ، والقاعدة لتطوير اضمحلال دور الدولة المركزي نحو كومونات شعبية لها كل السلطات ككتل انتاجية وسياسية قائمة بذاتها ٠

ان البروليتاريا تناضل حتى في المراحل الاولى من النضال التحرري ، وحتى قبل استكمال الجماهير سلطتها على مجموع الاوضاع ، تناضل من أجل زرع أشكال أولية لهذا التنظيم في قلب النظام القائم ، بأن تذكي روح المبادرة المستقلة للجماهير ، وأن توجهها نحو انتزاع حقوقها الاقتصادية والسياسية من الطبقات الحاكمة ٠ وفي هذا المد والجزر ، لهذا النضال الطويل ، الذي هو مع الجماهير واليها ، وسواء في مرحلة النضال السلبي أو الايجابي فان دور القوى الطليعية يجب أن يكون الموجه الواعي والمتماسك البنية والملتحم بالحركة الجماهيرية ٠

د ــ الطبقة العاملة هي الطليعة الثورية

10

كثيرا ما شكك في الدور الطليعي للطبقة العاملة ، اما لضعفها الكمي أو لعدم غلبة طبقة عاملة صناعية بالمعنى الحرفي الكلمة ، والتشكيك هنا ، يبتغي في نهاية الجدل ، المس بصلاحية النظرية العلمية كمرشد للعمل في الثورة المغربية ، بالحجة المملة حول «الاصالة الوطنية» أو أن الماركسية هي بنت أوربا ، لا البلدان المتخلفة ٠

ولو رجعنا الى الزمن الذي كتب فيه البيان الشيوعي، وتفحصنا العدد الكمي للبروليتاريا الاوربية حينذاك ، لوجدنا أنها لم تكن تشكل في جل بلدانها حتى النسبة التي تشكلها اليوم في بلدنا ٠ ولادركنا أن رواد الماركسية لم يطرحوا نظرية البروليتاريا بناء على الكم العددي الحالي آنئذ للبروليتاريا ، بل على الدور الطليعي الذي تلعبه في علاقات الانتاج ، والدور الذي ستأخذه عدديا وسياسيا في سياق النمو الرأسمالي، كذلك ، كان الوضع بالنسبة للطبقة العاملة الروسية التي أقامت أول دولة اشتراكية ، و' الطبقات البروليتارية في بلدان الديمقراطية الشعبية : كوريا أو الفيتنام أو الصين الشعبية ٠

نعم ، ان الطبقة العاملة قليلة الكم وحديثة العهد ، الا أن ميزتها لاتنحصر في عددها ، بل في سياق الانتاج الرأسمالي التبعي ، الذي تتمركز فيه في الصدارة ضد الوجود الامبريالي ٠ كما أن المستقبل التاريخي هو للطبقة العاملة ، عماد المجتمع الصناعي والاشتراكي المقبل ، وأساس الخروج من حلقة التخلف ٠

واذا كان من تبدل في وضعية الطبقة العاملة عنه في أوربا ، فليس في دورها الطليعي بحد ذاته ، بل في أهدافها الوسطى ضمن مراحل التطور التاريخي ، وفي كونها ليست القاعدة الرئيسية للثورة بل الجماهير الفلاحية الواسعة تحت قيادة البروليتاريا ، كما دلت

كل تجارب الثورات الديمقراطية الوطنية ٠

لقد قلنا سابقا، ان البروليتاريا تواجه مهمات متراكبة ومتداخلة فيما بينها : فمن جهة ، قيادة النضال الديمقراطي الوطني ، وضمان استمراريته نحو الثورة الاشتراكية ، ومن جهة أخرى ، قيادة النضال القومي العربي التحرري ضمن آفاق اشتراكية وجبهة عربية ثورية ٠ ومن هنا يتضح ، لماذا الحاحنا على قيادة البروليتاريا حتى في المرحلة الديمقراطية الوطنية ، لان بدون قيادتها تنتكس الثورة الى الوراء ، وفي أحسن الاحوال تنحصر في آفاق بورجوازية صغرى ، تقيم اضطهادا طبقيا جديدا في نمط بورجوازية الدولة ، حيث توفرت لها عواملها الموضوعية على الصعيد الدولي في التوازن ما بين الامبرالية والاشتراكية التحريفية ، وبالتالي هناك امكانيات اجهاض مستقبل الثورة الاشتراكي ٠

وفي جميع الاحوال ، فان البروليتاريا برهنت على طلعيتها بالملموس في عدة تحركات نضالية قامت بها منذ نشأتها ، ورغم حداثتها ، كالقلب النابض الدائم للحركة الجماهيرية الثورية ٠

11

يأخذ النضال الايديولوجي الواجهة الاساسية في طريق فرض زعامة البروليتارية ٠

كثيرا ما استعمل الاصلاحيون موضوعة شبه طبقية «كالصراع بين الفقراء والاغنياء» بين «المستغلين والمستغلين» ٠٠٠ وهذه الموضوعات التي استعملتها جل الاحزاب البورجوازية أو البورجوازية الصغرى قصد منها طمس التناقضات في صفوف «الفقراء» أو في صفوف المستغلين (بفتح اللام) أنفسهم ٠

ولهذا ، تضطر البروليتاريا حفاظا على زعامتها للثورة ، أن تفرز تناقضات المصالح بين الشعب أو الجماهير المضطهدة ، وتستمر «في ظل الوحدة بين كل الطبقات الوطنية» في نضالها الايديولوجي في صفوف الجماهير المضطهدة ٠ فالبروليتاريا رغم اقتناعها بوحدة المصالح في مرحلة معينة بين مجموع الطبقات الوطنية ، تعيد دوما فرز هذه القوى بتوضيح آفاقها وتذبذبها ، وتعيد في كل مرة ترتيبها وتركيبها لمصلحة الهدف الاشتراكي البعيد ٠

في الماضي أي في عهد الاستعمار التقليدي المباشر ، كانت الايديولوجية السلفية قادرة على ضمان وحدة الشعب وتعبئته ضد المعتدي الدخيل ؛ لاحتوائها على بذرة هذا التناقض ، ولو بشكل سطحي وجنيني ، لانها تعكس تناقض القوميتين ، الظالمة والمظلومة ، الاستعمارية والمستعمرة ٠

ونظرا لسطحية الطرح الديني لهذا التناقض القومي، كانت النتيجة هي ما نحن عليه اليوم من اضهاد طبقي من نفس الامةالمضطهدة ومننفس الاستعمار المتستر وراءها ٠

أما اليوم ، حيث تقدم الصراع الطبقي ، كشكل رئيسي ، وتخلف الصراع «الوطني» وراءه ، فان الايديولوجية السلفية ، أمست غير قادرة على استيعاب هذه التناقضات بوضوح ، ولم تعد بالتالي ايديولوجية كفاحية تجمع كل الطاقات الجماهيرية ضد الاستغلال الطبقي الجذري، بينما الايديولوجية التجريبية ، والتي متوسطة تستفيد جزئيا من النظام الحالي وتخاف الصراع الطبقي الجذري، بينما الايديولوجية التجريبية، والتي يدين بها فصيل من الاصلاح ، والرافضة مبدئيا لكل نظرية الا ما تقدمه لها التجربة المباشرة الضيقة ، فانها لم تقدم للجماهير الا بنودا اقتصادية شحيحة ، ومفصولة

عما تطمح اليه الجماهير في التحرر الشامل ، لا من الوجهة الاقتصادية وحسب ، وحتى في هذا المضمار تعجز التجريبية أن تتجاوز بعض الاصلاحات ، بل من الوجهة الفكرية والايديولوجية ، التي هي في نظام الاستغلال أدوات أخرى توظف لتكريس الاضطهاد الطبقي بتبريره نظريا وعقائديا ·

فالايديولوجية الوحيدة القادرة على تحرير الانسان اقتصاديا وفكريا ، والمتمردة بوعي على كل بنيان الاستغلال الاقتصادي والاستلاب الفكري هي ايديولوجية الطبقة الثورية الطليعية ، نظرية الاشتراكية العلمية البروليتارية ·

ه ـ الجبهة الوطنية الثورية

12

في بحثنا لمهام البروليتاريا اتضح لنا ، أن هناك مراحل انتقالية يفرضها الوضع الاقتصادي للنظام التبعي للامبريالية ، فلو أن الامر في نظام رأسمالي متطور شبيه بالانظمة الاوروبية ، لكانت المهمة المطروحة بالحاح على البروليتاريا هي الثورة الاشتراكية · الا أن الوضع المتخلف لقوى الانتاج والتبعية الاقتصادية والفكرية والسياسية للامبريالية ، يطرحان على البروليتاريا المغربية ، مهاما جديدة واضافية ، تجاوزتها البروليتاريا في البلدان الرأسمالية ·

ومقدما نلح على أن الهدف الاستراتيجي للبروليتاريا هو الانتقال الى الاشتراكية في اطار وحدوي عربي ، وبدعم من الانظمة الاشتراكية المتقدمة الاخرى · الا أن هذا الهدف يمر من مرحلة تكتيكية تسمى بالمرحلة الديمقراطية الوطنية · هذه المرحلة هي تشخيص للتناقض الرئيسي في الصراع الطبقي ـ الوطني ، والذي تواجه فيه البروليتاريا وطبقات أخرى **العدو الرئيسي** المتمثل في التحالف الطبقي الحاكم بدعم من الامبريالية وتقتضي هذه المرحلة من البروليتاريا أن تضع في برامجها كخطوة نضالية أساسية التحالف مع هذه الطبقات المضطهدة والوطنية بدرجات متفاوتة ، وحالما تقبض البروليتاريا السلطة ، وتحقق خطواتها الديمقراطية الوطنية الاساسية سيكون لزاما عليها أن تستمر حينذاك في تفجير الثورة الاشتراكية ضد أعداء جدد ، يريدون الحفاظ على الوضع كما هو عليه أو يريدون أن يرجعوه الى الوراء ·

وأي تحليل موضوعي وأولي لانماط الانتاج ، أو لبنية النظام ، أو لوضع كل طبقة ضمنه ، ولدورها الاقتصادي ، يرينا أن الطبقات التي من مصلحتها تغيير الوضع هي : البروليتاريا والفلاحون الفقراء والمعدمون ، والبورجوازية الصغرى ، وفئات من البورجوازية المتوسطة ·· ضد الملاكين الكبار والبورجوازية العليا والبيروقراطية ثم الوجود الامبريالي ·

ليس من شك أن هذا التقسيم العريض ، ليس كافيا لاعطاء كل ألوان التناقضات الاخرى في كل طبقة من الطبقات ؛ اما لاختلاف مواقع فئاتها في عملية الانتاج ، أو لتباين أنماط الانتاج نفسها ، بين ما هو اقطاعي أو رأسمالي أو بطريكي أو بورجوازي صغير ما قبل الرأسمالي ··· الخ ، أو التناقض الناتج عن المصالح الآنية للطبقة ، أو لفئات منها مقابل مصلحتها البعيدة ·

سيكون من الضروري في أي مشروع جبهوي ثوري وسديد أن يراعي مختلف هذه الاوضاع بدقة ، وفي مقدمتها أن يقدم التحليل الموضوعي لموقف البورجوازية المتوسطة الاصلاحي والانتظاري ·

ومـع ذلك ، يمكننا أن نرسـم الخطوط العريضة لاي تحالف جبهوي ثـوري :

١ ـ ان المسألة المركزيـة في أي تحالـف هي الخط السياسي لمسألة السلطة ، ومادامت التحالفات توضـع فـي خـط اصلاحي ، فانـها ليست بالجبهة الثوريـة المنشودة ٠ ومن هاته النقطة بالـذات ننتقد التحالـف السياسي مع البورجوازية المتوسطة التي لازالت تأمـل في تغيير أوضاعها بغير الطريق السياسي الجذري ٠ الا أن الواقع الموضوعي للبورجوازية المتوسطة سيدفع لامحالة بأجنحة منها ، وفي شروط ثورية جديدة الى التحالـف مع القوى الطليعية ٠

٢ ـ ان التحالف مع القوى الطبقية الوطنية المضطهدة ، لايعني انهاء الصراع الايديولوجي معها ، ولا يعنـي ايقاف نقدها سياسياً لتصحيح مواقفها الخاطئة ، وهذا هـو الطريق البروليتاري لكـسب قيـادة البروليتاريـا للجماهيـر ٠

٣ ـ ان الجبهة الثورية المنشودة ، جبهـة كفاحية ، أي أن لها «سلطة» تنظيمية على الجماهير ، بما سيكون لها من تنظيمات قاعدية مـزروعة ومندمجة بالحركـة الجماهيرية حتى تتمكن الجبهة من قيادة نضال الجماهير النقابي والسياسي والثقافي وتبادر في ايجاد أشكـال متنوعة لتنظيم مبادراتها النضالية ٠

٤ ـ ان الحـليف الرئيسـي والبعيـد المـدى ، الاستراتيجي ، هم القاعدة الواسعة للفلاحين الفـقراء والمعدمين ، هؤلاء الذين لاتربطهم أيـة صلـة بالنظـام الحالي ، ولهم كل المصلحة في تغييره تغييرا جذريـا بل وفي تجاوز المصالح الديمقراطية الوطنية نفسها الى النظام الاشتراكي الذي تناضل من أجله الطبقة العاملة ٠

من تلك المباديء الاربعة ، يظهر القصور التاريخـي للكتلة الوطنية الحالية ٠

فهي موضوعة في سياق خط اصلاحي بل انتظاري ، لم يعد بامكانه مسايرة الحركة الجماهيرية ، وانمـا انتظار ظروف استثنائية تفسح له المجال للمشاركة فـي الحكـم دون أدنـى نضال قاعدي ٠ وهـذه الظـروف الاستثنائية هي اما تناقضات بداخل الجهاز الحاكـم تفلت من بين شقتها الاصلاحية ؛ أو تفجر شعبي كاسح تركبه وتساوم على أساسه ، ومن الوجهة الطبقية فـان العمود الفقري للكتلة الوطنية هي البورجوازية المتوسطة ؛ أما الجناح الاتحادي اليميني في الكتلة فهو لايعبر الا عن تكون فئوي بورجـوازي صغيـر ، مزروع كاللغم فـي الحركة الجماهيرية ، ويستمد كل مخططاته السياسيـة والتكتيكية من تناقضات الجهاز النقابي البيروقراطي ، أي أنه لم يعد يستند الى مصالـح طبـقة البرجوازيـة الصغرى العريضة كما كان عليه شأن القوات الشعبيـة في سنوات ٥٩ ـ ٦٥ ، بل من المصالح الانانية الضيقة لاطاره البيروقراطي المسخر سياسيا لخدمة البورجوازية المتوسطـة ٠

واذا أضفنا الى هذه العوامل الطبقية والسياسيـة البناء الفوقي الهش للكتلة الوطنية ، وانعدام الصراع الايـديولوجي ضـد سيـادة ايـديولوجية البورجوازية المتوسطة ، اتضح لنا الفرق التاريخي الشاسع بينهـا وبين الجبهة الوطنية الثوريـة ٠

و ـ النضال النقابـي والنضال السياسي

15

ان الوعي النقابي ، وعي جنني ، أولي ، لمصالح العمال المباشرة ٠ انه الوعي البسيط لثنائية التناقض بيـن

الرأسمال ـ والعمل ، أو بالاصح ، رب العمل والعامل ٠ أما الوعي السياسي الثوري ، فهو وعي الطبقة العاملة لمجموع علاقات الاضطهاد الطبقي ، لكل الوضع التاريخي للنظام القائم ، وتناقضاته الداخلية فياتجاه الاشتراكية٠ فالوعي الثوري يكشف عن كل أنواع الاستغلال والاضطهاد الطبقي، سواء المسلط منه على الطبقة العاملة أو على الطبقات المضطهدة الاخرى ، وسواء كان اقتصاديا أو سياسيا أو ايديولوجيا ٠ فيالحالة الاولى، يهدف النضال النقابي الى تحسين شروط العمل ، الى بيع قوة العمل بأحسن الاثمان ٠٠ وتكون أداته هي النقابة العمالية ، المفترض فيها أن تكون جماهيرية كل ما أمكن، تضم الى صفوفها كل من يرغب في أن يناضل من أجل تحسين ظروفه المعاشية ، بغض النظر عن انتمائه السياسي أو الايديولوجي ٠ وفي الحالة الثانية ، يهدف النضال السياسي الى اقتلاع جذور الاستغلال ، بتحطيم بنيته الانتاجية والسياسية ، والقضاء على بيع قوة العمال للرأسماليين ، كبضاعة لاستهلاك فائض القيمة ، وابتزازها من العمال ، حتى يمتلك العمال بأنفسهم نتيجة عملهم لمصلحتهم ٠ وتكون أداة هذا النضال الحزب الطليعي ، الذي ينظم علاقة العمال بالطبقات الاخرى ، ويقود دورهم التاريخي في مجموع تلك العلاقات الطبقية المتنوعة والمتشابكة ٠ فالحزب الطليعي اذن ، محصلة الوعي الواعي للطبقة العاملة ، ومرشدها الايديولوجي والسياسي والكفاحي ٠ وحسب هذه الشروط المنوطة بالحزب الطليعي ، لايضم اليه الا العناصر الطليعية في الطبقة العاملة ، أو التي انسلخت عن وضعيتها الطبقية ، وجندت نفسها ايديولوجيا وسياسياً لخدمةأهداف الطبقة العاملة ٠

وفي جميع هذه الحالات ، فان العلاقة الديمقراطية مع الجماهير ، هي أساس حيوية النضال النقابي ، وريادة الحزب الطليعي ٠ لان الجماهير هي صاحبة المصلحة الاولى والاخيرة في النضالين ٠ فلا يجب أن يفهم من طليعية الحزب الثوري ، انه تنظيم نخبوي ، له حق الوصاية على الحركة الجماهيرية ، بدعوى أنه يملك الحقيقة بين يديه ؛ بل ان جدلية الحزب بالحركة الجماهيرية ، قيادتها والتعلم منها ، والعودة اليها في كل القضايا الاستراتيجية والتكتيكية ، هي البوصلة الوحيدة ، أو صمام الامان ، للحفاظ على ثورية الحزب وطليعيته ، وبعبارة اخرى ، فالاحزاب أو المنظمات الجماهيرية لاتنوب عن الصراع الطبقي ، ولا تصنعه ، وانكانت تقوده، فممارسة الجماهير ووعيها ومبادراتها، هي الاساس الاول والاخير لهذه العملية الثورية ٠ ألححنا على هذه العلاقة الجدلية بين الحزب والحركة الجماهيرية ، لان العديد من مدعي «اللينينية» نفخوا دور الحزب وبسطوا من دور الجماهير ، أو من مدعي «الماوية» قدسوا الحركة الجماهيرية واستصغروا دور الحزب القائد ٠ وفي الحالتين فصموا برؤية وحيدة الجانب العلاقة الجدلية بينالحزب والحركة الجماهيرية٠

16

ناضلت الطبقة العاملة المغربية دفاعا عن حقوقها الاقتصادية ، وبادرت باندفاعات سياسية في منعطفات تاريخية حاسمة ٠٠٠ ومع ذلك لم تستطع الطبقة العاملة أن تفرض حقوقها الاقتصادية على الحكم ٠ أما سبب تشريعات جديدة رجعية ألغت ما حصلت عليه الطبقة العاملة من مكاسب في الماضي ، أو بسبب فوضى النظام الرأسمالي التبعي ، الذي يعجز بحكم قوانينه أن يضمن شروطاً أليق واستقرارا ثابتا للعمال ٠

والسبب الاصيل ، ليس ، كما يظنه الفوضويون ، بأن النقابة هيكل منقول ومنسوخ عن التجربة الاوربية ، وبأن

النضال النقابي لاجدوى منه ، أو عجيج بلا طحين ٠ فذلك ما تكذبه معطيات التجربة النقابية نفسها ، وتشبث العمال بمنظمتهم النقابية رغم كل الدسائس والمؤامرات لتفكيكها والقضاء عليها ٠

ورغم هذه الحقيقة ، فاننا نقر بالعجز المطلق للنظام الرأسمالي التبعي في منح ظروف استقرار ثابتة للطبقة العاملة ، مما يجعل النضال النقابي أكثر انفجارا والتحاقا أو احتكاكا بالنضال السياسي الثوري ٠

وهذا عامل مشجع وثوري يدعونا الى تعزيز النضال النقابي لا الغائه ٠ لانه يعضد النضال السياسي ويمده بطاقة جماهيرية حيوية ٠

فهل لوضعية البطالة المتزايدة والمتضخمة دخل في انخفاض المردود وضعف وثيرة النضال النقابي ؟ ٠

هذه هي الحجة التي أعطتها بيروقراطية النقابة لتبرير عجزها في تعبئة العمال وتجنيدهم من أجل مصالحهم النقابية المادية ٠ والحق ، أن النقابة اذا كانت مصابة بركود وتيبس بيروقراطي ، فان الرأسمالية والدولة تستفيد من ضغط البطالة ، بطرد العمال ، أو تعويضهم دون أي رد فعلي ملموس من العمال ٠ وهذا ما لاحظناه طيلة هذه السنوات ٠

أما اذا كانت النقابة العمالية ديمقراطية مع جماهيرها ، وملتزمة بخط كفاحي ، فان اثر البطالة ينخفض ، بل لايشكل عائقا اساسيا في عدم استقرار وضعية الشغل وانخفاض أجرة العامل ٠٠ لان سوق العمل في البلدان المتخلفة ، لاتخضع للضغط النسبي والمطلق لفائض السكان كما هو في النظام الرأسمالي الحر ؛ بل التضخم المتزايد والذي لايعرف حدودا ، مما يضعه بالنتيجة خارجا عن قوة المفاوضات النقابية ٠

المصيبة اذن ، في كل ما أصاب العمال من اضطراب في وضعية الشغل نتيجة الطرد المتزايد ، ومن هضم لحقوقهم في زيادة الاجور كلما ارتفعت الاسعار ، ومن تمتعهم بظروف معاشية أحسن «سكن ـ وضمان اجتماعي ٠٠ وتعليم٠٠» هي بالذات في المنظمة العمالية لا في قوة حجم البطالة ، في الخط السياسي والنقابي ووسائل النضال التي تنهجها المنظمة النقابية العمالية ٠

17

مما لاشك فيه ، أن المنظمة العمالية غير قادرة بالمرة على توقيف فعل القوانين الاساسية لنظام التبعية للامبريالية ، في الانخفاض النسبي للعمال بالنسبة الى مجمل السكان ، ولا في ضمان استقرار دائم أو مستوى معاشي مستقر للعمال ٠

الا أن هذه القوانين الموضوعية ، لاتلزم التراخي أو الغاء النقابة ، بل بالذات تفرض عليها ديناميكية نقابية مطلبية عالية ومستمرة ، الشيء الذي يلتصق مباشرة بهياكل المنظمة ودرجة تعبئتها للحركة العمالية ٠

وبهذا المعنى ، تحدف تاريخيا الارضية الموضوعية لنمو نزعة نقابية ضيقة ، أو ما يسمى بالسياسة الاقتصادية «التريديونية» ٠ لان عدم/الاستقرار في وضعية الشغل وفي المكاسب العمالية ، بالاضافة الى التقاليد اللاديمقراطية في الحكم، وبنية النظام التي ترفض المزيد من العمال أمام جمود التصنيع ٠٠٠ كل هذه العوامل ، تضع المنظمة العمالية أن تربط نضالها النقابي، وبصفة مباشرة مع النضال السياسي التحرري الثوري ٠

ولهذه الاسباب نفسها ، فشلت مرحلة «سياسة الخبز» التي أخذها الجهاز النقابي كخطة دعائية على الاقل ، للحيلولة دون انتظام العمال وحركتهم ضمن النضال السياسي التحرري ٠

فسياسة الخبز ، وضعت أمام المحك الواقعي لبنية النظام ، فكانت النتيجة ، التدهور المستمر في أوضاع الطبقة العاملة ، وفشل النقابة العمالية حتى في الميدان النقابي الضيق «الخبز» الذي ادعت أنها تختص به دون غيره ·

يقال لنا اليوم ، ان سياسة الخبز لم تكن سياسة للمنظمة العمالية · ونحن أيضا نقول ذلك ، ولو أعلن عنها مرارا وتكرارا في التحريض الجماهيري ، لاننا نعي أن «سياسة الخبز» لم تكن الا مظلة وقائية احتمى بها الجهاز البروقراطي ، حينما اختل توازنه ، وطرح عليه الاختيار السياسي الجذري من النظام ·

دوما كان يقول لينين : ان للاقتصادية سياستها الخاصة بها · وأن الدعوة الاقتصادية ليس معناه معاداة كل سياسة بالمعنى المطلق للكلمة ، بل لها أيضا سياستها المعينة · كانت في التجربة الروسية ، الذيلية والعفوية للوعي الاقتصادي لدى الحركة العمالية الناهضة ، ولكنها كانت اقتصادية كفاحية · وفي تجربتنا ، عفوية أيضا ، ولكن من وجهة أخرى ، لانها غير كفاحية ، لانها تلتزم بما سميناه بسياسة الانتظار ·

وبدون رجوع الى الشروط التاريخية لتكون الجهاز البروقراطي النقابي · فاننا نقول باختصار : ـ ان الجهاز تربى في كنف المصالح التي تمنحها له الدولة ، وتعود بالتالي على عقلية المفاوضات واحتقار الجماهير العمالية ، كما تكونت له مصالح «حكومية» على ظهر كفاح الطبقة العاملة · هذه الوضعية المادية ، تجعله غير قادر على خوض نضالات قاعدية ، وتدفع به الى انتظار فرصة سياسية استثنائية : اما قاعدية جماهيرية على طريقة مارس ٦٥ ، أو شقة فوقية بجهاز الحكم ، تعطيه الفرصة للمشاركة في السلطة ، ومنح العمال بعض الاصلاحات التي لم يقدر على انتزاعها نضاليا · وبعبارة أخرى ، اعادة التوازن الداخلي للجهاز ، بعودته الى الشروط التاريخية التي تكون في ظلها ·

لهذه السمات ، قلنا أن الجناح الثاني في الكتلة ، هو تكون بورجوازي صغير ، مزروع كاللغم في قلب الحركة الجماهيرية ، ولا يستند على أي طبقة عريضة بقدر ما يستمد كل خصائصه من تناقضات التكون البروقراطي النقابي · ولهذا فهو تكون بورجوازي صغير مسخر سياسيا لخدمة البورجوازية المتوسطة ·

نقابيا أيضا ، يتهرب الجهاز من النضال القاعدي ، ويعزل نضالات العمال العفوية عن بعضها ، حتى لايخلق شروط تأزم سياسي يكون فيه أمام الحكم هو المسؤول المباشر والاول ، ويتعرض في نهاية المطاف الى حرمانه من مكتسباته كملحق بجهاز الدولة ·

ما نريد استخلاصه ، هو أن البروقراطية النقابية ، بجناحيها اليميني والعميل ، لاتشكل عدوا نقابيا وحسب ، بل عدوا سياسيا · وما دام لم يقض على هذا التورم البيروقراطي ، فان دور الطبقة العاملة سيبقى معرضا لحملة اجهاضات خطيرة ومحبوسا في اطار الوعي السياسي التريديوني والايديولوجية البرجوازية ·

الا أن أسلوب المعالجة ، يجب الا يسقط في اخطاء التجربة الرديكالية للاتحاد الوطني للقوات الشعبية · فانجاز هذه المهمة المستعجلة يجب أن يكون مطروحا في خط استراتيجي متماسك وثوري · ومن البديهي أن يكون الهدف الاول الملح على القوى الثورية هو التحامها بالطبقة العاملة والاندماج في حركتها النضالية مهما كانت التنازلات الوقتية ·

18

ان الطبقة العاملة تفتقر في كل المهام التي تعرضنا لها في هذه المقالة الى ممثلها السياسي الطبقي . ولاشك أن ذلك هو بالذات المعضلة الاساسية المطروحة اليوم على القوى الثورية وعلى الحركة العمالية بالاخص .

الا أن مشكلة الاداة ليست بقرار اداري ، أو برغبة ذاتية ، وانما هي عملية تاريخية معقدة ، تندمج فيها حركة الجماهير المناضلة وفي مقدمتها الطبقة العاملة ، بحركة المثقفين الثوريين الطلائعيين ، كما تندمج فيها النظرية الماركسية بالواقع المغربي ، تكون ترجمته الملموسة خطا سياسيا ثوريا وسديدا .

واذا كانت مهمة الاداة مسألة تاريخية لاتخضع لرغبة الافراد ، فان ذلك لايعني الاستمرار والصمت في الحركات الاصلاحية . فبواسطة الانفصال التنظيمي والسياسي والايديولوجي عن حركة الاصلاح ، ومرورا بنقد كل مفاهيمها الموروثة ، ووصولا ، بأساليب متنوعة الى الاندماج بالحركة الجماهيرية نكون قد خطونا الخطوة الاولى الملحة في طريق بناء هذه الطليعة .

قد يعتقد البعض أن لا لزوم لذلك ، بل ان العمل من هذا القبيل ، طفولة يسارية ، يعرقل نمو الحركة الجماهيرية ، ويعزل الطليعة عن الجماهير الشعبية . وعلى هذا المنوال يكون من الافضل التعايش التنظيمي والايديولوجي في قلب هذه الحركات الاصلاحية .

ونعتقد من جهتنا أن هذا الاختيار الوسطي مشبع في المستوى النظري والعملي بارث ايديولوجي يميني ثقيل .. ونضيف ، أن هذه اللعبة لن تدوم طويلا ، لان سببها الاصيل ، هو بالذات في أن هذه الحركات تعيش في مناخ جماهيري انتظاري وبارد ، لكن الاحداث المقبلة والتي ستدفع بها الى اختيار سياسي واضح ضد الجماهير ، سيلزم الاخرين بالاختيار المضاد والواضح مع الجماهير ، وسيصعب آنذاك التعايش بين ايديولوجيتين وخطين استراتيجين متناقضين في هيكل واحد .

19

وقد يتساءل الاخرون : ـ ما هي الاداة الطليعية ؟

بكلمة بسيطة وأولية هي أنها النقيض المباشر والمتجاوز في نفس الوقت لتجربة الاصلاح .

ـ نقيض مباشر لخطها اللاجماهيري ، المغرق في احتقار الجماهير ، وفي تركيز علاقة النخبة الوصية على حركتها ، بل الوصية على قواعدها العاملة والملتزمة بحركتها .

من هذه الوجهة بالذات ، وبعد هذه التجربة المريرة ، يصح لنا نحن كمغاربة وكطليعيين في نفس الوقت ، أن نرفع عاليا راية الموضوعة الصينية القائلة : ـ «بخط الجماهير» ، وأن نتشبع بكل مضامينها المبدعة والثورية، دون أي تبسيط دعائي لمحتواها ، وبوعي تاريخي كامل لدور الجماهير ، وبثقة مطلقة بقدرتها الابداعية والنضالية . ولهذا على الطليعة أن تحترم أشد الاحترام في علاقتها مع الجماهير مبدأ المركزية الديمقراطية في كل القضايا الاستراتيجية والتكتيكية .

ـ نقيض مباشر للخط السياسي الاصلاحي ، والانتظاري في المرحلة الاخيرة ، وذلك بخط سياسي ثوري ، يعتمد على تنمية الحركة الجماهيرية الثورية ، وعلى اذكاء مبادراتها الحية .. خط سياسي يعتمد على تحليل طبقي علمي ، لبنية النظام وخصائصه ، ولمسألة التخلف ، وخاصة لدور البادية ، وطليعية الطبقة العاملة .. خط سياسي يعطي الاجوبة على كل هذه

القضايا ، وفي مقدمتها أشكال النضال الجديدة والشعارات الوسطى التي على الجماهير أن تناضل تحت رايتها ضمن استراتيجية ثورية ومتماسكة ·

- تجاوز لايديولوجيتها الجريبية الانتقائية ، والسلفية ، والتحريفية ، بمنظار ايديولوجي يلتزم مبدئيا بالنظرية العلمية الثورية ، ويجتهد على أساسها في الممارسة والنضال لدمجها بالواقع المغربي العربي ·

· تجاوز لخطها الاقليمي في العمق ، والبرغماني السياسي في الملموس ، أو الشوفيني الرجعي ، والتبعي التحريفي ، باتجاه عربي ثوري ، يلتزم بالوحدة العربية الثورية المنشودة ، ويأخذ مكانه بجانب القوى الثورية الصاعدة في العالم العربي ، ضمن خط يركب بين النضال الاجتماعي الاشتراكي والنضال القومي ضد الانظمة والطبقات البورجوازية والاقطاعية والمشايخ وبورجوازية الدولة ، طليعة تلتزم بالخط الاممي ، الغائب في برامج الاصلاحية ، الا من وجهة نظر تبادل العون المادي والسياسة الخارجية لحكومتهم الوطنية ، بأن تأخذ مكانها النضالي في الجبهة الثورية الاممية ، وتحارب بكل صلابة مبدئية التزييف الاشتراكي ، الاصلاحي ، أو التحريفي على الصعيد الاممي ، بمقدار ما تحارب في نفس الوقت الامبريالية والرجعية بمختلف تلاوينها ·

- تجاوز لتركيبها الطبقي البورجوازي الصغير وخطها التنظيمي المائع والنتن بليبيراليته المفرطة ، نحو طليعة منظمة على أسس المركزية الديمقراطية ، وعمادها خط سياسي كفاحي ، وعلاقة ديمقراطية مع الجماهير ، وهما الاساس لمركزية ديمقراطية داخلية · طليعة مبلترة في الطبيعة العضوية ، ومعتمدة على القاعدة الواسعة لجماهير الفلاحين الفقراء ، وتحكمها علاقات رفاقية وأخلاقية بروليتارية في تركيبها ، وفي الحياة الخاصة لمناضليها ·

هذه هي السمات العامة للطليعة المنشودة ، ولقد قال لينين في احدى مراحل الكفاح الاولي ، وصفا لها : «هكذا كانت توجد في وقت واحد يقظة عفوية لجماهير العمال ، يقظة الى الحياة الواعية والى النضال الواعي، وشبيبة ثورية مسلحة بالنظرية الاشتراكية-الديمقراطية تتحرق (اشارة التوكيد منا) رغبة في التقرب من العمال» ·

وبنفس الصورة هناك نهوض عمالي وفلاحي وشباب طليعي متحرق للاندماج بالحركة الجماهيرية · واذا وعت هذه الاطراف الثلاثة ضرورة التحالف فيما بينها ، واذا انكسر هذا الحاجز الذي ظل يقسم الحركة الجماهيرية ، وسبب فشلها منذ الاستقلال ، فسنكون آنذاك قد حققنا ما نصبو اليه في طريق الطليعة وفي نضالنا الطويل ، الطويل جدا ، والمرير من أجل الاشتراكية ·

١٩٦٧/١٢/٢٠



دور الابنـاك الاجنبيـة فـي المـغـرب

حســن اقبـال

لقـد لعبت الابناك الاجنبية دورا أساسيا في عمليـة التوغل الاستعماري في بلادنا ٠

وهكذا ، منذ القرن التاسع عشر ، وبالضبط في سنة ١٨٦٠ ، بمناسبة الاحتلال الاسباني لتطوان والذي دام سنتين ، لعبت الابناك الاجنبية ، ولاول مرة دورا سياسيا حاسما ؛ فتحت ضغط انجلترا سحبت اسبانيا قوتها من تطوان ، على أن يدفع المغرب لها تعويضات باهضـة ، تقدمه له الابناك الانجليزية على شكل قرض ، مقابل أن يسمح المغرب لها بمراقبة الحقوق الجمركية المغربية ٠ وهكذا ، فقدت الدولة أحد مظاهر سيادتها الاقتصاديـة والسياسية ، وبالتالي ، وقعت في شرك الابناك الاجنبية ٠ وقـد استخدمت نفـس الحيلة ، من طرف بنك «باريـس والبلدان المنخفضة» ، والذي سيلعب دورا حاسما فـي استعمار المغرب ؛ وذلك بتقديم قروض ضخمة للسلطـة المركزية ، بدعوى تجديد وتجهيز جيش الملك بوسائـل عصرية ، تمكنه من مواجهة **الاجانب** ٠ وهذه العمليـة التي تبدو في الظاهر وكأنها تعاون مالي محض ، كانت ترمي في الحقيقة الى هدف سياسي مزدوج للتدخـل الاستعمـاري :

ـ فمن جهة ، تمكن البنك من تثبيت وارساء دعائـم السلطة المركزية ، باستعمال الجيش ، الذي جهز تجهيزا عصريا ، ضد التمرد الشعبي ٠

ـ ومن جهة أخرى ، جعل السلطة المركزية ذاتهـا سجينة الديون المدفوعة لها ، والتي ترهن اقتصاد البلاد٠

وهـذه الخطة الاستعمارية أدت الى تفسخ النظـام والسلطة المركزية معا ؛ بحيث أصبحت السلطة المركزية سجينة لديون البنك ، وفي نفس الوقت ، الذي قامـت فيه السلطة بقمع تمردات الفلاحين ، التي كان يقودهـا في الغالب رؤساء القبـائل ، الذيـن أدركـوا ، حسـب وضعيتهم التاريخية آنذاك ، ضرورة النضال ضد الغزاة المستعمرين ، دفاعا أو حفاظا على نمط انتاجهم الضيق ، ضد تسرب نمط الانتاج الرأسمالي ٠ بينما كانت المـدن، آنئذ ، مستعمرة استعمارا جزئيا ، فكانت أنظارها متجهة نحو الخارج الاكثر غنا والاكثر اغراء ، بسبب امتيازات الحماية الشخصية أوالعائلية ، التي يتمتع بها المتعاملون

مع الاجانب ·· ولقد سبق هذا النوع من الاستعمار «الاستعمار الرسمي» ، وكأن ذلك حصيلة لنشاط عملاء الابناك الاوربية المقيمة في المدن الساحلية ، والمرتبطة بعلاقات في مجال الاعمال مع فئة من البورجوازية المغربية ·

وفي سنة ١٩٠٤ ، قامت مجموعة من رجال الاعمال والمال تمثل بنك «باريس والبلدان المنخفضة »، وكريدي ايوني ، والشركة العامة بتشكيل «لجنة المغرب» ، التي ستصبح المحرك الرئيسي للاحتلال الاستعماري ·

وبكل وقاحة،شرحت في احدى نشراتها خطتها الإستعمارية: «أنها ستعمل بكل الوسائل على تطوير نفوذ التجارة الفرنسية في شمال افريقية ، ومكافحة عداء الرأي العام ، والتوجه الى العقول المتنورة لشرح أفكارنا الوطنية البعيدة كل البعد عن الاهتمام بجني الارباح والفوائد ·· (··عن الاهتمام بجني الارباح والفوائد!!)

هذه الابناك الاجنبية هي التي اقتسمت المغرب ، وطردت الفلاحين من أراضيهم ، ومنعت على المواطنين المغاربة مجال الاستثمار · وقد نشرت الكراسات المالية الصادرة بتاريخ ١٦ مارس ١٩٥٤ نتائج تحقيق يبرز أن ٩٣٪ من الشركات التي يتجاوز رأسمالها ١٠٠ مليون توجد تحت مراقبة الفرنسيين ، و ٥٪ منها تحت مراقبة أجانب آخرين ، و ٢٪ منها تحت مراقبة عناصر مغربية ·

لقد احتكرت الابناك الاجنبية ميادين النقل ، والمناجم، والتجارة الخارجية والنشاط العقاري ، ونظمت استغلال البلاد واقتسمت غنائم نهب خيراتها ·

موقف الحكم المغربي من الابناك الاجنبية في المغرب بعد الاستقلال :

غيرت الابناك الاجنبية استراتيجيتها واتخذت سبيل الحذر والاحتياط · وقد نتج عن ذلك انخفاض نشاط قطاعات اقتصادية واسعة بفعل حذر الابناك · وتأجيلها لبعض الاعمال وتخليها عن بعض المشاريع الاستثمارية لانها كانت تنتظر تطورات موقف الحكم الجديد · والنتيجة التي سيؤدي اليها تصارع القوى الطبقية الممثلة في الحكومة · ذلك أن التشكيلة المتنافرة لتلك الحكومة كانت رمزا لوحدة مجموع الطبقات في موقفها ضد العدو المشترك ، باستثناء الفئة الخائنة من الاقطاعية · لقد كان الحكم لم يوطد بعد ، لان السلطة القبلية لم تنشرح للتحالف بين البورجوازية والاقطاعية اللتين تبنتا الموقف الوطني · والاستعمار الفرنسي عرف لحظة كيف يستعمل تلك السلطة القبلية (تحرك عدي اوبهي ، بعض جوانب أحداث الريف سنوات ٥٩ ـ ١٩٥٨) · وقد نتج عن تحفظ الابناك الاجنبية مشكل اقتصادي، لانها كانت تسيطر على :

ـ أهم مرافق الاعمال في البلاد ·

ـ ونظام القروض الذي يقدم المال للمستثمرين الذين يريدون خلق أعمال جديدة ومجالات جديدة للتشغيل · وجرت الابناك البلاد الى سلسلة من الازمات الاقتصادية بفعل التباطؤ المحسوس لمستوى النشاط وبفعل هروب الرساميل ·

وفي هذه الوضعية ، أظهر موقف الحكومات من الابناك الاجنبية مدى قصر النظر السياسي وعمق التناقضات الداخلية في التمثيل السياسي للطبقات التي تعاقبت في السيادة على الحكومة وخاصة البورجوازية ثم

البورجوازية الصغرى • ويدل على ذلك تطور النصوص والاتجاه السياسي •ولم يلبث أن اتضح أن تفسير ذلك التخبط والتناقض يكمن في توهم البورجوازية أن بالامكــــان التعاون والانسجام مع القوى الطبقية الرجعية ومع قوى الاستعمار الفرنسي الجديد • ومن جهة أخرى أكدت هذه الخواص منذئذ اتجاه فئة من البورجوازية الوطنيــــة للانتظام في تشكيلة اوليغارشية مع الفئات الرجعية في جهاز الدولـــة •

وقد تجلى قصر نظر هذا في مختلف الفئات البورجوازية بداخل الحكومات ، في كونها تبحث عن موارد مالية في الخارج بدل انتزاعها من الابناك الاجنبية في الداخل •

ونلمس تناقضات حكامنا البورجوازيين آنذاك في النصوص أيضا : نصوص التصميمات ، قانـون الاستثمارات الصناعية ، ، وهي نصوص تحـاول اعـطاء جـواب للسؤال : من أين الحصول على المال لتمويل التنميـــة الاقتصاديـة •

أ) التصميم الخماسي الاول (١٩٦٠ ــ ١٩٦٤) لــه جوابـــان •

ــ **الرساميل الخصوصية الوطنية** هي التي ستوفر لهم جزء من المال الذي تحتاجــه •

ــ بقيـة حاجاتها ستحـصل عليـها بفضـل العـون الخارجي الذي سيبقى اذا ذي اهمية ثانوية •

ومـن تـم يظهــر التصميـم الاول علـى أنه نـداء للبورجوازية الوطنية ، وفتح امكانية لها لتراقب اقتصاد البلاد • لكن أين وكيف يمكن الاستثمار بينما الابنـــاك الاجنبية تسيطر على اقتصاد البلاد••والحال أن الحكام يتركون تلك الابناك تتحرك في هناء ؟ لكن يقع صعـود البورجوازية الوطنية الى مستوى طبقة سائدة اقتصاديا بالتحول من مرحلة التجارة الى مرحلة التصنيع ؛ والذي حجب ذلك بالدرجة الاولى هو العامل السياسي الـذي تجلى فـي الصراع الصامت فـي البداية ثم العلنـى والعنيف بين قوى الاقطاعية الجديدة المتحكمة فـــي السلطة وجهاز الدولة مــن جهة وقـوى البورجوازيـة المتوسطة والصغيرة من جهة ثانية • وهكذا ظلت الفئـة النشيطة من البورجوازية الوطنية تنتظر المنفذ ، تمامـا كما فعلـت الابناك الاجنبية ، وذلك بقصد الاستفــادة من التسهيلات والامتيازات التي تمنحها الدولة ، بحيث تلتحق في النهاية بصفوف الالغارشيا التي مثلت القاعدة الطبقية للحكم فيما بعـــد •

امـا البورجوازية الـوطنية في مجمـلها ، كطبقـــة اجتماعية ، فقد اتضح عجزها اقتصاديا وسياسيا عــن الحلول محل الرأسمالية الاجنبية في المغرب ، بواسطـة المراقبة الفعلية للابناك الاجنبية بعد تأميمها أو اعــادة على الاقل شراءها • ولا يمكن تفسير هـذا العـجز الا بضعفها في الميدان الاقتصادي ، حيث لاحضور لها الا في مجال التجارة ، وبغياب الوضوح والحزم في وعيها الطبقـي بحيث تخشى الحركة الجماهيرية وتلين امـام هدايا الحكـم •

ب) التصميـم الثلاثـي (١٩٦٥ ــ ١٩٦٧) ،

يأخذ العبرة ، ويؤكـد انتصار اولئك الـذين يـرون أن التنمية الاقتصادية هي ، قبل كل شيء ، الحصول على المال من الخارج قصد الاستثمار • ولذا اتجه الحكـم نحو الرساميل الخصوصية الاجنبية ، واقتدى باسبانيا في اتجاهها نحو السياحة • وبعد مرور اعصار مارس

١٩٦٥ ، صارت الابناك الاجنبية والعائلات المغربية (العلوي وبنجلون) تقدم على الاستثمار •

ج) التصميم الخماسي الثاني (١٩٦٨ ـ ١٩٧٢)

يعتبر استمرارا للتصميم الثلاثي مع فرق يتمثل في تسجيله لقصور الاستثمار الخصوصي الاجنبي وتوجهه الى الاستثمار العمومي الاجنبي أي الى الدول والمؤسسات المالية «الدولية» ؛ تلك المؤسسات التي يسيرها ماكنمارا ، الاستراتيجي الكبير في حرب الفيتنام •

والسبب في اضطرار بلادنا الى التسول في المجال الدولي هو أن الابناك الموجودة في أرض وطننا توجد تحت المراقبة التامة من طرف المصالح الفرنسية والاسبانية والامريكية • بل ان السبب هو في قيام الحكم ماضيا وحاضرا بحماية المصالح الاقتصادية لتلك الابناك الاجنبية التي تستعمر المغرب ، دون حتى أن تستثمر هنا تلك الاموال الطائلة التي تبتزها من خيرات ، وتقوم على العكس بضخها في فرنسا وغيرها • ولماذا لاتستثمر الاموال هنا ؟ لان الحكم بعيدا عن ارغامها على ذلك ، يشجع تحويل الاموال الى الخارج شرعيا • هكذا نجد أن قانون الاستثمارات الصناعية الذي وضع سنة ١٩٥٨ ، بموازات التغييرات التي تطرأ عليه يترك تنازلات ضخمة أكثر فأكثر للشركات الاجنبية تحت ضغط الابناك المقيمة على أرضنا • منذ سنة ١٩٦٠ ، منحت امتيازات جمركية ، واعفاءات من الضرائب ، ومنحة على التجهيز وضمانات لتحويل الاموال ، وذلك في مجال الارباح ، وفي مجال اعادة بيع التجهيزات والمباني في حالات التوقف • لكن الابناك الاجنبية لاتثق ، وتطالب بأكثر من هذا وخاصة بتخفيف ضرائب الدولة !

لكن ما الفائدة من قيام الابناك والشركات بالاستثمار ان لم تكن تؤدي الا أجورا بخسة للعمال ؟ ولماذا يراد منها ن تستثمر في بلادنا ما دام الحكم يشجع تهجير العمال المغاربة الى اوروبا ؟ هكذا يتجلى أنه فيما يتعلق بالمصدرين الاثنين لثروة بلادنا ، أي ابتزاز الغلات الطبيعية ، واستغلال قوة عمل الشغيلة المغربية ، اختارت الابناك والشركات الاجنبية :

١ ـ حصر الاستثمارات في أدنى مستويات قصد الحد من الاخطار •

٢ ـ تحويل الارباح الى الخارج ومعه أيضا تحويل العمال المغاربة المضطرين للهجرة بحكم غياب التصنيع •

ما هي المغربة ؟

ان سياسة تصنيعية تفرض ، كما أكدت ذلك تجربة عشر سنوات ، تأميم ونزع ملكية الابناك الاجنبية التي تسيطر على وسائل تمويل الاقتصاد في بلادنا •

ولم يتمكن الحكم من التزام الصمت أمام الوضع • فحدد سياسته :

لاتأميم ، لانزع ملكية ، لكن مغربة • فتفاقم الازمة الاقتصادية ، وتصاعد مطالب بورجوازية الاعمال الكبيرة ، دفعا بالحكم الى تحديد هذه السياسة التي تعني تطوير وتشريع قران تلك البورجوازية الكبيرة مع الشركات والابناك الاجنبية الموجودة في المغرب • ومن وجوه سياسة المغربة تلك : اشراك الالغارشيا المغربية في كبريات الاعمال الصناعية والتجارية الاجنبية خاصة منها الفرنسية • ويعني ذلك بالنسبة للرأسمالية الفرنسية ضمانة سياسة تكفل له تطوير أعماله في خط استعماري خالص • وأين الفرق ؟ وجود مغاربة في

المجالس الادارية ، حيث يصلون بعد تمحيص دقيق ، وحيث يظهرون «كفاءتهم» ٠ ان هذه الواجهة من سياسة المغربة التي وضعت بالتعاون مع الابناك الاجنبية المسيطرة على اقتصادنا وتجارتنا الخارجية ، تهدف الى توطيد صف الاوليغارشيا ٠ والواجهة الثانية للمغربة تلتفت الى البورجوازية في مجموعها ، أو الى أبنائها المتخرجين من الكليات ، والمترددين على قاعات الانتظار طالبين مغربة الاطارات التي صارت ملحة لان البطالة تتوسع حتى عند أهل الشهادات ، الذين بدأوا ، كالعمال، يتجهون الى المنفى ٠ وتعني تلك الواجهة استبدال التقنقراطيين الفرنسيين بشباب مغاربة مطلوب منهم خدمة مصالح الشركات والابناك الاجنبية ، هكذا تعني وتهدف سياسة المغرب تحقيق مهتمين باتجاه توسيع القاعدة الاجتماعية للحكم :

١ ـ تقوية الاوليغارشيا باقناع المجموعات المالية بصحة اتجاه اشراكها في أعمالها ٠

٢ ـ فتح نافذة للاغاثة من البطالة أمام جزء من أبناء البورجوازية كضحايا للاولغارشيا والابناك التي تسيطر على نظام القرض وتحصر التصنيع وتحرمهم بالتالي من الشغل ٠

ما هي هذه الابناك الاجنبية ؟

من بين حوالي ثلاثين بنكا يعمل في المغرب ، يوجد اثنان فقط تحت المراقبة الكاملة لعناصر مغربية : البنك المغربي للتجارة الخارجية حيث مساهمة الدولة قوية ، والبنك الشعبي ٠

أما بقية الابناك فيسودها الاجانب ٠ وتنقسم الى نوعين :

ـ الابناك الاجنبية التي توجد بها العائلات المغربية الكبيرة ٠

ـ الابناك الاجنبية التي تساهم فيها الدولة المغربية والعائلات المغربية الكبيرة ٠

ويرينا الجدول رقم واحد ، أسفله ، أن نفس العائلات المغربية ترتبط في الغالب بعدة أبناك مختلفة ٠ ومن دلائل ازدهار الابناك قدوم ابناك جديدة أمريكية وانجليزية وسويسرية الى البيضاء ٠

ويبلغ ما تتوفر عليه العشرة أبناك الكبرى المعنية في اللوحة١ حوالي ٢ر٣ مليار درهم (معدل ٧٠ـ١٩٦٩)، ويمثل ذلك ٧٥٪ من مجموع استثمارات الدولة المغربية في جميع القطاعات الاقتصادية خلال خمس سنوات (١٩٧٢ ـ ١٩٦٨) ٠

أما الارباح ، فلا يعرف منها الا الربح المعلن عنه ٠ وهذا لايبلغ الا ٣ر٢٠ مليون درهم ، أي بنسبة واحد بالالف من مجموع ما تتوفر عليه !

وتبرع الابناك خاصة في مراقبة المقاولات ٠ فمثلا نجد أن «قرض المغرب» Crédit du Maroc يمتد نشاطه الى كل القطاعات بدون استثناء ، بما فيها الفلاحة والمناجم والتجارة والصناعة والسياحة ٠ فهو موجود في كل مكان (انظر اللوحة ٢) ٠

لكن الملاحظة الاساسية هي الآتية : منذ ١٩٠٤ حيث تشكلت لجنة المغرب التيتجمع الابناك الفرنسية الكبرى، بنك باريس وكريدي ليوني ، ما فتئت نفس هذه الابناك وحتى الآن تسيطر على الصناعة والمعادن في بلادنا ٠ هكذا نجد أن أغلب علاقات الانتاج الرأسمالية في اقتصادنا توجد بيد الرأسمالية الفرنسية ؛ تلك

الرأسمالية التي أشرفت على الاحتلال العسكري لبلادنا واستعمار شعبنا · أما بورجوازيونا فينحصرون في مجموعة من المتاجرين وأرباب الاعمال الذين لايضعون حجرا أساسيا ولا يدشنون آلة من الآلات الا تحت حماية الدولة أو الابناك أو هما معا · والواقع أن البورجوازية فضلت المتاجرة والسمسرة على الاستثمار والمقاولة ، وبذلك صارت سمسارا وخادما للذين كان عليها ان تحل محلهم · لكن هل كان بوسعها أن تفعل أحسن ، وان ظنت زمنا أنها انتصرت ؟

لقد حرصت دوما الاقطاعية على حماية مصالح الاستعمار ، بينما كان يظن هذا الاخير ، أن بورجوازيتنا هي فعلا بورجوازية وطنية ·

لكن في سنة ١٩٥٦ ، صحح الاستعمار بسرعة نسبية خطأ تقديره في سنة ١٩٥٣ ، حائلا بذلك دون اعطاء البورجوازية الوقت التاريخي المطلوب كي تتحول الى بورجوازية وطنية حازمة · وسرعان ما امتطت الاقطاعية السراج واستعادت الزمام · لكن الحصان المجروح لايسعه الا الركل · هل تستطيع الاولغارشيا ، أن تتنكر لنفسها وتتخذ موقفا وطنياً من الابناك الاجنبية ؟ هنا يكمن على الاقل ذلك التناقض المستحيل تجاوزه والذي ترتكز عليه سياسة الاغراء التي ينهجها الحكم منذ بضعة أشهر ·



تعليق على الجدول

ان الجدول رقم ٢ ، يوضح العلاقات الموجودة بين مستوى الواقع الاجتماعي لاقتصادنا :

ـ الطبقات الممثلة من طرف العائلات الكبرى ·

ـ المؤسسات الممثلة من طرف الابناك

كما يبين الارتباطات بين :

ـ الابناك المغربية ·

ـ الابناك لاجنبية

أمامنا اذن العلاقة التالية : عائلات أجنبية ـ أبناك اجنبية ـ عائلات مغربية ـ أبناك أجنبية في المغرب ـ كبريات المؤسسات في المغرب المراقبة من طرف الابناك ـ أجهزة الحكم ذات الاسهم في هذه المؤسسات الكبرى ·

فالعلاقات المباشرة اذن ضيقة ، بيد أن تشابك المصالح كلي وشامل وموحد ، بين الاجانب وخادميهم في تصدير ثرواتنا عبر النظام البنكي ·

		الرأسمال	الممتلكات	الاربـاح	مساهمة الاسر المغربية الكبيرة
الابناك الاجنبية	– الشركـة المغربيـة للقـرض والبنك (١٩٧٠)	١٤ ٥٠٠ ٠٠٠	٣٢٤ ٠٠٠ ٠٠٠	١ ٨٩٠ ٠٠٠	
	– البنـك المغربـي للتجـارة والصناعة (٦٩)	٨ ٠٠٠ ٠٠٠	٢٩٩ ٠٠٠ ٠٠٠	٣ ٠٠٠ ٠٠٠	التازي محمد – مولاي حفيظ العلوي
	– الشـركة العامـة المغربيـة للابناك (١٩٦٩)	٨ ٠٠٠ ٠٠٠	٢٢٣ ٠٠٠ ٠٠٠	١ ٨٠٠ ٠٠٠	الحاج حسن بن جلـون
	– البنك الامريكي – الفـرنسي السويسري للمغرب (١٩٧٠)	٣ ٠٠٠ ٠٠٠	٦٦ ٠٠٠ ٠٠٠	٣ ٠٠٠ ٠٠٠	العمراني – بن ابراهيم – عبد المجيد بن جلـون
	– قـرض المغـرب	٨ ٠٠٠ ٠٠٠	٣٥٣ ٠٠٠ ٠٠٠	٣ ٠٠٠ ٠٠٠	
	– البنـك التجـاري للمغـرب ١٩٧٠	٨ ٠٠٠ ٠٠٠	٤٤٠ ٥٠٠ ٠٠٠	١ ٤٠٠ ٠٠٠	
الابناك الاجنبية ذات المساهمة الضئيلة من جانب الدولـة المغربيـة	· الاتحـاد البنكي الاسباني – المغربي	١٦ ٠٠٠ ٠٠٠	٤٥٠ ٠٠٠ ٠٠٠	٣ ٥٠٠ ٠٠٠	جنـان – النجاعـي
	– مساهمـة الشركة الوطنيـة للاستثمارات				
	· البنك الاسباني في المغرب	١٢ ٥٠٠ ٠٠٠	٧٧ ٠٠٠ ٠٠٠	١ ٢٠٠ ٠٠٠	الكتانـي – بنـانـي – السـلاوي – السبتي – العمراني
	– مساهمـة البنـك المغربـي للتجارة الخارجية				
	· شركة بنك المغرب	٧ ٠٠٠ ٠٠٠	٢٠٢ ٤٠٠ ٠٠٠	١ ٧٠٠ ٠٠٠	
	– مساهمة القرض السياحي والعقـاري				
الابنـاك المغربية ذات المساهمة الاجنبية الضئيلة	· البنـك المغـربي للتجـارة الخارجيـة	١٢ ٥٠٠ ٠٠٠	٥٥١ ٢٠٠ ٠٠٠	٢ ٥٠٠ ٠٠٠	الحاج عمـر السبتي – العمراني – الكتاني – بناني – السلاوي
	· البنـك الشعبي				

كبريات الاسر الاجنبية	روتشليد غرادس لازار بوصاك هرسنت	موركان روتشيلد شنايدر ميرابو لازار	مال سويسرة شنايدر روتشليد مال الولايات المتحدة
كبريات الاسر المغربية	الدمناتي ابن ابراهيم بناني العمراني		الحسين ـ محمد التازي مولاي حفيظ العلوي الدمناتي ـ الحاج حسن بنجلون
الابناك الاجنبية	ـ بنك باريس الوطني ـ بنك باريس وهولاندا ـ شركة البنك والمساهمة ـ كريدي ليوني	بنك باريس وهولاندا	الشركة الفرنسية للقرض والبنك القرض التجاري بفرنسا الشركة العامة
الابناك الفرعية في المغرب	كريدي المغرب البنك المغربي للتجارة والصناعة	بنك باريس وهولاندا	الشركة العامة المغربيةللابناك ـ البنك الامريكي ـ الفرنسي السويسري للمغرب ـ الشركة المغربية للقرض والبنك ـ شركة البنك في المغرب
مقاولات توجد على أرض الوطن وتخضع لمراقبة أبناك أجنبية	ـ الشركة الفلاحية لايت يازم ـ زيوت لوسيور ـ شركةالاستثمارات الزراعية في المغرب ـ الشركة العقارية والبناء للمغرب ـ شركة المساهمة والمراقبة ـ مناجم زليجا ـ شركة المعدن والصلب	ايدروليك افريقيا ـ المغرب هامل افريقيا فرانس اوتو اومنيوم شمال افريقيا	الشركة العامة للمغرب أومنيوم افريقيا الشمالية بنوروبا ـ المغرب
مؤسسات الدولة المغربية التي لها مساهمات في المقاولات الاجنبية	مكتب الابحاث والمساهمات المعدنية مكتب الفوسفاط	مكتب الابحاث والمساهمات المعدنية المكتب الشريف للفوسفاط	مكتب الابحاث والمساهمات المعدنية المكتب الشريف للوفوسفاط

فلسطين جديدة في أرض الصحراء

انفاس

تقديم

نعم ، (فلسطين جديدة في أرض الصحراء) • لان من تمعن في اتجاه الاحداث ، وتابع تطور مشكل الصحراء ، وأدرك السياسة الاستعمارية الاسبانية ، وأهمية المنطقة اقتصاديا وعسكريا • وغض النظر عن العجعجة اللفظية حول (مغربية الصحراء) أو (جزائريتها) أو موريطانيتها) لانها جميعا تدور في نفس الفلك التقسيمي الاستعماري وتحتفظ بالصحراء كقاعدة عسكرية لضرب حركة التحرر الوطني والقوى الثورية في غرب البحر الابيض المتوسط •••

لادرك أن حديثنا عن فلسطنة الصحراء أو روديسيا .الجديدة ، ليس من باب الاغراء الصحفي المبتذل ، انه واقع تعيشه الجماهير الصحراوية ، وتحبل به الاتجاهات الامبريالية •

وفي هذه المرة ، تقوم مجلة انفاس من جديد لتدق ناقوس الخطر ، وتوعي الجماهير المغربية بحقيقة ما يحاك لها في الخفاء ويهددها مستقبلا •

وخلاصتنا ، وبكل جراة ، وبكل ثقة في قدرة الشعب العربي في المناطق المحيطة وفي القوى الثورية الاسبانية• ان مسالة تحرر الصحراء توضع ضمن سياق تحرر الشعوب المحيطة بها ، وبدعم قوى من القوى الثورية الاسبانية ، ومنطلق هذه العملية التحررية ، ودعامتها الاساسية ، استقلال الجماهير الصحراوية في المبادرة من أجل التحرر • وكما تعلمنا كل التجارب الثورية ، ان التحرر من الاستعمار لايمكن أن يكون الا بالكفاح المسلح ، مع مراعاة خصائص البلد وقوته السكانية والجغرافية •

ولهذه الاسباب بالذات ، نطرح ضرورة دعم مثل هذا النضال الفدائي من الخلف بقواعد انطلاق أخرى ، ومن جميع الجهات المحيطة بالصحراء •

اننا أمام غزو استيطاني وخاصة بعد موت الدكتاتور العجوز فرانكو ، أمام روديسيا جديدة أمام فلسطين جديدة في الموقع الغربي من البحر الابيض المتوسط ، ولان العديد من القراء لايعرف الكثير عن الصحراء ، فقد حاول عرضنا أن يعطي معلومات أولية تعريفية مع الاحتفاظ بالخلاصات الاساسية •

ومن الافضل أن نعرض للقاريء المنهج الذي تبعه التقرير ـ الدراسة :

(١) الموقع السكاني
(٢) نبذة تاريخية
(٣) الموارد الاقتصادية
(٤) التركيب الاجتماعي وتطوره
(٥) الحزب المسلم
(٦) حوادث يونيه ٧٠
(٧) الاطماع المتنازعة والاحتمالات الواردة
(٨) طريق التحرير

١ ـ الموقع والسكان «

تتكون الصحراء من منطقتين أساسيتين : الساقية الحمراء ، ووادي الهب • وتسمى في الاصطلاح الحالي «بالصحراء الاسبانية» • وتقدر مساحتها بـ ٢٨٨ ألف كلم مربع • يحدها من الشمال المغرب ، ومن الشرق الجزائر ، ومن الجنوب موريطانيا ، ومن الغرب المحيط الاطلسي •

يقدر عدد سكأنها ، مع التحفظ ، بـ ٢٥٠ ألف نسمة ؛ جل السكان عرب ، ويدينون بالاسلام ، الذي يعتبر بالنسبة لهم ، احدى المقومات الاساسية لشخصيتهم المتميزة ضد الغزو الاسباني •

٢ ـ نبذة تاريخية موجزة :

حاول الاستعمار التسرب للمنطقة منذ القديم ، ولكنه فشل عدة مرات • وقد حاول في البداية استغلال التركيب القبلي ، لاذكاء التناقضات والفتنة بين القبائل ، ولكن محاولاته لم تنجح •

وبعد فترة ، بدأ يتسرب عن طريق التعامل التجاري مع اهالي المنطقة ؛ فاول قافلة تجارية دخلت المنطقة كانت في سنة ١٨٨٠ ، وذلك عن طريق المقايضة بالسمك (بيع البضائع مقابل أخذ السمك ، ،)

ثم صارت هذه القوافل الخارجية تبني مراكزا لها ، وهي عبارة عن «براكات» تقيم بها حامية قليلة العدد (١٠ جنود) مهمتها حماية البضائع المستوردة •

وفي سنة ١٩١٢ ، لم تشهد المنطقة أي استعمار مباشر ، بل بقيت على تلك الحال حتى سنة ١٩٥٦ وما بعدها • ولعل ذلك راجع في الغالب لفقر المنطقة واقتصار الاستغلال الاجنبي على اعتبار المنطقة سوقا صغيرة لترويج البضائع دون حاجة الى وجود استعماري مباشر •

ورغم ذلك ، فقد قاوم السكان حتى ذلك الوجود البسيط للاستعمار ، وطالبوا بطرد الاسبانيين نهائيا ، وحملوا السلاح في وجه اسبانيا بقيادة جيش التحرير المغربي • ويسجل التاريخ معركة الدشيرة العظيمة ، التي وقعت سنة ١٩٥٦ ، ودامت ٥ أيام ، وتكبدت فيها قوات الاستعمار الاسباني خسارة ثلاثين الف جندي •

رمع مجيء استقلال المغرب سنة ٥٦ ، وقع توقف جيش التحرير المغربي • لكن السكان لم يرضخوا • فطلب منهم المغرب أن ينضموا الى القوات النظامية ، ورفض جزء منهم هذا الطلب باعتبار أن الاستقلال الشامل لم يتحقق ، وأنه لابد من استمرار الكفاح ومقاومة الاستعمار • وتجمهروا جنوب طانطان في مكان يدعى «الشبيكة» ، واثر ذلك وزعت عليهم السلطات المغربية منشورات تناشد عواطفهم وولاءهم ، ولكن السكان تشبثوا بصلابة بمبدأ استمرار المقاومة من أجل تحرير الساقية الحمراء ووادي الذهب •

ثم قام النظام المغربي باتصال في مستوى عالي مع رؤساء القبائل ، وذلك في مؤتمر «بوخشيبية» ، من أجل اقناعهم بالانضواء في القوات النظامية ؛ لكن السكان رفضوا •

وأمام هذا الوضع ، استغلت فرنسا الظرف ، وأشعلت خلافا قبليا حربيا دام سنة تقريبا ، وكان المغرب بدوره يساند في هذا الخلاف احدى القبائل ، في صراعها مع الاخرى •

وكان واضحا أن الهدف من هذه الدسائس من مختلف الجهات ، هي القضاء على بقايا جيش التحرير ، وتصفية روحه بين السكان ، واشعال الفتن القبلية الاهلية لالهاء السكان عن الاعداء الحقيقيين ·

وحاولت فرنسا سنة ١٩٥٨ ، تشكيل جمهورية في الصحراء ، تكون عاصمتها تندوف ، فرفض الشيوخ على أساس تأكيد الانتماء للمغرب ·

ثم تقدمت اسبانيا ، ورحبت بهم ومنحتهم بعض الاسلحة ، واتخذت من قوادهم رؤساء عسكريين للمنطقة ··

وبعد استقلال الجزائر ، بقيت منطقة تندوف بدون تحديد ، فاعلن السكان عن مغربية المدينة ، ولكن الجزائر تدخلت فأجبرتهم على الاستسلام ، ثم عملت على دمجهم في المجتمع الجزائري ·
تنقلب على السكان ، وتكشف عن نواياها الاستعمارية ·

وفي سنة ١٩٦٤ ، حين ظهر الفوسفاط ، بدأت اسبانيا

أمام الوضع الجديد ، اضطرب السكان ، فبدأ بعضهم يلجأ الى المغرب ، والبعض الآخر يعتزل ، وبقي ينادي بعدم شرعية مواقف اسبانيا ، ويحرض السكان ·

وبدأت المعارضة تنمو في البوادي وبعض المدن ، في الوقت نفسه الذي كانت اسبانيا تؤسس مدينة العيون ، وتهجر الاسبانيين اليها ، وتؤسس فيها مراكز التبشير المسيحي · الا أن موقف السكان ظل سلبيا ، ينحصر في المعارضة الصامتة ·

وفي سنة ١٩٦٧ ، كانت اسبانيا قد هيأت كل شيء لتثبيت وجودها الاستعماري ؛ اذ أقامت قواعد عسكرية لها في كل من مدينة «العيون» و «سمارة» ، و«الداخلة» و «المحبس» ، وأقامت حكما عسكريا في وجه أي انتفاضة

للسكان ، عند هذا الحد ، بدأت تطورات سياسية هامة ، سنرجع اليها في نقط أخرى آتية ·

٣ ــ الموارد الاقتصادية :

يعتمد السكان في عيشهم أساسا على الحياة الرعوية (تربية الابل) ، وصيد الاسماك ، والتجارة · ومنذ سنة ١٩٦٥ ، وقع تطور جديد أعطى لهذه المنطقة أهمية خاصة باكتشاف مناجم الفوسفاط والحديد ، والبترول والغاز الطبيعي ·

فيما يخص الفوسفاط ، يوجد بالمنطقة احتياطي مهم ، ويرتكز في منجمي بوكراع ، وتشلة ، اللذين سيتمكنان من تصدير كمية مهمة سنويا · ويمتاز هذا الفوسفاط بجودة نوعية حسنة ·

ويرتكز الحديد في منطقة «الكويرة» ، و «رأس بوجندور» الا أنه لازال لايستغل ، وكذلك أمر البترول والغاز الطبيعي ·

واكتشفت الشركة الفرنسية «س·ج·ج·» في شهر اكتوبر الاخير البترول في منطقة «اديات امركبة» ، (امركبة نوع من النبات) ، قرب «السمارة» · ويوجد هذا البترول على السطح تقريبا ، وبكميات ضخمة ، بحيث يسهل استغلاله · لكن البدأ باستخراجه لازال لم يقع ·

هذه الموارد تجعل المنطقة محل اطماع استعمارية واسعة وكثيرة ·

٤ ــ التركيب الاجتماعي وتطوره :

يتلخص الوضع الاجتماعي في استمرار وجود التكوين الرعوي القبلي ، وبداية التمدن ، وبداية التمايز الطبقي ·

أ) ــ التكوين القبلي :

يطغى التكوين الاجتماعي العشائري ــ القبلي على البادية في الصحراء · ويرتبط هذا بنوعية وسائل

الانتاج المنحصرة في تربية الحيوانات وخاصة منها الابل ، وحيث تنعدم الفلاحة ، والاستقرار الجغرافي للقبائل ٠

وتنحصر الصناعة التقليدية في اطار عائلي موجه لسد الحاجات الخاصة بالقبيلة ، ولازال تسويق هذه البضائع ، في اطار سياحي مثلا ، ثانويا ٠

وتنظيم العمل في هذا المجال يعتمد على «وراثة الحرفة» واستخدام المعلمين» ٠ واذا كان نظام التوزيع الوراثي للملكية وسائل الانتاج وموارد العيش حسب القانون الاسلامي ساريا ، فان استغلال مجموع الممتلكات يقع ضمن «العشار» ، أي أن وسائل العيش يستفيد منها الجميع في اطار عائلي وقبلي ٠ ويوازي هذا التنظيم ، سيادة القيم الانسانية المعروفة عند البدو من شهامة ، وعقلية جماعية ، وكرم الخ ٠٠٠

والاصل في شيخ القبيلة أي رئيسها ، أنه لايمتاز على غيره الا بكونه صاحب علم وشرف وكرم ، ويشتغل بملكيته تماما كبقية أعضاء القبيلة ٠

أهم القبائل ست (٦) : الركيبات ، ازكيين ، أولاد تيدرارين ، أولاد دليم ، العروسيين ، قبيلة ماء العينين ٠

ويختلف النشاط الاقتصادي السائد حسب القبائل ، فمنها ما يوجد أغلبها خارج الصحراء في احدى البلدان المجاورة ومنها ما يغلب عليه الترحال ، ومنها من يشتغل خصوصا بصيد السمك ، أو بالتجارة ٠ وطبيعي أن ينتج عن ذلك اختلاف في مستوى العلاقة وبالتالي مستوى التناقض حاليا مع الاستعمار ، وكذلك مستوى الارتباط باحدى البلدان المجاورة ، من قبيلة لاخرى ٠

هذه الوضعية القبلية تعتبر عنصرا معرقلا لنمو الوعي الجماعي ، ولحم مجموع الجماهير في نهوض عام وموحد ضد الاستعمار ٠ ولعبت مختلف الدوائر الاستعمارية والرجعية على العقلية القبلية لعرقلة ذلك النهوض بالضبط ولمحاولة تحقيق أهداف سياسية في غير مصلحة الجماهير الصحراوية ٠

ب ـ بداية التمدن ،

أول عامل موضوعي «للتمدن» ، أو لظهور اللبنات الاولية لنشوء مراكز حضرية كان مجيء القوافل التجارية الاستعمارية ، التي كسرت وضعية «الانغلاق» وبدأت تروج العملة النقدية الخ ٠٠٠ الخ ٠٠٠ وتتمركز المصالح التجارية الامبريالية في لاس بالماس (الجزر الخضراء) ٠ وتعتمد على وسطاء صحراويين ، تأخذ منهم اقساطا باهضة مقابل تسبيق البضائع لهم بعد أن ترى أن فيهم الضمانات الضرورية ٠

وهناك أيضا كعامل ثاني ، احداث جيش نظامي دائم ومأجور ٠

وهناك أخيرا ، وعلى الخصوص ، اكتشاف معادن الفوسفاط والحديد ، وبداية استغلالها ، ونمو مراكز حضرية لتجمع السكان واستقرارهم ٠

أهم المراكز الحضرية الاولية ، الناشئة :

ـ العيون : وهي العاصمة ، ويقدر سكانها بـ ٢٠ ألف نسمة ٠ وهي أكبر مركز تجاري ، كما تشهد حركة سياحية ٠ يربطها خط للسكة الحديدية بالمنجمين الفوسفاطيين بوكراع وتشلة ٠ وتتوفر على ميناء كبير يتسع لاكثر من باخرتين المنقل ٠ كما توجد فيها المدرسة الثانوية الوحيدة الموجودة في الصحراء ٠

ـ الداخلة : ويسود فيها صيد السمك ٠ كما نقلت اليها الولايات المتحدة الامريكية القاعدة العسكرية التي اضطرت الى اجلائها من ليبيا ٠

ـ السمارة : وبها ثكنات عسكرية ٠ كما يوجد قربها احتياطي البترول ٠

ـ الكويرة : وهي مركز معدن الحديد • ولها أهمية سياسية نظرا لقربها من «ابطيح ازويرات» المدينة الموريطانية التي تتمركز فيها شركة استخراج الحديد ، والحركة العمالية النضالية دائمة فيها ، والكويرة تنقل أصداء وتأثيرات هذه الحركة النضالية الى بوكراع حيث يوجد أكبر تمركز للعمال (حوالي ٢٠٠٠٠ عامل ما بين صحراويين وأجانب اسبانيين وغيرهم) •

ـ المحبس : وهي أيضا ثكنة عسكرية ، لها أهميتها الاستراتيجية نظرا لقربها من حدود البلدان المجاورة الثلاثة « الجزائر ، وموريطانيا ، والمغرب •

وطبعا لازالت هذه البوادر الحضرية جنينية ، بحيث لم تتبلور بعد كوحدات اقتصادية متكاملة التركيب ، وبحيث ينحصر نموها في حدود الحاجات الاقتصادية والعسكرية للاستعمار ، ولكنها مع ذلك أساس موضوعي لاضمحلال العلاقات العشائرية ، وتطوير تناقضات اجتماعية جديدة •

ج ـ ملامح التمايز الطبقي :

ـ أول ملاحظة في هذا الاطار أن الاستعمار بدأ يستقطب شيوخ القبائل ، ويجعل منهم أدوات لسيطرته مقابل امتيازات مادية وسيأسية ؛ وقد صارت تتشكل هذه الفئة على أساس أرسطقراطي رجعي وعميل • وعادة ما تبدأ القبيلة بالشعور بامتيازات ووصاية الشيوخ وتعاملهم مع الغزاة الاسبانيين • ولاشك أن صعود الكفاح التحرري سيفضح بشكل صارخ خيانتهم التامة لقضية الجماهير • كما أنهم يعتبرون العماد المحلي للمناورات الاستعمارية الرامية الى اجهاض الوعي التحرري وسد الباب في وجه العواصف الثورية التي تهدد أبعد المصالح الاستغلالية الاجنبية ، المعدنية والتجارية والعسكرية •

ـ أما التجار فيشكلون فئة لابأس بها ، وهم عادة في تناقض مع الاحتكارات الاستعمارية التي تأخذ منهم اقساطا مجحفة ؛ هذا بالاضافة الى أن مقتضيات الكرم، وتسخير الارباح الضئيلة لضمان عيش كثير من الاشخاص في آن واحد تدفع بكثير منهم نحو الافلاس •

ـ هناك فئة من الصحراويين المنضوين في الجيش ،

ـ أما الطبقة العاملة فحديثة العهد ، اذ واكبت نشأتها عملية استغلال منجم الفوسفاط (على يد شركة رباعية بمساهمة رؤوس أموال اسبانية وفرنسية وأمريكية والمانية) • ولاشك أن اتساع هذا الاستغلال سيفرض نموها الكمي اكثر فأكثر •

لكن السلطات الاستعمارية الاسبانية تتبع منهجا خاصا في تكوين هذه الطبقة العاملة • فهي تفتح سجلات في القبائل لكل من يريد العمل في المناجم ، وتأخذ منهم الصور وعقود الازدياد وغير ذلك ، وفي كل مرة تستدعي قسما ضئيلا منهم للعمل في المنجم ، لكن ، ليس بصفة دائمة ، وانما لمدة ثلاثة أشهر فقط ، يتقاضى العامل خلالها أجرة قدرها الاجمالي ٨٠ الف فرنكا • وبعد هذه المدة يسرح العامل نهائيا من العمل على أساس أن يتقاضى من الشركة مقابل بطالته الدائمة تعويضا قدره ١٠٠٠٠ فرنك للعامل المتزوج و ٧٥٠٠ فرنك للعامل الاعزب (شهريا) • والرقم التقريبي لعدد العمال الصحراويين ٢٠ الف عاملا ، منهم ١٥٠٠٠ تعيش في البطالة المعوضة • وأغلب العمال المستقرين والدائمين هم اسبان ، جلبتهم السلطات من بلدها للعمل في الميناء والسكك الحديدية وحتى في قسط من المناجم •

ولا مجال للحديث عن أية حرية نقابية ، وعن أية مساواة داخل العمل ، طبعا • والسياسة الاستعمارية الخبيثة في تشكل الطبقة العاملة كطبقة مستقرة قائمة

بذاتها يضر طبعا بامكانيات النضا لالعمالي وتطور الوعي الجماعي للعمال • لكن وضع عدم الاستقرار ، والاضطهاد داخل المعمل خلال فترة العمل ، يسمح بنمو وعي مناهض للاستعمار ، ينقله العمال الى البادية عند عودتهم •

– وهناك أخيرا الفئات الشابة «المبلترة »والعاطلة • وتمثل اغلبية السكان ؛ ولازالت احدى خصائصها عدم الاستقرار الجغرافي بحيث تنتقل باستمرار بين البادية والمدينة • وهذه الفئة شديدة التذمر من الاوضاع الاستعمارية ، وجذرية في موقفها من الشيوخ الخونة • وفي مقدمتها فئة متعلمة وعاطلة ، تعلمت محليا ، أو رجعت الى بلادها بعد أن كانت في مدارس البلدان المجاورة كالمغرب • وهذه الفئة حيوية ومرتفعة الوعي طبعا ، وعادة ما تجدها في قطيعة تامة مع مخلفات العقلية القبلية • ويمكن الجزم على أنها تمثل رأس رمح حركة التحرر وعمادها الاول •

– والى جانب هذه الفئات المتقدمة من الجماهير ، فان «البادية» لايمكنها أن تبقى في موقفها الغير الايجابي من الاستعمار طويلا • خصوصا وأن الاستعمار الاسباني في اطار تخوفاته ، يعلف الشيوخ العملاء ، ويستفز القبائل الرحل ، اذ يفرض حدودا لمناطق تجولها ، ويخضع الاسواق لرخصته (منذ ١٩٦٧) الخ •• ويقيم الثكنات والقواعد العسكرية في عدد من نقط أرض الصحراء •

٥ – الحزب المسلم :

يمكن القول أن «الحزب المسلم» كان رد فعل أولي على محاولات الاحتواء والاستغلال من المصادر الامبريالية والرجعية •

ففي سنة ١٩٦٧ ، كون المغرب «جبهة» من بعض الموظفين المغاربة الصحراويين ، وأعطى رئاستها لحمدي بن سالك ، لتكون كواجهة لاقرار مطالب الحكومة المغربية أمام هيئة الامم المتحدة في كون الصحراء مغربية (الجماهير الصحراوية لم تؤيد هذه «الجبهة» لان ماضي زعمائها سيء) •

واهتدت اسبانيا لنفس المنهج فشكلت بدورها وفدا ادعى أنه «الممثل الشرعي» للسكان ، بقيادة المستشرق (راخيل) رئيس المخابرات الاسبانية في المنطقة •

وقامت موريطانيا من جهتها تطالب بالصحراء «كجزء من أراضيها» • **وامام هذه المناورات بدات قناعة اساسية تتكون عند السكان وهي ضرورة تشكيل حركة مستقلة تناضل من اجل الحقوق الشرعية والحقيقية لسكان الصحراء ، بالاعتماد على قدراتهم النضالية الذاتية بالدرجة الاولى ، وبعيدا عن كل المناورات التي تحاك ضدهم ، ومن أجل القضاء على الوصاية التي تحاول أن تفرضها عليهم الدوائر الامبريالية والرجعية•**

وقد كان الحزب المسلم التعبير الاولي عن هذا الاتجاه • وقد تاسس في شهر دجنبر ١٩٦٦ ، معتمدا في البداية على افكار خطري ولد الجماني المعادية للوجود الاستعماري ، ثم تعزز بأفكار بصري محمد (بفتح الصاد) ، الذي دخل المنطقة سنة ١٩٦٧ ، هاربا من متابعة الشرطة المغربية ، التي جرها عليه موقفه المعادي لتاسيس «الجبهة» المغربية ، والذي أعلن عنه في مجلة «الشموع» •

وقد تكون الحزب في سرية تامة ، في مدينة سمارة ، معتمدا على الاقرباء والاصدقاء المخلصين ، وكون له صندوقا ماليا اعتمادا على الواجبات المالية التي يدفعها الاعضاء (يدفع العضو في البداية ٢٠٠٠ ريال اسباني ، ثم يدفع بانتظام ٥٪ من أجرته) · وقد انتمى اليه السكان من كل الفئات (عمال ، جنود ، أصحاب المهن الحرة) ·

وحدد الحزب مبادئه الاساسية كما يلي :

١ ـ تحرير الصحراء من الوجود الاسباني ·

٢ ـ الانضمام الى المملكة المغربية مع الاحتفاظ بحقوق السكان كاملة · لكن التطورات فيما بعد وضعت خلافا شديد الحدة بين قادة الحزب حول هذه المسألة ·

٣ ـ طريق التحرير هي الحرب المساحة ، المعتمدة على جيش وطني من السكان ·

وعلى هذا الاساس جمع الحزب الاموال ، وحاول شراء الاسلحة ، ولكنه لم يحصل عليها من أي من البلدان الثلاثة المجاورة · ووقف عند مرحلة تكديس الاموال ·

٦ ـ مسلسل حوادث جوان ١٩٧٠ ، وأهميتها السياسية :

في سنة ١٩٧٠ ، عرفت الديبلوماسية المغربية تحركا واسعا استهدف الحصول على بعض الغنائم ، مع تكريس الوضع الاستعماري بشكل من الاشكال ·

وفي اطار المزايدة أمام الرأي العام الدولي ، نظمت اسبانيا حفلا كبيرا في مدينة العيون جلبت العديد من المبعوثين الصحفيين من كثير من البلدان وعن كل وسائل الاعلام · وبعثت اسبانيا من جهة اخرى بشاحناتها لجمع السكان من البوادي لاشراكهم في الحفل ·

وشعر الحزب المسلم باللعبة ، فقرر المشاركة ، وجمع عددا كبيرا من انصاره وبنى خيامه الخاصة ، ونظم حفلا خاصا به في ربوة تشرف على مكان الاحتفال الاسباني ·

كان الموجودون في الخيام الاسبانية ، من جالية اسبانية ، ومستشرقين وشرذمة من الخونة ، ينادون بحياة «الرابطة الاسبانية ـ الصحراوية» ·

وكان الشعب في صمت رهيب في خيام الحزب المسلم · وبعث الحاكم العسكري للمنطقة رئيس الشرطة والخائن المساعد له ، ليطلبا من هؤلاء «الانضمام الى السكان» في الخيام الاسبانية» والتباحث مع السلطات في مطالبهم · وأجاب الجميع : «الصحراويون موجودون هنا ، أما الموجودون في خيامكم فهم اسبان مستشرقون أو عملاء الاسبان · وبعد استشارة رئيس الشرطة مع الحاكم العسكري العام وقع الاتفاق على «ضرورة تطويعهم» · وذهب رئيس الشرطة ومعه فريق بقصد اجبارهم على القدوم · لكن السكان نهروه ، وأعلنوا له أن دخول الخيام ممنوع عليه لانهم لايقبلون بتحرك اسباني في المنطقة بدون ارادة الصحراويين ، من الان فصاعدا :

وغضب رئيس الشرطة فأخرج مسدسه وأطلق النار وأردى أحد السكان قتيلا · (وقع ذلك يوم الاربعاء ١٧ يونيو ١٩٧٠ على الساعة الخامسة عشية) ·

عندها ، أخذ أحد السكان صخرة وضرب بها قائد الشرطة على صدره وانتزع منه مسدسه ، وأفرغ الرصاصتين الباقيتين في اتجاه الشرطة الاسبانية ، ففرت هذه الاخيرة لتخبر الحاكم العسكري بما وقع ·

وجمع الحاكم العسكري توقيعات ما يسمى بالسكان (أي عملاء اسبانيا) · واعطى الاوامر للقوات النظامية بتطويق الحزب في خيامه واطلاق النار عليه من كل صوب · ففر كثيرون من السكان ، وسقط آخرون شهداء · وظلت الطلقات النارية تسمع في مدينة العيون حتى

الساعة الثانية ليلا، تم منع التجول لمدة ثلاثة أيام ·

وقد صرحت اسبانيا بسقوط احد عشر قتيلا · لكن الحقيقة أكبر من ذلك · ويضاف اليها أن اسبانيا أحرقت بالبنزين ٣٥ شخصا في غابة وادي الساقية البعيدة عن العيون بـ ٢٠ كلم ·

والمؤكد أن كل من عثر عليه الاسبانيون زجوا به في السجن · وقد حصلوا على كل وثائق الحزب وأمواله ·

أما رؤساء الحزب ، خصوصا بصري محمد ، ومحمد بن لوشاعة بن البصير، وخمسة أفراد آخرين ، فان السلطات الاسبانية وحدها عالمة بمصيرهم لحد الساعة ·

وقد تبع هذه الاحداث ثلاثة تطورات أساسية :

ـ تعمق الوعي الوطني التحرري للسكان ، وتوسع الاستعدادات النضالية فيهم ·

ـ تعمق الاشمئزاز من موقف الانظمة المجاورة ، وبالتالي تعمق الارادة على شق التحرير باستقلال سياسي ، واعتمادا على الامكانيات الذاتية بالاساس ·

ـ غياب القيادة الوطنية ، لان المعارضة احتوتها السلطات الاستعمارية · ومن أهم الاشارات الى ذلك أن خطري الجماني ، أحد المؤسسين الاولين للحزب المسلم، انضم الى «برلمان» الصحراء · وقد نادى في البداية بالمغربة ، ثم صار ينادي بالحماية لفترة مؤقتة يتم خلالها تكوين الاطر» · وهو الان من «الممثلين» الصحراويين السبعة المنتدبين في البرلمان الاسباني المدعو (الكورتيس) · (يتكون «برلمان» الصحراء من ٤٠ عضوا ، ينتدب من بينهم ٧ اعضاء الى الكورتيس الاسباني) · **وهذه التطورات السياسية تجعل جماهير الصحراء تتطلع الى قيادة ثورية جديدة ، لنضالها التحرري ، وهي تعقد كل آمالها على الشباب ·**

٧ ـ الاطماع المتنازعة ، والاحتمالات الواردة :

● أول ظاهرة بارزة هي عمل اسبانيا على ضمان نفوذها ومصالحها الاساسية في المنطقة · وبالاضافة الى التطويق العسكري ، والقمع الوحشي ، والمضي قدما في ابتزاز خيرات ارض الصحراء ، صارت اسبانيا تشرك معها الامبرياليات الاخرى في الاستغلال ، حتى لاتبقى معزولة في سياستها عن الامبرياليات العملاقة ·

وضمن هذا الاطار تدخل سياسة الشركات المتعددة الاطراف لاستغلال المناجم · وهناك ايضا حدثان دبلوماسيان هامان ، يرتبطان بعموم استراتيجية الامبريالية في المنطقة ، تلك الاستراتيجية الرامية الى بناء قاعدة عدوانية سياسيا وعسكريا في المنطقة ومراقبة مجموع غرب الوطن العربي ، وضرب حركات التحرر الافريقية ·

فقد وقعت اسبانيا وفرنسا سنة ١٩٦٩ ، معاهدة للدفاع المشترك لتأمين مصالحهما الامبريالية في الصحراء وموريطانيا بالخصوص ·

كما وقع تمديد معاهدة بين أمريكا واسبانيا سنة ١٩٧٠ ، تقبل بمقتضاها اسبانيا بتمديد وجود القواعد الامريكية في قلب اسبانيا ، مقابل قيام أمريكا بتثبيت وجود اسبانيا في الصحراء « بقواعدها العسكرية في المنطقة ، وبنفوذها السياسي لدى بعض الاطراف المنازعة لاسبانيا ، وبنفوذها الديبلوماسي على الصعيد الدولي ·

● الظاهرة الثانية هي تطورات المحور الثلاثي : المغرب ـ الجزائر ـ موريطانيا ·

والحلقة الهامة في هذا الصدد هي مؤتمر نواديبو المشهور ، والذي فشل حسب اعتراف ديبلوماسي ·

ويظهر أن المؤتمر دار بوضوح حول موضوع التقسيم الى ثلاثة أجزاء :

١ ـ المنطقة الشمالية الغنية بالفوسفاط، تتبع المغرب٠

٢ ـ المنطقة الجنوبية الغنية بالبترول ، تتبع موريطانيا ٠

٣ ـ يعطى للجزائر منفذ على المحيط الاطلسي لتمرير معادنها ٠ ووقع خلاف بين المغرب وموريطانيا حول موقع منفذ الجزائر ، حيث يريد كل طرف أن يقع في الجزء التابع للطرف الاخر ٠

وقد أساء هذا الموقف التقسيمي طبعا الى سمعة الانظمة القائمة عند جماهير الصحراء مرة أخرى ، وأكد عندها ارادتها في شق طريق تحرير نفسها بنفسها ٠

أما فيما يرجع لتناقضات الاطماع بين دول المحور الثلاثي ، فيظهر أنها قد خفت ٠

مما يشير الى ذلك ، من جهة موريطانيا ، كلمة ولد دادة في المؤتمر الافريقي الاخير (١٩٧١) ، حيث قال : «يجب أن نعمل على زوال الاستعمار من منطقة الساقية الحمراء ووادي الذهب» ، وهذا في موقفه لانه قبل ذلك أكد في عدة مناسبات على «أن اعتراف المغرب بموريطانيا لايلغي مطالب موريطانيا في الصحراء» ٠

ويظهر أيضا أن الجزائر لم تعد تنازع النظام المغربي ، ربما مقابل :

ـ اعتراف المغرب بسيادة الجزائر على تندوف ٠

ـ اقرار وضعية الحدود الحالية بين البلدين ٠

ـ اتفاق النظامين في معاهدة ايفران على الاستغلال المشترك لمعادن الحديد في الجبيلات قرب تندوف ٠

وارتبط المغرب بدوره مع اسبانيا ، بمعاهدة لحسن الجوار والتعاون الفني والثقافي ٠

● وهناك الان ثلاثة احتمالات لتطور الوضع السياسي للمنطقة ٠

ـ أولها التقسيم ، ويروج في الدوائر الرسمية الاسبانية ، حيث يقبل نظام الجنرال فرانكو بهذا التقسيم ، ويرفضه الجنرالات المتشبثون بالسيطرة الكاملة والمباشرة على المنطقة ٠ ويظهر أن المغرب قدم اقتراحا يتضمن اعطاء المغرب جزءا من الفوسفاط على أساس أن مردود استغلال المناجم يتم توزيعه بين أمريكا واسبانيا والمغرب ٠ ويتضمن أيضا سيادة المغرب على المنطقة ، مع ترك «الداخلة» (حيث صيد السمك) في يد الاسبانيين لمدة ثلاثين سنة مع الاحتفاظ بالقاعدة العسكرية الامريكية فيها ٠

ـ ثاني الاحتمالات ، هو الحكم الذاتي ، ويتضمن أن تشكل حكومة من رؤساء القبائل ، لكن تحت الحماية الاسبانية لمدة معينة في انتظار «تكوين اطر محلية» ٠ وقد كان هذا الشعار رائجا حتى عام ١٩٧٠ ، حيث صار يختفي ٠

ـ ثالث الاحتمالات هو حكم الاقلية الاسبانية ، على طريقة روديسيا ٠ ومن مقومات هذا الاحتمال :

١ ـ هناك ترحيل الاسبانيين باعداد كبيرة ، قصد جعلهم يشكلون ضغطا سكانيا على طريقة الاستعمار الاسكاني لارض فلسطين ٠ وقد بدأ هذا التهجير في الستينات ، وتمنح لكل المهاجرين الاسبانيين أقدمية عشر سنوات زورا في المنطقة ٠

٢ ـ تعلق العسكريين بالمنطقة ، التي اثروا على حسابها ٠ ويلاحظ من جهة اخرى ، تعلق حركة تحرير «لاس بالماس» (جزر الخالدات) بالمنطقة حيث يريدون بناء دولة صحراوية بقيادة تلك الجبهة) ٠

٣ ـ في حالة زوال النظام الفرنكي ، فان الصحراء مرشحة للانفصال أكثر من بوركوس ومن لاس بالماس ٠

٤ ـ الاسبانيون يدعون السكان الى مقارنة سلوكهم في المنطقة ، بأعمال البرتغاليين في جنوب افريقيا ٠

٨ ـ طريق التحرير :

ان المعطيات الاساسية في مسألة الصحراء ، تلك المعطيات المترابطة بين بعضها البعض يمكن اجمالها كالاتي :

ـ استمرار ورسوخ الهوية العربية لجماهير الصحراء ، وتشبثها بتلك الهوية ٠

ـ تصاعد الوجود الامبريالي باتجاه تحويل المنطقة الصحراوية الى قاعدة عدوانية على مجموع المنطقة العربية والافريقية المحيطة ٠

ـ انكشاف النوايا التوسعية والتقسيمية والاستغلالية البغيضة من طرف الرجعيات المحيطة بأرض الصحراء ٠

ـ تصاعد ارادة الجماهير الصحراوية في فرض استقلالها السياسي ، ورفض الوصايات الديبلوماسية والسياسية ، والاعتماد بالاساس على امكانياتها الذاتية لشق طريقها في درب التحرير ٠

ـ غياب قيادة وطنية صلبة لحد الان ، خصوصا بعد ان تعرضت المعارضة القديمة لقمع ، وبعد أن انضوت بقيتها ضمن المؤسسات الاستعمارية ٠

ـ ارتكاز كل الامال في اعطاء القيادة الثورية البديل في الطلائع الشابة الثورية الصلبة ٠

هذه المعطيات ، تمكن من تحديد الملامح العامة لتطور نضال جماهير الصحراء ٠

أ ـ الدور الطليعي لجماهير الصحراء في تحرير المنطقة :

ان من العوامل التاريخية الاساسية التي عرقلت نمو حركة التحرير في الصحراء ضمن الاستعمار الاسباني والسيطرة الاقتصادية والعسكرية الامبريالية وضد الخونة المحليين ، هو التدخل المستمر خلال كل الفترة التاريخية الماضية لتطويق وتفريق المبادرات التحريرية في الصحراء وفرض الوصاية عليها من طرف الرجعية المحيطة بأرض الصحراء ، وخاصة منها من جانب الرجعية المغربية ٠ وقد وقع دوما هذا التدخل الرسمي تحت غطاء مغربية الاراضي الصحراوية ٠ ومن الواضح أن الافلاس الملموس للرجعية على صعيد المعركة الوطنية ، وتعدد ارتباطاتها وتوثق تبعيتها للامبريالية ، يجعلها في الصف المعادي عمليا لتحرير الجماهير الصحراوية ٠

ان تعمق التناقض بين الجماهير الصحراوية والسلطات الاستعمارية يسير بموازاة انكشاف التعامل الرجعي ـ الامبريالي على حسابها ، ويجعلها بالتالي تنفر من شعار «الانضمام للوطن الام» في ظل الظروف السياسية والتاريخية الحالية ٠

ومن ثم يتخذ الدور السياسي المستقل لحركة التحرير الصحراوية طابعه الحاسم في شق الطريق الفعلي الصحيح للكفاح ، طريق العنف الثوري المسلح ، الذي أكدت حوادث يونيو ١٩٧٠ حتميته وضرورته بالنسبة للجماهير الصحراوية المضطهدة ٠ ان شق هذا الطريق تحت شعار محاربة الاستعمار الاسباني والهيمنة الامبريالية في الصحراء ، بالاعتماد أولا على ذات الجماهير الصحراوية ، ليتطلب رفض الوصاية السياسية من الرجعية المحيطة بأراضي الصحراء ، بكل حزم ٠

٢ ـ ارتباط تحرر الصحراء ، بتحرر المنطقة العربية المحيطة :

ان المبدأ الاساسي اعلاه ليلغي الشعار اللفظي حول «مغربية» المنطقة ، دون أن يأتي على الضرورة الحتمية

في تفاعل النضال التحرري في الصحراء مع النضال التحرري في البلدان المحيطة بالصحـــراء».

وهـذا الطرح يلغي النزعات الاقليميـة والشوفينية المختلفة سواء كانت من الجانب المغربي أو الموريطانـي أو الصحراوي ذاته ؛ ويستبدل ذلك بمبدأ التضامـن النضالي بين حركات التحرر في المنطقـة .

ذلك أن خصائص المجتمع الصحراوي المتمثلة في :

- ضعف عـدد السكـان .

- الطبيعة الجغرافية الصحراوية للمنطقـة .

- وجـود «لاجئين» صحراويين في المناطق المجاورة للصحراء داخل أراضي البلدان المجاورة .

وخصائـص السيـطـرة العسكـرية والاسكانيـة الاستعمارية ، هذه الخصائص الموجزة تجعل من المستحيل تحقيق النصر على العدو الاستعماري اذا لم تعتمد حركة التحرر الصحراوية على قواعد خلفية جماهيرية ونضالية صلبة ، تماما على غرار المسألة الفلسطينية والبلـدان المحيطة بها . وهذا الارتباط لايلغي الاهمية القصـوى المبادرة الكفاحية الصحراوية في تحريك مجمل الاوضاع المحيطة ، ووضع حد للانتظارية الديبلوماسية بممارسـة ثورية ملموسة ، ورفع الوصاية باستعادة الثقة بالنفس لجماهير الصحراء . وانه لمطروح على الجماهير العربية في مجموع بلدان المنطقة أن تضع التضامن النضالي مع الجماهير الصحراوية في جدول نضالها الملموس ؛ كما أن حركات التحرر في المنطقة سيكون مطلوب منها اقامة جبهة نضالية صلـبة لمواجهة المخطـطات العدوانيـة والاستغلالية والتقسيمية الاستعمارية والرجعية من أية جهة كانت ، واضعة أمامها باستمرار مطلحة الجماهيـر في التحرر الشامل من كل أشكال الهيمنة الامبريالية ، ومتجاوزة كل منطق اقليمي وشوفيني من أية جهة كان.

وان الجماهير المغربية على وجه الخصوص وطلائعها، نظرا لطبيعة الممارسات الرجعية البغيضة ، وللمواقف الاصلاحية اللفظية عليها أنتلتزم بمبدأ التضامن الفعال والعملي مع نضال الجماهير الصحراوية ، واضعة تلك العلاقة ضمن الترابط التاريخي بين ذلك الدعم النضالي، وأهدافها هي في التحـرر مـن الامبريالية والرجعيـة العميلـة .

وأخيرا فأن على الحركة الديمقراطية في اسبانيـا ذاتها أن تتضامن نضاليا وجماهيريا وبكل الوسائل مع كفاح جماهير الصحراء وعموم المنطقة ، ضمن نضالها ضد النظام الفاشي بقيادة فرانكو والرجعية الاسبانية .

ملاحظات في :

نقد الحركة الاصلاحية وأفقها الايديولوجي

ابراهيم الخطيب

١) هذا الموضوع ليس محاولة للاجابة بقدر ماهو عملية لطرح الاسئلة ، على الآخرين وعلى ذواتنا · ولهذا فاننا لن نكون «موضوعيين» كما يريد لنا المنهج البرجوازي الوصفي ، ما دمنا نريد تفسير الحاضر انطلاقا من تجارب الماضي وتفسير الماضي كخط سير نحو الحاضر · ونحن ندرك الصعوبة التي تنتظرنا خلال هذه الممارسة ، وندرك أيضا أن الاعتراضات ستكون كثيرة وعنيفة وأنها ستصبح أحيانا اتهامات ولكن كل ذلك لن يمنعنا من البحث ، حتى نستطيع تفسير معضلتنا السياسية الحالية وعناصر الازمة المختفية من خلفها · وفي هذا الاطار ، فان الحركة الاصلاحية في الشمال انما كانت مرحلة في «خط السير الوطني» ، ولكنها رسخت ، الى جانب عناصر أخرى ، أسلوبا في التفكير وطريقة في الممارسة لايزالان ماثلين أمامنا الى اليوم · وسيكون هدفنا تحليل جذور هذا الاسلوب وهذه الطريقة من خلال تجميع بعض الملاحظات (١) (التي تعتمد أساسا على كتابات الطريس) من أجل وضع الحركة ، وايديولوجيتها ، موضع تساؤل بالنسبة لظروفنا الراهنة · ولكن ، هل أصبح محظورا علينا ، الجيل الذي لم يعش كفاح الحركة الوطنية ، أن نراجع تاريخ هذه الحركة ؟ ان المهمة ليست سهلة ، وفي نظر «الكبار» نحن لسنا أكفاء لممارسة ذلك ، ولقد طالبنا مرارا أن يكتب تاريخ الحركة الوطنية ، غير أننا نعرف أيضا أن هذا التاريخ ينبغي الا يكون «كلاما في ترتيب الحوادث» بل محاولة للتصدي للمرحلة علميا · ان مؤامرة الصمت ، من جانب «المسئولين» عن الحركة الوطنية على الاسس المادية والطبقية التي سيرت الحركة لايمكن أن نعتبرها سوى نتيجة حتمية للتفكير «الانتقائي» البرجوازي الذي تظلله أوهام «الفردية» و «الطهارة» والذي أعطى الدليل مرارا على عجزه عن رؤية المضمون التاريخي ، النسبي ، للحركة ·

٢) الملاحظة الثانية : هل يمكن أن نتحدث ، داخل «الوضعية الاستعمارية» ، عن صعود برجوازي نحو انجاز مهام المرحلة الوطنية في غيبة الشرائح الطبقية الاخرى ؟ (١) اذ لاشك أن اتفاقية الحماية (١٩١٢) كانت ضربة قاسية وجهت الى البنى السياسية التقليدية ، ومؤسساتها ، وطرحت على جدول الاعمال مسؤولية تغيير الاساس شبه الاقطاعي المتخلف للعلاقات عن طريق «تجديد» وضع القوى الفاعلة أو اخضاعها ذاتيا لعملية تحول جذرية • غير أن ذلك ظل معلقا ، ما دامت امكانية المجابهة المباشرة للسلطة الاستعمارية (الاسبانية ـ الفرنسية) لم تكن ، رسميا ، موضع نقاش خصوصا وأن «السلطة الوطنية» سرعان ما تمثلت الوضع كما هو ، ولم يعد ، بالنسبة لها ، يشكل أي تهديد مادام يضمن لها فرص البقاء • ان مهمة «تجديد» العلاقات وآفاقها الاديديولوجية لم تكن ملقاة بالدرجة الاولى على كاهل الاستعمار (رغم أن طبيعة النهب الاستعماري كانت تقتضي ذلك) ولهذا فان ترسيخ وجوده ، تشريعيا سرعان ما أتاح له ربط صلات وثيقة مع الاقلية الاقطاعية التي كانت تساند «السلطة الوطنية» اذ ذاك • وتحت ضربات التشريعات الاقتصادية التي حملتها الادارة الاستعمارية الى المدن ، بموازاة ارتفاع خط الهجرة المنظمة والمصحوبة بالتملك القسري للارض ، تهاوت الاسر الارستقراطية القديمة ، وبدأت تصوراتها عن «النبالة» و «الملكية العقارية للارض كأساس حقوقي للسلطة» تذهب قبض الريح ، في حين كان «النموذج شبه البرجوازي» للاسرة يظهر ، داخل المدن ، وتنمو مصالحه الى جوار مصالح المستعمر ، وأحيانا بالتنسيق معه ، في جو «أكثر حرية» • انه ينبغي التذكير بأن الاسر الارستقراطية الاقطاعية ، ذات الاساس الاقتصادي المتخلف ، لم تتهاو بصورة نهائية ، فلقد كان مطروحا عليها أن تتلاشى ، أو أن تتمثل نوعية العلاقات البرجوازية الجديدة ، (الوظيفة ، بصفة خاصة التي لم تحرمها ، بشكل تام ، من «نبالتها» • لقد كان النموذج البرجوازي المغربي ، حينذاك ، في طور النشأة ، وكان فيما يبدو معجبا بالمؤسسات الاستعمارية وطريقة تسييرها ولكنه كان لايزال يعطف أيضا على الهياكل الاقطاعية التي خرج منها ، ويرى في ايديولوجيتها الدينية «أساسا ثقافيا وطنيا» ينبغي أن يخضع لتقييم عقلاني في ظل منهج «وضعي» يلبي حاجاته المتجددة (٢) •
في سنة ١٩٢١ ، لدى انتهاء الحرب الامبريالية الاوروبية الكبرى ، انفجرت الثورة الريفية في الشمال كرد فعل على بداية النهب الاستعماري الاسباني ، وأصبح مطروحا على جدول الاعمال الوطني مسئولية اعادة النظر في اتفاقية الحماية كليا وكان نموذج المجابهة المطروح هو النضال المسلح بوصفه «مشكلا منتهيا» بالنسبة لسكان البوادي الفقراء والفلاحين الصغار والمأجورين والطوائف المبلترة من سكان المدن والى حد ما ، بالنسبة للعمال ، خصوصا وأن الممارسة الفعلية لقبائل الشمال كانت قد أعطت الدليل على جدوى هذا الحل (٣) • غير أن الشرائح البرجوازية التي أخذت مؤسساتها تترسخ تدريجيا كانت ترى أن الوقت لم يحن بعد وأنه قد آن الاوان لتجديد القطاعات الاقتصادية عن طريق تجديد العلاقات داخل السوق الوطنية (المهددة ببضائع المستعمر) و «عقلية» الممارسات فيما بينها وبين الطبقات المتوسطة التي تستهلك قدرا متزايدا من الخدمات «الحرة» وهكذا بدأت عملية «الاصلاح الاجتماعي» (الهادفة في العمق الى خلق منافذ للمزاحمة في قلب السوق الاستعمارية) تكشف عن وجهها في شكل استقطاب وتوجيه للايدلوجية الاجتماعية المسلمة نحو «النموذج البرجوازي» في جهة ، وفي جهة

أخـرى استطاعـت أن تمتـص النقـمة عـلى الوضـع الاستعماري وأن توجهها فـي مسـارب اصلاحـية ذات هدف «ديموقراطي» يضمن استقرار المصالح البرجوازية ونموها ، ويضع الطبقة الجديدة في مكان المسئـول الحقيقي عن «النضال الوطني» ·

٣) الملاحظة الثالثـة : فـي ثلاثينات القرن العشرين نشطت في الشمال (تطوان ، بصفـة خاصة) حركـات اصـلاح اجتماعـي كـان يقـودها برجوازيـون أو ارستقراطيون سابقون استهدفت : الطرقية وبعض مظاهر «الفساد» و «التخلف» في المعاملات ، خصوصا علـى المستوى التجاري · لقد كان أكثر هؤلاء البرجوازييـن والارستقراطيين السابقين ، ـ موظفين فـي «الادارة الاهلية» التي كانت توجه مـن طرف «الاقامة العامـة» بكيفية مباشرة أو غير مباشرة (تبعا للوضع السياسي) · وقد لاقت هذه الحركات الاصلاحية ، المتشبعة بأفكـار «التقدم» ، استنكارا متزايدا من طرف «رجال الديـن» وبعض «العلماء» المتعاونين مـع المستعمر ، لاسبـاب مختلفة ، غير أن الاساس التحتي لمارستها استطاع أن يضمن لها بعض الاستقـرار :

أ) تنفيذ مشروع الشركة المغربية للكهرباء (شركـة مساهمة رأسمالية) ·

ب) انشاء المدرسة الاهلية (تعليم مزدوج : عربي/اسبانـي) ·

ج) انجاز مطبعة وطنية (مطبعة المهدية) ·

د) «الجمعية الخيرية الاسلامية» (مشروع خيـري اصلاحـي) ·

وفـي الوقت الذي كانت فيه اعداد من المستوطنيـن والبرجوازيين الاسبانيين تأتي لاستغلال مناجم الاسمنت والفحم وانشاء مصانع لتصبير السمك وتمديد طـرق المواصلات ، التي كانت تستعمل لاهداف استراتيجية ، كانت طوائف من اليهود المغاربة تقوم بدور الوسيط بين البرجوازية المحلية ووكلاء السلطة الاستعمارية «مـن أجل تحقيق قدر من التعاون» · ويبدو من الضروري تصور أن الاصلاحيين لم تكن لهم صلات بالبدو ، الذين عزلتهم الادارة الاستعمارية بعد فشل انتفاضات القبائل ، ولاشك أنهم كانوا رغم المحاولات المتكررة للاصلاحيين (كـان هنالك تسييس شكلي) · وهـنا ينبغـي أن نلاحـظ أن الممارسة البرجوازية لعلاقاتها الاقتصادية لم تكن قـد تجددت بصفة كلية · هذا كان يمكن ملاحظته حتى بالنسبة للجنوب ، مع اختلاف واضح · ذلك أن ظروف التعامل الجديدة لم تكن تستثني وجود العلاقات القديمة المتمثلة في الملكية العقارية للارض ، التي كانت لاتزال تخضـع لاستغلال ارستقراطي ، رغم افتراض تأجيرها ـ حسـب مبدأ ديني ـ لصغار الفلاحين ، بالاضافة الى ذلك ، فان الحركة الاصلاحية ظلت «واقعا» غير مقبول ، علـى الجملة ، منطرف شرائح تقف على أسس طبقية متناقضة أحيانا (بعض الارستقراطيين وفئات من فقراء المـدن وبعض البرجوازيين الصغار ـ الذين كانوا يعتبرونهـا حركة «نخبة» من الاسر) مع أن «الحكومة المحلية» ذاتها كانت قد أخذت تهيىء لنفسها بالنسبة للحركة نقـاط التقاء و «تعاون» تحت شروط اعتراف الاصلاحيين عمليا بالولاء لها ، وهذا أمر لم يكن في يوم ما مكان نقاش · (كما لميكن بالنسبة للحركة الوطنية في الجنوب) · ولقد وجد الاصلاحيون فـي ظروف الهجـمة الفاشيستيـة للفلانخيس Falarges ضـد جمهورية الجبهة

الوطنية في اسبانيا ، بعد الاستياء البرجوازي من حالة «الفوضى» الاقتصادية التي سادت المنطقة ابان الحكم الجمهوري والفترة الانتقالية ، فرصة للاعلان فيها عن رغبتهم في تأييد التحالف الكنسي ـ الفاشستي لقاء الاعتراف بـ «حزب الاصلاح الوطني» كمنظمة وطنية سياسية تقف ، داخل السيطرة الاستعمارية ، في مواقع «المعارضة» (أن هذا الشكل من الممارسة كان عنصر ضعف أساسي في الحركة ، ولكنه تعبير موضوعي عن أهدافها الطبقية) ٠ وهكذا قوبل بالصمت قرار «الحكومة المحلية» (التي كان يرأسها اذ ذاك أحمد الغنمية) بتجنيد مئات من الفلاحين في صفوف الجيش الاسباني الفاشستي ، كحل مؤقت للوضعية الاقتصادية المتفاقمة، في حين كان بعض «المثقفين الاصلاحيين» ، الذين سموا مارقين فيما بعد ، يذهبون الى (سلامانكا) للاعلان عن مساندتهم لفرانكو وجيشه «المظفر» في اطار (البروباجاندا الاصلاحية) ضد الحكم الوطني في اسبانيا ٠ في سنة ١٩٣٦، أصبح الحزب يمارس نشاطه علنيا ، وكانت صحافته («السلام» ، «الريف» ، «الحياة»، «الامة») تعبر بصورة واضحة عن الخط المنحرف الذي سينهجه الحزب فيما بعد ، والذي كان في الواقع نتيجة حتمية لمنظوره الطبقي:

(١) الاعتماد ، سياسيا ، على اسلوب «المطالبات» ٠

(٢) ايجاد صيغ للتعاون مع الحكومة المحلية التي كانت الاقامة العامة «تباركها» وكان الحزب يتوهم وجود تناقض أساسي فيما بينها ٠

(٣) رفع شعارات «ديموقراطية» (انتخابات بلدية ، دستور ، «معونات» ، حريات عامة ، الخ) ٠

٤) الملاحظة الرابعة : (١) سيكون هدفنا الان تحليل المعطيات الايديولوجية للحركة الاصلاحية ، كما تبدو من خلال كتابات الطريس بصفة أخص ٠ وفي البداية ، نرى أنها كانت تنطوي على مجموعة مواقف بعضها أساسي والاخر ثانوي ، وينبغي أن نفترض بدءا أنه برغم «ضعف العنصر الديني» للحركة ، فانها كانت ، مع تصاعد «المحافظين» ، تحاول أن تستغل «العواطف الدينية» كأداة لاستقطاب الاهتمام الوطني ٠ لقد كان أول خطاب للطريس بعد اعلان «حزب الاصلاح الوطني» حزبا سياسيا ، خطابا دينيا تماما ٠ ان تصور الطريس للوطنية ، يختلط الى حد ما بتصوره للدين ، يقول : «الوطنية والدين شيئان لامحيد لاحدهما عن الاخر ٠ فالوطنية للدين تخدم والدين للوطنية السامية يؤهل» ومع أن الحركة كانت تعتبر نفسها حركة «تجديد اجتماعي» تتجاوز الاخلاق المتخلفة لتصيب المؤسسات ، فان الطريس كان يطلب من رجال الدين أن يرجعوا الى «سلوك السلف الصالح» و «تفضيل الروحيات على الماديات» الخ : ان الاساس السلفي قائم ٠ وسوف نلاحظ أنه يطبع عددا من مواقف الطريس ٠ أما ايديولوجيا فان الاصلاحيين وجدانيون هدفهم محاربة «طغيان المادة» (١٢/١٩٣٨) ويكون ضروريا أن نسأل أنفسنا ، الان ، في أي اتجاه سيسير هذا الخط ؟ ان الخلط بين معنى الوطنية ومعنى الدين كان سيقود لاشك الى تصور «اخلاقي» لمعضلات ذات أساس «وضعي» ٠ ولهذا أصبحت الوطنية شيئا غامضا يشبه «الشعور بالواجب وأصبح التاريخ القومي ، بعيدا عن أن يكون حركة موضوعية متطورة يلعب فيها عنصر المبادرة الذاتية دورا هاما ، نسخة طبق الاصل مما رسمته

«ريشة الرب العادل القادر» ، وتكون النتيجة الحتمية لكل هذه المقدمات «ان الدين الاسلامي» هو «أصلح نظام لمجتمعنا» ويكون منطقيا بعد ذلك أن يكون من مهمات الفرد الاربع «الايمان» ان هذا لايبدو متناقضا مع السلوك البورجوازي العام · فهنا ينبغي ملاحظة أن التطور التدريجي للبورجوازية ، بالنسبة لنا ، كان يسير جنبا الى جنب مع الابقاء على المؤسسات شبه الاقطاعية ، والاقطاعية ، وبالتالي على بناها الفوقية ، كما هي كذلك فان نفوذ «المحافظين» ، داخل الحركة ، لم يكن قد وضع بعد موضع تساؤل ، الامر الذي مهد لتضخم «التيار السلفي» بصورة واضحة ·

(٢) ان التصور البرجوازي للامة والشعب والوطن هو تصور تجريدي ، وحين يحاول الايديولوجيون البرجوازيون التعبير عن معاني هذه الكلمات فانهم يهملون أسسها المادية ، ومن ثم يستنفرون حصيلتهم «البلاغية» ويحلمون» بـ «جنات الخلد» · لقد كان الطريس يعترف بوجود «طبقات اجتماعية» (وان كان مدلول الطبقة ، عنده ، ليس واردا في اطار تصور علمي) · ولكنه ، كأي مثقف مثالي ، كان قاصرا عن ادراك علاقاتها فيما بينها وأساس التمييز في هذه العلاقات ، ومدى التناقض الذي يحد من «انسجامها» (كما يريد التصور البرجوازي) · ان هذا العجز الطبقي عن الرؤية العلمية ، الذي يخدم بدوره ايديولوجية طبقية ، كان ، بالحتم ، سيؤدي الى ظهور «افكار انجيلية» تعتمد معطى ذاتيا : ولهذا ، فان الطريس ، كان يرى ، مثلا ، أن «المغرب يحب أبناءه على السواء ، فلا فرق بين طبقة وطبقة» دون أن يجيب على سؤال يطرح نفسه تلقائيا وهو : من «المغرب» هذا ؟ وانطلاقا من هذا التصور فان الاغنياء ، في رأيه ، مسؤولون عن «اصلاح الحياة الاجتماعية» على مستوى الوطن ، بالدرجة الاولى حتى «تكثر بيننا مظاهر المدنية والرقي» · لاشك أن التحليل الذاتي هو الذي يقود الى هذه النتيجة، وينبغي أن نفهم ، هنا ، أن «الاصلاح» يتضمن أيضا اصلاحا ايديولوجيا من نوع ما ، فالهيمنة البرجوازية لاتاتي من تلقاء نفسها ، وبالتالي فان مسألة السلطة تصبح أمرا مفروغا منه · غير أن الطريس ، اذا كان يؤكد عدم وجود فوارق طبقية بين أبناء المغرب ، فان الامر يبدو مختلفا بالنسبة للافراد الذين يكونون هذه الطبقات · ان المنطق الصوري هو ، أساسا ، منطق ديماغوجي : فكما أن الافراد مختلفين فيزيولوجيا كذلك ينبغي أن نطمئن الى أن اختلافهم في «الظروف» أمر واقع : «لسنا من القائلين بالتساوي في الملكات والحظوظ ، ونعتقد أن الله ميز ولكل في الحياة نصيب ولا يقدر هذا على ما يعمل ذاك ولا أن ينال هذا ما يناله الاخر» (١٩٣٨/١٢/٨) وعندئذ يصبح تكريس التفرقة أمرا مشروعا بالحق الالهي مادام يمس مسألة جوهرية بالنسبة لاي ايديولوجية بورجوازية هي مسألة الملكية الخاصة ، ويكون ضروريا اذ ذاك أن تنسحب أذهاننا لتعميم هذا الوضع على مستوى سيكلوجي ، حسب المناهج الهيومانية الامريكية : فلكل منا استعداد للعيش على شكل من الاشكال ، واذا أهمل الفرد هذا الاستعداد الغريزي ··· فانه ينحرف كل الانحراف عن المهمة الاصلية التي أنيطت به كموجود لنفسه» · ان نظرية «المهام الاصلية» تعني ، وراء ذلك ، الابقاء على الواقع الطبقي كما هو · غير أن طرح المسألة الطبقية ، على هذه الصورة ، انما كان يهدف الى وضع مسألة أخرى، هي مسألة السلطة الايديولوجية ، كمسلمة ، باعتبارها

تعبيرا عاما عن «تصور واحد للوضع» . ان هذا ما يعنيه الطريس عندما يقول : «أما مهمة الامة في نفسها فهي السعي للسيادة» ولاشك أننا نستطيع أن نطرح هنا عدة أسئلة : ما هي الامة ؟ ما هي السيادة ؟ بمن ؟ ولصالح من ؟ الا أن الاجابات تظل دون مستوى النقاش .

(٣) ــ يقول فانون) : «ان ميلاد الاحزاب الوطنية في البلدان المستعمرة قد عاصر تكون نخبة من المثقفين والتجار» (معذبو الارض ــ ص ٥٣ ، ماسبيرو) والواقع أن الايديولوجية الاصلاحية تعطي أهمية غير محدودة «للمثقفين» ، وهذا ينعكس على نوعية ممارساتها بصورة واضحة . وهي في هذا لاتبدو مختلفة مع الوضع العام لكل الطبقات البرجوازية التي ترى المثقف ، بالاضافة الى تميزه الطبقي ، «قوة اخلاقية» . ان الطريس يذهب بعيدا اذ يعتبر أن «الوطني» هو «المثقف»: «الوطنيون في المغرب هم الطبقة المفكرة التي شعرت بقوميتها واتعظت بأحوال الامم الاخرى ورأت من الواجب المفروض عليها أن تؤدي رسالتها في هذه الامة بارشادها واصلاحها والاخذ بيدها الى أن تخلق منها أمة محترمة محفوظة الجانب» وفيما بعد يضيف : «ان شعبنا عندما أرادت هذه الطائفة اشعاره بمركزه كان غافلا كل الغفلة عن نفسه وعما يدور حوله» (١٧/٩/١٩٣٦) ان تفوق المثقفين يصبح مسلمة أخرى تقدمها الايديولوجية البرجوازية ، غير أن الطريس ينسى الاجابة التي ردت بها «القبائل الفقيرة» في الشمال على الواقع الاستعماري . ومن جهة أخرى فان الطريس يطرح مسائله بوضوح : هناك «طبقة تعي» ويتمحور وعيها في «الدور» الذي تمارسه ، وهناك «طبقات لاتعي» . وهذا يظل مفهوما في اطار التفسير الكلاسيكي لوضع البرجوازية الوطنية

تحت السيطرة الاستعمارية (واقع وعيها الطبقي، المتولد عن ظروف موضوعية) غير أن المسألة ينبغي الا تبقى نظرية فحسب ، ولقد دلت ممارسات حزب الاصلاح الوطني ، (والحركة الاصلاحية عامة) على وعي جاد بمصالح طبقته الآنية ، (تمديد النفوذ الايديولوجي) ولكنه عجز ، عبر أسلوب «التعاون» ، عن فهم حتمية المسار الذي سوف تتخذه علاقاته بالمستعمر في المستقبل : ان أحدا لايستطيع أن ينفي أن تجربة عبد الكريم الخطابي وأخيه ، كممارسة نضالية ذات عمق وطني ، رغم أخطائها ، ظلت «لقيطة» بالنسبة لاساليب النضال السلمي التي اخذ بها الاصلاحيون» ومثقفوهم . ولهذا ، يظل من قبيل التضليل الديماغوجي أن يطالب المثقفون الاصلاحيون «بالضرب بالمصلحة الشخصية عرض الحائط» . ان الطبقة البرجوازية حريصة على نشر «ثقافتها» (ايديولوجيتها) لان هذا الوضع يساهم عمليا في «توسيع دوائر هيمنتها الاجتماعية» ، بلغة لوكاكش . ولا شك أن اعتماد أسلوب «النضال السلمي» (الديموقراطي ، المعادي للعنف !) استطاع أن يكون عاملا نسبيا في الحفاظ على المنجزات المحدودة (النفوذ «الحقوقي») التي حققتها البرجوازية الاصلاحية حتى ذلك الوقت . ان اللغة تبدو غريبة الان ، ولكنها كانت تلائم تماما حقيقة مصالح الاصلاحيين : لقد كان الطريس ، كمنظم لسلوك طبقة ، يرى أن «قضية المطالب» هي «أهم مسائل منطقتنا الحيوية» وهذا يصبح عاديا مادام ليس هنالك من أسلوب آخر . وفي مكان ثاني ، يعتبر أن الطلب هو «خير دليل على التشبث بالسلم (١/١١/١٩٣٣) ان هذا لاينسحب على الحركة الاصلاحية وحدها ، بل يتجاوزها الى الحركة الوطنية ككل (الحركة الوطنية «الرسمية») ،

فالبرجوازية تملك قدرة غامضة : انها تطالب بالعنف ، لفظيا ، ولكها في الواقع «معتدلة» ، وفي اطارها «يتصرف المثقفون كبرجوازيين جدد» (ديبيناي) · لقد كان (ماركس) ينتقد سلوك البرجوازيين الصغار ، وضعفهم ، والواقع أنهم يتحدثون كثيرا عن رغبتهم في ايجاد «تنظيمات» ، لاتخرج عن مسئوليتهم الفعلية ، ولكنهم ، بالاضافة الى ذلك «ضد العفوية» ، التي يتسم بها سلوك الجماهير في رأيهم · وبصفة عامة ، فانهم كانوا أيضا «ضد العنف» · ان التشبث بالاسلوب كان يدفع الطريس أحياناً الى التنصل من مسؤولية العنف تجاه المستعمر ، ويعبر عن الموقف هذا بصورة مزدوجة : «ادعت فرنسا أننا أنصار الثورة فبطشت بالثائرين وليتنا كنا على استعداد لنريها أننا وان لم نكن من أنصار الثورة ففي مقدورنا دفع الاعتداء وحماية الحق المغصوب» وها هنا تصبح اللغة بلاغة مزدوجة ، ملتوية ، ولكنها مفرغة وضد منطق التاريخ : «اننا ننتظر أن تعود فرنسا لرشدها وتمد اليد للاحرار من المغاربة» (١٩٣٨/١٢/٨) ولهذا فان الاضراب والتظاهر ينبغي اعتبارهما من بقايا «التكالب على المادة» وضد «وجدانية» الحزب (١٩٣٩/١/١٩) «أما التهديد فكل ما يصدر عنا من صيغ كلامية فليس القصد منه سوى الاسترعاء» (١٩٤٦) ولا بد أن نفهم العكس ، وحسب المنطق النوعي للممارسة الاصلاحية ، عندما يقول الطريس : «قالوا عنا اننا نعنف ونتطرف ، وهذا صحيح ، والداعي الى الشدة قلة ما ربحناه من الاعتدال» · ان التاريخ ، فيما يبدو ، لايصحح خط الممارسة : ففي سنة ١٩٤٧ اصبح واضحا أن الحزب «لن يقر أساليب العنف والاعتداء ويفضل سلوك طرق السياسة والاقناع» وبعد خمس سنوات (١٩٥٢) كان خير ما ينصح به أنصار الحزب «الصبر والاعتدال» السلام ، السلام ، السلام ، لقد أنجز «المثقفون الاصلاحيون» مهامهم ، ومن الواضح أن انتماءاتهم الطبقية لم تكن قادرة على أكثر من ذلك : ان المأزق لم يكن تعبيرا عن اختيار ، بل كان تعبيرا عن واقع طبقي ، وبالتالي عن فشل طبقة في انجاز النضال الوطني ، عبر ممارسة العنف ، وطرح مسألة السلطة كقضية أساسية ·

٥) الملاحظة الخامسة : هل كانت الحركة الاصلاحية تملك استراتيجية محددة تتصرف داخلها ؟ ما هو توجه اهتماماتها بالنسبة للقضايا ذات التأثير على «الوضع المغربي» ؟ قبل الاجابة على هذين السؤالين ينبغي أن نشير الى أن الحركة الاصلاحية كانت تواجه أربع قضايا أساسية :

(١) الموقف من «العالم الاسلامي» والوحدة العربية·
(٢) الحرب الاهلية في اسبانيا ·
(٣) «النفوذ الشيوعي» ·
(٤) دور الولايات المتحدة الامريكية بعد الحرب الثانية ·

وسوف نحاول مناقشة هذه القضايا بصور متفاوتة (١) : والواقع أن «الفكرة الاسلامية» لم تكن تغرب عن بال الطريس ، فهو مثقف سلفي يريد أن يطرح المسائل الوطنية طرحا «وضعيا» عن طريق تبني مقولات (جمال الدين الافغاني) التي تقادم عليها العهد · لقد اعترف علال الفاسي نفسه بأثر (القرويين) على التكوين السلفي للطريس (٤) ، غير أننا ينبغي أن نعتبر أن هذا انما كان بصورة جزئية ، وان اقامته في مصر قد حددت بالفعل معطي هذا الاثر بحيث أصبح من قبيل «الممارسات

اللامشروطة» التي تبنتها الحركة الاصلاحية دون ابطاء ٠ ان الاقتناع بالفكرة الاسلامية ، عند الطريس ، كان يتجاوز حدود الواقع ليرتقي الى مستوى الوهم بامكانية «وحدة اسلامية» على شكل «امبراطورية» تضم جميع «المؤمنين» وتعيد لهم «الامجاد الخالية» التي لازالوا يحلمون بها ٠ لقد كانت المسألة ، بالنسبة للطريس كما بالنسبة للمثقفين البرجوازيين ، مسألة استعادة للذات، ذلك «أن التذكير بالامجاد العربية الاسلامية الغابرة قد تلاءم في المرحلة الاولى المترجرجة للحركة القومية مع شعور المثقفين بوجودهم» (بولين) غير أن موقف تركيا في سنة ١٩٤٨ من القضية العربية ـ الاسرائيلية ، واعترافها بالتقسيم ، استطاع أن يضع كل ذلك في موضع حرج ، ولكن الطريس اكتفى بأن أبدى أسفه على ما حدث ٠ هل كان باستطاعة الاصلاحيين أن يفعلوا أكثر من ذلك ؟ ان الطرح اللاتاريخي للمسألة الاسلامية قد أدى الى عدد من الالتباسات ، وعلى الجملة فان النضال الوطني هو وليد وضعية استعمارية ولهذا يظل ادخاله في منافذ «دينية» من قبيل التشويه المفتعل ٠ والواقع أن هذا التوجه برمته ، تحت التفسير الماركسي ، انما يقود الى البلبلة : ان الطموحات الفعلية للايديولوجية الاصلاحية هي طموحات قومية ٠ ودون الدخول في نقاش حول الاساس المادي (مسألة «السوق القومية») لهذه الطموحات ، فان طبيعة النضال الوطني ، منذ الثلاثينات وحتى منتصف هذا القرن ، كانت تكتسي طابعا قوميا لاشك فيه ، (من قبل ، كان المقاتلون الريفيون بدورهم ، يرفعون شعارات قومية وأيضا دينية) رغم ظروف التجزئة ٠

(٢) هل كان طبيعيا أن تقف الحركة الاصلاحية في الشمال الى جانب «الفاشستيين» خلال الحرب الاهلية الاسبانية ؟ ان كلاما كثيرا يمكن أن يقال بخصوص «التاكتيك» الذي انتهجته الحركة والذي يرمي في النهاية الى تحقيق «الاستقلال» بأي وسيلة ، غير أننا نخطيء كثيرا جدا حين لانراجع هذا «التاكتيك» ذاته مراجعة طبقية : لقد أصبح مكشوفا ، الان ، أن الحركة الاصلاحية، قبل تأسيس حزبها وبعده، كانت تملك علاقات مع السلطة الاستعمارية سواء بواسطة «الحكومة الوطنية» أو بواسطة بعض أعضاء الحركة «المرموقين» ٠ ولاشك أن هذا الارتباط ، آجلا أو عاجلا ، كان سيقودها حتما الى مجموعة من الاخطاء ٠ غير أننا ينبغي ، من موقعها ، أن نفهم هذه الاخطاء كانعكاس لايديولوجية الحزب الطبقية و «أسلوبه النضالي ـ البرجوازي الاصلاحي» الذي يعتمد سياسة «المطالبات» و «تقديم العرائض» رغم أن روح شعبنا «روح عسكرية حادة» (كما يعترف الطريس نفسه ١٩٣٨/١٢/٨) ٠ لقد كان أول امتحان لنوعية التوجه الطبقي للحزب تفجر الحرب الاهلية في اسبانيا فيما بين الديمقراطيين والجناح الفاشستي العسكري الذي كانت تسانده الكنيسة و الاحتكارات الاجنبية ، بالاضافة الى النظم الفاشية في المانيا وايطاليا ٠ أن أي تبرير لموقف الحزب من الحرب لايمكن أن يكون مقبولا مادام ينطوي على فهم غير واضح لطبيعة القوى الطبقية المتصارعة ومصالحها ٠ ان الطريس يؤكد (١٩٣٣/١١/١) في بداية التصاعد الديموقراطي أن «انقلابا خطيرا حدث في الامة الاسبانية» وأن عمق هذا الانقلاب ديموقراطي وضد السلطة الفردية ٠ وكانت الحركة الاصلاحية ، قبل ذلك (١٩٣١) ، قد قدمت الى رئيس الحكومة الاسبانية المؤقتة مجموعة من المطالب تتعلق بانتخاب المجالس البلدية وانشاء مجلس شورى وضمانة حرية الصحافة والنشر والاهتمام بالتعليم وتخصيص ميزانية للفلاحة، غير أن هذه المطالب ، لاسباب تتعلق بطبيعة السلطة في تلك

الفترة ، لم تلب ، وحين بدأ التحرك للاطاحة بالنظام الوطني في اسبانيا ، بعد أن اتضحت طبيعة توجهه ، بدأ الحذر يطغى على مواقف الحركة الاصلاحية الى أن أصبح تحالفها المناهض لحكومة الجبهة الوطنية ، والمتعاطف مع الحركة الفرانكوية «أمرا واقعا» • وعندئذ بدأت حملة التملص من «الحوار» الذي كان قد جرى بين الحكومة المؤقتة والحركة الاصلاحية باعتبار أن هذا الحوار لم يكن ممكنا • «ان الجهاد الوطني يلزم الا يسمع من جديد نغمة تحالفه مع الحمر ضد الحكومة القائمة ، لانها نغمة بليدة يعلم المسؤولون من رجال الحكومة أنها محاطة بظروف تجعل قبولها مستحيلا من جهتنا» (١٩٣٨/١٢/٨) اما «الظروف» فهي : التركيب الطبقي للحركة الديموقراطية في اسبانيا : العمال ، والفلاحون ، والبرجوازيون الصغار (٥) الخ• وفي مقابل «الاستحالة» كان هنالك الصمت على تجنيد الآلاف من الفلاحين الفقراء والبدو المغاربة لمصلحة الفاشستيين ، وكان هنالك بعث أفراد من «المثقفين الاصلاحيين» ، لاذاعة بيانات التأييد من راديو (سلامنكا) للتحالف الكنسي الفاشي • ولقد كان هذا مخجلا الى أبعد حد ، بالنسبة للجيل الجديد من الوطنيين خصوصا اذا أدركنا أنه كان يحدث في اطار «الوقوف ضد المد الشيوعي في المنطقة» (٣) • والواقع أن الحركة الاصلاحية ، رغم عزلتها السياسية على الصعيد العالمي ، استيقظت على تصاعد الستالينية داخل الحركة الشيوعية العالمية ، غير أن هذا لايشكل سوى محاولة ، من جانبنا ، لتحديد عناصر رؤيتها لهذا الموضوع ، فليس هنالك ما يشير الى موقف الحركة الاصلاحية من «الحزب الشيوعي المغربي» بعد انفصاله عن الحزب الشيوعي الفرنسي بزعامة (علي يعتة) و (ليون سلطان) في مطلع الثلاثينات • ولا شك أن «الاصلاحيين» كانوا «لايقبلون» تواجد مثل هذا الحزب ، أولا ، بالنظر الى ماضيه ، وثانيا ، بالنظر الى ايديولوجيته القاعدية المعادية للثقافة السلفية الارستقراطية وزعامة الاصلاحيين • ولقد انعكست شوفينية المثقفين السلفيين على فهم الطريس للحركة الشيوعية • فكان يرى أنها «أسد مفترس» • وقد أبدى في خطاب وجهه الى العمال حرصه على تخليص هؤلاء من «براثنه» ووعدهم ، في مقابل ذلك ، ببرنامج «اسلامي حافل بكل أنواع العدل» في الحقوق والمساواة في الواجبات • وحتى سنة١٩٣٧ كان الطريس لايزال يعتقد أن «الشيوعية الروسية قامت قبل كل شيء على أكتاف الاسرائيليين أو من هم اسرائيليو الدم» ، علما بأن «مؤسس المذهب وواضع كتاب (الرأسمالية) هو كارل ماركس اليهودي» • ان الموقع الطبقي واضح ، ولهذا كانت «الشيوعية» توضع في أسوء اطار بالنسبة للاعلام الاصلاحي (٤) • وربما للسبب نفسه ، كان الطريس لايعترف بوجود «شيء اسمه المقاومة الفرنسية ضد النازي» ويعتبرها من قبيل «الخرافات والاساطير» المضللة ، «ذلك أن الولايات المتحدة هي التي حررت أرض المارشال جوان» (٦) • واستمرارا في نفس الخط كان يرى انسحاب فرنسا من الهند الصينية عملا مضادا لمصالح العالم الحر في «ايقاف التيار الشيوعي» (١٩٥٣/١٠/٢٧) • والواقع أن الطريس كان قد برز ، بعد الحرب العالمية الثانية، كأحد المدافعين عن «الغرب» وكانت الولايات المتحدة الامريكية قد خرجت من الحرب كدولة قوية «حريصة على سلامة العالم الحر» فلم يجد الطريس بدا من أن يعتبرها «دولة مسئولة عن مصير الانسانية ، رغم هيروشيما وناجازاكي • لقد تنبه الاصلاحيون الى الدور الذي يمكن أن تلعبه الولايات المتحدة لصالحهم ، ولهذا بادروا ، بعد نهاية الحرب مباشرة ، الى فتح مكتب لهم هناك يديره السيد المهدي بنونة • وكان الطريس يقترح تحصين شمال افريقيا

«تحصينا ينتفع به العالم الحر قاطبة ، عن طريق اقرار خطة ثابتة» (١٩٥٢/٦/٢٩) في مقابل تدخل الولايات المتحدة الامريكية «في قضايا الشمال الافريقي لصالح الضعفاء و «المظلومين» ٠ ان الخط منسجم تماما : أما النتائج فتعني ببساطة اخضاع النضال الوطني لظروف الحرب الباردة في مقابل الحصول على تحرر شكلي يباركه «الغرب الديموقراطي» بزعامة أمريكا ٠

من الواضح ، الان ، أن الحركة الاصلاحية ، كانت تملك استراتيجية محددة تعبر من خلالها عن أمانيها الطبقية ٠ اننا لايمكن أن نظن أن هذه الاستراتيجية كان يجري بحثها ومراجعتها اثر حدوث أي تغير في الوضع العالمي : لقد كانت تعبيرا عن «البراغماتية» التي تميز تصرفات الحزب في مواجهة كل القضايا ٠ وهكذا استطاعت الحركة أن تجسد نواياها القومية في ارتباط «ديبلوماسي» بجامعة الدول العربية في حين بقيت معزولة ، عمليا ، عن الاتصال بالمنظمات الجماهيرية التي كانت تناضل في واجهتين : طبقية ووطنية ، الامر الذي جعل الحركة الاصلاحية عاجزة عن تحليل الوضع العربي بعد تقسيم فلسطين واعلان دولة اسرائيل ٠ ان هذا العداء نحو المنظمات الجماهيرية تجلى في موقف الحركة بين الحزب الشيوعي الفرنسي (رغم ما يمكن أن يقال عن موقف الحزب ذاته من استقلال المغرب) وفي صمتها المطلق عن الوقوف الى جانب الميولات الديموقراطية في اسبانيا ٠ لقد كانت الحركة ، في يأسها من تسييس فعلي للجماهير ، قد أخذت تبحث عن ارتباطات «رسمية» علىمستوى دولي من أجل الحصول على أقرب المكاسب ، لقاء بعض التنازلات ، وفي ذات الوقت كانت تجد نفسها مضطرة ، طبقيا ، الى اعلان العداء نحو حركات شعبية تبنت النضال المسلح أسلوبا للخلاص من القهر الاستعماري (راجع : موقف الطريس من انسحاب فرنسا من الهند الصينية) ٠

٥) الملاحظة الخامسة : الواقع أن الحركة الاصلاحية استطاعت أن تعبر في مدى ثلاثين سنة تقريبا عن «الحاجة» البرجوازية الى «التقدم والرقي» ٠ ولقد كان المثال البرجوازي الغربي ماثلا دائما في سلوكها على شكل مشاريع لترميم البناء ـ الاجتماعي «المتخلف» حتى وهو تحت السيطرة الاستعمارية ٠ ان التكوين الارستقراطي البرجوازي للحركة كان لايسمح لها بأن تتجاوز حدود معنى «التجديد الاجتماعي» ولهذا فشلت في أن تصبح «حزبا وطنيا» حقيقيا يستوعب القاعدة ويوجهها نحو نضالات جذرية لاتعتمد «أساليب الاستفادة» ٠ هناك نصوص كثيرة تؤكد أن الحزب لم يكن يجد آذانا صاغية وأنه واجه صعوبات متزايدة ، سواء من طرف «المحافظين» أو من طرف قطاعات شعبية واسعة ٠ غير أن الطريس كان يؤكد أيضا ، في الاربعينات ، أن الحزب لاينقصه المنخرطون ٠ وهنا كانت تطرح مسالة العضو : من هو ؟ ان الطريس لم يتحدث عن «نظام الحزب» ويجب أن نفترض انه لم يكن هنالك نظام محدد أو صفات ينبغي توفرها في «الاعضاء»٠ فالحزب كان شكلا من أشكال التجمع وكانت وسائله الاعلامية أداته الوحيدة للتعبير عن ايديولوجيته وطرح مشاريعه الاصلاحية ٠ ونظرا لضعف تنظيمه فان «الطريق الديمقراطي» كان هو الطريق الوحيد الممكن ٠ ان الضرورة كانت تقتضي وجود «حزب قوي» يعبيء القوى الجماهيرية سياسيا (وليس عن طريق «الاناشيد الوطنية») لمواجهة السيطرة الاستعمارية في المدن بواسطة الاضراب والتظاهر والعصيان، وفي ذات الوقت يحطم الحصار المفروض على الارياف وسكان البوادي فيعبئهم عمليا وسياسيا للضغط ، وتدريجيا لخوض

النضال المسلح في أي شكل من الاشكال • وهذا لم يكن واردا بالنسبة لحزب الاصلاح نظرا لوضعيته الطبقية ولعزلته عن الاغلبية الساحقة من الجماهير القادرة على تحقيق الفعل الوطني • لقد كان حزب الاصلاح يعتمد على «قيادة الفرد» ، الذي كان بدوره يتعاون مع نخبة من الاعضاء ، يقع اختيارها بدافع «عائلي» وكان الطريس حريصا على هذه القيادة وبالتالي كان يرفض أي حوار بين القاعدة والقمة ويؤكد أن «القيادة» يجب أن تقود لا أن تقاد» • وكان التكوين الطبقي للقيادة كالتالي : أرستقراطيون ، من ملاكي الارض والعقارات بواسطة الارث • وبورجوازيون يحترفون المهن الحرة (الاساتذة والمعلمون) أو التجارة والحرف التقليدية أو الوظيفة (ادارة الحكومة المحلية) • ان هذه الوضعية لم تكن تسمح الا بقليل من الحوار مع القاعدة الجماهيرية في المدن ، أما مع سكان البوادي فاننا يمكن ان نطمئن الى أن الحوار كان منقطعا خصوصا اذا ادركنا أن فئات من الفلاحين الفقراء في المنطقة كانت تئن تحت الاستغلال الارستقراطي لها ، ولهذا ، فالواقع أن رفع شعارات «لاطبقية» من جانب الحزب انما كان من قبيل الخطابة «البليغة» ، التي كانت ، كما ينبغي أن نفهم ، عنصرا هاما من عناصر الفكر الاصلاحي •

٦) لقد كان ذلك كله ، من موقعنا ، يعلن اندحار طبقة وسقوط ايديولوجية : طبقة كان «الاستقلال السياسي» بالنسبة لها حسما لوضعية متدهورة كادت تفلت من يدها (لقد كان واضحا ، أن الاتجاهات الشعبية في الحركة الوطنية ،تميل الى حل الموقف عن طريق العنف) فاندفعت بكل رغبتها الكلبية في التسلق لتصبح «طبقة السلطة» ووكيلا لايحسد ، بالنسبة لجيوبها الاخرى ، في السوق الامبريالية العالمية • وايديولوجية عجزت عن اكتشاف الافق الاجتماعي للنضال الوطني ضد الاستعمار ، فبسطت الرؤية الوطنية ووقفت دون مسئوليتها ودون مستوى الوعي الجماهيري في تعميق محتوى النضال الوطني ، وتصعيده الى معنى التحرر الكامل من كل أشكال السيطرة الطبقية •

غشت ١٩٧١

المراجــع

(١) من تراث الطريس : كتاب العلم (رقم ٨) مطبعة الرسالة •

(٢) حول القومية العربية : بولين (دار العلم للملايين) •

(٣) الثورة والتقاليد في افريقيا : فرناندو موران (اليانتا) •

(٤) تاريخ الاحزاب الشيوعية : الياس مرقص (دار الطليعة) •

الهوامش

(١) تعتمد الملاحظة الرابعة اعتمادا كليا على نصوص مجتزأة من خطب الطريس ومقالاته ·

(٢) هذه الملاحظة ، محاولة تقريبية لتصور وضع · أنها تقوم في الاساس فوق معطيات أكثرها نظري ·

(٣) لقد كانت انتفاضة (زايان) دليلا آخر ·

(٤) أشار علال الفاسي الى هذا في المقدمة القصيرة التي كتبها بمناسبة صدور (ثراث الطريس) ·

(٥) المنظمات والهيآت التالية كانت في صفوف الحكم الجمهوري :

أ ـ الكونفدرالية الوطنية للعمال (C N T.) التي كانت تقودها الفدرالية الفوضوية الايبرية (F.A.I) اكثر من مليونيْن من الاعضاء ·

ب ـ الاتحاد العام للعمال (بين مليون ومليونين من الاعضاء) ·

جـ ـ الحزب الشيوعي الاسباني الارثوذكسي (٣٠٠٠٠ عضو) ·

د ـ الحزب العمالي الماركسي

(٦) راجع : مذكرات جاك دوكلو عن الحرب العالمية الثانية ، ونضال الجبهة الشعبية ضد الاحتلال النازي لفرنسا ·

مقابلة مع عبد الله العروي

سؤال ١ ـ في مقدمتكم للترجمة العربية لكتاب «الايديولوجية العربية المعاصرة» قلتم انه لو طرحت عليكم صياغة الكتاب بعد الهزيمة (٦٧) ، لغيرتم أسئلة الانطلاق الاولى من «نحن» ومن «الغير» لتطرحوا الاسئلة : ما هو الاستعمار ، ما هي الثورة ، وما هو التخلف ؟

لماذا لم تطرحوا هذه الاسئلة المحددة بدل الاسئلة الاولى البالغة التجريد قبل الهزيمة ؟ وما هو دور الهزيمة في بلورة هذه الاسئلة ؟ ولماذا لم تطرح قبل الهزيمة رغم ان نضال شعبنا كان يعاني نفس المعضلات ؟

جواب :

هناك علاقة بين مفهوم الكتاب وبين ما وقع سنة ٦٧، ولكنها غير وطيدة · الهدف من الكتاب كان منهجيا أصلا رغم أنني كنت أريد أن أحدد أسئلة سياسية على ضوء ما كان عليه المغرب منذ سنة ٥٦ ، وعلى ضوء ما رأيت في الشرق عندما زرته (سنوات تجربة الوحدة) · ولا أعتقد أن الكتاب كان بعيدا عن الصيغ السياسية ذلك أنه وراء التعابير الفلسفية والاجتماعية كان هناك هدف سياسي ، وان كان مهما عندي طرح المنهج الذي يمكننا من فهم المجتمع · أما المقدمة بالعربية فظهرت بعد ٦٧ وتتجه بالخصوص الى القارىء العربي ، وذلك قصد التأكيد على أن الكتاب ليس فلسفيا وانما ذو هدف سياسي ، وانه يرتبط بما يجري في الواقع ·

سؤال ٢ ـ بالنسبة لما تسمونه «بالدول الوطنية» أي في تلك البلاد التي قادتها البرجوازية الصغيرة في الوطن العربي تتطرقون للازمة الفكرية التي تعيشها تلك الانظمة بحيث تتعايش فيها ـ الاصولية ، ـ التجريبية ، ـ ماركسية وصفية أو موضوعية أي غير معلنة · وتفتحون كافق ايديولوجي حتمي ما تسمونه بالجدلية · وواضح ان هذا التطور يبدو وكأنه نوعي في كتابكم · فهل تعتقدون أن هذا التطور الفكري والايديولوجي المقدم يمكن أن يقع من داخل نفس الهياكل الاقتصادية والاجتماعية السائدة في تلك الانظمة ـ خصوصا وأنكم تربطون مصير تلك الانظمة بانجاز مهمة التصنيع ـ أم تعتقدون أن مشكلة التصنيع والتحرر تتجاوز «الدولة القومية» وأن المسألة المطروحة بذات الوقت على الصعيد الايديولوجي والاقتصادي والاجتماعي في اطار الصراع الطبقي في تلك «الدول القومية» ذاتها ؟

جواب :

أخذ الكتاب منذ البداية أنه يركز على المظاهر الثقافية ويهمل الاسس الاقتصادية والاجتماعية · بمعنى أن الكتاب لايعتمد التحليل كأساس · لكن يجب أن يفهم أنني كنت تحت تأثير الحالة في مصر أي حالة النظام الناصري ، هذا النظام كان يريد التحرر الاقتصادي ، لكنه كان يرفض المنهج الماركسي كمنهج باعتباره قسما من التراث الغربي المتنكر لشخصيتنا ·

والكتاب يدور وكأنه حوار بين شخص يدافع عن النظام الناصري وهو أقصى ما وصل اليه التطور

العربي وبيني أنا شخصيا ، وأريد أن أبين له أنه اذا لم يعتمد على المنهج الماركسي الذي يجب أن يعمم في المدارس والصحافة الخ ... فان ما يعلن عنه من ارادة تصنيع البلاد ، وتحررها من الامبريالية لن يصل اليه .

ويمكن طبعا أن يقال أن ما ادعو اليه على أساس الاقناع لن يحصل ، باعتبار أن أصحاب الحكم في هذه البلاد لن يقبلوا الماركسية ، ولن يتركوها تتغلغل في المجتمع ، لكن نطاق الكتاب هو محاورتهم مهما يكن من احتمال اقناعهم أم لا . والواقع أنني أحاول طرح الحدود التي وصلتها ـ بالخصوص ـ الدولة القومية في مصر ، واتمنى أن تدخل البلدان العربية الاخرى ـ عندما تبلغ نفس التطور ـ المنهج الماركسي .وكنت أظن أن ذلك سيقع في الجزائر ، ولكن لم يقع .

المسألة في العمق متعلقة بالنخبة المسيرة . فليس هناك طبقة تصل الى الحكم كطبقة ولكن هناك دوما نخبة تصل الى الحكم باسم طبقة معينة ، وقد تمارس الحكم فعلا وباخلاص لمصلحة الطبقة التي تمثلها . والسؤال اذن : ما هو السلاح الفكري لهذه النخبة ؟ . ولا يمكن أن يقال أن كل نخبة غير منتمية الى الطبقة العاملة لا يمكن أن تختار الماركسية كمنهج ، فقد تضطر النخبة ـ في حالة وقوعها في مأزق ـ الى اختيار المنهج الماركسي، ومثال ذلك ما وقع في بولونيا وبعض بلدان أوروبا الشرقية .

سؤال ٣ ـ

أليس هذا المنطق الذي يقترب من التكوين الايديولوجي البيداغوجي ان صح التعبير محاولة للتأثير على النخبة بدل طرح المشكل انطلاقا من الجماهير . وهل نموذج تحويل النخبة الذي تطرحونه ممكن في ظل معطيات التركيب الطبقي السائد في العالم العربي ، (بقيادة تلك النخبة بالضبط) ؟

جـــواب :

مما يدفعني الى اتخاذ هذا النموذج وجود بون شاسع في العالم العربي بين الجماهير من جهة والنخبة من جهة ثانية ، ومن ثم يصعب التأثير في الجماهير بصفة مباشرة بسبب واقعنا اللغوي والاجتماعي . وأنا كمثقف كتبت كتابا باللغة الفرنسية لايمكن أن أؤثر فيه الا على النخبة وليس على الجماهير وانطلاقا من هذا احاول أن أبين أنه اذا اردنا الدفاع عن كياننا القومي فلا مفر من انتهاج الماركسية .

سؤال ٤ ـ

هناك مثلا كتاب محمود حسين «الصراع الطبقي في مصر» وهو مكتوب في الاصل بالفرنسية ، لكن النخبة التي يمكنها ن تستفيد من الكتاب هي النخبة التي ستتأثر «بالايديولوجية العربية المعاصرة» . المسألة اذن لاتنحصر في التوجه الى النخبة ، وانما في مضمون هذا التوجه . ما رأيكم ؟

جـــواب :

الكتب الماركسية المكتوبة في الوطن العربي تعالج كلها مواضيع قائمة فعلا . وبالنسبة للقارىء العربي يظهر أن تلك التحاليل نابعة من منهج من بين المناهج الاخرى (مثل المنهج السيكولوجي ، المناهج الثقافية الامريكية ... الخ) والذي أردت أن أبينه هو أن أي مفكر يريد فهم مجتمعنا ، يصل حتما الى حد تتكاثر فيه التناقضات ، فيضطر في النهاية الى تبني المنهج

الماركسي ، ذلك أنني أريد اقناع القارىء انطلاقا من مشاكله بضرورة المنهج الماركسي ، ولهذا أتوجه بالضبط للنخبة ، وأظن أن هذه الطريقة أكثر نجاعة في التاثير • فانا آخذ مثلا المفكر السلفي وأقول له : تريد أن تتحرر من تاثير الغرب ، وبناء شخصية متميزة عن اوربا ••• الخ هذه المطالب لن تبلغها الا بنظام فكري آخر ••• ومثلا آخذ المفكر الليبرالي ، الذي يريد حكما ديمقراطيا ويريد تحرر المرأة ••• الخ فأقول له ، انه انطلاقا من نفس هذه المطالب ستضطر حتما لبلوغها أن تتبنى المنهج الماركسي ••• ولا أقول طبعا ان هذا العمل كاف • لكن هذا العمل الفكري كان مهجورا اما باعتبار أنه ثانوي أو غير مهم • وظننت أنه ميدان مهم وضروري • فالمسيرون في النظام المصري كانوا يحاولون التحرر والتقدم ، كنت لاتجد فيهم الا حب التكنولوجيا ، اما العقائد والايديولوجيات فكانت منعدمة ، بحيث أن أذهانهم كانت فارغة تماما ! في الجامعات يمكن أن يحصل الطالب على الماجستير دون أن يكون قد سمع أبدا باسم ماركس •

سؤال ٥ ــ

لاتنكر أهمية التأكيد على الدور الذي يمكن أن تلعبه الماركسية «كعلم يتحول الى قوة مادية ضخمة عندما تمتلكها الجماهير» وذلك في بناء المجتمع المتحرر الذي نصبو اليه جميعا • لكن هناك ملاحظة تتعلق بالصيغة التي تطرحون بها «المنهج الماركسي» كصيغة بعيدة عن الماركسية نفسها • فالماركسية هي في نفس الوقت ، فكر ، وبرنامج سياسي ، وأساليب عمل ، وتجنيد طبقي ••• والملاحظة الثانية تتعلق بطرح الالتزام بالمنهج الماركسي على أنها مسألة اختيارية بالنسبة للنخب الحاكمة في الوطن العربي ، أليس الامر يتعلق بواقع طبقي لايمكن تغييره من الداخل وانما بالصراع الطبقي في«الدول القومية»نفسها؟ وبعبارة أخرى هل يمكن الدعوة الى «المنهج الماركسي» دون فهم ووعي ظروف وأبعاد الصراع الطبقي والتوصل بفضل هذا المنهج العلمي الى طرح الافاق الصحيحة للتغيير والتطور ؟

جـواب :

الكتاب يريد أن يعكس الايديولوجية العربية ، ولا يحلل المجتمع وعندما أدعو الى انتهاج الماركسية ، فلا اعني أنني انتهجت في الكتاب المنهج الماركسي لتحليل المجتمع ، فبامكان الاخرين في يوم من الايام أن يفعلوا ذلك • فانا اكتفيت بتحليل الايديولوجيات وماركس كتب أيضا «الايديولوجية الالمانية» المخصصة للتحليل الايديولوجي دون التطرق لتحليل المجتمع •

النقطة الثانية هي أنني لا أقول بأن المنهج الماركسي التزام اختياري الا بالنسبة للنخبة ، ومسألة النخبة هذه أساسية ، ذلك أن الضرورة قد تدفعها الى ذلك رغم مصالحها المختلفة •

وفيما يخص الطبقات ، هناك ظاهرة عدم استقلال تغلغل الماركسية عن التطور العام للمجتمع • وفي الوضع الحالي لازالت الطبقة العاملة العربية لم تتمكن من استيعاب الفكر الماركسي • ولا أظن على سبيل المثال أن بامكان الماركسية أن تتغلغل في الامارات العربية •

ورجوعا الى مصر : هناك فعلا طبقة عاملة منظمة ، لكن البيروقراطية تمنعها عن الاخذ بالماركسية وأقول ان ظروفا قد تدفع تلك البيروقراطية الى التفتح أكثر •

أمـا عن كون الماركسية «عملا» وليست فكرا فقط ، فأريد أن أنبه الى أن ما وقع في القرن العشرين هو أن كثيرا من الحركات السياسية في اروبا وغيرها اخذت التقنيات الماركسية وأفرغتها من مضمونها الفكري • فالفاشية مثلا أخذت التنظيم الشيوعي وفصلته عن الايديولوجية ، ووضعت عبادة الجنس الالماني محل عبادة الطبقة • وفي البلدان المتخلفة نجد أن جميع الحركات أخذت بأشكال العمل والتنظيم الشيوعي واستغلته ، والمشكل اذن ليس ربط الايديولوجية بالعمل ، لان العمل موجود ، لكن المطلوب هو ارجاع الايديولوجية الى داخل العمل السياسي • ولا نقول بأن العمل داخل الجماهير ، وممارسة التنظيم •• الخ• غير مطلوب ، فجميع الاحزاب تأخذ جميع هذه المسائل البلشفية كتقنيات •

سؤال ٦ ـ

هناك توضيح : السؤال لم يركز على ضرورة التنظيم واشكال النضال الخ ••• وانما يتضمن أن الالتزام بالماركسية اذا لم يرتبط ، ولو على الصعيد النظري بموضوعة الصراع الطبقي وبرؤية ثورية للمجتمع (نذكر مثلا أن البيان الشيوعي صدر قبل الرأسمال) بما في ذلك الدولة الوطنية نفسها ، فانه يتحول الى التزام مجرد ، ومدرسي ، أي معزول بدوره عن الجوهر السياسي والنضالي للماركسية • فالكتاب كما أكدنا ، يتضمن دروسا سياسية خاصة به ، هناك بالضبط طريقة خاصة في عكس الاوضاع العربية على رأسها قولكم بان المهمة المركزية «للدولة القومية» هي التصنيع• وهذه المهمة مطروحة عندكم بغض النظر عن الصراع الطبقي ، بغض النظر عن ضرورة سلطة العمال ، أي ضمن التكريس الضمني للتركيب الطبقي القائم !

جـواب :

حقـا ، عندما أركز على المنهج الماركسي ، فأنـا أخـذ أكثر ما في الماركسية تجـريدا أعني مثلا تحليل الجدلية التاريخية وانعكاس الاديولوجيات من خلالها تاركا التحليلات الخصوصية مع الاعتراف بضرورتها، لكن يجب أن نبدأ من جديد بتحليل المجتمع العربي على أساس هذا المنهج ، يبقى طبعا سؤال : ما هو المنهج ؟ وأنا أقول دائما أن كل ما أوردته في الكتاب مأخوذ عن انتاج المصريين أنفسهم طبعاً مع وجهة نظر • وسأحلل طبعا مجتمعنا المغربي على ضوء ما أعتقده أنه المنهج الماركسـي •

فيما يخص المنهج الماركسي ، لي قراءة خاصة له ويمكن أن يكون فيها أخذ ورد لكن أعتقد أن الماركسية ليست هي التحليل الاقتصادي • الماركسية هي أساسا تحليل علاقات الجماعات عبر التاريخ ، وأفضل «الجماعات» على مقولة «الطبقة» والنقطة التي تلتقي فيها جميع المسببات هي علاقة الجماعات التي يمكن أن تكون طبقات عندما يتعلق الامر بالدول المتقدمة •

فتاريخ المغرب الحديث يفسر بعلاقة الجماعات ، وليس الطبقات التي لايمكن اعتبارها طبقات فعلا ، ذلك للفرق الكبير بينها وبين الطبقات في أوربا •

وفي جميع هذه البلاد العربية هناك صراع جماعات واستعمال مقولة «الطبقة» رغم عدم دقتها ، يـؤدي بأعداء الماركسية الى الرد بسهولة مستعملين الفروق بين جماعاتنا وطبقات الغرب • واذا اعتبرنا جماعة العلماء مثلا ، فالبعض يعتقد أنها تشابه الكنيسة الغربية • وأفضل بالتالي كلمة «جماعة اجتماعية» في انتظار نحت كلمة أقرب الى الصحة • والمهم هو الجدل الموجود بين الجماعات •

هناك نقطة أخرى تفصلني عن بعض الماركسيين · ذلك انني أركز على الوضع التاريخي على أساس اختلاف التمايزات بين المجتمعات · وأركز على «العمق التاريخي» أو بالتأخر التاريخي · أي أن هناك تأخر جماعي للمجتمع ككل ، ومن تم تتغير الطبقات وتتغير علاقاتها بحكم هذا التأخر · فالتمييز الافقي بين الطبقات يجب أن لايجعلنا لاندرس التحليل العمودي أي التأخر الحضاري ، بل انني أعطي الاولية لهذا الاخير· أما الماركسيون الارتذوكسيون فيرفضون التركيز على هذا الجانب ، مؤكدين أن المسألة ليست تأخرا حضاريا وانما هيمنة امبريالية · لكن كيفما سميناها ، فعندما يكون في بلد ٩٥٪ من الاميين ، وفي بلاد اخرى ٦٠٪ فان الامر يختلف ·

سؤال ٧ ـ

كيف يمكن اذن تفسير التقدم الحضاري والصناعي و ··· الذي تشهده الصين الشعبية مثلا أو يشهده بلد صغير كالبانيا ؟

جواب :

هذه مشاكل فعلا ، ولا يمكنني الجواب هكذا ، فأنا لا أعرف تاريخ البانيا مثلا ، لكن يجب أن نعرف أن انفتاح الصين على أوربا لم يقع في نفس وقت انفتاح مصر · فهناك دراسات تشير الى أن عدد الكتب العلمية التي ترجمت الى الصينية بلغ قبل ثورة ١٩١١ بكثير ٦٠٠ كتابا علميا ، وأن أساتذة جامعيين صينيين في الحركة الليبيرالية ترجموا جميع ما كتب سبنسر : اذن أقول ان ما وقع في الصين سبقه تطور فكري لانجد له مثيلا في البلاد العربية ، أمهات الكتب لاتترجم ، وربما كان من حظ الصين أن اليابان كان بجانبها وكانت اللغتان متشابهتان ·

سؤال ٨ ـ

في مقدمة كتاب الايديولوجية العربية المعاصرة ، سجلتم العجز الايديولوجي والسياسي الذي ظلت فيه النخبة المغربية خلال العشر سنوات الماضية · فما هي رواسب هذا العجز على الوضع الذي تعيشه بلادنا ، وما هي آفاق التطورات التي ترونها ؟

جواب :

هذا سؤال يتطلب أيضا التعمق · والواقع أن النخبة عجزت كلها بدون استثناء واكتفت بالسطحيات ، خاصة في الميدان السياسي الذي لاتتعمق فيه رغم اعتبارها أنه من اختصاصها · ولا يمكن أن نربط ذلك بالاشخاص ، لان الامر أوسع من ذلك ولايمكن ربطه بالواقع الاجتماعي فحسب ، فحتى النخبة الجديدة المنبثقة من البرجوازية الصغيرة وأحيانا على ما يظهر من الطبقة العاملة بقيت خلال عدة سنوات بدون تفتح أكبر ·

وهذا الواقع يرتبط بعمق التأخر · ونحن المغاربة نجهل الجو الذي كنا نعيش فيه في بداية القرن · وقد حاولت أن أفعل ذلك ، ولا يمكن أن نتصور مدى التأخر الفكري القائم آنذاك ، ولن يتمكن المجتمع المغربي من استيعاب كل المناهج العصرية خلال خمسين سنة · وزيادة على ذلك فان الممارسة السياسية ظلت محدودة جدا من الناحية الاجتماعية ومن الناحية الزمنية · فقد انحصر العمل السياسي في فترات محدودة حوالي الثلاثينيات ثم في ٣٦ ، ٣٧ ثم من ٤٧ ـ ٥٠ · في تونس مثلا ظل ذلك العمل مسترسلا أكثر ·

والنخبة المغربية لم يقع عليها تجديد بالمعنى الحقيقي ، رغم بعض التغير الاقتصادي أو الفكري لكن لم تحل الطبقة الجديدة محل القديمة كما وقع في تونس مثلا أو الجزائر أو مصر ·

سؤال ٩ ـ

ما هي الاسس الاقتصادية والمنظورات الايديولوجية للطبقة أو المجموعات التي طمحت الى قيادة الكفاح الوطني ، وحاولت ذلك ؟ ما هي الخلفيات التي تفسر عجزها عن تحقيق الاهداف التي تطرحها ؟

جواب :

أنبه الى أن ما أقوله بهذا الصدد ليس آراءا نهائية ، بل وربما لايعبر عن جزء هام من الحقيقة ، لان هذه الموضوعات لم نبدأ بعد في تحليلها كما هو مطلوب ٠ لكن حسب ما أرى وما أقرأ ، اؤكد على ظاهرة الفصل الموجود بين المدينة والبادية على صعيد الاقتصاد والفكر وحتى المعتقدات ٠

فالمجموعة الجديدة التي ظهرت والتي انبثقت من المدن كانت محكومة بعدة ظروف ، منها ما هو اقتصادي ٠ وهناك ايضا التعليم الفرنسي الذي كان متجها أيام ليوطي الى النخبة القديمة ، وبعد ذلك كانت هناك محاولة خلق نخبة جديدة من سكان المدن الخارجين عن اطار النخبة القديمة ٠ وهذه السياسة نجحت في تونس ، ويمكن تسميتها (بالراديكال سوسياليست) ، اذ تريد خلق نخبة سياسية من الضعفاء، وربطها بمستقبل الثقافة الفرنسية (مثال سياسة اريك لابون) وهي لم تحصل على الوقت الكافي للنجاح في المغرب ٠

هذه النخبة الجديدة كانت مكونة فقط باللغة الفرنسية ولذلك كانت تمثل قسما من الادارة مرتبطة بالنظام ، وهي لذلك تبعية ، ولم يكن في يدها أية وسيلة للاستقلال ماديا وفكريا ٠ مثال ذلك أن كثيرا من مسيري الحركات الديمقراطية أو اليسارية موظفون أو طلبة يتوظفون فيما بعد ٠ وهؤلاء عادة يكونون عناصر الحزب الراديكالي في فرنسا مثلا لكن لايسعهم أن يكونوا عناصر حزب ثوري حقيقي لانهم غير مستقلين عن النظام ٠ ولا يعم هذا طبعا جميع العناصر ٠

سؤال ١٠ ـ

في اطار النقاش الذي فتحته «انفاس» في موضوع الحركة الوطنية ، هناك سؤال « ما هي في رأيكم منجزات الحركة الوطنية في النضال ضد الاستعمار ، وما هي رواسب الحركة على الوضع الحالي ؟

جواب :

الحركة القومية في نظري لم تتبلور بصورة واضحة الى يومنا هذا ذلك أن حركة دينية سلفية حاولت القيام برد فعل ضد الاجنبي ٠ لكنها تقدم الظاهرة الدينية كاحدى ظواهر الحياة الاجتماعية على جميع الظواهر الاخرى وتعتبر حاسمة وظلت بذلك حركة سياسية اسميا «تاكتيكية» لانها كانت دائما رد فعل عما يفعله الاستعمار ٠ الاستعمار يأخذ الاراضي مثلا فيقع رد فعل على ذلك ، أو يحاول تسيير شؤون المدينة فيقع رد فعل على ذلك الخ ٠٠٠ لكن هذا النوع من العمل السياسي غير ايجابي ، لانه لم يوضح ملامح الوجود القومي بكيفية جادة وانما يكتفي بمعارضة بعض مبادرات الاجنبي ٠

وبعد الاستقلال ، لم ندرس بكيفية موضوعية مجمل الظروف ٠ بعضنا يقول ان الدور الاساسي دور شخص واحد ٠ والبعض يرى أنه دور الجماعات السياسية ، أو أنه دور المقاومة ، لكنه لم يقع تحليل دور كل العناصر وتاثير العوامل الخارجية ٠ ولم يظهر لحد الان برنامج سياسي عام ، أي البرنامج القومي الذي يجب أن يكون القاسم المشترك بين كل الجماعات في المغرب والذي عليه تتميز مصالح كل جماعة ٠ لكن الذي حصل عمل سياسي محصور بين النخبة ، ووقع صراع بين ثلاث مجموعات على العموم حول من سيحل محل النفوذ الاجنبي بعدما انمحى ، اما النخبة القديمة واما النخبة الجديدة ، واما شخص واحد يقول أنه وارث المشروعية التي كانت في

يد السلطنة قبل الاستعمار ورجعت اليه بعد رفع الحماية، فهذا المشكل القانوني يترتب عنه توزيع السلطة ، الذي يترتب عنه استقلال السلطة لمصالح معينة ٠ لكن لايمكن أن نقول ان جماعة من هذه الجماعات امكنها أن تعطي برنامجاً عاما لكل المجموعات المغربية وتدخل فيه جميع المصالح قبل أن تتضارب ٠

هذا البرنامج القومي الذي يضمن استمرار وتطور المجموعة المغربية ككل ، لم يتبلور داخل أية مجموعة من هذه المجموعات الثلاث ٠ وأضيف ان الشيوعيين الذين كانوا يقولون أنهم يمثلون الطبقة العاملة كانوا على خطأ ٠ لان الذي يمثل مصالح الطبقة العاملة يوميا هي النقابة ، وذلك في النظام الماركسي نفسه ٠ أما الحزب فيجب أن يمثل المجتمع ككل ، ويزيد على ذلك أن الطبقة العاملة هي الوحيدة التي ستذهب الى أقصى حد من تطبيق البرنامج القومي ٠ الحركة القومية لازالت لم تكتمل بعد وذلك بسبب التأخر الحضاري الذي تكلمت عنه ٠

سؤال ١١ ـ

هل عدم قدرة النخبة السياسية على بلورة وتحقيق البرنامج القومي يرجع الى عجز ذاتي أي الى ارتباطاتها المادية والفكرية كأفراد وكأطر أم من الوجهة التاريخية بكونها عكست واقعا طبقيا موضوعيا ، وهو واقع البرجوازية المتوسطة التي ليست مهيأة بحكم طبيعتها الاقتصادية والايديولوجية لقيادة الكفاح الوطني ؟

جواب :

عندي ملاحظتان فيمحاولة الجواب على هذا السؤال: الملاحظة الاولى ترجع الى الفصل بين سكان البادية والمدينة ٠ وضعف النخبة الجديدة يرتبط بانفصالها عن البادية وهذا واقع يرجع أيضا الى تاريخنا القديم ٠

الملاحظة الثانية : ان بعض الدول المتأخرة قد تصل بسهولة الى انماط متقدمة واشتراكية من التنظيم أكثر من البلدان الوسطية مثال منغوليا والبانيا ربما ، والمنهج الماركسي يتوصل الى تفسير ذلك ٠ والامر يتعلق في العمق بتوازن القوى ، ففي المجتمعات المتأخرة نجد أن النخبة الجديدة ضعيفة ، لكن ذلك حال النخبة القديمة أيضا ، واذا واتت الظروف فبامكان الاولى أن تنتصر ، أما عندنا في المغرب فنجد أن النخبة القديمة رغم كل ما نظن قوية ، وتعرف كيف تمارس الحكم٠ هناك كتاب وضعه تونسي ، «محمد بيرم» في القرن ١٩ يقول عن المغرب انه من أكثر البلدان تأخرا من حيث التنظيم السياسي بالنسبة لسوريا أو تونس لكن عنده طبقة تجارية أكثر من جميع البلدان العربية ولها تواجد في أهم البلدان الاروبية ٠ النخبة الجديدة يجب أن تكون اذن قوية جدا لمواجهة تفوق النخبة القديمة ، يجب أن تتفتح على الافكار السياسية الجديدة ويجب على الخصوص أن تربط علاقات مع الجماعات الاخرى وفي مقدمتها البادية ٠

سؤال ١٢ ـ

في اطار أزمة «النخبة الجديدة» و «النخبة القديمة» ما هو وزن المد الجماهيري الذي تعرفه البلاد ، وما هي الافاق التي ترونها ؟

جواب :

من الصعب جدا تقييم المد الجماهيري ، وخاصة في المغرب حيث عدم الاستمرار في العمل وعدم التنظيم المستقر ، فمدة المد قد تطول وقد تقصر لكنها غير مضمونة الدوام ٠ والمهم عندي هو ايجاد البرنامج القومي الذي

يجمع بين مختلف المجموعات سواء كانت الفوارق بينها اقتصادية أو جغرافية أو غيرها ، هذا البرنامج هو الذي سيكون أساسا لتركيز المد اذا كان أو ايجاده اذا لم يكن . فالرفع من الاجور ليست ظاهرة سياسية وانما هي نقابية يمكن أن توجد في أي نظام وبوسعه حلها رغم الصعوبات ، ومشكلة توزيع الاراضي يمكن أن تحل ، فالنظام الرأسمالي لايتنافى مع التوزيع . المد اذن لايظهر لي على أن له هدفا سياسيا معينا .

هذا المد اذن ليس له برنامج عام قومي . ومن المتطلبات الوقتية خاصة على عاتق هذه النخبة الجديدة أن تضع البرنامج .

سؤال ١٣ ـ

ما هي في رأيكم مقومات هذا البرنامج ولو تلميحا ؟

جواب :

يجب أن نبدأ أولا بتقييم الممارسة السابقة . فاذا لم نقم بنقد ذاتي متعلق بالتطور السياسي قبل الاستقلال وطوال الفترة بعده فلن نستطيع رصد الافكار الاساسية للبرنامج .

والسؤال الاول هو من استأثر بالسلطة بعد الاستقلال؟ لايكفي القول أن السلطة هي تلك السلطة الظاهرة . لان السلطة هي بالاضافة الى السلطة السياسية ، السلطة الاقتصادية وكذلك السلطة الثقافية الخ ... وبناء على ذلك يقوم البرنامج على أساس اعادة توزيع السلطة بصور متوازنة بين المجموعات على أساس التنظيم الاداري والتنظيم الدستوري وكذلك التنظيم الثقافي .

سؤال ١٤ ـ

ما هي في رأيكم القوى الاجتماعية المؤهلة لقيادة النضال من أجل مشروع البرنامج القومي ؟

جواب :

بكل صراحة أظن أن النخبة القديمة لايمكن أن تقوم به وعجز النخبة الجديدة خلال السنوات الفارطة جعلنا نشك في قدرتها على ذلك ، وأعني هنا جميع القوى السياسية بدون استثناء .

وأظن أنه لابد من ظهور نخبة جديدة كل الجدة . ولا بد أن تكون لها علاقة بالبادية اي انه لايمكنها أن تكون ١٠٠٪ متأصلة في المدن ، بل لابد أن تكون لها وسيلة لربط العلاقة بالجماهير الفلاحية . وقد تساعد سياسة التعليم والتقريب على ذلك ولا شك أن المطالبة بالتعريب أساسية لانها الكفيلة بأستخراج تلك النخبة من البادية. ولا يمكن أن يقع ذلك بين عشية وضحاها . ويجب أن يكثر المتخرجون من القسم العربي بحيث تعجز الادارة عن استدراج هؤلاء ، ومن ثم سيتحول قسم منهم الى العمل السياسي . ولا يمكن أن يستخرج الانسان هذه النخبة من لاشيء .

سؤال ١٥ ـ

حسب الاعداد الاربعة التي ظهرت من مجلة «انفاس» بالعربية ما رأيكم في المجلة واتجاهها ؟

جواب :

عندي بعض الانتقادات :

أولا : مجلة أنفاس الاولى بالفرنسية كانت تهتم بالثقافة وتغفل السياسة . أما انفاس الجديدة بالعربية والفرنسية فتركز على السياسة وتغفل الشؤون الثقافية على ما يظهر ، وأعتقد أن كلا الاختيارين خطأ ، لان الواقع المغربي على ما أرى يفرض شيئا من التوازن بين العمل التوضيحي السياسي والعمل الثقافي .

ثانيا : الملاحظة الثانية تتعلق بالتوجيه ، فبما أن البرنامج القومي لم يتبلور بعد ، لايصح التركيز على

النقد الطبقي رغم أهميته يجب أن يأتي في الدرجة الثانية قصد التمييز • ويجب أن يكون الهدف الاول هو العمل على بلورة البرنامج القومي •

ثالثا : اعتقد أن اغلب الانتقادات ترتكز عادة على النصوص وتطبقها بصورة عمومية • وهذا خطأ منهجي، وخطأ أيضا من حيث العمل السياسي ، وبصراحة فالمقال حول الفكر السلفي اعتمد على النصوص دون أن يدرس الحركة السلفية بكيفية منهجية في علاقتها بماضي وحاضر المغرب فالتغلب على مثل هذا الفكر لايتأتى فقط بتحكيم النصوص عليه بل يجب تشخيص مجمل الظروف الاجتماعية والثقافية التي جعلته يظهر ويستمر الى يومنا هذا •





أقــوال شـاهـد اثـبـات

محمد الفيتـوري

لقـد اهـتز الرأي العام العربي والعالمي للـمجازر التي نظمت بعد فشل الانقلاب العسكري فـي السودان ضد العناصر الوطنية والثورية الحقيقية وارتفعت كـل الاصوات الشريفة للتنديد بهذه الجرائم ·

وصمتت في نفس الوقت الاقلام الذهبية التي سالـت منها أطنان الدموع بعـد هـزيمة أنظمـة بورجوازيـة الدولة وجيوشها النظامية في حزيران ١٩٦٧

هكذا أزالت النخبة العربية المفكرة والمبدعة قناعــا جديدا عن وجهها وظهـرت عنترياتها الكـلامية علـى حقيقتها ، أي في الواقع ثرثرة تغطي في العمق خنوعها أمام الامر الواقع البورجوازي وحرصها على المحافظة على امتيازاتها داخل المجتمع العربـي

صوت من بين الاصوات القليلة عبر بوضوح عــن رفضه لكل التباس وعن التحامه بقضايا ونضال الشعوب العربية وبالقوى الديموقراطية والثورية الحقة التــي تكافح ضد الاستغلال الامبريالي والطبقي · هذا الصوت هو صوت الشاعر السوداني محمد الفيتوري ·

1

عبر الدهاليز الطويلـة ···
التي تختال في قاعاتها الضيقة السوداء
آلهـة المـوت صفوفـا
ناشرات خلفها الصمت والانطفـاء

مشيت محكوما ··· تعريت من الذكرى ··
رقصت رقصتي القاسية الحزينـة
(كان دمي مئذنة وجسدي مدينـة)
غنيت للجنون مثلما أشـاء

أصغيت مثلما أشاء
كنت كمن ليس يبالي ..
أنا والتاريخ ...
والنار التي تخرج من جمجمتي ..
صاعدة الى السماء .

2

ثمة شيء ...
انني أعترف الان ..
لقد رأيتهم ..
اني رأيت القتلة ..
مروا على عيني ..
وكانوا يرجفون كالصقور الجارحة
كانوا قضاة يحملون الاسلحة ،
ويمضغون الكتب المنزلة
وكدت لا أفهم ما يحدث ..
ما أبشع أن يفهم الانسان ما يحدث ..
فاقتربوا
وأمطر الفجر الرمادي رصاصا ودماء
ومالت الاشجار في حديقة الله ،
وغطت وجهها السماء
- لم تقتلوا البذرة .. لم تقتلعوا
الصخرة ... قلت اقتربوا ،
فاقتربوا ....
وكشفت عن وجهها الهزيمة
واقتربوا ..
وعلقوا صلبانهم في عنقي تميمة
وكدت لا أفهم ما يحدث ..
ما أبشع أن نفهم ما يحدث ..
... ثم اشعلوا جنازتي
وطفقوا يتشحون بالرماد واحدا فواحدا
واختلطت في ناظري الثورة والجريمة
كانوا يلوحون في الفضاء بالنعال والمدي
- جريمة أخرى سدى
تصبغ ايديكم ، ولما تفرغوا بعد ،
من الجريمة القديمة .
انبئكم لن تفلتوا غدا
من قدر الولادة الاليمة
ومن مخاض الامة العظيمة .

3

والتصق الصراخ في فمي :
- الغزاة ... التتريون ..
الضحايا .. الاسلحة ..
بيارق الثورة في الوحل ..
الزناة اغتصبوا السلطة ..
لم تنج من اللعنة حتى الاضرحة .
يا وطني ..
لم تنج حتى حرمات الاضرحة .
ساعترف .. يا من ستاتون غدا
اني وقفت لم احرك شفة ولا يدا
وانني في وهج العصر شهدت المذبحة .

علـى درب الثـورة الاشتراكيـة

محمـد الحبيب الفرقانـي

وسعى التاريـخ
يلقانـي
كخطـو الحلـم
ينسـج النـور
علـى الآفـاق
فـي زحـف الظلـم
وعلـى الكربـات
انـداح الفجـر
يجتـر الـى الافـق
سـطـوره
وجـرى ـ كالدانـوب ـ
يسقـي الجماهيـر
نـوره
يـا غضبة الاحـرار
فـي الوديـان
فـي الايـام المجيـدة
«ضـوفتانـا»
مـات علـى ربـاك
الـف شهيـد
وشهيـدة
والشـمـس
تلثـم أوجـه الاحـرار
بـالحيـاة
وبالعقيـدة
وسكـب العمـال ارادتهم
مـن حـديـد
فـتـحـواَ
مصاريـع التاريـخ
الـى عالـم جديـد
للاشتراكيـة الحمـراء
للجماهيـر
للفجـر الوليـد
مليـون (ماركس) في الساحـة
والقـى التاريـخ
وشـاحـه
وضـمـد الانسـان
جـراحـه
ولـبـس
ظـلام القـرون
صبـاحـه
هضبـات الـبـلاد
المجهولـة
وخـفقـات الرايـات
المجـدولـة
صبـاح العمـال
والاذرع
المفتولـة
تـغـزل الاقمـار
تبـذر الانجـم

المصقولة
ودمدمت الجماهير
وخنقت
انفاس الاقطاع
والليل البهيم
وهوى الاعصار
الصاعد
ب (شارل) الاول
الى الجحيم
وتنفس التاريخ
الصعداء
وترنح
لليوم العظيم
آه
يا بوابة الاشراق
الضاحية
والصبح الريان
آه
يابسمة الامل
الساجية
في القلب الظمئان
آه
يا وثبة البناء
السارية
في شعب
الرومان
آه
يا بلادي

فيك مازال يعيش
التتر
آه
يا بلادي
اني ارعاه
على الليل
فيك
ويرعاني
القمر
آه
يا بلادي
أجر تاريخي الاحمر
في دم الثوار
،،، بذرة
في ثورة الجماهير
،،، شعلة
ذري الاقمار
،،، شحنة
من قوى الاعاصير
،،، لمسة
في سواعد الاحرار
آه
في بلادي
شعب ينتفض
مخضب الجناح
يلقي السلاسل
عن أذرعه
يغسل الجراح
يأكل
الاعاصير
في ليله
ينتظر الصباح

بوخارست ٢٩ يونيوه ١٩٦٨

تعريف

محمد الحبيب الفرقاني من المناضلين الاوائل ، الذين ساهموا بقسط وافر في صفوف الحركة الوطنية والتقدمية .

حياته زاخرة بالتضحيات البطولية ، وسجل حافل بالنشاط السياسي ، تعكس في مداها البعيد أو القريب حلقات القمع والتعذيب التي يتعرض لها القادة الوطنيون والسياسيون ابان الاستعمار المباشر ، وفترة الاستقلال الشكلي .

حياة محمد الحبيب في سطور :

ينحدر الفرقاني من أصل فلاحي ، ولد بقرية (تحناوت) بنواحي مراكش سنة ١٩٢٢ . وهناك تلقى دراسته الاولى على يد والده .

انتقل بعد ذلك الى كلية ابن يوسف بمراكش حيث تابع تعليمه بها .

وفي خلال هذه المرحلة التصق بالحركة الوطنية ،ومعلوم أن كلية بن يوسف كانت مهدا لهذه الحركة ، ومنها تخرج عدد من القادة الوطنيين

وعند انتهاء محمد الحبيب من دراسته ، التحق بسلك التعليم الحر ، واشتغل كمدرس ومدير بكل من أكادير ومراكش والبيضاء .

ـ ثم عين من طرف الحركة الوطنية كاطار منظم بالجنوب ، وتم اعتقاله من طرف السلطات الاستعمارية الفرنسية ، وتم نفيه من أكادير الى مسقط رأسه في ١٦ أبرل ١٩٥١ .

ـ عقب ذلك سلسلة من المضايقات والاعتقالات استمرت طوال فترة الاستعمار الفرنسي ، حيث نفي أخيرا الى الصحراء قصد فصله وابعاده عن أي نشاط سياسي ، وبقي منفيا حتى أواخر سنة ١٩٥٥ .

. ما بعد الاستقلال :

تمرس محمد الحبيب بعدة مهام أخرى .

ـ فعين مفتشا لحزب الاستقلال بمراكش .

وعلى اثر تشكيل ا.و.ق.ش. عين عضوا في اللجنة الادارية ، ثم مندوبا للحزب في اقليم أكادير سنة ١٩٥٩

ـ رشح للانتخابات (البرلمانية) سنة ١٩٦٣ بدائرة أكادير دون أن يزاول نشاطه بها .

ـ وفي اطار حملة الاعتقالات والقمع الواسعة التي صاحبت ١٦ يوليوز ١٩٦٣ تم اعتقاله ، وحكم عليه في مارس ١٩٦٤ بسنتين سجنا مع ايقاف التنفيذ .

وفي ماي من نفس السنة تم نفيه من أكادير الى مراكش .

ـ بعد (٥ جوان ١٩٦٧) اعتقل في سطات وهو في طريقه للدار البيضاء ، بتهمة الدعوة لمقاطعة البضائع الامريكية والصهيونية ٠

ـ وفي ديسمبر ١٩٦٩ اختطف من منزله بمراكش ٠٠ وتعرض لكل أنواع التعذيب على يد البوليس

وفي محاكمة مراكش تم الحكم عليه بـ ١٠ سنوات سجنا ٠

٠ محمد الحبيب أوقف كل حياته لخدمة قضايا الشعب ، ولم يستعمل في ذلك وسيلة واحدة ، بل حاول بكل صدق أن يبلور تطلعات ومطامح الشعب بالكلمة الشعرية وبنشاطه الصحافي ٠ وكانت أعماقه تزخر بصرخات «قافلة الجياع» وشعلة ملتهبة بالنشاط والحيوية اشتغل بحماس في الصحافة الوطنية «التحرير» وكمدير لجريدة «المحرر» ، قام باصدار أوائل المجلات الادبية الوطنية غداة الاستقلال مباشرة وهي «رسالة الاديب» ٠

ـ كما أنه عضو في اتحاد كتاب المغرب العربي ، ومن مؤسسي جمعية «مساندة الكفاح الفلسطيني» ، وقد صدر له ٠ أول ديوان (نجوم في يدي) وله ديوان آخر لم يطبع بعد هو «قافلة الجياع» ٠

انه بحق المناضل الذي جعل الكلمة في خدمة النضال السياسي التحرري ٠ فشخص بسلوكه وفكره وشاعريته ، الرجل المناضل الملتزم في كل جوانب حياته ٠

الرحلة والوصول

أحمد بلبداوي

رمينا بيوسف في الجب ظنا ، رجمنا
بغيب : يموت ··· تموت جزائر هذا الشعاع · كذبنا
على الذئب حين سألت · بكينا :
ـ «قميصه هذا ··· وهذا الدم» ·

تصوبت الاذن عبر الدواخل : صوت علا في الدواخل ، قمنا ·
نسائل أهل المدينة ، نحكي لعرافها :
ـ «أمس من الجن ؟» عرافها قال : «لا ،
ولا المس يسكن دار النبي···» ·
وأغرق وجهه في السفر ، تنوره في البخور ·

صنعنا من سواد الليل أنهارا ··· وأبحرنا :
ـ « فباسم الله مجراها أيا صوتا ينادي في الدواخل يا
شراعا يمخر الازمان · بورك فيك · رحلتنا
الى جزر الشعاع ، ابيضت العينان من يعقوب فهو كظيم ،
سنقطف من هناك له عيونا · باسمك اللهم مرساها··»

وصلنا · اسودت الانحاء ، ما عادت
قلوب الصحب اذ قدت صدور الصحب ·
وصلنا ـ كشرت أنواء ـ جدفنا على اسم الرب من سام ·
مسحنا السلخ بالاسفار ·
تذكر بعضنا بعضا : «لبثناكم ؟ ·· وما للتوء ليس يسح ؟ »
ـ «تراكضنا زمانا ··· ما عدونا السفح» ·
ـ «أكانت رحلة الوهم ؟···»
تبخر بعض من أبحر
وبعض ضل في الامصار
سوى بحار ·

تقاذفه عباب اليم ـ والانواء ـ عض الصخر من سغب ـ الى نهر تعانقه السكينة . في القرار المليل والاهوال
تحكي روعة الابحار ...

تثاءب البحار قال : «الصبر مفتاح الفرج ،
ما انبت المجداف قمحا . هذه الريح الخؤون
تنكرت للقارب القديم يا الله مذ احييتها
في البيوق المنكوس . انف القاربي المجدوع من
يعيد يا الله جدع انفه سوى مشيئة القدير
فالصبر مفتاح الفرج ...

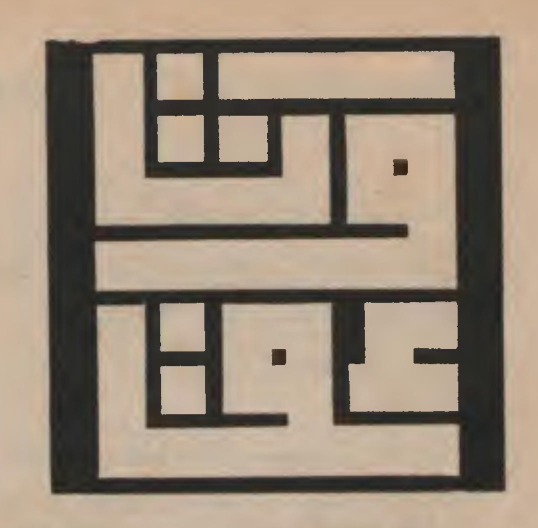
«... وشب النوم في الالواى والمجداف . سرابا عاد هذا النهر ـ يا الله ـ يطفو فوقه
عمري ،
حجارا عادت الاسماك . لكن ها انا ملقى تجاذبني عروق الليل ، ها أنذا بلا ابحار .
فما للصبر هذا ، لم يفجر ماء هذا النهر ، لم يورق رياحا؟ كنت يا الله خلف الصبر والرج ؟

«أمد الطرف يا الله : يغفو الافق في الملح
وهذا نورس ـ عفوا ـ بقايا نورس مغبر
تسلل من خلال السحب والانواء ـ قدما ـ ضاجع المجهول ،
فعاد مهشم المنقار ، مهدود الجناح ، وغامض الاسفار .
أنا لم أرتد الابعاد ، ما صوبت للمجهول الواحي ،
فما للماء ـ يا ألله ـ تحتي عاد
سرابا هذه الحيتان أحجارا ..؟

«فيا ألله ، ها أنذا كسرت اللوح والمجداف ،
حملت الفأس ، ـ دست على جبين الصبر والفرج ـ
أعيد الخلق ، أنفخ فيك يا أشياء من روحي
فلا المجداف بلل هذه الانحاء .
وليس الصبر ينطق هذه الاحجار ... ».

أحمد بلبداوي

١٩٧١/٣/١٥



الاتحـاد الـوطنـي للمهندسيـن

ميثـاق

ان المهندسين المغاربـة ، الواعين كل الوعي بدورهم فـي المجتمع المغربـي ، وبالمسؤولية المنوطة بـهم ، والطامحين الى دمج نشاطهم بالواقـع الاقتصـادي والاجتماعي للبـلاد ، يؤسسـون الاتحـاد الوطنـي للمهندسيـن ٠

ان الاتحاد الوطني للمهندسين سيشكل اطارا للتفكير الجماعي بهدف التوعية بالمشاكل الوطنية ، كما يرمي، اعتمادا على التحليل الموضوعي ، الى طرح وجهة نظره وتحديد الاجراءات الـلازم اتخاذها ازاء كـل موقـف سياسي أو اقتصادي أو اجتماعي بوجه عـام ٠

منذ أن حصل المغرب على الاستقلال السياسي ، ظل في وضعية التبعية الاقتصادية والثقافية ٠

ومن ثم بقي دور المهندسين المغاربة منحصرا فـي أعمال صورية أو تنفيذية محضة ، فـي نطاق اقتصادي يتخذ أهم القرارات المتعلقة بـه بعيدا عنهـم ٠

وفـي حالة كهذه ، يشتد ميل المهنـدس الى محاولة اثبات ذاته زاعما أنه يستطيع حـل مشاكل اقتصادنـا برؤية تقنية ساذجة ، وبواسطة الصراع من أجل مناصب النفـوذ ٠

ا نالاتحاد الوطني للمهندسين ، سيسمح للمهندسين بالتخلص مـن الاندفاع الانانـي والفـردي الملفـوف باللاسياسـة المزعومة ، وذلك بضمهم في حضن وحـدة مسؤولة وملتزمة ومساهمة في تحرير البلاد ٠

وعلى المهندس المغربي أن يقتنع بأن وضعيته ايست فردية ومعزولة ، وان سكوته بالتالي هو تزكية وتواطؤ ٠

ولجعل حد لهذا السكوت ، فسوف لايكتفي الاتحـاد الوطني للمهندسين باجراء الدراسات الموضوعية حـول المشاكل الحيوية في المغرب ، وانما أيضا سينشر تلـك الدراسات على أوسع نطاق ممكـن ٠

ان الاتحاد الوطني للمهندسين ، وعيا منه بمسؤولية جامعتنا في التكوين الحالي الموجه للاطر ، سيعمل على تحديد الاهداف السديدة لتعليم مسخر لخدمة الصالـح الوطنـي ٠

ان الاتحاد الوطنـي للمهندسين سيعمل على نسـج العلاقات مع كل المنظمات الوطنية التي تعمل في نفـس الاتجـاه ٠

توصلنا من الجمعية المغربية لمدرسي الفلسفة بمجموعة من البيانات التي صودق عليها في ندوة «المنهج في دراسة الفكر الاسلامي» التي انعقدت في معمورة مابين ١٤/١/٧٢ و ١٦/١/٧٢ ، ننشر من بينها هذان البيانين مؤكدين على دعم المجلة للخط العام الذي صارت عليه البيانات · وتتعهد المجلة بنشر باقي البيانات في اعدادها المقبلة ·

بيان ١

للتنديد بالتغلغل الفكري الاستعماري

نحن مدرسي الفلسفة المغاربة المجتمعين بالمركز الوطني للشباب بغابة معمورة في اطار الجمعية المغربية لمدرسي الفلسفة من ١٤ـ١ـ١٩٧٢ الى ١٦ـ١ـ١٩٧٢ للانتداء حول موضوع « المنهج في دراسة الفكر الاسلامي» ندين بكل شدة المحاولات الرامية الى تشويه واستغلال الفكر الاسلامي والثقافة الوطنية عموما لخدمة أغراض استعمارية ، ونعتبر البعثات الثقافية الاجنبية وجميع الاجهزة المنضوية تحتها وسائل لخدمة هذه الاهداف ·

في هذا الاطار نندد بما يقوم به معهد «غوثه» حين يبشر بوجهة نظر تستغل مفهوم التصوف لنشر روح تواكلية انهزامية بين الشباب المغربي ، وذلك على لسان المدعو «فيشر» حين يزعم أن التصوف هو الحل الوحيد الممكن لجميع قضايا العالم المتخلف ·

واننا نهيب بجميع المنظمات الثقافية الوطنية الى المساهمة في فضح هذه الاراء الاستعمارية المغرضة ، وذلك بفتح جبهة ثقافية وطنية لمجابهة هذه النشاطات المشبوهة التي لاتهدف الا لتأكيد وصاية الدول الاستعمارية حتى على تفكيرنا وتراثنا الثقافي وطمس رغبتها في الحفاظ على الامور كما هي بدعوى المساعدات التقنية والمبادلات الثقافية ·

بيان ٢

حول ندوة «الفلسفة والقانون»

نحن مدرسي الفلسفة المغاربة المجتمعين بالمركز الوطني للشباب بغابة معمورة في اطار الجمعية المغربية لمدرسي الفلسفة من ١٤ـ١ـ١٩٧٢ الى ١٦ـ١ـ١٩٧٢ للانتداء حول موضوع المنهج في دراسة الفكر الاسلامي، ندين بشدة الثقافة الاستعمارية فيمختلف مظاهرها التي تذيعها البعثات الاجنبية بأعتبارها تشكل وصاية مغرضة تهدف ضرب كل نشاط ثقافي وطني وتدخل ضمن المخطط العام التحريفي لدور الفلسفة والثقافة في بلاد العالم الثالث · وفي هذا الاطار ندين الندوة التي نظمت باشراف معهد «غوثه» التابع للاجهزة الاستعمارية لالمانيا الغربية حول موضوع «الفلسفة والقانون» ، ونعتبر الجمعية المغربية لمدرسي الفلسفة وكذا الجمعيات الوطنية الاخرى التي تعبر عن اماني ومطامح الشعب المغربي هي الاطار الصحيح لاي نقاش وعمل ملتزم ·

وان كل مشاركة في أعمال هذه الاجهزة من طرف المثقفين المغاربة تعتبر تزكية ودعما لهذه الاجهزة التخريبية ·



رسالة من فاس

لقد كان للانطلاقة التي بدأتها مجلة «انفاس» على طريق ابراز الحقيقة الثورية ، ومن أجل توضيح النظرة في مجال التعريف بقضايانا وهمومنا الفكرية ، والدفاع عن أفكار مجموع المثقفين التقدميين المناضلين ، بخصوص مسألة حركة التحرر الوطني على الصعيد القطري ، والعربي ، والعالمي عامة ، لقد كان لهذه الانطلاقة الصدى المدوي ككل مبادرة جادة ومخلصة في هذا السبيل ٠

ان «انفاس» باتت ضرورة ملحة في ظروف الكبث الشامل المسلط على الرأي التقدمي الحر ، وفي ظل حملة التشويه البئيس الذي ما انفك يسم مجمل الحركة الثقافية ببلادنا ، انها بحق ثورة على كل أساليب الاحتواء اللاشرعي للفكر التقدمي ، واعلانا جادا على أن مرحلة فك الحصار واجتثاث كل أنواع (الاعشاب السامة) قد بدأت ، وما مبادرة اصدار مجلة «انفاس» في حلتها الجديدة الا ايذانا ببدء هذه الانطلاقة التي ولاشك سوف تتجدد باستمرار على طريق صراع ايديولوجي طويل ومعقد ، لن تكون نتيجته بالتاكيد سوى انتصار الحقيقة الثورية ٠ وهذا هو الممكن الوحيد ٠

وككل انطلاقة في بدايتها ، كان لابد من أن تتعثر «انفاس» وهي تطمح بثبات وثقة لتحقيق غايتها ، في جملة من الاخطاء ، نرى من واجبنا التنبيه الى ضرورة تلافيها وصولا الى تحقيق الهدف في أحسن الشروط ، وبأنجع السبل ٠

ملاحظات :

١) قضية المستوى :

بخصوص هذه القضية نلاحظ أن المجلة برغم الطابع الجاد الذي رسم مجمل تحليلاتها ، قد تسرعت في نشر بعض المقالات التي تفتقر الى التحليل العميق (أزمة التفكير السلفي بالمغرب) ، (الشعر سلاح لامرئي) ، وكيفما كانت مبررات نشر مثل هذه المقالات بدعوى التشجيع ، فان هذا لايقف مسوغا معقولا للوقوع في مثل هذه الاخطاء ، خاصة وانتم أعلم من أي أحد آخر بالمسؤوليات الجسيمة الملقاة على الوليد الجديد ، وتربص أولئك الذين يغيظهم وجود هذا الوليد الذي وضع في مقدمة أهدافه ، الجدية في كل شيء ، وعلى جميع المستويات ٠

٢) مسألة أخرى نعتقد انها كانت من جملة الاخطاء التي وقعت فيها مجلتنا وهي في بدء انطلاقها ، وهي مصادرة بعض البوادر المخلصة ولا نقول السديدة (التعقيب ، وفي نفس العدد ، على مقالة ابراهيم الخطيب

بصدد تقييم حركة التحرر الوطني ببلادنا) وهذا في تقديرنا يعرقل مجهود المجلة بخصوص محاولتها في ايجاد صيغة ملائمة وفعالة تجعل منها فائدة لحوار تقدمي واسع تفاديا لكل شكل من أشكال الانعزال والانغلاق مع التنبيه الى أن أحدا ليس في وسعه القول، على الاقل في مرحلتنا الراهنة ، أنه يمتلك الحقيقة الثورية وحده ·

٢) اخطاء اخرى نعتقد أنها لاتقل أهمية عن الاخطاء السابقة وقعت فيها المجلة ، تمثلت في بعض أساليب التعبير الغامضة والمعقدة ، مما يفرض على المجلة تفاديها مستقبلا بتوخي الوضوح والبساطة ، وتجنب الاخطاء اللغوية والتعبيرية ، وهذه مسألة لانعتقدها ثانوية كما قد يبدو للبعض من أول وهلة ·

اقتراحات : بعد هذا نرى أنه من الملائم أن نتقدم ببعض الاقتراحات كمساهمة متواضعة من أجل اخصاب مواد مجلتنا نحو مزيد من الاغناء لموادها وتعميق موضوعاتها ·

وفي هذا الصدد نقترح :

١ ـ اجراء تحقيقات حية ، واستجوابات مباشرة في عين المكان ، وذلك في كل موقع من مواقع الكفاحات الجماهيرية (تحقيقات في المصانع والمناجم ، في البادية تحقيقات حية حول أوضاع عمالنا في البلدان الرأسمالية الغربية ···· الخ) ·

٢ ـ احداث ملف في كل عدد يتناول ـ قضايا اجتماعية (مشاكل : البطالة ـ الصحة ـ البغاء ـ ··) أو قضايا سياسية تتعلق بقضية من قضايا حركة تحررنا الوطني والعربي وبلدان العالم الثالث : (الصحراء المغربية ، الخليج العربي ـ تشاد ·· الخ)

٣ ـ نشر نصوص ايديولوجية ثورية : (البيان الشيوعي ، مقتطفات من أعمال هوشي منه ، جياب ، ماوتسيتونغ ···· الخ)

٤) ـ تنظيم مناظرات تسبق كل مناقشة حول قضية من القضايا الوطنية الكبرى ، مع بعث رسائل ومذكرات لمختلف الشخصيات السياسية للادلاء بالرأي ، والمساهمة في النقاش ، ووضع الجميع أمام مسؤولياته ، أي بالاعلان عنها في المجلة ·

٥ ـ مناقشة الانتاج الفكري المغربي ونقده (العروي، بلال ، عبد الله ابراهيم ، الخ ···)

٦ ـ نشر مقتطفات من اقوال الصحافة التقدمية : عربية ، وعالمية ·

٧ ـ نشر نصوص من أعمال الادباء الثوريين العالميين (ناظم حكمت ، بابلونيرودا ··· الخ)

٨ ـ ومن الاقتراحات المستعجلة تخصيص دراسة خاصة باحياء ذكرى ثورة الريف ، وقائدها الخالد عبد الكريم الخطابي ·

أيها الاخوة : اننا ونحن نتقدم بملاحظاتنا واقتراحاتنا نؤكد لكم أن الذي يحركنا هو رغبتنا في أن تكون «أنفاس» الصوت الصافي والمدوي الذي يرفع علم الفكر الثوري عاليا خفاقا يتقدم مسيرة كل المناضلين التقدميين نحو الانتصار ·

مجموعة من طلبة كلية الآداب · فاس

تحية نضالية حارة ، وبعد :

نضم أصواتنا وأنفاسنا الى أنفاسكم معبرين عن تأييدنا المطلق لاتجاه مجلتكم · وننتهز هذه الفرصة لنلفت نظركم الى كثرة الاخطاء المطبعية الموجودة في أعداد المجلة مما يسيء الى قيمتها ·

ـ نقترح عليكم أن تشرحوا بعض المفردات المستعملة من طرفكم في الهامش حتى لايغمض المعنى الكامل لمقالاتكم ، اذ كثير منا لايستطيعون فهمها · (مثل : بلكنة الخ) ·

ـ نود كذلك أن نستفسركم عن مصير «أنفاس» المكتوبة باللغة الفرنسية ، وبالضبط الاسباب الكامنة وراء عدم ظهورها من جديد ·

ـ مجموعة من الاساتذة بخنيفرة ـ

الاشتـــراكـــات

اشتراك المسانــدة :	٥٠ درهم سنويا
الاشتراك العادي :	
المغرب العربــي :	٢٠ درهم سنويا
باقي البلاد العربية :	٣٠ درهم سنويا
اوربــا وافريقيــا :	٣٠ درهم سنويا
أمريكــا وغيرهــا :	٥٠ درهم سنويا

يبعث الاشتراك في حوالة بريدية باسم المسؤول : عبد اللطيف اللعبي ، ٤ شارع باستور الرباط ـ المغرب

● يجب أن يحدد المشترك رقم العدد الذي يريــد أن يبدأ اشتراكه بــه ·
سواندوا أنفاس ، اشتركوا ، ساهموا في حملة الاشتراكــات ·

تبرعــات · اشتراكــات المسانــدة

توصلت المجلة باشتراكات مساندة من الاخــوة :

م·د	من الدار البيضاء	٥٠٠ درهــم ·
م·ب	من الربــاط	٨٠٠ درهــم ·
طالبين	من فلانسيا باسبانيا	١٠٠ درهــم ·
بن طابع محمد	من الربــاط	٣٥ درهــم ·

وان المجــلة لتعبر عــن تشكراتها الحارة لهــؤلاء الاخوة ، وتعدهم بالمضي باخلاص فــي الدفاع عــن المباديء التي التزمــت بهــا ·









قضايا وطنية
قضايا عربية
ثقافة وأدب
حركات التحرر الوطني